بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير القرطبي

سورة هود

معالي الشيخ الدكتور

عبد الكريم بن عبد الله الخضير

عضو هيئة كبار العلماء

وعضو اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

تاريخ المحاضرة:	١٤٣١/١١/١٨هـ	المكان:	

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

في هذا اليوم الأغر المبارك، أوائل سنة اثنتين وعشرين وأربعمائةٍ وألف، نستأنف القراءة في هذا التفسير الكبير العظيم، تفسير أبي عبد الله القرطبي الجامع لأحكام القرآن، هو تفسيرٌ جامع على اسمه للأحكام وغيرها، لكن أكثر ما فيه تعرُّض لأحكام القرآن، نستأنف الدرس بعد انقطاعٍ دام ما يقرب من ثلاثين شهرًا؛ وذلك لظرفٍ طرأ على القارئ، وهو مرضه في رمضان سنة تسعة عشرة، ثم وفاته بعد ذلك -رحمه الله- في الثامن عشر من جمادى الآخرة سنة عشرين، رحمه الله رحمةً واسعة، وغفر لنا وله وجمعنا وإياه في دار كرامته، ومستقر رحمته.

وهذا الكتاب مثل ما ذكرنا سابقًا كتابٌ جامع محيط لكتب أحكام القرآن، وفيه لفتاتٌ لغوية وأخرى تربوية، وتفسيرٌ نافعٌ جامعٌ ماتع، وعليه ملاحظاتٌ يسيرة في باب الاعتقاد، وترجيح غير الراجح أحيانًا في المسائل الفقهية، والمؤلف مالكي المذهب، كما هو معروف، يُرجِّح أحيانًا مذهب الإمام مالك، وقد يكون القول الراجح عند غيره- رحمه الله-، وعلى كلٍّ يُستدركٌ شيءٌ من هذا في التعليقات، وهذا التفسير لكبره وعظمته قررنا سابقًا أنه في كل فصلٍ دراسي ينتهي جزء من العشرين، مشينا على هذا مدة، ونرجو أن نحقق هذا مستقبلاً، إن شاء الله تعالى؛ لأن الكتاب على طوله يحتاج على هذا التقدير إلى ست سنوات لاحقة، إذا أردنا أن نكمل كل سنة جزأين، يعني في كل فصل دراسي جزءًا، فنحتاج إلى كم؟ بقي لنا اثنا عشر جزءًا، فنحتاج إلى ست سنوات، والتعليق يختلف وضعه عن سابقه تفسير الجلالين.

لأن تفسير الجلالين تفسير مختَصر جدًّا، يحتاج إلى شيء من التوضيح وشيءٍ من البيان، وكانت النية أن نكمل تفسير الجلالين لاختصاره، لكن حال دون ذلك الطريقة والمنهج الذي سلكناه، في المرة الأولى والثانية، ثم في الأخير، حقيقةً عجزت من التسديد والمقاربة؛ لأن هذا أمرٌ لا ينضبط، نحرص على ما يفيد الإخوان، وإذا أردنا أن نذكر كل ما يفيدهم، أو جُل ما يفيدهم صار أطول من تفسير القرطبي، وجربنا هذا فيما تقدَّم، فلعل رجوعنا إلى تفسير القرطبي يكون فيه خير ونفع للإخوان كلهم، والله المستعان، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد.

بقيت الإشارة إلى أن هذا التفسير طُبع مرارًا، طُبع المرة الأولى في دار الكتب المصرية سنة إحدى وخمسين وثلاثمائة وألف، كانت طبعته الأولى للمجلد الأول والثاني طبعة بدون آيات، ما ذُكرت فيها الآيات، ثم طُبع ثانية بدون آيات وبدون إحالات، على ما سبق، وعلى ما سيأتي، ثم طُبع الأول والثاني أيضًا مرة ثانية، وطُبعت معهما بقية الأجزاء، ثم طُبع الأول المرة الثالثة، وفيه شيء من الإحالات، واستمر طبع العشرة الأولى، الثانية، وأما العشرة الأخيرة فلم تُطبع إلا مرة

واحدة، ثم بعد ذلك طُبع الكتاب من أوله إلى آخره طبعةً سموها الطبعة الثانية، متجاهلين الطبعة الثانية والثالثة للمجلد الأول والثاني.

على كلٍّ الطبعة الأولى ميزتها عند أهل الصنعة أنها هي الأصل، وهي أجود ورق في الجملة ما عدا الرابع عشر والخامس عشر؛ لأنهما طُبعا في وقت الحرب، فصار الورق رديئًا، أما الطبعة الثانية فهي عند الهواة أقل من حيث جودة الورق، لكنها من حيث الفائدة أجود وأنفع؛ لأنها قوبلت على ثلاثة عشرة نسخة، وعُلِّق على ما يحتاج إلى التعليق عليه، وذُكرت الإحالات كلها، الإحالات كلها ذُكرت، طُبع الثاني بعد عشرين سنة، يعني من ثمانٍ وسبعين إلى اثنين وثمانين، بعد أكثر من عشرين سنة، فسموها الطبعة الثانية كلها من الأول إلى الأخير، وهذه فيها التعليق على ما يحتاج إليه، وهو قليل بالنسبة إلى حجم الكتاب، قلة ما يحتويه وكثرة ما يحتاج إليه، الأمر الثاني الإحالات، وهذا أمرٌ مهم جدًّا، الإحالات على المواضع السابقة واللاحقة، ولذا من يقارن بين الطبعتين يجد في بعض الصفحات ثماني إحالات في الطبعة الثانية، ولا يجد شيئًا منها في الأولى، فعلى سبيل المثال الصفحة الأولى من هذا الجزء، الصفحة الأولى من هذا الجزء.

طُبع أيضًا الكتاب في مطابع أخرى غير دار الكتب، لكنها طبعات لا ترقى إلى خدمة الكتاب، ولا تليق بإخراجه وجودة ورقه والعناية بالكتاب، سموه تحقيقًا، وسموه تعليقًا، وتخريجًا وليس هو شيئًا من هذا، في الصفحة الأولى من هذا الجزء الطبعة الأولى ما فيها ولا حاشية ولا رقم، الطبعة الثانية فيها أربعة أرقام أربع حواشٍ، وهكذا. إحالات كثيرة على السابق واللاحق، فالطبعة الثانية لمن يريد الاستفادة طبعةٌ نفيسة، ينبغي أن يُعتَنى بها، ويُحرص عليها، أما ما يلي ذلك من الطبعات وإن قالوا: عليها تعليقات وتحقيقات فما فيها شيء، لا طبعة دار الكتب العلمية، ولا طبعة دار الحديث ولا غيرها، وهي طبعات لا تليق بمقام الكتاب، على كلَّ الطبعة الثانية صُورت، من حسن الحظ أن الذي صُور الطبعة الثانية بكاملها، يعني ما صُورت الأولى، فالموجود في الأسواق من المصورات الطبعة الثانية.

طالب:.....

كل ما معكم كلها، كلها الطبعة الثانية.

طالب:....

نعم؟

حتى العلمية؟

لا لا، العلمية لا شيء، العلمية ما يطبع لها، المطبوعة على دار الكتب المصرية، كم عندكم من إحالة؟

طالب:.....

نعم، معروف، معروف.

طالب: كيف يُعرف منها المصور من...؟

معروفة، المري يُعرف من قفاه، كيف تعرف؟ ما تعرف، نعرف كل الذي مع الإخوان.

والعجيب في هذا الكتاب أنه لا -يندر أن وجد شخص يعرف الطبعة من أولها إلى آخرها؛ لأنهم طبعوا طبعات سموها ثانية وهي في الحقيقة أولى، وطبعات ثانية أو ثالثة وهي أولى، ولفقوا في الطبعات القديمة لا يستطيع الإنسان العادي الذ ما له خبرة بالكتب وبهذا الكتاب على وجه الخصوص أن ينتقي نسخة كاملة من أول الكتاب إلى آخره طبعة واحدة، هذا يندر، وأيضًا النُّسخ الموجودة في الأسواق والتي تجيء من الخارج والتي في المكتبات العامة يندر أن تجد نسخة، طبعة واحدة من الأول إلى العشرين. يعني شخص يشتري عشر نُسخ ينتقي منها نسخة واحدة يمكن، وهذا دونه خرط القتاد؛ لأن النسخ خلاص هذه كما تعلمون غالية، فيها غلاء.

وعلى كلٍ الكتاب يحتاج إلى عناية، وهو كتابٌ عظيم، يعني قد يستغرب أحد مثل هذا الكلام، وأن تُبذل فيه الأموال، لكن من عرف حقيقة الكتاب هان عليه كل شيء.

نعم.

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحابته.

قال الإمام أبو عبد الله القرطبي -رحمه الله-:

بسم الله الرحمن الرحيم، سورة هودٍ -عليه السلام-.

مَكِّيَّةٌ فِي قَوْلِ الْحَسَنِ وَعِكْرِمَةَ وَعَطَاءٍ وَجَابِرٍ، وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَقَتَادَةَ، إِلَّا آيَةً، وَهِيَ قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَأَقِمِ الصَّلاةَ طَرَفِي النَّهَارِ}[هود:١١٤]. وَأَسْنَدَ أَبُو مُحَمَّدٍ الدَّارِمِيُّ فِي مُسْنَدِهِ عَنْ كَعْبٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ- صلى الله عليه وسلم-: «اقْرَءُوا سُورَةَ هُودٍ يَوْمَ الْجُمُعَةِ».

نعم. السورة مكية كما ذكر المؤلف -رحمه الله-، وإن كان فيه استثناء لهذه الآية التي فيها الإشارة إلى مواقيت الصلاة، وجزم كثيرٌ من أهل العلم أنها مكية دون استثناء.

وأسند أي روى بإسناده الدارمي -رحمه الله تعالى- في مسنده، والمسند يراد به السنن، سنن الدارمي المطبوع المتداول، والدارمي له مسند أيضًا، وله جامع ذكره الخطيب في تاريخه، وإطلاق المسند على سنن الدارمي فيه شيء من التجوُّز بحسب الاصطلاح الذي استقر عليه الأمر، وهو أن المسند: الكتاب الحديث المؤلَّف على مسانيد الصحابة، قبله ابن الصلاح ذكره في المسانيد، وهذا لا شك أن فيه تجوُّزًا، ولذا يقول الحافظ العراقي -رحمه الله تعالى-: ودونها في رُتبةٍ ما جُعل

يعني ما دون السنن.

ودونها في رتبةٍ ما جُعل ـــ على المسانيد فيُدعى الجفلا

كمسند الطيالسي وأحمد ـــ وعدُّه للدارمي انتُقد

انتُقد على ابن صلاح عدُّه للدارمي مسندًا من ضمن المسانيد، نعم. هو مسند بالمعنى الأعم أنه ذُكرت فيه الأخبار بالأسانيد، إن كان يريد المسند الذي أشار إليه الخطيب في تاريخه، فنعم، لكن هنا لا يراد قطعًا؛ لأن الحديث في السنن، والمسند مسند الدارمي منقطع قديمًا، يعني ما وُقف عليه من قديم.

على كلٍّ هذا الحديث في سنن الدارمي، وهو عن كعب، يعني كعب الأحبار، وخبره مرسلٌ وسنده إلى كعب صحيح، كما قال الحافظ ابن حجر في أماليه، أخرجه أيضًا البيهقي وابن مردويه، وعلى كلٍّ هو مرسل، كعب ليس من الصحابة، وإنما هو تابعي.

وَرَوَى التِّرْمِذِيُّ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ أَبُو بَكْرٍ – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ –: «يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ شِبْتَ! قَالَ: شَيَّبَتْنِي هُودٌ وَالْوَاقِعَةُ وَالْمُرْسَلَاتُ وَعَمَّ يَتَسَاءَلُونَ وَإِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ»، قَالَ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ، وَقَدْ رُوِيَ شَيْءٌ مِنْ هَذَا مُرْسَلًا، وَأَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ الْحَكِيمُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ فِي "نَوَادِرِ الْأُصُولِ"، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ وَكِيعٍ قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بِشْرٍ عَنْ عَلِيِّ بْنِ صَالِحٍ عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ عَنْ أَبِي جُحَيْفَةَ قَالَ: قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، نَرَاكَ قَدْ شِبْتَ! قَالَ: «شَيَّبَتْنِي هُودٌ وَأَخَوَاتُهَا».

نعم. هذا الحديث مروي من طُرق، وعن جمعٍ من الصحابة، لكنه عند أكثر العلماء حديثٌ مضطرب، حديثٌ مضطرب، حكم عليه جمعٌ من أهل العلم بالاضطراب، والحديث المضطرب كما هو معروف: هو الذي يُروى على أوجه مختلفة متساوية، فلابد أن يُروى على أكثر من وجه، وأن تكون هذه الوجوه مختلفة، بينها شيء من التعارض، وأن تكون هذه الوجوه المختلفة متساوية، بحيث لا يمكن ترجيح بعضها على بعض، وإن قال ابن حجر: إنه في هذا الحديث يمكن ترجيح بعض الطرق على بعض، وحكم عليه بأنه حسن، وليس بمضطرب.

وعلى كل حال، السورة حقيقةً من قرأها بتدبر، وأداها كما ينبغي، وقرأها على مراد الله من إنزال كتابه ووعاها، جديرةٌ بهذا، وأدركنا شيوخنا ولها شأنٌ عظيم عندهم، فنجد المساجد يوم الثاني عشر من رمضان تكتظ بالمصلين، لا سيما عند بعض الناس الذين في قراءتهم شيء من الخشوع والبكاء، وإن كانوا يهزونها هزًّا، كما عرفنا من طريقتهم وحضرناهم، تجد البكاء مع الهز؛ لأنهم يعون ما يقرؤون، ويتدبرون وهم يسرعون في القراءة، أما القراءة والهز فقد تعودوا عليها في صلاة التراويح، فهي قراءةٌ مفضولة على كل حال، وإن كان الخلاف بين أهل العلم في المفاضلة بين الهز والترتيل قائمة، والجمهور على أن الترتيل أفضل، ويرى الإمام الشافعي ومن يقول بقوله أن الإسراع في القراءة أفضل من الترتيل، وليس معنى هذا أنك تقرأ جزءًا بترتيل، أو تقرأه بهز، يكون هذا محل الخلاف؟ لا، محل الخلاف أن تقرأ ساعة مثلاً، هل تقرأ في هذه الساعة جزأين أو تقرأ أربعة أجزاء؟ أيهما أفضل؟ عند الجمهور تقرأ جزأين أفضل؛ للأمر بالترتيل، ولأنه هو

الذي يتيح الفرصة للتدبر والتفكر والاتعاظ والازدجار، فمحل الخلاف فيما إذا قرأ في الساعة جزأين أو أربعة أجزاء، ولكلٍّ وجه، إن قرأ بتدبُّر فهذا أمر الله -سبحانه وتعالى- بالترتيل، وهو أقرب إلى التذكُّر والاتعاظ والاعتبار.

وقد جاء الأمر بالتدبُّر في مواضع من القرآن، في أربع آيات من القرآن، هي إيش؟

في النساء: {أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا}[النساء:٨٢]، وفي سورة المؤمنون.

طالب:.....

نعم. الثالثة في ص.

طالب:.....

نعم، والرابعة في القتال.

طالب:.....

نعم.

طالب:.....

على كلٍّ التدبر مطلوب، ولذا يقول شيخ السلام -رحمه الله-: من قرأ القرآن على الوجه المأمور به أورثه من العلم واليقين وزيادة الإيمان ما لا يدركه إلا من جرَّب، فالتدبر مطلوب ومأمورٌ به، وجاء عن السلف التحذير من الهز، جاء عن ابن مسعودا: هذًّا كهذ الشعر، لكن من رجَّح هذا النوع من القراءة قال: إن فيه تحصيل أكبر قدر من الحروف، أكبر قدر من الحروف، وقد رُتِّب الثواب على الحروف، كل حرف عشر حسنات، في كل جزء مائة ألف حسنة، فإذا قرأ أربعة أجزاء في الساعة أدرك أربعمائة ألف حسنة، وإذا قرأ جزأين فمقتضى ذلك أنه يدرك مائتي ألف، لكن يبقى أن الاتباع أولى من مجرد كثرة أو مجرد عدد الحسنات، فالذي أصاب السنة، أيهما أعظم: هو أو الذي أُعطي الأجر مرتين؟

طالب:.....

نعم.

طالب:.....

«الذي يقرأ القرآن وهو ماهرٌ فيه مع السفرة الكرام البررة، والذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه وهو عليه شاق له الأجر مرتين»، أيهما أفضل؟ الأول أفضل قطعًا، والذي تيمم وصلى أصاب السنة، والذي صلى من غير تيمم، ثم أعاد الصلاة لما وجد الماء له الأجر مرتين، لكن أيهما أفضل؟

فلا يعني أن كثرة الحسنات مطلقًا هي أفضل من غيرها، لا، قد يكون الثواب المرتب على التدبر أعظم من مجرد كثرة الحسنات، ولذا المرجح أن التدبر أفضل من الهذ، وإن ترتب عليه قلة المقروء، وهذا قول أكثر العلماء، وهو الراجح، إن شاء الله تعالى.

على كلٍّ هذا الحديث شيبتني هود وأخواتها؛ لأن ما اشتملت عليه من أخبار الأمم الماضية، وما وقع لهم، وما وقع منهم من التكذيب لرسلهم، وما حل بهم من العقوبات والنَّكال، ليس معنى هذا أنها قَصص تاريخية تُقرأ للتسلية، وأنها خاصة بأولئك، جاء عن عمر- رضي الله عنه-: مضى القوم ولم يُرد به سوانا، جاء في آخر سورة يوسف: {لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ} [يوسف:١١١]، القصص عادية، يعني تُقرأ للتسلية؟! لا، هي للعبرة والاتعاظ، كون الرسول -عليه الصلاة والسلام- إن صح الخبر قد شيبته هود، وهذه السور التي قُرئت معها فلما اشتملت عليه من الزواجر، والمؤلف له رأي في الشيب وسببه، وأن سببه الفزع، والفزع نقول: إنه ينشف البدن، ونسمع كلام المؤلف -رحمه الله-، نعم.

قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ

هذا المؤلف، نعم.

"فَالْفَزَعُ يُورِثُ الشَّيْبَ، وَذَلِكَ أَنَّ الْفَزَعَ يُذْهِلُ النَّفْسَ فَيُنَشِّفُ رُطُوبَةَ الْجَسَدِ، وَتَحْتَ كُلِّ شَعْرَةٍ مَنْبَعٌ، وَمِنْهُ يَعْرَقُ، فَإِذَا انْتَشَفَ الْفَزَعُ رُطُوبَتَهُ يَبِسَتِ الْمَنَابِعُ فَيَبِسَ الشَّعْرُ وَابْيَضَّ، كَمَا تَرَى الزَّرْعَ الْأَخْضَرَ بِسِقَائِهِ، فَإِذَا ذَهَبَ سِقَاؤُهُ يَبِسَ فَابْيَضَّ، وَإِنَّمَا يَبْيَضُّ شَعْرُ الشَّيْخِ لِذَهَابِ رُطُوبَتِهِ وَيُبْسِ جِلْدِهِ، فَالنَّفْسُ تَذْهَلُ بِوَعِيدِ اللَّهِ، وَأَهْوَالِ مَا جَاءَ بِهِ الْخَبَرُ عَنِ اللَّهِ، فَتَذْبُلُ، وَيُنَشِّفُ مَاءَهَا ذَلِكَ الْوَعِيدُ وَالْهَوْلُ الَّذِي جَاءَ بِهِ، فَمِنْهُ تَشِيبُ، وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا}[ص:٤]، فَإِنَّمَا شَابُوا مِنَ الْفَزَعِ".

نعم. الذي شابهم هو الفزع، فزع الخوف الوجل لا شك أنه يُشيب رأس المولود، ومثل قراءة هذه السورة لا شك أنها تُشيب من في قلبه حياة، لكن مع الأسف أنها تُقرأ في عشر أو ثمان دقائق، فلا تُورثُ شيئًا، كأن شيئًا لم يكن، ولا يدري القارئ هل قرأ سورة هود أو يوسف أو يونس؟ ما يدري!، هذا واقع كثير من الناس، والله المستعان.

طالب:.....

نعم.

أحسن الله إليك، الآن من القرآن سبب شيب النبي- صلى الله عليه وسلم-، ما كان في السورة من أهوال، طيب فيه من القرآن سور احتوت أكثر مما احتوته السورة من أهوال كالأعراف مثلاً، أو غيرها أو يوسف مثلاً أو غيرها من السور التي فيها قصص؟ أنت إن تأملت السور وقارنت بينهم هذا كلام تراه رأي فقط، إذا ليست الأعراف فيها قصص أكثر؟ ما يلزم، ما يلزم، أنت شف سياق القصص، سياق القصص كيف جاء، شف ما يخصنا من هذه القصص {فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ} [هود:١١٢]، يعني هذا إذا وُجِّه للنبي -عليه الصلاة والسلام- مثل هذا الخطاب، ماذا يصير وضعنا؟

طالب:.....

{وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ} [هود:٨٣]، أمور! أمور ليست سهلة وليست هينة لمن له قلب، ولا عاد الله يعفو ويسامح، الله يعفو وسامح.

وَأَمَّا سُورَةُ "هُودٍ" فَلَمَّا ذَكَرَ الْأُمَمَ، وَمَا حَلَّ بِهِمْ مِنْ عَاجِلِ بَأْسِ اللَّهِ تَعَالَى، فَأَهْلُ الْيَقِينِ إِذَا تَلَوْهَا تَرَاءَى عَلَى قُلُوبِهِمْ مِنْ مُلْكِهِ وَسُلْطَانِهِ وَلَحَظَاتِهِ الْبَطْشُ بِأَعْدَائِهِ، فَلَوْ مَاتُوا مِنَ الْفَزَعِ لَحَقَّ لَهُمْ.

وقد وُجد من يموت، وُجد من يُساق في عصر التابعين فمن دونهم فمن بعدهم من يموت إذا سمع القارئ، هذه أمور متواترة، زرارة بن عوف لما سمع القارئ يقرأ: {فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ} [المدثر:٨]، من منا من تحرك منه شعره هذه الآية؟ سمع القارئ يقرأ هذه الآية في الصلاة ومات! من منا من تحرك منه شعرة؟ {فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ}.

طالب:....

نعم؟

طالب:.....

والأخبار كثيرة في هذا من زمن التابعين فمن بعدهم، د يقول قائل هل هذه صفة كمال أو صفة نقص؟ كون الإنسان يُصعق يُغمى عليه إذا سمع القرآن وقد يموت؟ بعضهم لجأ إلى إنكار مثل هذه الوقائع وهذه القصص، حتى أن ابن سيرين ذُكر له قوم من هذا النوع قال: يوضع أحدهم على جدار، ثم يُقرأ القرآن إن سقط فهو صحيح، اختبار! فكأنه يميل إلى أن مثل هذا ما يكون، لكن إذا عرفنا أن القرآن ثقيل سنلقي عليك...

طالب:....

نعم؟

طالب:.....

قولاً ثقيلاً {إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا} [المزمل:٥]، والرسول -عليه الصلاة والسلام- وهو يوحى إليه معروفٍ وضعه، عليه الصلاة والسلام لا شك أن الوحي ثقيل، قد يقول قائل هذا وُجد في التابعين ما وجد من الرسول ولا وُجد من الصحابة، نقول: نعم، القرآن قوي وثقيل لكنه وافق قلوبًا قوية، صار فيه شيء من التكافؤ، قلبه -عليه الصلاة والسلام- مع ما جُبل عليه من مراقبة الله وخشيته، ومعرفته تمام المعرفة قلبه قوي -عليه الصلاة والسلام-، كذلك الصحابة من بعده، لكن من بعدهم ضعفت القلوب، والقرآن بمنزلته في القوة، {لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا}[الحشر:٢١]، فالصحابة يتأثرون من قبلهم الرسول قدوتهم -عليه الصلاة والسلام-، لكن عندهم من المقاومة وقوة القلب التي وهبهم الله -سبحانه وتعالى- إياها، ما يجعلهم يقاومون فلا يحصل لهم شيء من ذلك، ووُجد التأثر من القرآن ممن دونهم مع ضعف المورود، فهي صفة نقص من جهة وصفة كمال من جهة، التأثُّر حاصل مع ضعف المورود فيحصل ما حصل، من جاء بعدهم يقرأ القرآن ويسمع القرآن ويتأثر، يقول: أنزل الصحابة كلام هباء، القلب

ضعيف لو حصل مثله أدنى مصيبة انظر إلى وضعه في دنياه! ما يتحمل شيئًا، هذا قلبه قوي، لكن الأثر ضعيف، تأثير القرآن فيه ضعيف، وعلى كل حال القرآن مؤثر، هو كلام الله، ولولا أن الله -سبحانه وتعالى- جعل في قلب ابن آدم على تحمل ما يسمع ما تحمله، وإذا كان الجبل يتصدع {لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا}، فكيف بالقلب الذي هو مضغة لحم، لو كان يعقل هذا القلب ما صار وضع كثيرٍ من المسلمين إلى هذا الحد، تجده يبيع دينه بعرضٍ يسير زائل من الدنيا، وقد يتحامق، فيبيعه بعرضٍ لا ينفعه، بل يضره، وقد يكون نافعًا لغيره دونه، والله المستعان، نعم.

فَلَوْ مَاتُوا مِنَ الْفَزَعِ لَحَقَّ لَهُمْ، وَلَكِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى اسْمُهُ يَلْطُفُ بِهِمْ فِي تِلْكَ الْأَحَايِينِ حَتَّى يَقْرَءُوا كَلَامَهُ، وَأَمَّا أَخَوَاتُهَا فَمَا أَشْبَهَهَا مِنَ السُّورَ مِثْلُ: "الْحَاقَّةِ" وَ"سَأَلَ سَائِلٌ" وَ" إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ" وَ" الْقَارِعَةُ".

نعم. جاء في بعض الآثار ما يدل على ذلك وأنها قُرنَت بها.

فَفِي تِلَاوَةِ هذِهِ السُّوَرِ مَا يَكْشِفُ لِقُلُوبِ الْعَارِفِينَ سُلْطَانَهُ وَبَطْشَهُ فَتَذْهَلُ مِنْهُ النُّفُوسُ، وَتَشِيبُ مِنْهُ الرُّءُوسُ. [قُلْت] وَقَدْ قِيلَ: إِنَّ الَّذِي شَيَّبَ النَّبِيَّ- صلى الله عليه وسلم- مِنْ سُورَةِ هُودٍ قَوْلُه: {فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ} [هود:١١٢]، عَلَى مَا يَأْتِي بَيَانُهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.

نعم. إذا كان -عليه الصلاة والسلام- قد أُمر بالاستقامة ولزوم المنهج والطريق الصحيح فغيره من باب أولى، والمعصوم -عليه الصلاة والسلام- من الوقوع في المعاصي فغيره من باب أولى.

وَقَالَ يَزِيدُ بْنُ أَبَانَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- فِي مَنَامِي فَقَرَأْتُ عَلَيْهِ سُورَةَ هُودٍ فَلَمَّا خَتَمْتُهَا قَالَ: يَا يَزِيدُ هَذِهِ الْقِرَاءَةُ، فَأَيْنَ الْبُكَاءُ؟ قَالَ عُلَمَاؤُنَا.

على كلٍّ هذا منام، منام إن صحت نسبته إلى يزيد بن أبان فرُؤيا النبي -عليه الصلاة والسلام- لا يتلبس بها الشيطان، وإذا ولو وُجدت القراءة دون البكاء فإن أثر هذه القراءة لا شك أنه قليل بالنسبة لمن يتدبر ويبكي، الرسول -عليه الصلاة والسلام- وقد غُفر له ما تقدَّم من ذنبه وما تأخر إذا قام من الليل صدره له أزيزٌ كأزيز المِرجل من البكاء، وقرأ عليه ابن مسعود من سورة النساء حتى إذا بلغ قوله تعالى: {وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ} [النساء:٤١]، {فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِك} يقول: التفت إليه، فإذا عيناه تذرفان -عليه الصلاة والسلام-.

"قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ النَّحَّاسُ: يُقَالُ هَذِهِ هُودُ فَاعْلَمْ بِغَيْرِ تَنْوِينٍ عَلَى أَنَّهُ اسْمٌ لِلسُّورَةِ؛ لِأَنَّكَ لَوْ سَمَّيْتَ امْرَأَةً بِزَيْدٍ، لَمْ تُصْرَفْ".

نعم. للعالمية والتأنيث، لم تصرف للعالمية والتأنيث، وإلا فالأصل أن زيد مصروف، هود مصروف؛ لأن أسماء الأنبياء كلها ممنوعة من الصرف إلا كم؟ ستة؟

طالب:.....

صالح، نوح، شعيب، ومحمد، ولوط، وهود، ستة مجموعةٌ في قوله: صن شمله، يعني ما بُدئ بهذه الحروف الستة فهو مصروف، وما عدا ذلك فممنوع من الصرف، وصرف مثل هود ونوح وإن كانت هي عربية؟ ليست عربية؟

طالب:.....

نعم؟

طالب:.....

أعجمية، لكنها ثلاثية ساكنة الوسط، ثلاثية ساكنة الوسط ولذا "هند" عالمية وتأنيث، ومع ذلك مصروف.

طالب:.....

نعم؟

طالب:.....

مصروف؛ لأنه ثلاثي ساكن الوسط.

"وَهَذَا قَوْلُ الْخَلِيلِ وَسِيبَوَيْهِ، وَعِيسَى بْنُ عُمَرَ يَقُولُ: هَذِهِ هُودٌ بِالتَّنْوِينِ عَلَى أَنَّهُ اسْمٌ لِلسُّورَةِ، وَكَذَا إِنْ سَمَّى امْرَأَةً بِزَيْدٍ، لِأَنَّهُ لَمَّا سَكَنَ وَسَطُهُ خَفَّ فَصُرِفَ، فَإِنْ أَرَدْتَ الْحَذْفَ صَرَفْتَ عَلَى قَوْلِ الْجَمِيعِ، فَقُلْتَ: هَذِهِ هُودٌ وَأَنْتَ تُرِيدُ سُورَةَ هُودٍ، قَالَ سِيبَوَيْهِ: وَالدَّلِيلُ عَلَى هَذَا أَنَّكَ تَقُولُ: هَذِهِ الرَّحْمَنُ، فَلَوْلَا أَنَّكَ تُرِيدُ هَذِهِ سُورَةُ الرَّحْمَنِ مَا قُلْتَ هَذِهِ".

نعم.

"قوله تعالى:"الر"، تقدَّم القول فيه، كِتَابٌ بِمَعْنَى هَذَا كِتَابٌ، {أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ} [هود:١]، فِي مَوْضِعِ رَفْعِ نَعْتٍ لِ " كِتَابٌ".

لماذا ليس الحال؟ كتابٌ خبر لمبتدأ محذوف تقديره هذا كتاب، {أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ} يقول: في موضع رفع نعت لكتاب، نقول: هذا حال هذا كتابٌ حالَ كونه أُحكمت آياته، يا أشرف؟

طالب:.....

يا إخوان؟

طالب:.....

صحيح، الجُمل بعد النكرات، كتاب نكرة، الجُمل بعد النكرات صفات وبعد المعارف أحوال، لو قال: الكتاب أُحكمت آياته؟ لصار حالًا.

"وَأَحْسَنُ مَا قِيلَ فِي مَعْنَى {أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ} قَوْلُ قَتَادَةَ: أَيْ جُعِلَتْ مُحْكَمَةً كُلَّهَا لَا خَلَلَ فِيهَا وَلَا بَاطِلَ، وَالْإِحْكَامُ مَنْعُ الْقَوْلِ مِنَ الْفَسَادِ، أَيْ نُظِمَتْ نَظْمًا مُحْكَمًا لَا يَلْحَقُهَا تَنَاقُضٌ وَلَا خَلَلٌ، وَقَالَ ابْنُ عَبَّاس: أَيْ لَمْ يَنْسَخْهَا كِتَابٌ، بِخِلَافِ التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ، وَعَلَى هَذَا فَالْمَعْنَى: أَحْكَمَ بَعْضَ آيَاتِهِ بِأَنْ جُعِلَ نَاسِخًا غَيْرَ مَنْسُوخٍ، وَقَدْ تَقَدَّمَ الْقَوْلُ فِيهِ".

نعم. الإحكام يُطلق ويراد به ما يقابل النسخ، فالناسخ محكم، ويقابله المنسوخ، يطلق ويراد به ما يقابل المتشابه، فالقرآن منه المتشابه ومنه المحكم، فعلى القول الأول إذا قلنا: إن المراد بالإحكام ما يقابل النسخ، فالقرآن كله محكم، وما عداه من الكتب السماوية منسوخ، والقرآن محكم بمعنى أنه متقَن، لا يتطرق إليه الخلل بوجه من الوجوه، وإذا قلنا: إن الإحكام المراد به ما يقابل المتشابه، فالقرآن منه محكم ومنه المتشابه، والمتشابه محكمٌ من جهة أنه متقَن لا يتطرق إليه خلل.

"**وَقَدْ يَقَعُ اسْمُ الْجِنْسِ عَلَى النَّوْعِ، فَيُقَالُ: أَكَلْتُ طَعَامَ زَيْدٍ، أَيْ بَعْضَ طَعَامِهِ**".

نعم، يطلق الشيء ويراد بع بعضه، يطلق الشيء ويراد به بعضه؛ لأن اسم الجنس ما يعم الأنواع فتطلق الجمع.

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير القرطبي

سورة هود

معالي الشيخ الدكتور

عبد الكريم بن عبد الله الخضير

عضو هيئة كبار العلماء

وعضو اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

تاريخ المحاضرة:	١٤٣١/١١/١٨هـ	المكان:	

"ثُمَّ بُيِّنَتْ بِذِكْرِ آيَةٍ آيَةٍ بِجَمِيعِ مَا يُحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنَ الدَّلِيلِ عَلَى التَّوْحِيدِ وَالنُّبُوَّةِ وَالْبَعْثِ وَغَيْرِهَا وَقِيلَ: جُمِعَتْ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ، ثُمَّ فُصِّلَتْ فِي التَّنْزِيلِ. وَقِيلَ: {فُصِّلَتْ} أُنْزِلَتْ نَجْمًا نَجْمًا لِتُتَدَبَّرَ. وَقَرَأَ عِكْرِمَةُ {فُصِّلَتْ} مُخَفَّفًا أَيْ حُكِمَتْ بِالْحَقِّ {مِن لَّدُنْ} أَيْ مِنْ عِنْدِ. حَكِيمٍ أَيْ مُحْكِمٌ لِلْأُمُورِ خَبِيرٍ بِكُلِّ كَائِنٍ وَغَيْرِ كَائِنٍ {أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ اللّهَ} قَالَ الْكِسَائِيُّ وَالْفَرَّاءُ: أَيْ بِأَلَّا أَيْ أُحْكِمَتْ ثُمَّ فُصِّلَتْ بِأَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ".

يعني هذا تفصيلها، هذا تفصيل ما أُجمِل، في الآية الأولى {كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ}، التفصيل {أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ}، ولو قيل: (ألَّا) وما بعدها تعليل لهذا التفصيل؛ وذلك لإحكام {كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ}، لـ {أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ}، لكي {لا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ}، لهذه العلة؛ لأنه إذا لم يُحكم وتطرق إليه الخلل؟ وحاشاه من ذلك، {وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا} [النساء:٨٢]، لو وُجد فيه هذا الاختلاف ما عُبد الله، كلامه هو المُعجِز، فكيف يُعبَد وكلامه غير مُحكَم؟ فكأنه قال: {أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ} أُتقنت فُصلت بعد أن أُجمِلت، كل هذا من أجل {أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ}.

"قَالَ الزَّجَّاجُ : لِئَلَّا أَيْ: أُحْكِمَتْ ثُمَّ فُصِّلَتْ لـ {أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ}".

نعم هذا جاء به.

"قِيلَ: أَمَرَ رَسُولَهُ أَنْ يَقُولَ لِلنَّاسِ: {أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ}، أَيْ مِنَ اللَّهِ {نَذِيرٌ} أَيْ مُخَوِّفٌ مِنْ عَذَابِهِ وَسَطْوَتِهِ لِمَنْ عَصَاهُ "وَبَشِيرٌ" بالرضوان والجنة لمن أطاعه".

نعم. "نَذِيرٌ" مخوِّف، يخوف من عصى بالنار، بعذاب الله -سبحانه وتعالى-، "وَبَشِيرٌ" بالرضوان والجنة لمن أطاعه، لمن أطاع الله -سبحانه وتعالى- يبشره بالرضوان من الله -سبحانه وتعالى- وجنته.

"وَقِيلَ: هُوَ مِنْ قَوْلِ اللَّهِ أَوَّلًا وَآخِرًا، أَيْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنَّنِي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ، أَيِ اللَّهُ نَذِيرٌ لَكُمْ مِنْ عِبَادَةِ غَيْرِهِ، كَمَا قَالَ: {وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَه}[آل عمران:٣٠]، قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَأَنِ اسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ} عَطْفٌ عَلَى الْأَوَّلِ، {ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ} أَيِ ارْجِعُوا إِلَيْهِ بِالطَّاعَةِ وَالْعِبَادَةِ. قَالَ الْفَرَّاءُ "ثُمَّ" هُنَا بِمَعْنَى الْوَاوِ، أَيْ وَتُوبُوا إِلَيْهِ".

نعم. يعني لا تقتضي ترتيب، {وَأَنِ اسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ} يعني بعد الاستغفار تحصل التوبة أو أن التوبة قبل، ثم الاستغفار، أو هما معا في آنٍ واحد؟ وحينئذٍ تكون ثم بمعنى الواو لمطلق الجمع.

"أَيْ وَتُوبُوا إِلَيْهِ؛ لِأَنَّ الِاسْتِغْفَارَ هُوَ التَّوْبَةُ، وَالتَّوْبَةَ هِيَ الِاسْتِغْفَارُ. وَقِيلَ: اسْتَغْفِرُوهُ مِنْ سَالِفِ ذُنُوبِكُمْ، وَتُوبُوا إِلَيْهِ مِنَ الْمُسْتَأْنَفِ مَتَى وَقَعَتْ مِنْكُمْ. قَالَ بَعْضُ الصُّلَحَاءِ: الِاسْتِغْفَارُ بِلَا إِقْلَاعٍ تَوْبَةُ الْكَذَّابِينَ. وَقَدْ تَقَدَّمَ هَذَا الْمَعْنَى فِي "آلِ عِمْرَانَ" مُسْتَوْفًى".

يعني مثل هذا الاستغفار بلا إقلاع كأنه أقرب ما يكون إلى الاستهزاء، تستغفر وأنت على المعصية مُصر عليها؟ عازم على العود إليها؟ ما معنى الاستغفار؟ الاستغفار طلب المغفرة، من شرط التوبة الإقلاع عن المعصية، والعزم على ألا يعود إلى هذه المعصية والندم، كيف تجامع هذه الشروط الاستمرار في المعصية؟ فالذي يستغفر بلسانه وقلبه يحن إلى هذه المعصية التي يزعُم أنه يطلب المغفرة منها، هذا أشبه ما يكون بالساخر المستهزئ، وأشبه ما يكون بالمكذِّب.

"وَفِي "الْبَقَرَةِ" عِنْدَ قَوْلِهِ: {وَلا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا} [البقرة:٢٣١]، قِيلَ: إِنَّمَا قَدَّمَ ذِكْرَ الِاسْتِغْفَارِ؛ لِأَنَّ الْمَغْفِرَةَ هِيَ الْغَرَضُ الْمَطْلُوبُ، وَالتَّوْبَةَ هِيَ السَّبَبُ إِلَيْهَا، فَالْمَغْفِرَةُ أَوَّلٌ فِي الْمَطْلُوبِ وَآخِرٌ فِي السَّبَبِ. وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى اسْتَغْفِرُوهُ مِنَ الصَّغَائِرِ، وَتُوبُوا إِلَيْهِ مِنَ الْكَبَائِرِ، {يُمَتِّعْكُم مَّتَاعًا حَسَنًا} هَذِهِ ثَمَرَةُ الِاسْتِغْفَارِ وَالتَّوْبَةِ، أَيْ يُمَتِّعُكُمْ بِالْمَنَافِعِ من سَعَةِ الرِّزْقِ وَرَغَدِ الْعَيْشِ، وَلَا يَسْتَأْصِلُكُمْ بِالْعَذَابِ كَمَا فَعَلَ بِمَنْ أَهْلَكَ قَبْلَكُمْ. وَقِيلَ: يُمَتِّعْكُمْ يُعَمِّرْكُمْ، وَأَصْلُ الْإِمْتَاعِ الْإِطَالَةُ وَمِنْهُ أَمْتَعَ اللَّهُ بِكَ وَمَتَّعَ. وَقَالَ سَهْلُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ: الْمَتَاعُ الْحَسَنُ تَرْكُ الْخَلْقِ وَالْإِقْبَالِ عَلَى الْحَقِّ. وَقِيلَ: هُوَ الْقَنَاعَةُ بِالْمَوْجُودِ، وَتَرْكُ الْحُزْنِ عَلَى الْمَفْقُودِ".

سهل بن عبد الله التوستري من العبَّاد المعروفين، له تفسيرٌ مختصر، وله أقوال تُتَداول، كلها تدل على أنه على حد تعبيرهم واصطلاحهم من العارفين، يعني من العُبَّاد الذين نهجوا أو سلكوا مسلك الزهد والتصوُّف، وإن كان عندهم شيء مما يُلاحظ من إغفال بعض السنن والإيغال في بعض الأمور التي هي على خلاف هديه -عليه الصلاة والسلام-. وعلى كل حال هو ممن تنقل الأقوال وتُتَداوَل، وليس بمغرق في تصوفه بحيث يُخرجه عن أن يكون من العُبَّاد الزُهَاد العارفين على اصطلاحهم.

المتاع الحسن، {يُمَتِّعْكُم مَّتَاعًا حَسَنًا}، يكون المراد بالمتاع الحسن ترك الخَلْق، والإقبال على الحق؛ لأنه ما الذي تجنيه من معرفة الخَلْق؟ باستثناء من تلزم صلته، وباستثناء معاشرة الخَلْق للنفع، لنفعهم، وما عدا ذلك فمعرفتهم في الغالب ضارة، والإقبال على الحق فيه الإنجماع على النفس، وفيه التلذذ بالخلوة به -سبحانه وتعالى-، والتلذذ بمناجاته، لكن هذا يحتاج إلى عسفٍ للنفس، وقصرٍ لها، وتمرين على الطاعة، كثير من الناس ما يستطيع مثل هذا الأمر، فلا يستطيع ترك الخَلْق؛ لأنه يأنس به، ويفضي إليهم بأسراره، وقد يتعدى ذلك إلى أن يتلذذ بكلامهم فيما حرمه الله.

ولذا تجدون أكثر ما يتلذذ به الناس الغيبة، ومن اغتاب الناس في الغالب أنه يُحرم لذة المناجاة، يتلذذ بما حرمه الله، فلن يتلذذ بما طلبه الله منه، فإذا ترك الخَلْق إلا بالقدر المطلوب شرعًا من بر الوالدين وصلة الأرحام والزيارات في الله وزيارة المرضى وعيادتهم، والاجتماع بهم من أجل نفعهم وتوجيههم، أما مجرد الإقبال عليهم من أجل الأنس بهم وقضاء الأوقات معهم لا شك أن الإنسان كما يقول ابن القيم -رحمه الله-، ونُقلت عن ابن خلدون: "الإنسان مدني بالطبع"، يعني

ما يمكن أن يعيش وحده، لكن عليه أن يقلل بقدر الإمكان من هذا الاجتماع، بقدر الإمكان، نعم. يزور من في زيارته مصلحة في دينه أو في دنياه بقدر الحاجة، أما أن يكون ديدنه اليوم دورية مع فلان وغدًا طلعة مع فلان، ودورية الآن مع آل فلان واليوم طلعة المدرسين، وغدًا اجتماع كذا، يضيع العمر، قد اختلف العلماء -رحمهم الله- منذ قرون في الخلطة والعزلة، وأيهما أفضل؟

ففي مثل هذه الأوقات التي يندر فيها سلامة مجامع الناس ومحافلهم من المنكرات، يعني باستثناء ما أمر الله به العزلة أفضل، وقد قرر ذلك شُراح الحديث في القرن السابع وما دونه، قرروا أن العزلة أفضل، كيف لو رأوا أزماننا المتأخرة؟ التي فاكهة المجالس فيها الغيبة والنميمة، وتجد من أثقل الناس على القلوب الذي لا يغتاب الناس، يستثقلونه، إذ كثيرٌ من الناس لا يرغب في كثيرٍ من الصالحين لهذا الأمر، بزعمه أنه اجتمع بهم يستأنس، كيف يستأنس؟

لا يستأنس إلا بهذا الكلام الفاضي، لكن لو تقول: هذا الكتاب نقرأه، من المؤسف أن هذه صفة بعض من ينتسب إلى العلم، قراءة ثقيلة فضلاً عن إلزام النفس وخطمها بخطام الشرع وزمامه، الثقيل على النفس ثقيل على النفوس، الناس جُبلت على الراحة، وكما هو معروف «الْجَنَّةُ حُفَّتِ بِالْمَكَارِهِ، والنَّارُ حُفَّتِ بِالشَّهَوَاتِ»، فكل ما تشتهيه النفس في الغالب أنه غير محمود شرعًا، في الغالب إلا إذا استُعمل من أجل أن يعين على طاعة الله -سبحانه وتعالى-، فهنا يقول: المتاع الحسن ترك الخَلْق، والإقبال على الحق، ومن يقبل على الله ويأنس به، عباراتهم في هذا كثيرة، من انقطع إلى الله أنس به حق الأنس، والله المستعان.

وقيل: هو القناعة بالموجود وترك الحزن على المفقود، عن أحسن من هذا القناعة بالموجود، الحرص يُشقي، لا شك أنه يُتعب النفس والبدن، يُتعب القلب، الحرص على الدنيا وعلى حطامها الزائل لا شك أنه مُتعب للروح وللبدن، والحزن على المفقود كذلك {لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ} إيش؟ {وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ} [الحديد:٢٣] إذًا بماذا نفرح؟

فرح يعني مَلَكَة وغريزة، لابد أن يفرح الإنسان، {قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ} إيش؟ {فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ} [يونس:٥٨]، هذا الذي يفرح به، وليس في الدنيا- الآن لكثرة المعاصي والمنكرات وعدم خلو أي جهة من الجهات من هذه المنكرات- شيءٌ يُفرَح به ويُحرَص عليه، اللهم إلا قراءة كلام الله بالتدبُر، وعلى الوجه المأمور به، فمثل هذا يُفرَح به، وأما ما يتعلق بالدنيا، فكما قال الله -سبحانه وتعالى-: {الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا} [الكهف:٤٦]، الواحد يفرح إذا رأى أولاده لاسيما الصغار منهم ويأنس بهم، لكن المسؤولية أعظم.

"إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى قِيلَ: هُوَ الْمَوْتُ، وَقِيلَ: الْقِيَامَةُ، وَقِيلَ: دُخُولُ الْجَنَّةِ، وَالْمَتَاعُ الْحَسَنُ عَلَى هَذَا وِقَايَةُ كُلِّ مَكْرُوهٍ وَأَمْرٍ مَخُوفٍ، مِمَّا يَكُونُ فِي الْقَبْرِ وَغَيْرِهِ مِنْ أَهْوَالِ الْقِيَامَةِ وَكَرْبِهَا، وَالْأَوَّلُ

أَظْهَرُ؛ لِقَوْلِهِ فِي هَذِهِ السُّورَةِ: {وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ} [هود:٥٢]، وَهَذَا يَنْقَطِعُ بِالْمَوْتِ وَهُوَ الْأَجَلُ الْمُسَمَّى، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

قَالَ مُقَاتِلٌ: فَأَبَوْا فَدَعَا عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- فَابْتُلُوا بِالْقَحْطِ سَبْعَ سِنِينَ حَتَّى أَكَلُوا الْعِظَامَ الْمُحْرِقَةَ وَالْقَذَرَ وَالْجِيَفَ وَالْكِلَابَ".

دعا عليهم أن يجعلها سنين كسني يوسف، سني جدب وقحط فصارت، ثم جاءوا إليه بأن يدعو الله -سبحانه وتعالى- أن يرفع عنهم ما حصل بهم أو ما حل بهم.

"{وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ} أَيْ يُؤْتِ كُلَّ ذِي عَمَلٍ مِنَ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَاتِ جَزَاءَ عَمَلِهِ، وَقِيلَ: وَيُؤْتِ كُلَّ مَنْ فَضُلَتْ حَسَنَاتُهُ عَلَى سَيِّئَاتِهِ فَضْلَهُ أَيِ الْجَنَّةَ، وَهِيَ فَضْلُ اللَّهِ".

نعم. من رجحت حسناته على سيئاته هذا يدخل الجنة، ومن رجحت سيئاته على حسناته هو تحت المشيئة يُعذَّب بقدر هذه الزيادة ثم يدخل الجنة، ما دام مات على التوحيد.

"فَالْكِنَايَةُ فِي قَوْلِهِ: فَضْلُهُ تَرْجِعُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى".

الكناية المراد بها الضمير، كناية يريد بها الضمير.

"وَقَالَ مُجَاهِدٌ: هُوَ مَا يَحْتَسِبُهُ الْإِنْسَانُ مِنْ كَلَامٍ يَقُولُهُ بِلِسَانِهِ، أَوْ عَمَلٍ يَعْمَلُهُ بِيَدِهِ أَوْ رِجْلِهِ، أَوْ مَا تَطَوَّعَ بِهِ مِنْ مَالِهِ فَهُوَ فَضْلُ اللَّهِ، يُؤْتِيهِ ذَلِكَ إِذَا آمَنَ، وَلَا يَتَقَبَّلُهُ مِنْهُ إِنْ كَانَ كَافِرًا، {وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ} أَيْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَهُوَ كَبِيرٌ لِمَا فِيهِ مِنَ الْأَهْوَالِ، وَقِيلَ: الْيَوْمُ الْكَبِيرُ هُوَ يَوْمُ بَدْرٍ وَغَيْرُهُ: وَ"تَوَلَّوْا" يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَاضِيًا، وَيَكُونُ الْمَعْنَى: وَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ لَهُمْ: إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مُسْتَقْبَلًا حُذِفَتْ مِنْهُ إِحْدَى التَّاءَيْنِ وَالْمَعْنَى: قُلْ لَهُمْ: إِنْ تَتَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ".

نعم. "إن تولوا" صيغته صيغةٌ ماضٍ، تولوا يعني فيما مضى، وإن قلنا: إنه بحذف تاء المضارعة، والمقصود تتولوا يعني في المستقبل ثم حُذفت وحذفها كثير، حذفها كثير، ويجوز أن يكون ماضيًا، وأن يكون مستقبلًا.

"قوله تعالى: {إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ} أَيْ بَعْدَ الْمَوْتِ، {وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} مِنْ ثَوَابٍ وَعِقَابٍ، {أَلَا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ} أَخْبَرَ عَنْ مُعَادَاةِ الْمُشْرِكِينَ لِلنَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم- وَالْمُؤْمِنِينَ، وَيَظُنُّونَ أَنَّهُ تَخْفَى عَلَى اللَّهِ أَحْوَالُهُمْ، {يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ} أَيْ يَطْوُونَهَا عَلَى عَدَاوَةِ الْمُسْلِمِينَ فَفِيهِ هَذَا الْحَذْفُ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، يُخْفُونَ مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنَ الشَّحْنَاءِ وَالْعَدَاوَةِ، وَيُظْهِرُونَ خِلَافَهُ، نَزَلَتْ فِي الْأَخْنَسِ بْنِ شَرِيقٍ، وَكَانَ رَجُلًا حُلْوَ الْكَلَامِ حُلْوَ الْمَنْطِقِ، يَلْقَى رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- بِمَا يَحِبُّ، وَيَنْطَوِي لَهُ بِقَلْبِهِ عَلَى مَا يَسُوءُ.

وَقَالَ مُجَاهِدٌ: {يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ} شَكًّا وَامْتِرَاءً، وَقَالَ الْحَسَنُ، يَثْنُونَهَا عَلَى مَا فِيهَا مِنَ الْكُفْرِ، وَقِيلَ: نَزَلَتْ فِي بَعْضِ الْمُنَافِقِينَ، كَانَ إِذَا مَرَّ بِالنَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم- ثَنَى صَدْرَهُ وَظَهْرَهُ، وَطَأْطَأَ رَأْسَهُ وَغَطَّى وَجْهَهُ؛ لِكَيْلَا يَرَاهُ النَّبِيُّ -صلى الله عليه وسلم- فَيَدْعُوهُ إِلَى

الْإِيمَانِ، حُكِيَ مَعْنَاهُ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ شَدَّادٍ، فَالْهَاءُ فِي مِنْهُ تَعُودُ عَلَى النَّبِيِّ- صلى الله عليه وسلم-، وَقِيلَ: قَالَ الْمُنَافِقُونَ: إِذَا غَلَّقْنَا أَبْوَابَنَا، وَاسْتَغْشَيْنَا ثِيَابَنَا، وَثَنَيْنَا صُدُورَنَا عَلَى عَدَاوَةِ مُحَمَّدٍ، فَمَنْ يَعْلَمُ بِنَا؟ فَنَزَلَتِ الْآيَةُ، وَقِيلَ: إِنَّ قَوْمًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ كَانُوا يَتَنَسَّكُونَ بِسَتْرِ أَبْدَانِهِمْ، وَلَا يَكْشِفُونَهَا تَحْتَ السَّمَاءِ.

يعني يتعبدون بها، يرون هذا عبادة، وأنه من تعظيم الله، لكنها عبادةٌ لم يشرعها الله -سبحانه وتعالى-، لا في كتابه ولا على لسان رسوله -عليه الصلاة والسلام-، من معاني أو مما يتطلبه الإيمان بالرسول -عليه الصلاة والسلام- ألا يُعبَد الله إلا بما شرع، ألا الله إلا بما شرع، فكونهم يتعبدون بعبادات لم ينزل الله بها من سلطان هذا ابتداع، خطرٌ عظيم. من هذا الصنف ما ذكره بعضهم.

يقول أحمد أمين في حياته ومذكراته يقول: أنه درسهم شخص في مدرسة القضاء الشرعي مصري، ثم انقطع عنهم مدةً طويلة، يقول: فصرت أبحث عنه، كأنه معجبٌ به، فلم أقف له على خبر، فقُدِّرَ لي أن- قُدِّر لأحمد أمين أن يزور تركيا، فوجد هذا الشخص، وإذا بهذا الشخص قد ترهب وانقطع عن الدنيا للعبادة، كان صاحب قيام وصيام، لكنه قيامٌ من نوعٍ خاص، وصيامٌ من نوعٍ خاص، يقول: إنه يصوم من الضحى إلى نصف الليل، والعلة في ذلك أن تحته عائلة، ما أدري قال: يهودية أو نصرانية، لا يريد أن يزعجهم في آخر الليل؛ من أجل إعداد الطعام والسحور، وما أشبه ذلك، لكنه وصفه بكثرة العبادة والعزوف عن الدنيا، لكنها عبادةٌ لم ينزل الله بها من سلطان فهي بدعة، نسأل الله العافية، فضررها أكثر من نفعها، بل لا نفع فيها ألبتة ولا خير فيها، نسأل الله العافي.

فالشيطان يملي للناس، ويسول لهم، ويهون عليهم، ويحسّن في أنفسهم بعض الصور القبيحة، فتجدهم على هذا النوع، ووُجد من الطوائف من زج به الشيطان إلى أن ارتكب كثيرًا من المحرمات، بل المكفرات، وهم يحسبون أنهم يُحسنون صنعًا، نسأل الله العافية.

"فَبَيَّنَ اللَّهُ تَعَالَى: أَنَّ التَّنَسُّكَ مَا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ قُلُوبُهُمْ مِنْ مُعْتَقَدٍ، وَأَظْهَرُوهُ مِنْ قَوْلٍ وَعَمَلٍ، وَرَوَى ابْنُ جَرِيرٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبَّادِ بْنِ جَعْفَرٍ قَالَ" .

نعم

طالب:.....

نعم

طالب:.....

ماذا؟

طالب:.....

هذا من حيائه -رضي الله عنه- نقول: عُرف بذلك، من حيائه- رضي الله عنه- ولا يتعبد بذلك، ما يرى أن الغُسل عريان فيه شيء، هو مشهودٍ له بذلك، تستحي منه الملائكة- رضي الله عنه- .

"قَالَ: سَمِعْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ -رضي الله عنه- يَقُولُ: "أَلَا إِنَّهُمْ تَثْنَوْنِي صُدُورُهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ" قَالَ: كَانُوا لَا يُجَامِعُونَ النِّسَاءَ، وَلَا يَأْتُونَ الْغَائِطَ وَهُمْ يُفْضُونَ إِلَى السَّمَاءِ، فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ، وَرَوَى غَيْرُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبَّادٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: "أَلَا إِنَّهُمْ تَثْنَوِي صُدُورُهُمْ" بِغَيْرِ نُونٍ بَعْدَ الْوَاوِ، فِي وَزْنِ تَنْطَوِي، وَمَعْنَى "تَثْنَوِي" وَالْقِرَاءَتَيْنِ الْأُخْرَيَيْنِ مُتَقَارِبٌ؛ لِأَنَّهَا لَا تَثْنَوِي حَتَّى يَثْنُوهَا، وَقِيلَ: كَانَ بَعْضُهُمْ يَنْحَنِي عَلَى بَعْضٍ يُسَارُّهُ فِي الطَّعْنِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، وَبَلَغَ مِنْ جَهْلِهِمْ أَنْ تَوَهَّمُوا أَنَّ ذَلِكَ يَخْفَى عَلَى اللَّهِ تَعَالَى.

{لِيَسْتَخْفُوا} أَيْ لِيَتَوَارَوْا عَنْهُ، أَيْ عَنْ مُحَمَّدٍ أَوْ عَنِ اللَّهِ، {أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ} أَيْ يُغَطُّونَ رُءُوسَهُمْ بِثِيَابِهِمْ، قَالَ قَتَادَةُ: أَخْفَى مَا يَكُونُ الْعَبْدُ إِذَا حَنَى ظَهْرَهُ، وَاسْتَغْشَى ثَوْبَهُ، وَأَضْمَرَ فِي نَفْسِهِ هَمَّهُ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا}، {مَا} نَفْيٌ وَ{مِنْ} زَائِدَةٌ وَ{دَابَّةٍ} فِي مَوْضِعِ رَفْعٍ، التَّقْدِيرُ: وَمَا دَابَّةٌ، {إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا} {عَلَى} بِمَعْنَى مِنْ، أَيْ مِنَ اللَّهِ رِزْقُهَا، يَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُ مُجَاهِدٍ: كُلُّ مَا جَاءَهَا مِنْ رِزْقٍ فَمِنَ اللَّهِ، وَقِيلَ: "عَلَى اللَّهِ" أَيْ فَضْلًا لَا وُجُوبًا".

خلافًا لما تزعمه المعتزلة، أنه يجب على الله -سبحانه وتعالى- رعاية الأصلح للمكلَّفين، في أمور دينهم وأمور دنياهم، والرزق بالنسبة للمخلوقين أصلح، فيجب على الله -سبحانه وتعالى- أن يرزقهم، عندهم أيضًا في مذهبهم في مسألة الرزق، أن الرزق المراد به الحلال، وأن الحرام ليس برزق؛ لأنه ليس من الله، هذا جريًا على القاعدةٍ وطردًا لمذهبهم في أن الخير من الله والشر ليس منه، بل هم يخلقونه وعندهم أن العبد يخلُق فعله، ولذا جاء تشبيههم في الخبر بأنهم مجوس هذه الأمة.

طالب:.....

من زائدة من الناحية الإعرابية، وإلا هي معناها التأكيد، يعني تأكيد النفي، أما زيادتها فمن حيث الإعراب، من حيث الإعراب بحيث لو حذفتها استقام المعنى، لكن وجودها من حيث المعنى لابد منه.

"وَقِيلَ: وَعْدًا مِنْهُ حَقًّا، وَقَدْ تَقَدَّمَ بَيَانُ هَذَا الْمَعْنَى فِي "النِّسَاءِ" وَأَنَّهُ سُبْحَانَهُ لَا يَجِبُ عَلَيْهِ شَيْءٌ، رِزْقُهَا رُفِعَ بِالِابْتِدَاءِ، وَعِنْدَ الْكُوفِيِّينَ بِالصِّفَةِ، وَظَاهِرُ الْآيَةِ الْعُمُومُ وَمَعْنَاهَا الْخُصُوصُ".

نعم. ما معنى رُفع بالابتداء؟ "إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا"؟

طالب:....

نعم، مبتدأ مؤخر، مبتدأ مؤخر، رُفع بالابتداء، عند الكوفيين بالصفة، رُفع بالصفة، أين الصفة؟

طالب:.....

ماذا؟

طالب:.....

نعم

طالب:.....

مُتَعَلَّق بجار ومجرور.

طالب:.....

صفة التي هي متعلق الجار ومجرور، "وَمَا مِنْ دَابَّةٍ" إلا كائنٌ "عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا"، مُتَعَلَّق الجار والمجرور هو الذي رفع رزقها.

"أَنَّ كَثِيرًا مِنَ الدَّوَابِّ هَلَكَ قَبْلَ أَنْ يُرْزَقَ، وَقِيلَ: هِيَ عَامَّةٌ فِي كُلِّ دَابَّةٍ، وَكُلُّ دَابَّةٍ لَمْ تُرْزَقْ رِزْقًا تَعِيشُ بِهِ فَقَدْ رُزِقَتْ رُوحَهَا".

نعم رُزقت الوجود بعد أن كانت عدمًا.

"وَوَجْهُ النَّظْمِ بِمَا قَبْلُ: أَنَّهُ سُبْحَانَهُ أَخْبَرَ بِرِزْقِ الْجَمِيعِ، وَأَنَّهُ لَا يَغْفُلُ عَنْ تَرْبِيَتِهِ، فَكَيْفَ تَخْفَى عَلَيْهِ أَحْوَالُكُمْ يَا مَعْشَرَ الْكُفَّارِ وَهُوَ يَرْزُقُكُمْ؟"

مكتوب معاشر أم معشر؟

مَعْشَرَ!

معشر.

"فَكَيْفَ تَخْفَى عَلَيْهِ أَحْوَالُكُمْ يَا مَعْشَرَ الْكُفَّارِ وَهُوَ يَرْزُقُكُمْ؟! وَالدَّابَّةُ كُلُّ حَيَوَانٍ يَدِبُّ".

الدابة هي كل حيوان يدب على وجه الأرض فهو دابة، وإن خصه العُرف بذوات الأربع، حقيقة الدابة العرفية ذوات الأربع، لكن كل ما يدُب على الأرض فهو دابة، وهل يدخل الطير في الدابة أو لا يدخل؟

طالب:.....

نعم.

طالب:.....

يدخل أم ما يدخل؟

طالب:....

العطف "ولا طائرٍ".

طالب:.....

يقتضي المغايرة، يدل على أن الطير ليس من الدواب، مع أنه يمكن أن يقال: إن عطف الطائر من باب عطف الخاص على العام، فيدخل الطائر في الدابة.

"وَالرِّزْقُ حَقِيقَتُهُ مَا يَتَغَذَّى بِهِ الْحَيُّ، وَيَكُونُ فِيهِ بَقَاءُ رُوحِهِ وَنَمَاءُ جَسَدِهِ، وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الرِّزْقُ بِمَعْنَى الْمِلْكِ، لِأَنَّ الْبَهَائِمَ تُرْزَقُ، وَلَيْسَ يَصِحُّ وَصْفُهَا بِأَنَّهَا مَالِكَةٌ لِعَلَفِهَا، وَهَكَذَا الْأَطْفَالُ تُرْزَقُ اللَّبَنُ وَلَا يُقَالُ: إِنَّ اللَّبَنَ الَّذِي فِي الثَّدْيِ مِلْكٌ لِلطِّفْلِ، وَقَالَ تَعَالَى: {وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ} [الذاريات:٢٢]، وَلَيْسَ لَنَا فِي السَّمَاءِ مِلْكٌ، وَلِأَنَّ الرِّزْقَ لَوْ كَانَ مِلْكًا لَكَانَ إِذَا أَكَلَ الْإِنْسَانُ مِنْ مِلْكِ غَيْرِهِ أَنْ يَكُونَ قَدْ أَكَلَ مِنْ رِزْقِ غَيْرِهِ، وَذَلِكَ مُحَالٌ".

ملك بالضم غالبًا ما يُطلق على الولاية العظمى، مُلك، والمِلك يعني مِلك الأموال وما شابهها، نعم.

"لِأَنَّ الْعَبْدَ لَا يَأْكُلُ إِلَّا رِزْقَ نَفْسِهِ، وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي "الْبَقَرَةِ" هَذَا الْمَعْنَى وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَقِيلَ لِبَعْضِهِمْ: مِنْ أَيْنَ تَأْكُلُ؟ وَقَالَ: الَّذِي خَلَقَ الرَّحَى يَأْتِيهَا بِالطَّحِينِ، وَالَّذِي شَدَّقَ الْأَشْدَاقَ هُوَ خَالِقُ الْأَرْزَاقِ، وَقِيلَ لِأَبِي أُسَيْد: مِنْ أَيْنَ تَأْكُلُ؟ فَقَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ أَكْبَرُ! إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ الْكَلْبَ أَفَلَا يَرْزُقُ أَبَا أُسَيْد؟ وَقِيلَ لِحَاتِمِ الْأَصَمِّ: مِنْ أَيْنَ تَأْكُلُ؟ فَقَالَ: مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، فَقِيلَ لَهُ: اللَّهُ يُنْزِلُ لَكَ دَنَانِيرَ وَدَرَاهِمَ مِنَ السَّمَاءِ؟ فَقَالَ: كَأَنَّ مَا لَهُ إِلَّا السَّمَاءُ! يَا هَذَا الْأَرْضُ لَهُ وَالسَّمَاءُ لَهُ، فَإِنْ لَمْ يُؤْتِنِي رِزْقِي مِنَ السَّمَاءِ سَاقَهُ لِي مِنَ الْأَرْضِ، وَأَنْشَدَ:

وَكَيْفَ أَخَافُ الْفَقْرَ وَاللَّهُ رَازِقِي ... وَرَازِقُ هَذَا الْخَلْقِ فِي الْعُسْرِ وَالْيُسْرِ

تَكَفَّلَ بِالْأَرْزَاقِ لِلْخَلْقِ كُلِّهِمْ ... وَلِلضَّبِّ فِي الْبَيْدَاءِ وَالْحُوتِ فِي الْبَحْرِ"

نعم. ومع ذلك مع أنه تكفَّل بالأرزاق إلا أنه أمر بفعل الأسباب، فطلب الرزق من غير سبب حُمق، كما أن طلب الولد من غير نكاح جنون، إن كان الله يقدِّر لي أولادًا فسيأتون، المقدر كائن تزوجت أو ما تزوجت، يمكن أن يقول عاقل هذا الكلام؟

فلابد من مباشرة الأسباب، والسماء كما قال عمر -رضي الله عنه-: لا تمطر ذهبًا ولا فضة، «لَوْ أَنَّكُمْ تَوَكَّلْتُمْ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ تَغْدُو وَتَرُوحُ»، ولا تجلس في أوكارها تغدو وتروح، «تَغْدُو خِمَاصًا وَتَرُوحُ بِطَانًا»، المقصود أن بذل الأسباب لطلب الرزق أمرٌ مطلوبٌ شرعًا، وفعل الأسباب ومباشرتها لا يعني أن هذا معارض للقدر ولا نقض للتوكل، بل هو من التوكل.

"وَذَكَرَ التِّرْمِذِيُّ الْحَكِيمُ فِي "نَوَادِرِ الْأُصُولِ" بِإِسْنَادِهِ عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ: أَنَّ الْأَشْعَرِيِّينَ أَبَا مُوسَى وَأَبَا مَالِكٍ وَأَبَا عَامِرٍ فِي نَفَرٍ مِنْهُمْ، لَمَّا هَاجَرُوا وَقَدِمُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- فِي ذَلِكَ وَقَدْ أَرْمَلُوا مِنَ الزَّادِ، فَأَرْسَلُوا رَجُلًا مِنْهُمْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- يَسْأَلُهُ، فَلَمَّا انْتَهَى إِلَى بَابِ رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- سَمِعَهُ يَقْرَأُ هَذِهِ الْآيَةَ {وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ}

فَقَالَ الرَّجُلُ: مَا الْأَشْعَرِيُّونَ بِأَهْوَنِ الدَّوَابِّ عَلَى اللَّهِ، فَرَجَعَ وَلَمْ يَدْخُلْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- فَقَالَ لِأَصْحَابِهِ: أَبْشِرُوا أَتَاكُمُ الْغَوْثُ، وَلَا يَظُنُّونَ إِلَّا أَنَّهُ قَدْ كَلَّمَ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- فَوَعَدَهُ.

فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ أَتَاهُمْ رَجُلَانِ يَحْمِلَانِ قَصْعَةً بَيْنَهُمَا مَمْلُوءَةً خُبْزًا وَلَحْمًا فَأَكَلُوا مِنْهَا مَا شَاءُوا، ثُمَّ قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: لَوْ أَنَّا رَدَدْنَا هَذَا الطَّعَامَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- ؛ لِيَقْضِيَ بِهِ حَاجَتَهُ، فَقَالُوا لِلرَّجُلَيْنِ: اذْهَبَا بِهَذَا الطَّعَامِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- فَإِنَّا قَدْ قَضَيْنَا مِنْهُ حَاجَتَنَا، ثُمَّ إِنَّهُمْ أَتَوْا رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا رَأَيْنَا طَعَامًا أَكْثَرَ وَلَا أَطْيَبَ مِنْ طَعَامٍ أَرْسَلْتَ بِهِ، قَالَ : «مَا أَرْسَلْتُ إِلَيْكُمْ طَعَامًا»، فَأَخْبَرُوهُ أَنَّهُمْ أَرْسَلُوا صَاحِبَهُمْ، فَسَأَلَهُ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- فَأَخْبَرَهُ مَا صَنَعَ، وَمَا قَالَ لَهُمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم-: «ذَلِكَ شَيْءٌ رَزَقَكُمُوهُ اللَّهُ».

نعم هذا الخبر نقله المؤلف عن النوادر، نوادر الأصول للترمذي الحكيم، وهو غير صاحب السنن، غير أبي عيسى صاحب السنن المعروف، الإمام المشهور، هذا الترمذي الحكيم، له كتاب اسمه نوادر الأصول، وهذا الكتاب مشتمل على أخبار مرفوعة وموقوفة وقصص، وما تفرَّد به فهو ضعيف، والرجل فيه كلام طويل لهذا العلم؛ لأنه من المتصوفة، وله رأي في المعرفة، وله أيضًا قولٌ في الولاية وتعظيمها.

المقصود أنه الرجل منتَقَد، وليس بمعتدل الرأي عند عامة أهل العلم، وكتابه هذا النوادر فيه أخبار، وفيه أحاديث، لكن عامة ما يتفرد به هذا الكتاب ضعيف، وفيه شيء من الموضوعات، نعم.

طالب:.....

ماذا؟

طالب:.....

نعم.

طالب:.....

مطبوع مختصر بدون أسانيد.

"قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا} أَيْ مِنَ الْأَرْضِ حَيْثُ تَأْوِي إِلَيْهِ، {وَمُسْتَوْدَعَهَا} أَيِ الْمَوْضِعَ الَّذِي تَمُوتُ فِيهِ فَتُدْفَنُ، قَالَهُ مِقْسَمٌ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ -رضي الله عنهم-، وَقَالَ الرَّبِيعُ بْنُ أَنَسٍ: مُسْتَقَرَّهَا أَيَّامُ حَيَاتِهَا، {وَمُسْتَوْدَعَهَا} حَيْثُ تَمُوتُ وَحَيْثُ تُبْعَثُ. وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: {مُسْتَقَرَّهَا} فِي الرَّحِمِ، {وَمُسْتَوْدَعَهَا} فِي الصُّلْبِ. وَقِيلَ: يَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا فِي الْجَنَّةِ أَوِ النَّارِ {وَمُسْتَوْدَعَهَا} فِي الْقَبْرِ، يَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى فِي وَصْفِ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَأَهْلِ النَّارِ: {حَسُنَتْ

مُسْتَقَرًا وَمُقَامًا} [الفرقان:٧٦]، وَ{سَاءَتْ مُسْتَقَرًا وَمُقَامًا} [الفرقان:٦٥]، {كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ} أَيْ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ} تَقَدَّمَ فِي "الْأَعْرَافِ" بَيَانُهُ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ. {وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ} بَيَّنَ أَنَّ خَلْقَ الْعَرْشِ وَالْمَاءِ قَبْلَ خَلْقِ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ، قَالَ كَعْبٌ: خَلَقَ اللَّهُ يَاقُوتَةً خَضْرَاءَ، فَنَظَرَ إِلَيْهَا بِالْهَيْبَةِ، فَصَارَتْ مَاءً يَرْتَعِدُ مِنْ مَخَافَةِ اللَّهِ تَعَالَى".

العلماء يقولون يختلفون في أول المخلوقات هل هو العرش أو القلم؟ جاء في الحديث الصحيح: «إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمَ فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ»، فهل معنى هذا أنه أول المخلوقات، أو أنه في أول خلقه يعني في أول أمره قيل له: اكتب؟ الآية يعني أنه قبل غيره، ولذا يقول العلامة ابن القيم –رحمه الله– في النونية:

وَالنَّاسُ مُخْتَلِفُونَ فِي الْقَلَمِ الَّذي ... كُتِبَ الْقَضَاءُ بِهِ مِنَ الدَّيَّانِ

هَلْ كَانَ قَبْلَ الْعَرْشِ أَوْ هُوَ بَعْدَهُ ... قَوْلانِ عِنْدَ أَبِي الْعَلاَ الْهَمَدَانِي

هَلْ كَانَ قَبْلَ الْعَرْشِ أَوْ هُوَ بَعْدَهُ ... وَقْتَ الْكِتَابَةِ كَانَ ذَا أَرْكَانِ

وَكِتَابَةُ الْقَلَمِ الشَّرِيفِ تَعَقَّبَتْ ... إِيجَادَهُ مِنْ غَيْرِ فَصْلِ زَمَانِ

المقصود أن العرش هو الأول عند جمهور العلماء.

نعم.

"فَلِذَلِكَ يَرْتَعِدُ الْمَاءُ إِلَى الْآنِ وَإِنْ كَانَ سَاكِنًا، ثُمَّ خَلَقَ الرِّيحَ فَجَعَلَ الْمَاءَ عَلَى مَتْنِهَا، ثُمَّ وَضَعَ الْعَرْشَ عَلَى الْمَاءِ، قَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: إِنَّهُ سُئِلَ عَنْ قَوْلِهِ –عز وجل– {وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ} فَقَالَ: عَلَى أَيِّ شَيْءٍ كَانَ الْمَاءُ؟ قَالَ: عَلَى مَتْنِ الرِّيحِ، وَرَوَى الْبُخَارِيُّ عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ، قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ النَّبِيِّ –صلى الله عليه وسلم–، إِذْ جَاءَهُ قَوْمٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ فَقَالَ: "اقْبَلُوا الْبُشْرَى يَا بَنِي تَمِيمٍ قَالُوا: بَشَّرْتَنَا فَأَعْطِنَا فَدَخَلَ نَاسٌ مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ فَقَالَ: "اقْبَلُوا الْبُشْرَى يَا أَهْلَ الْيَمَنِ إِذْ لَمْ يَقْبَلْهَا بَنُو تَمِيمٍ" قَالُوا قَبِلْنَا، جِئْنَا لِنَتَفَقَّهَ فِي الدِّينِ، وَلِنَسْأَلَكَ عَنْ هَذَا الْأَمْرِ مَا كَانَ؟ قَالَ: كَانَ اللَّهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ غَيْرَهُ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ ثُمَّ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ، وَكَتَبَ فِي الذِّكْرِ كُلَّ شَيْءٍ، ثُمَّ أَتَانِي رَجُلٌ فَقَالَ: يَا عِمْرَانُ.."

يا عمرانُ.

"يا عمرانُ أَدْرِكْ نَاقَتَكَ فَقَدْ ذَهَبَتْ، فَانْطَلَقْتُ أَطْلُبُهَا فَإِذَا هِيَ يَقْطَعُ دُونَهَا السَّرَابُ وَأَيْمُ اللَّهِ لَوَدِدْتُ أَنَّهَا قَدْ ذَهَبَتْ وَلَمْ أَقُمْ".

يعني فاته، فاته علمٌ عظيم بسبب هذه الدابة.

طالب:....

ماذا فيه؟

طالب:.....

لا، هي بالقطع، أيم الله، أيمُ نعم.

طالب:....

"قَوْلُهُ تَعَالَى: {لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا} أَيْ خَلَقَ ذَلِكَ لِيَبْتَلِيَ عِبَادَهُ بِالِاعْتِبَارِ وَالِاسْتِدْلَالِ عَلَى كَمَالِ قُدْرَتِهِ وَعَلَى الْبَعْثِ، وَقَالَ قَتَادَةُ: مَعْنَى {أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا} أَيُّكُمْ أَتَمُّ عَقْلًا، وَقَالَ الْحَسَنُ وَسُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ أَيُّكُمْ أَزْهَدُ فِي الدُّنْيَا، وَذُكِرَ أَنَّ عِيسَى -عَلَيْهِ السَّلَامُ- مَرَّ بِرَجُلٍ نَائِمٍ فَقَالَ: يَا نَائِمُ قُمْ فَتَعَبَّدْ، فَقَالَ يَا رُوحَ اللَّهِ قَدْ تَعَبَّدْتُ، فَقَالَ وَبِمَ تَعَبَّدْتَ؟ قَالَ: قَدْ تَرَكْتُ الدُّنْيَا لِأَهْلِهَا، قَالَ: نَمْ فَقَدْ فُقْتَ".

فقتَ.

"قال: نم، فقد فقتَ الْعَابِدِينَ .

قال الضَّحَّاكُ: أَيُّكُمْ أَكْثَرُ شُكْرًا، وقال مُقَاتِلٌ: أَيُّكُمْ أَتْقَى لِلَّهِ، وقال ابْنُ عَبَّاسٍ: أَيُّكُمْ أَعْمَلُ بِطَاعَةِ اللَّهِ -عز وجل-، وَرُوِيَ عَنِ ابْنِ عُمَرَ، أَنَّ النَّبِيَّ -صلى الله عليه وسلم- تَلَا: {أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا} قَالَ: أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَقْلًا، وَأَوْرَعُ عَنْ مَحَارِمِ اللَّهِ، وَأَسْرَعُ فِي طَاعَةِ اللَّهِ. فَجَمَعَ الْأَقَاوِيلَ كُلَّهَا، وَسَيَأْتِي فِي "الْكَهْفِ" هَذَا أَيْضًا، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.

وَقَدْ تَقَدَّمَ مَعْنَى الِابْتِلَاءِ".

الفُضيل بن عِياض -رحمه الله- سُئل عن قوله: {أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا} فقال: أخلصه وأصوبه، أخلصه وأصوبه.

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير القرطبي

سورة هود

معالي الشيخ الدكتور

عبد الكريم بن عبد الله الخضير

عضو هيئة كبار العلماء

وعضو اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

تاريخ المحاضرة:	1431/11/18هـ	المكان:	

أن يكون على السنة؛ لأن من متطلبات السنة أن يكون خالصًا لله، لكن قد يكون العمل ظاهره على السنة، وهو في الحقيقة ليس لله ﷻ، فلابد من ذكر الشرطين معًا، «إِنَّمَا الأعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ»، «مَنْ عَمِلَ عَمَلا ليسَ عليه أمرُنا هذا فهو رَدٌّ».

"وَقَدْ تَقَدَّمَ مَعْنَى الِابْتِلَاءِ".

الابتلاء هو الاختبار، الامتحان، نعم.

"{وَلَئِنْ قُلْتَ إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ} أَيْ دَلَلْتَ يَا مُحَمَّدُ عَلَى الْبَعْثِ، {مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ} وَذَكَرْتَ ذَلِكَ لِلْمُشْرِكِينَ لَقَالُوا: هَذَا سِحْرٌ ، وكسرت إن".

وكسرت إنَّ.

"وَكُسِرَتْ إِنَّ؛ لِأَنَّهَا بَعْدَ الْقَوْلِ مُبْتَدَأَةٌ، وَحَكَى سِيبَوَيْهِ الْفَتْحَ".

"إِنَّ" مبتدأة، وكُسرت إن {إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ}.

"{لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا} فُتِحَتِ اللَّامُ لِأَنَّهُ فِعْلٌ مُتَقَدِّمٌ لَا ضَمِيرَ فِيهِ، وَبَعْدَهُ {لَيَقُولُنَّ} لِأَنَّ فِيهِ ضَمِيرًا".

{لَيَقُولُنَّ}، في الآية التي تليها، قَوْلُهُ تَعَالَى: {لَيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ}.

"وَ {سِحْرٌ} أَيْ غُرُورٌ بَاطِلٌ".

ما الفرق بين { لَيَقُولَنَّ}، و{لَيَقُولُنَّ}؟

طالب:.....

نعم.

طالب:.....

نعم.

طالب:.....

نون النسوة؟

ليست نون النسوة عفوًا، نون التوكيد.

كلاهما مسنَد إلى نون التوكيد، كلاهما فيه نون التوكيد، كلاهما مضارع فيه نون التوكيد، هذا {لَيَقُولَنَّ}، وذا {لَيَقُولُنَّ}؟

طالب: هذا يا شيخ أحسن الله إليك، قُلبَت واوًا لما أُسندت لنون التوكيد، أصبح يقولُن.

ما فيه، ما فيه واوات هنا، كلها صورة واحدة، المضارع إذا اقترنت به نون التوكيد ماذا يصير حكمه؟

المضارع إذا اقترنت به نون التوكيد؟ يُعرب مضارعا إن عريَ عن نون توكيد، يُبنى على ماذا؟

طالب:.....

إذا أُسند لنون التوكيد، إذا اقترن بنون التوكيد؟ هذا {لَيَقُولَنَّ} مبني على الفتح؛ لأنه اتصلت به نون التوكيد، والثاني {لَيَقُولُنَّ}؟

مِنْ نُونِ تَوْكِيدٍ مُبَاشِرٍ وَمِنْ نُونِ إِنَاثٍ كَيَرُعْنَ مَنْ فُتِنْ

فنون التوكيد في الأول مباشرة، والثاني ليست مباشرة؛ لأنها مفصولة بواو الجماعة المحذوفة، يا هشام؟

نعم. نعم.

"وَ{سِحْرٌ} أَيْ غُرُورٌ بَاطِلٌ، لِبُطْلَانِ السِّحْرِ عِنْدَهُمْ، وَقَرَأَ حَمْزَةُ وَالْكِسَائِيُّ {إِنْ هَذَا إِلَّا سَاحِرٌ مُبِينٌ} كِنَايَةٌ عَنِ النَّبِيِّ- صلى الله عليه وسلم-".

{إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ} يعني ما جاء به النبي -عليه الصلاة والسلام-، و{إِنْ هَذَا إِلَّا سَاحِرٌ} المقصود به النبي -عليه الصلاة والسلام-.

"قَوْلُه: {وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ} اللَّامُ فِي {لَئِنْ} لِلْقَسَمِ، وَالْجَوَابُ {لَيَقُولُنَّ} وَمَعْنَى {إِلَى أُمَّةٍ} إِلَى أَجَلٍ مَعْدُودٍ وَحِينٍ مَعْلُومٍ، فَالْأُمَّةُ هُنَا الْمُدَّةُ، قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ وَمُجَاهِدٌ وَقَتَادَةُ وَجُمْهُورُ الْمُفَسِّرِينَ، وَأَصْلُ الْأُمَّةِ الْجَمَاعَةُ، فَعَبَّرَ عَنِ الْحِينِ، وَالسِّنِينَ بِالْأُمَّةِ؛ لِأَنَّ الْأُمَّةَ تَكُونُ فِيهَا، وَقِيلَ: هُوَ عَلَى حَذْفِ الْمُضَافِ، وَالْمَعْنَى إِلَى مَجِيءِ أُمَّةٍ لَيْسَ فِيهَا مَنْ يُؤْمِنُ فَيَسْتَحِقُّونَ الْهَلَاكَ، أَوْ إِلَى انْقِرَاضِ أُمَّةٍ فِيهَا مَنْ يُؤْمِنُ فَلَا يَبْقَى بَعْدَ انْقِرَاضِهَا مَنْ يُؤْمِنُ، وَالْأُمَّةُ اسْمٌ مُشْتَرَكٌ يُقَالُ عَلَى ثَمَانِيَةِ أَوْجُهٍ".

يعني يُطلق ويراد به أحد ثمانية أشياء، أي يُطلق ويراد به الحين والوقت، ويراد به الجيل، يُطلق ويراد به الرجل الذي جمع الخير ويُقتَدى به، ويُطلق ويراد به الملة والدِّين إلى آخره، نعم.

"فَالْأُمَّةُ تَكُونُ الْجَمَاعَةَ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: {وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ} وَالْأُمَّةُ أَيْضًا أَتْبَاعُ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وَالْأُمَّةُ الرَّجُلُ الْجَامِعُ لِلْخَيْرِ الَّذِي يُقْتَدَى بِهِ".

يعني أمة محمد، أمة محمد يعني أتباعه -عليه الصلاة والسلام-، وإن كانت تنقسم إلى أمة إجابة وأمة دعوة ممن لم يتبعه -عليه الصلاة والسلام-، نعم.

"وَالْأُمَّةُ الرَّجُلُ الْجَامِعُ لِلْخَيْرِ الَّذِي يُقْتَدَى بِهِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: {إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا}[النحل:120]، وَالْأُمَّةُ الدِّينُ وَالْمِلَّةُ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: {إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ} [الزخرف:22]، وَالْأُمَّةُ الْحِينُ وَالزَّمَانُ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: {وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ} وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ} [يوسف:45]، وَالْأُمَّةُ الْقَامَةُ، وَهُوَ طُولُ الْإِنْسَانِ وَارْتِفَاعُهُ، يُقَالُ مِنْ ذَلِكَ: فُلَانٌ حَسَنُ الْأُمَّةِ أَيِ الْقَامَةِ، وَالْأُمَّةُ الرَّجُلُ الْمُنْفَرِدُ بِدِينِهِ وَحْدَهُ لَا يُشْرِكُهُ فِيهِ أَحَدٌ".

لعله لا يَشْرَكَه، لا يِشْرَكَه يعني لا يشاركه.

قَالَ النَّبِيُّ -صلى الله عليه وسلم-: «يُبْعَثُ زَيْدُ بْنُ عَمْرِو بْنِ نُفَيْلٍ أُمَّةً وَحْدَهُ»، وَالْأُمَّةُ الْأُمُّ، يُقَالُ: هَذِهِ أُمَّةُ زَيْدٍ ، يَعْنِي أُمَّ زَيْدٍ.

{لَيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ} يَعْنِي الْعَذَابَ، وَقَالُوا هَذَا إِمَّا تَكْذِيبًا لِلْعَذَابِ لِتَأَخُّرِهِ عَنْهُمْ، أَوِ اسْتِعْجَالًا وَاسْتِهْزَاءً، أَيْ مَا الَّذِي يَحْبِسُهُ عَنَّا، {أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ} قِيلَ: هُوَ قَتْلُ الْمُشْرِكِينَ بِبَدْرٍ، وَقَتْلُ جِبْرِيلَ الْمُسْتَهْزِئِينَ عَلَى مَا يَأْتِي.

{إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ} [الحجر:95]، وهذا سيأتي إن شاء الله تعالى.

"{وَحَاقَ بِهِمْ} أَيْ نَزَلَ وَأَحَاطَ، {مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ} أَيْ جَزَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ، وَالْمُضَافُ مَحْذُوفٌ، قوله تعالى".

يكفي يكفي الآن بقي نصف ساعة، الآن نهينا الدرس عشر صفحات من الكتاب، وإذا قررنا وعزمنا على أن ننجز في كل فصل جزءًا، فلابد أن ننهي عشرين صفحة، يعني ضعف ما قرأناه اليوم، وإن كنتم ترون هذا أو ترون أن نقتصر على العشر ونمد في المدة بدل ست سنين نمد عشر سنة.

طالب: وبهذا يطول.

سيطول لكن مع ذلك احتجنا إلى ...

طالب: التعليق مهم التعليق.

العلم ما ينتهي يا أبا عبد الله.

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير القرطبي

سورة هود

معالي الشيخ الدكتور

عبد الكريم بن عبد الله الخضير

عضو هيئة كبار العلماء

وعضو اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

تاريخ المحاضرة:	١٤٣١/١١/١٨هـ	المكان:	

بسم الله الرحمن الرحيم.

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله، وصحبه أجمعين.

قال الإمام القرطبي –رحمه الله–:

"قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ الْإِنْسَانُ} [هود:٩] "الإنسانُ" اسْمٌ شَائِعٌ لِلْجِنْسِ فِي جَمِيعِ الْكُفَّارِ. وَيُقَالُ: إِنَّ الْإِنْسَانَ هُنَا الْوَلِيدُ بْنُ الْمُغِيرَةِ وَفِيهِ نَزَلَتْ. وَقِيلَ: فِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي أُمَيَّةَ الْمَخْزُومِيِّ. {رَحْمَةً} [هود:٩] أَيْ نِعْمَةً، {ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ} [هود:٩] أَيْ سَلَبْنَاهُ إِيَّاهَا، {إِنَّهُ لَيَئُوسٌ} [هود:٩] أَيْ يَائِسٌ مِنَ الرَّحْمَةِ، {كَفُورٌ} [هود:٩] كَفُورٍ لِلنِّعَمِ جَاحِدٌ لَهَا؛ قَالَهُ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ".

ابن الأعرابيّ.

"قالهُ ابن الأعرابي النحاس".

لا، ابن الأعرابي . النحاس قال يعني مرتين قول مستأنف.

"قَالَهُ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ. النَّحَّاسُ".

عادة المؤلف، جرت عادة المؤلف في حذف القول أحيانًا، في حذف القول أحيانًا، فيقول: ابن الأعرابي مثلًا، ابن الأعرابي كذا النحاس: ليئوس من يأس ييأس، والمقصود قال النحاس.

يقول: {وَلَئِنْ أَذَقْنَا الإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً} [هود:٩] "فالإنسان" اسمٌ شائع للجنس؛ لأن "أل" هنا للاستغراق، ف"أل" الاستغراقيه تقتضي العموم، ولذا قال: شائعٌ للجنس يعني اسمٌ شائعٌ في جنسه، ويجوز أن يحل محلها "كل"، فإذا قلت" كل الناس أو "كل إنسان أذقناه منا رحمة... إلى آخره"، {وَالْعَصْرِ إِن الإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ} [العصر:١: ٢] "أل" جنسية، يعني إلا من استثني، واستثني هنا "الذين صبروا" على ما سيأتي اسمٌ شائع للجنس في جميع الكفار بدليل قوله: {إِنهُ لَيَئُوسٌ كَفُورٌ} [هود:٩]، وإلا يمكن أن يتصف بهذه الصفة من المسلمين من قلَّ صبره فإذا أذيق الرحمة ثم نزعت منه يأس، وهذا يوجد في بعض المسلمين، ومثله إذا أذيق النعمة بعد الضراء يقول ما يقول، لكنه في الكفار أظهر، وهو شامل لجميع الكفار كما هو الأصل، وإن كان السبب نزل في شخصٍ خاص على ما يقوله أهل العلم، ولذا قال: ويقال: إن الإنسان هنا الوليد بن المغيرة وفيه نزلت، وقيل: في عبد الله بن أبي أمية المخزومي، ولكن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب كما هو مقرر في الأصول، وعلوم القرآن وغيرها.

العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، هذه قاعدة يطلقونها، بل نقلوا عليها الاتفاق، وإن كان للمالكية قول بالعكس، وهنا العبرة بخصوص السبب لا بعموم اللفظ.

وعلى كل حال مع أنه نقل عليه الاتفاق فليست مضطردة، نعم هي أغلبية، لكنها ليست مضطردة، قد يُلجأ إلى خصوص السبب إذا عُورض العموم بما هو أخص منه، فيُلجأ حينئذٍ إلى خصوص السبب.

فمن أمثلة ذلك العموم في قوله -عليه الصلاة والسلام-: «صلاة القاعد على النصف من أجر صلاة القائم» هذا عمومه يشمل كل قاعد، ويشمل كل صلاة فيشمل النافلة، والفريضة من كل مصلٍّ قاعدًا «صلاة القاعد على النصف من أجر صلاة القائم» فعموم الخبر يقتضي أن كل من صلى قاعدًا، له من الأجر نصف من صلى قائمًا، مع قوله في حديث عمران: «صلِّ قائمًا، فإن لم تستطع فقاعدًا»، فالقيام مع القدرة ركن من أركان "الصلاة" لا يصح إلا به. كيف نوفق بين الحديثين؟

العلماء حملوا حديث عمران على الفرض حملوا حديث عمران على الفرض «صلِّ- الفريضة- قائمًا فإن لم تستطع فقاعدًا»، ولذا قالوا: من أركان "الصلاة" القيام في الفرض مع القدرة، وأما النافلة فتصح من قعود، لكنه ينقص أجرها إذا كان مستطيعًا القيام، ونزلوا عليه الحديث الآخر «صلاة القاعد على النصف من أجر صلاة القائم»، ورجعوا في ذلك إلى سبب الورود؛ وسبب ورود الحديث أن النبي -عليه الصلاة والسلام- دخل المسجد والمدينة مُحمَّة، يعني فيها "حُمَّه" فوجد الناس يصلون من قعود، فقال -عليه الصلاة والسلام-: «صلاة القاعد على النصف من أجر صلاة القائم، فتجشم الناس الصلاة قيامًا» قاموا لما سمعوا مثل هذا الكلام، فدل على أن الحديث الثاني في "النافلة"؛ لأنه دخل عليهم وهم يصلون، وهم لا يصلون قبله فريضة، إنما يصلون نافلة، وأيضًا في القادر على القيام بدليل أنهم لما تجشموا القيام قاموا فدل على أن قوله -عليه الصلاة والسلام-: «صلاة القاعد على النصف من أجر صلاة القائم في النافلة لمن يستطيع القيام» رجوعًا إلى السبب سبب الورود، والذي ألجأنا إلى الرجوع إلى سبب الورود المعارضة بين الحديث وحديث عمران بن حصين.

حديث عمران بن حصين لا ثُنيا فيه «صلِّ قائمًا فإن لم تستطع» دل على أن الصلاة لا تصح من قعود للمستطيع، وللتوفيق بين هذه الأحاديث رجع إلى سبب الورود فحُمِّلَ على سببه، ولم يقولوا: العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب كما هي القاعدة، نعم هي قاعدة أغلبية، وليست كلية.

وهنا {وَلَئِنْ أَذَقْنَا الإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً} [هود:٩] "الإنسان" اسمٌ شائعٌ للجنس من صيغ العموم اقتران إيش؟

طالب:.....

اقتران الاسم "بال" الجنسية، بال الجنسية، وهي هنا "أل" للجنس، ولذا قال المؤلف -رحمه الله-: الإنسان اسمٌ شائعٌ للجنس في جميع الكفار فجميع الكفار هذه حالهم وهذا وضعهم، وإن كان سبب الورود خاصًّا بالوليد بن المغيرة أو عبد الله بن أبي أمية.

{رَحْمَةً} [هود:٩]، {وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ} [هود:١٠]، {وَلَئِنْ أَذَقْنَا الإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً} [هود:٩] يعني "نعمة"، {ثُمَّ نَزَعْنَاهَا} [هود:٩] يعني سلبت منه هذه النعمة، {إِنَّهُ لَيَئُوسٌ} [هود:٩] أي: يائسٌ من الرحمة، وهذا مع الأسف يوجد في كثيرٍ من المسلمين مع ضعف الإيمان، وضعف اليقين، وقلة الصبر، وضعف الاحتساب، كفورٌ للنعم، جاحدٌ لها، وكفر النعمة كما هو معروف لا يخرج عن الملة، ولذا يمكن أن يقال: الإنسان هنا اسمٌ شائع لجميع من ينطلق عليه أو جميع من يطلق عليه من مسلمٍ وكافر إلا من استثني، إلا من استثني.

جاء في النساء أنهن أكثر أهل النار بكفرهن، يكفرن العشير، يكفرن النعمة، يكفرن نعمة العشير، وليس بكفرٍ مخرج عن الملة، وإن كان متوعدًا عليه.

{إِنَّهُ لَيَئُوسٌ} [هود:٩] أي يائسٌ من الرحمة كفور للنعم جاحدٌ لها، قاله ابن الأعرابيّ: انتهى الكلام، النحاس يعني: قال النحاس، أو وقال النحاس "لَيَئُوسٌ" من يئس ييأس، وحكى "سيبويه" يئس ييئسُ على فعل يفعل.

"لَيَئُوسٌ" مِنْ يَئِسَ يَيْأَسُ، وَحَكَى سِيبَوَيْهِ يَئِسَ يَيْئِسُ عَلَى فَعِلَ يَفْعِلُ، وَنَظِيرُهُ حَسِبَ يَحْسِبُ وَنَعِمَ يَنْعِمُ، وَبَئِسَ يَبْئِسُ؛ وَبَعْضُهُمْ يَقُولُ: يَئِسَ يَيْئِسُ؛ وَلَا يُعْرَفُ فِي الْكَلَامِ الْعَرَبِيِّ إِلَّا هَذِهِ الْأَرْبَعَةَ الْأَحْرُفَ مِنَ السَّالِمِ جَاءَتْ. عَلَى فَعِلَ يَفْعِلُ؛ وَفِي وَاحِدٍ مِنْهَا اخْتِلَافٌ. وَهُوَ يَئِسَ، و"يَئُوسٌ" عَلَى التَّكْثِيرِ".

وفي واحدٌ منها اختلاف وهو يئسٌ، يعني يستأنف كلامًا جديدًا.

"وَفِي وَاحِدٍ مِنْهَا اخْتِلَافٌ. وَهُوَ يَئِسَ، و"يَئُوسٌ" عَلَى التَّكْثِيرِ كَفَخُورٍ لِلْمُبَالَغَةِ".

يقول: نظير يئس ييئسُ بالكسر حسب يحسبُ، ونعِمَ ينعِمُ يقول في كتابه: ويئس ييئس ما جاء بجديد، فهي كيف تكون أربعة أحرف؟ هي ثلاثة، يئس، وحسب، ونعم، لكن لعل صواب العبارة يبس ييبسُ، يبس ييبس كما قاله المعلق هنا، لتكون الأحرف أربعة، والمراد بالأحرف الكلمات، يطلق الحرف على حرف المبنى كما يطلق على حرف المعنى، هذه أحرف يعني كلمات، كما أنه يطلق الحرف ويراد به حرف المبنى على حروف الهجاء، ويطلق على الكلمة، ولذا حصل الخلاف في المراد قوله -عليه الصلاة والسلام-: «بكل حرفٍ حسنة، والحسنة بعشر أمثالها» لا أقول: "ألف، لام، ميم" حرف، ولكن ألفٌ حرف، ولامٌ حرف، وميمٌ حرف. هل المراد حروف المبنى، حروف البناء، حروف الهجاء أو المراد حروف المعاني؟ يعني الكلمات.

من الحديث ماذا يترجح؟

"ألف، لام، ميم" ثلاثة حروف. هي حروف بناء، أم حروف معانٍ؟

طالب:.....

ألفٌ، لامٌ، ميم، فيه فرق بين "ألف"، أو أوضح منها "لامٌ"، و"لا" أيهما حرف مبنى؟

"لامٌ" أم "ل"، ل مفتوحة، أم ل مضمومة، أم ل مكسورة.

طالب:.....

ل المفردة إذاً "لامٌ" ثلاثة من حروف المباني من حروف الهجاء، يعني فيه فرق بين "ألم"، و"ألف لام ميم"، ألف لام ميم ثلاثة حروف بالنص، و"ألم"؟

طالب:.....

تدخل في النص؟

طالب:.....

ثلاثة حروف لكنها حروف "مبانٍ"، وليست حروف "معانٍ" على هذا من يقرأ القران كاملًا على القول بأن المراد بالحروف حروف البناء، حروف الهجاء يستحق (ثلاثة ملايين) حسنة، والذي يقول: المراد حروف المعاني، والقران (سبعون) ألف أو يزيد يستحق (سبعمائة) ألف "الربع" يستحق الربع؛ لأن متوسط الكلمات أربعة حروف، يعني إذا قلنا: "ألف لام ميم" ثلاثة حروف، "ألم تر كيف" ألم ثلاثة حروف، أم حرف واحد أو حرفان؟

طالب:.....

نعم ثم بعد ذلك الحروف التي لا ينطق بها أو ينطق بها ولا تكتب محل خلافٍ طويل بين أهل العلم، ولكن الأمل في الله سبحانه وتعالى يُرجحُ بأن المراد بالحروف حروف البناء.

فضل الله سبحانه وتعالى لا يحد ولا نعمه لا تعد، وإن كان ممن يقول بالقول الثاني شيخ الإسلام رحمه الله-.

طالب:.....

نعم.

طالب:.....

فرق كبير، يعني تختم القرآن (بسبعمائة) ألف حسنة، أم (بثلاثة) ملايين؟ فرق.

طالب:.....

هنا يقول: ولا يعرف من الكلام العرب إلا هذه الأربعة أحرف يعني هذه الكلمات، وهي يئس، ونعم، وحسب ويبس

طالب:.....

ماذا؟

طالب:.....

بئس يبئسُ، الكلام على اللغة على كتب اللغة.

طالب:.....

هل هي من فعل يفعل بئس؟

طالب:.....

نعم

طالب:.....

أما "يبس" نعم، يبس ييبس نعم، على كلٍّ المصحح لغوي، والمطبعة التي تولت طباعة الكتاب طبع في القسم الأدبي معروف من دار الكتب؛ لأنه ما عندهم قسم شرعي، فعنايتهم باللغة، وهو يئسٌ، ويئوسٌ، "يئوس" من يتكرر منه اليأس صيغة مبالغة كشكور، وكفور، ومن ذلكم: طهور، وبهذا احتج من قال بأن الماء المستعمل في الطهارة طهور؛ لأنه تكرر منه التطهير.

"قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ} [هود:١٠] أَيْ صِحَّةً وَرَخَاءً وَسَعَةً فِي الرِّزْقِ، {بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ} [هود:١٠] أَيْ بَعْدَ ضُرٍّ وَفَقْرٍ وَشِدَّةٍ، {لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي} [هود:١٠] أَيِ الْخَطَايَا الَّتِي تَسُوءُ صَاحِبَهَا مِنَ الضُّرِّ وَالْفَقْرِ {إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ} [هود:١٠] أَيْ يَفْرَحُ وَيَفْخَرُ بِمَا نَالَهُ مِنَ السَّعَةِ، وَيَنْسَى شُكْرَ اللَّهِ عَلَيْهِ؛ يُقَالُ: رَجُلٌ فَاخِرٌ إِذَا افْتَخَرَ وَفَخُورٌ لِلْمُبَالَغَةِ، قَالَ يَعْقُوبُ الْقَارِئُ: وَقَرَأَ بَعْضُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ (لَفَرُحٌ) بِضَمِّ الرَّاءِ كَمَا يُقَالُ: رَجُلٌ فَطُنٌ وَحَذُرٌ وَنَدُسٌ. وَيَجُوزُ فِي كِلْتَا اللُّغَتَيْنِ الْإِسْكَانُ؛ لِثِقَلِ الضَّمَّةِ وَالْكَسْرَةِ".

فرحٌ على لغتين على لغة الضم وعلى لغة الكسر.

نعم.

"فطُن" ومثله يقُظ، وحذُر، وندُس كلها على فعُل، ولذا في ألفية العراقي -رحمه الله- فيمن تقبل روايته ومن ترد: أجمع جمهور أئمة الأثر والفقه في قبول ناقل الخبر بأن يكون ضابطًا معدلًا أي "يقُظًا" أي يقظًا ولم يكن مغفلًا ... إلى آخره.

على كلٍّ هذه صفة الإنسان المذكور أنه إذا أصيب بالنعمة ثم نزعت منه "يئس"، وإن أصيب بالنقمة أولًا ثم رفعت عنه فإن كان مريضًا ثم عوفي، كان فقيرًا ثم رزق مالًا نسي أن هذه النعمة من الله سبحانه وتعالى، وقال: {لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي أَنهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ} [هود:١٠] يفخر ويفرح، وقد ينسب ذلك إلى نفسه وجهده قال: {إِنمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِندِي} [القصص:٧٨] {إِنمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِندِي} [القصص:٧٨].

نعم.

"قَوْلُهُ تَعَالَى: {إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ} [هود:١١] يَعْنِي الْمُؤْمِنِينَ، مَدَحَهُمْ بِالصَّبْرِ عَلَى الشَّدَائِدِ. وَهُوَ فِي مَوْضِعِ نَصْبٍ. قَالَ الْأَخْفَشُ: هُوَ اسْتِثْنَاءٌ لَيْسَ مِنَ الْأَوَّلِ؛ أَيْ لَكِنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي حَالَتَيِ النِّعْمَةِ وَالْمِحْنَةِ. وَقَالَ الْفَرَّاءُ: هُوَ اسْتِثْنَاءٌ مِنْ {وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ} [هود:١١] أَيْ مِنَ الْإِنْسَانِ، فَإِنَّ الْإِنْسَانَ بِمَعْنَى النَّاسِ، وَالنَّاسُ يَشْمَلُ الْكَافِرَ

وَالْمُؤْمِنَ؛ فَهُوَ اسْتِثْنَاءٌ مُتَّصِلٌ وَهُوَ حَسَنٌ، {أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ} [هود:١١] ابْتِدَاءٌ وَخَبَرٌ. {وَأَجْرٌ}[هود:١١] مَعْطُوفٌ، {كَبِيرٌ} [هود:١١] صِفَةٌ".

{إلا الذين صبروا وعملوا الصالحات} [هود:١١] هذا الاستثناء معروف أنه من الإنسان، فإذا قلنا: إن المراد بالإنسان "الكفار"، كما قرره المؤلف، حينئذٍ يكون الاستثناءُ منقطعًا، وتكون "إلا" بمعنى "لكن"، يعني كما تقول: "قام القوم إلا حِمارًا"، فالمستثنى ليس من جنس المستثنى منه، وهنا {الذين صبروا وعملوا الصالحات} [هود:١١] ليسوا من جنس الإنسان الذي هو الكافر، وإذا قلنا: إن الإنسان يشمل المسلم كما يشمل الكافر قلنا: يمكن الاستثناء، وحينئذٍ يكون الاستثناء متصلًا، فإن الإنسان بمعنى "الناس"، والناس يشمل الكافر والمؤمن، هذا هو الصحيح، فهو استثناء متصل، وهو حسن.

{أولئك لهم مغفرة} [هود:١١] "أولئك" مبتدأ، "ولهم" ؟

طالب:.....

متعلق بمحذوف.

طالب:.....

خبر مقدم، و"مغفرةٌ مبتدأ مؤخر، والجملة من المبتدأ والخبر خبر "أولئك" ؟

طالب:.....

و"أجرٌ" معطوف على "مغفرة"، و"كبير" صفة، فعندنا {أولئك لهم مغفرة} [هود:١١] جملة واحدة أم جملتان؟

طالب: جملتين

جملتان مبتدأ ثم مبتدأ خبر، والجملة الثانية خبر المبتدأ الأول، والإشارة تعود إلى "الذين صبروا".

"قَوْلُهُ تَعَالَى: {فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَى إِلَيْكَ}[هود:١٢] أَيْ فَلَعَلَّكَ لِعَظِيمِ مَا تَرَاهُ مِنْهُمْ مِنَ الْكُفْرِ وَالتَّكْذِيبِ تَتَوَهَّمُ أَنَّهُمْ يُزِيلُونَكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْتَ عَلَيْهِ. وَقِيلَ : إِنَّهُمْ لَمَّا قَالُوا : {لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ} [هود:١٢] هَمَّ أَنْ يَدَعَ سَبَّ آلِهَتِهِمْ، فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ؛ فَالْكَلَامُ مَعْنَاهُ الِاسْتِفْهَامُ؛ أَيْ هَلْ أَنْتَ تَارِكٌ مَا فِيهِ سَبُّ آلِهَتِهِمْ كَمَا سَأَلُوكَ؟ وَتَأَكَّدَ عَلَيْهِ الْأَمْرُ فِي الْإِبْلَاغِ؛ كَقَوْلِهِ: {يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ} [المائدة:٦٧]. وَقِيلَ: مَعْنَى الْكَلَامِ النَّفْيُ مَعَ [ص:١٣] اسْتِبْعَادٍ؛ أَيْ لَا يَكُونُ مِنْكَ ذَلِكَ، بَلْ تُبَلِّغُهُمْ كُلَّ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ؛ وَذَلِكَ أَنَّ مُشْرِكِي مَكَّةَ قَالُوا لِلنَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: لَوْ أَتَيْتَنَا بِكِتَابٍ لَيْسَ فِيهِ سَبُّ آلِهَتِنَا لَاتَّبَعْنَاكَ، فَهَمَّ النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَنْ يَدَعَ سَبَّ آلِهَتِهِمْ؛ فَنَزَلَتْ".

نعم الطلب أن يقولوا: {لَوْلا أنزِلَ عَلَيْهِ} [هود:١٢] يعني طلبوا منه أن ينزل عليه كنز أو يجيء معه ملك، ورتب على كلام المصنف على هذا الكلام المتأخر الكلام المتقدم، ولذا قال في قوله تعالى: {فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَى إِلَيْكَ} [هود:١٢] أي فلعلك لعظيم ما تراه منهم من الكفر

والتكذيب تتوهم أنهم يزيلونك عن بعض ما أنت عليه، يزيلونك عن بعض ما أنت عليه. وقيل: إنهم لما قالوا: "لولا أنزل عليه ملك" {لَوْلا أنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أو جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ} [هود:١٢] يعني الكلام الذي يلي هذا، فكأنهم قالوا له أولًا: {لَوْلا أنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أو جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ}[هود:١٢] همَّ أن يدع سب ألهتهم فنزل قوله تعالى: {فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ} [هود:١٢] يعني في الآية ما هو من المقدم والمؤخر.

وأسلوب التقديم والتأخير موجود في بعض الآيات، فعلى كلام المؤلف هذا منه، قالوا له أولًا: {لَوْلا أنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أو جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ} [هود:١٢] همَّ -عليه الصلاة والسلام- بسبب مقولتهم أن يدع سب ألهتهم، فنزلت هذه الآية {فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ} [هود:١٢].

وإذا قلنا: الآية على نسقها، وعلى ترتيبها، فيكون قوله تعالى: {فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ} [هود:١٢]؛ خشية أن يقولوا، فتكون الجملة الثانية علَّة، خشية أن يقولوا: {لَوْلا أنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أو جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ} [هود:١٢]، فكأنك {تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَى إِلَيْكَ} [هود:١٢] يعني مجاملٌ لهم، مداهنٌ لهم خشية أن يقولوا: {لَوْلا أنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أو جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ أنمَا أنتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ} [هود:١٢]، {أنمَا أنتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ} [هود:١٢] يعني لا تلتفت إلى قولهم مهما قالوا، لا تلتفت إلى ما يثيرونه من الشبهات، وما يطلبونه {أنمَا أنتَ نَذِيرٌ} [هود:١٢]، بلغ ما أنزل إليك، إن عليك إلا البلاغ.

وليس -عليه الصلاة والسلام- من طبعه "المداهنة"؛ {وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ} [القلم:٩]، نعم "المُداراة" قد يحتاج إليها في بعض الأوقات، أما "المداهنة" فلا، المداهنة التي تقتضي السكوت عن بيان الحق في وقته، والحاجة إليه أو إقرار المنكر مع شدة الحاجة إلى إنكاره، هذه "مداهنة".

لكن "المُداراة" قد تحصل، فالنبي -عليه الصلاة والسلام- انبسط لرجل مع قوله فيه: « بئس أخو العشيرة»، بسط معه في الكلام، فهذا نوعٌ من "المداراة".

نعود إلى كلام المؤلف، يقول: فلعلك لعظيم ما تراه من الكفر والتكذيب تتوهم أنهم يزيلونك، يعني تتوقع أنهم يزيلونك عن بعض ما أنت عليه، وقيل: إنهم لما قالوا: {لَوْلا أنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أو جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ} [هود:١٢] همَّ أن يدع، وهذا على ما تقدم من أسلوب التقديم والتأخير، يقول: فالكلام معناه الاستفهام.

{فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَى إِلَيْكَ} [هود:١٢] يعني هل تترك بعض ما يوحى إليك؛ لأنهم قالوا، أو خشية أن يقولوا، على الاحتمالين، أي هل أنت تاركٌ ما فيه سب ألهتهم كما سألوك، وتأكد عليه الأمر في الإبلاغ كقوله: {يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ} [المائدة:٦٧]، وقيل: معنى الكلام النفي مع استبعاد، {فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ}[هود:١٢] أي لست بتاركٍ بعض ما يوحى إليك، فهذا معناه النفي مع الاستبعاد، أي لا يكون ذلك منك أبدًا، بل تبلغهم كل ما أنزل إليك، يقول:

وذلك أن مشركي مكة قالوا: للنبي -صلى الله عليه وسلم-: لو أتيتنا بكتاب ليس فيه سب آلهتنا لتبعناك، فهمَّ النبي -صلى الله عليه وسلم- أن يدع سب ألهتهم.

جاء النهي عن سب آلهة المشركين؛ خشية أن يسب الله سبحانه وتعالى، {وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا} [الأنعام:١٠٨] فإذا أدت المصلحة إلى مفسدة أعظم منها تترك، وعلى هذا إذا أدى الأمر بالمعروف إلى مفسدةٍ أعظم أو النهي عن المنكر إلى مفسدةٍ أعظم فإنه يترك، لكن هنا ما يترتب عليه مفسدة، ولذا لما همَّ النبي -عليه الصلاة والسلام- أن يدع سب ألهتهم نزل قوله تعالى: **{فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَى إِلَيْكَ}** [هود:١٢]، الشأن فيك أنك نبيٌ مرسل، لا تترك بعض ما يوحى إليك من أجل طلبهم واقتراحهم.

طالب:.....

نعم.

طالب: ما الضابط؟

الضابط الآمر والناهي ينبغي أن يكون على جانبٍ من تقدير المصالح والمفاسد، وسمعنا المصالح والمفاسد، والمصلحة والمفسدة تدور على مصلحته الخاصة.

طالب:.....

ترتب عليه مصلحة، يعني الإسراع فيه ترقية، يخشى أن يترتب عليه مفسدة، فصل من وظيفة، لا لا هذا ما يهم، ما يدور عليه الحق.

طالب:.....

المصالح العامة نعم، يعني شخصًا، لو قُدر أن شخصًا يقول: أنا أريُد أن أبين الحق، لكن أخشي أن أُفصل، فله أن يترخص إذا كان يتضرر في نفسه أو ماله أو ولده، نعم له أن يترخص.

طالب:.....

لكن العزيمة شيءٍ آخر، إذا كانت المفسدة خاصة به، هذه لها حكم، إذا كانت المفسدة تتعداه لغيره، هذا أيضًا له حكم، لو قدر أن شخصًا تعيَّن عليه بيان الحق في مجمع من المجامع، وفي مجلس من المجالس فعليه أن يبين ما دام تعيَّن عليه، وإلاف متى يبين الحق؟ إذا سكت العالم من يتكلم؟

وعلى كل حال لا بد من ملاحظة المصالح والمفاسد، والمصالح العامة مقدمة على المفاسد الخاصة، إذا قدِّر أن شخصًا من أهل الأمر والنهي قد يترتب على إنكاره هذا المنكر الخاص مفسدة عامة، يصدر نظام، يصدر قرار، يقيد الأمر بالمعروف كله مثلاً، يقيد الجهاز بأكمله، نقول: يا أخي تريث، داعٍ من الدعاة أراد أن يتعجل ويبيّن، وينكر بقوة، ولكن مصلحة الدعوى تقتضي الحكمة في مثل هذا.

وعلى كل حال ينبغي أن يكون الداعية، والآمر والناهي على قدرٍ كبير من العلم، لاسيما فيما يأمر به، وفيما يدعو إليه يكون على جانب كبير من الدراية بالمصالح والمفاسد، والله المستعان.

طالب:.....

كيف؟

طالب:.....

على كُلِّ الأمور بمقاصدها، وهو إن اجتهد وقرر أن هذه مصلحة نظرًا إلى مصلحة الدين وأهله فهو مأجور على كل حال، لكن الذي يخشى، وكل ما يخشى أن تكون مصلحته الخاصة مصلحته الخاصة أو المفسدة الخاصة به، هذا يخشى منه، إلا إذا اجتهد وقرر أن المصلحة في كذا متجردًا في ذلك لله سبحانه وتعالى فهو مأجور أصاب أو أخطأ في تقدير المصلحة، فإن هذه مسألة يدخلها الاجتهاد.

طالب:.....

نعم.

طالب:.....

ماذا؟

طالب:.....

الرسول -عليه الصلاة والسلام- في حديث "علي" الذي رواه أبو الهياج الأسدي «ألا أبعثُك على ما بعثني به رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أن لا تدع...» ماذا؟

طالب:.....

ماذا؟

طالب:.....

«ولا قبرًا مُشرفًا إلا سويته» الصورة ما تعبد، لكن يُخشى أن تجر إلى العبادة، قبر "مشرف" يُخشى أن يغلى فيه ويعبد من دون الله، لا شك أن هذا من باب أولى، من باب أولى.

"**قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ} [هود:١٢]**".

نعم في تقدير المصلحة لو قُدِّر أن من ينتسب إلى عبادة هذا الصنم، نعم أجمع وجزم، وغلب على الظن أنه بعمله هذا يريد أن يبيدهم، ويمحو الإسلام من بلادهم، هنا نقرر المصلحة، نعم إذا غلب على الظن أنهم يجلبون بجيوشهم كلها؛ من أجل مقاومة هذا الاعتداء على معبودهم، ويترتب عليه مفسدة كبرى، بمعنى أن يباد المسلمون وأن تمحى آثار الإسلام من تلك البلاد، نقرر المصلحة.

طالب:.....

أما أن نقول: هذه آثار، والأمة تتابعت على رؤية الآثار ولم تمتد إليها يد..

طالب:.....

لا لا، أبدًا، مثلما يقول -أظنه شوقي- يخاطب رجُلًا يهدم الآثار قال:

أتتلفها شُلت يمينك خلها لمعتبرٍ أو زائرٍ...

هذا الذى يجلبون من ورائه الدنيا وحطامها، نسأل الله العافية، على حساب الدين.

طالب: بعضهم يحتج أن الصحابة رأوها في بعض البلاد ولم يهدموها.

وقدروا على هدمها أم..؟

طالب: ملكوا البلاد.

لكن قدروا أم عجزوا، الأهرامات كيف هدمها؟ كيف هدمها؟

طالب:.....

تدري سمك الجدار أنت، ولا الديناميت يقدر هدمها.

الطالب: التماثيل الموجودة يا شيخ؟

أين؟

الطالب: التماثيل الموجودة في مصر على سبيل المثال؟

أين هي؟ هذه مطمورة في الأرض، طلعوها.

الطالب: فيه معابد يا شيخ معابد قديمة.

أين؟

الطالب: كانت قبل عمرو بن العاص ودخلوا..

التى بالأقصر وغيرها هذه كانت مطمورة في الأرض، استخرجها من ينقبون هؤلاء، نحن قلنا: إن الرسول -عليه الصلاة والسلام- بعث إلى الجهات كلها، وكسر الأصنام بيده {وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ} [الإسراء:٨١] ما معنى هذا؟ نترك المحكم، ونذهب إلى المتشابه؟ الله المستعان.

"قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ} [هود:١٢] عَطْفٌ عَلَى "تَارِكٌ"، و"صَدْرُكَ" مَرْفُوعٌ بِهِ، وَالْهَاءُ".

قوله تعالى: **{وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ}**[هود:١٢] عطف على " تارك " و"صدرك" مرفوع به.

يعني صدرك فاعل لاسم الفاعل، نعم فاعل لاسم الفاعل، ما الذي رفع صدرك يا أشرف؟

طالب: نعم.

ما الذي رفعه {وضائق به صدرك} [هود:١٢]؟ أين اسم الفاعل؟

طالب: "ضائق".

"ضائق" عمل اسم الفاعل يعمل عمل..؟

طالب: الفاعل.

عمل فعله.

طالب: عمل فعله.

عمل فعله، فيرفع الفاعل وينصب

طالب: المفعول به.

المفعول بشرط أم بدون شرط؟

طالب: بشرط.

وما هذا الشرط؟ أو توكل هشامًا؟

طالب: موجود أم مو موجود؟

موجود.

طالب: ما استطيع أن أتكلم في وجود هشام.

عجيب هذه حيلة هنا شرط يا هشام أم..؟

طالب: بدون شرط، البصريون بشرط.

بدون شرط. البصريون بشرط إيش؟

طالب:.....

أن يعتمد، أن يعتمد على شيء نعم.

"وَالْهَاءُ فِي "بِهِ" تَعُودُ عَلَى "مَا" أَوْ عَلَى "بَعْضَ"، أَوْ عَلَى التَّبْلِيغِ، أَوِ التَّكْذِيبِ. وَقَالَ: "ضَائِقٌ" وَلَمْ يَقُلْ: ضَيِّقٌ؛ لِيُشَاكِلَ "تَارِكٌ" الَّذِي قَبْلَهُ".

نعم؛ ليكون البناء واحدًا، كله على وزن فاعل.

"وَلِأَنَّ الضَّائِقَ عَارِضٌ، وَالضَّيِّقَ أَلْزَمُ مِنْهُ".

أن الضائق {وضائق به صدرك} [هود:١٢] يعني ليست بصفة لازمة، ملك، هيئة، راسخة فيك الضيق، وإنما هو شيء عارض، هو ضائق وليس بضيق.

"{أَنْ يَقُولُوا} [هود:١٢] فِي مَوْضِعِ نَصْبٍ؛ أَيْ كَرَاهِيَةَ أَنْ يَقُولُوا، أَوْ لِئَلَّا يَقُولُوا كَقَوْلِهِ: {يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا} [النساء:١٧٦]أَيْ لِئَلَّا تَضِلُّوا. أَوْ لِأَنْ يَقُولُوا".

المعنى كله واحد، المعنى في هذا كله واحد، يعني خشية أن يقولوا.

"أَوْ لِأَنْ يَقُولُوا. {لَوْلَا} [هود:١٢] أَيْ هَلَّا. {أُنْزِلَ عَلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ} [هود:١٢] يُصَدِّقُهُ، قَالَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ الْمَخْزُومِيُّ؛ فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: يَا مُحَمَّدُ {إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ} [هود:١٢] إِنَّمَا عَلَيْكَ أَنْ تُنْذِرَهُمْ، لَا بِأَنْ تَأْتِيَهُمْ بِمَا يَقْتَرِحُونَهُ مِنَ الْآيَاتِ".

{إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ} [هود:١٢] هذا حصر، والقصر حقيقي أم إضافي؟

طالب:.....

نعم

طالب: حقيقي.

القصر حقيقي أم إضافي؟

طالب: حقيقي.

الحقيقي ما له غير صفة "النذارة"؟

طالب: إضافي.

إضافي: لأنه له صفات أخرى، هو نذير، وهو بشير، وله أوصاف أخرى صفات البشر كلها.

"{وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ} [هود:١٢] أَيْ حَافِظٌ وَشَهِيدٌ. {أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ} [هود:١٣] "أَمْ" بِمَعْنَى بَلْ، وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي "يُونُسَ" أَيْ قَدْ أَزَحْتَ عِلَّتَهُمْ وَإِشْكَالَهُمْ فِي نُبُوَّتِكَ بِهَذَا الْقُرْآنِ، وَحَجَجْتَهُمْ بِهِ؛ فَإِنْ قَالُوا: افْتَرَيْتَهُ أَيِ اخْتَلَقْتَهُ".

افتريتَه افتريتَه.

"فَإِنْ قَالُوا: افْتَرَيْتَهُ أَيِ اخْتَلَقْتَهُ، فَلْيَأْتُوا بِمِثْلِهِ مُفْتَرًى بِزَعْمِهِمْ. {وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ} [هود:١٣]مِنْ دُونِ اللَّهِ أَيْ مِنَ الْكَهَنَةِ وَالْأَعْوَانِ".

هنا وقع التحدي بعشر سور {أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ} [هود:١٣] بعشر سور، وجاء التحدي بسورة، وجاء التحدي بالقرآن كله، لكن هل جاء التحدي بآية؟ لا، ما جاء التحدي بآية. لماذا؟

لأن الآية قد تكون كلمة، والكلمة لا يعجز أحد عن أن يأتي بكلمة، نعم قد يعجز أن يأتي بكلمةٍ مثلها أو قريب منها في سياقها، في سياقها، لكن بمفردها والآية قد تكون كلمة، لا يقع التحدي به، إنما وقع التحدي بسورة، والسورة أقل ما تكون من الآيات ثلاث آيات أو بعشر سور أو بالقرآن كله، وهذا تدريج في التحدي. {قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ} [هود:١٣] ما دام هذا القرآن مفترى، افتريته يا محمد فقل لهم يا محمد: ائتوا بعشر سور، لا أطالبكم بأن تأتوا (بمائة وأربعة عشر) سورة ،هاتوا عشرة، {وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ} [هود:١٣] يعني استطعتم أن تأتوا بمثله في الإعجاز حينئذٍ يتثنى لكم أن تدعوا من استطعتم من دون الله {إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ} [هود:١٣]، وأنى لهم ذلك، "وعجزوا" أعلنوا العجز عن معارضة القرآن على ما هم عليه من الفصاحة، والبلاغة، ومحلهم من هذا معروف، والله سبحانه وتعالى خلى بينهم وبين ذلك، فلم يستطيعوا، بل تحداهم، واستثارهم {قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ} [الإسراء:٨٨] تحداهم أسلوب تحدٍّ هذا، وأثار حفيظتهم فلم يستطيعوا، مع أنه خلى بينهم وبين ذلك ولا نقول: إنه منعهم من ذلك، لا كما يقوله. من؟ المعتزلة ولذا الإعجاز عندهم إيش؟

طالب: بالصرفة.

بالصرفة نعم، يعني صرفهم عن ذلك، حاول بعض السفهاء أن يعارض القرآن ففضح نفسه، وما يروى عن "مسيلمة" من ذلك من المضحكات، مما يسخر منه، مثله ما يذكر عن "المعري" له كتاب اسمه إيش؟

طالب:.....

ماذا؟

طالب:.....

لا لا.

طالب:.....

مطبوع طبع باسم كذا إيش؟ في مواعظ البريات، أصل الكتاب -فيما يقولون- في معارضة الآيات مطبوع اسمه إيش؟ غاب عني اسمه، موجود الكتاب.

طالب:.....

لا لا، هو مطبوع، كتاب في مواعظ البريات، كتاب مطبوع في مجلد، والذين ترجموا له قالوا: إنه اسمه في معارضة الآيات، إنما حكم عليه بحكم غير الاسم المقصود أن من تعرض للقرآن افتضح؛ لأنه لا يمكن أن لو اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثله ما استطاعوا، وهذا خبرٌ لا يخلف بعض الأدباء المعاصرين قال: تجرأ وأنه لا يوجد كلام سالم من النقض، وأن قلمه سوف يعمله في أي كلام.

وعلى كل حال هم مع جرأتهم على الله سبحانه وتعالى فضحهم الله سبحانه وتعالى، وبيَّن عوارهم، وأخزاهم في دنياهم قبل أُخراهم.

طالب:.....

وكيل، لماذا وكيل؟

طالب:

نعم نعم.

طالب:.....

توقع يعني حافظًا وشهيدًا.

طالب: تفسير تفسير لهذا ما فيه تأويل للمعنى، ما فيه تأويل لظاهر المعنى، يعني و"كيل" مرادفها.

طالب: حافظ لها تختلف عن ....

يعني تفسير الشيء بلازمه يعتبر تأويلًا أم ليس بتأويل؟ إذا قلت: في قوله- عليه الصلاة والسلام-: «والذي نفسي بيده» قلت: روحي في تصرفه، الكلام صحيح، روحك في تصرفه، ما أحد ينكر أن الأرواح كلها في تصرف الله.

هل نقول: إنك فررت من إثبات اليد؟

طالب: إذا كانت هذه الكينونة في تصرفه أطلقت من هو معروف بتأويله في الصفات..

نعم.

طالب: يخشى عليه أو يخشى أن يكون وراء هذه الكلمة ما وراءها، أما إن كان المطلق لها معروف بالإثبات، لكنه يريد أن يوضح المعنى فما فيها شيء.

لكن في هذا القسم إثبات اليد لله سبحانه وتعالى، إثبات اليد لله سبحانه وتعالى، ولا شك أن الأرواح كلها في تصرف الله. فهل نقول: إن قوله: {وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ} [هود:١٢] أي حافظ وشهيد. ما معنى الوكيل؟

طالب:.....

ما معنى الوكيل؟

طالب:.....

الوكالة من لازمها الرعاية والحفظ.

طالب:.....

الرعاية والحفظ، والله وكيل هل يسمى الله سبحانه وتعالى بالوكيل؟ وهو أيضًا شهيد، نعلم أن دائرة التسمية أضيق من دائرة الوصف، والوصف أضيق من الإخبار. فهل نستطيع أن نقول: عبد الوكيل وعبد الشهيد؟

طالب: منتشر في بعض البلاد..

ماذا؟

طالب: منتشر..

طالب:.....

لكن حديث التسع والتسعين مدرج، ما هو من المرفوع ،حديث الترمذي وابن حبان مدرج، والأحاديث ليس فيها أسماء.

على كلٍّ في الآية خبر عن الله سبحانه وتعالى أنه وكيل، ولا يمنع أن يكون معنى الوكيل الحافظ والشهيد.

طالب: إذا قلنا بجواز تفسير الوكيل بالحافظ والشهيد، أليس مثله ... يعني إذا كانت من رجل لم يعرف بالتأويل..؟

هو إذا عرف منهج الرجل أنه لا يقصد تأويلًا، ثم ذكر أن من لازم هذا كذا فلا بأس، لا يقصد منه الفرار من الصفة، يعني حينما يقول: اليد النعمة، له عليك أيادٍ يعني النعمة، جاءت في لغة العرب بهذا المعنى، لكن إذا عرف أنه سوف يفر بهذا الكلام من وصف الله سبحانه وتعالى باليد، قلنا له: هذا تأويل، ومنهج السلف ومذهبهم خلاف ذلك، مثل «والذي نفسي بيده»، ولذا في كثير من شروح الحديث يقولون: روحي في تصرفه، روحي في تصرفه، فإذا عرفنا من منهج الشخص أنه يثبت اليد لله سبحانه وتعالى على ما يليق بجلاله وعظمته فالكلام صحيح، الروح

في تصرف الله سبحانه وتعالى، لكن إذا عرفنا أنه لا يثبت الصفات قلنا: هذا ابتداع، وهذا هروب من وصف الله سبحانه وتعالى باليد، وصفه ثابت بالكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة.

"قَوْلُهُ تَعَالَى: {فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ} [هود:١٤] أَيْ فِي الْمُعَارَضَةِ وَلَمْ تَتَهَيَّأْ لَهُمْ فَقَدْ قَامَتْ عَلَيْهِمُ الْحُجَّةُ؛ إِذْ هُمُ اللُّسْنُ الْبُلَغَاءُ، وَأَصْحَابُ الْأَلْسُنِ الْفُصَحَاءُ. {فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ} [هود:١٤] وَاعْلَمُوا صِدْقَ مُحَمَّدٍ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- "و" اعْلَمُوا {أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ} [هود:١٤] اسْتِفْهَامٌ مَعْنَاهُ الْأَمْرُ، وَقَدْ تَقَدَّمَ الْقَوْلُ فِي مَعْنَى هَذِهِ الْآيَةِ، وَأَنَّ الْقُرْآنَ مُعْجِزٌ فِي مُقَدِّمَةِ الْكِتَابِ. وَالْحَمْدُ لِلَّهِ".

فهل أنتم مسلمون؟ يقول: استفهام معناه الأمر، معناه "أسلموا"، اعلموا أنه لا إله إلا هو فأسلموا كما في قوله تعالى: {فَهَلْ أَنْتُمْ مُنتَهُونَ}[المائدة:٩١] فيها تحريم الخمر، {فَهَلْ أَنْتُمْ مُنتَهُونَ} [المائدة:٩١]، ولذا جاء الجواب انتهينا، انتهينا، وينبغي أن يكون الجواب هنا: أسلمنا أسلمنا؛ لأنه استفهام لا يراد به حقيقة الاستفهام الله سبحانه وتعالى لا يستفهم، ولا يسألهم، بل أعلم بهم من أنفسهم إنهم هل هم مسلمون؟ يعني بعد هذا الكلام هل هم مسلمون؟ وإنما يطلب منهم الإسلام.

"وَقَالَ: {قُلْ فَأْتُوا} [هود:١٣] وَبَعْدَهُ. {فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ} [هود:١٤] وَلَمْ يَقُلْ: "لَكَ"، فَقِيلَ: هُوَ عَلَى تَحْوِيلِ الْمُخَاطَبَةِ مِنَ الْإِفْرَادِ إِلَى الْجَمْعِ؛ تَعْظِيمًا وَتَفْخِيمًا، وَقَدْ يُخَاطَبُ الرَّئِيسُ بِمَا يُخَاطَبُ بِهِ الْجَمَاعَةُ. وَقِيلَ: الضَّمِيرُ فِي "لَكُمْ" وَفِي "فَاعْلَمُوا" لِلْجَمِيعِ، أَيْ فَلْيَعْلَمِ الْجَمِيعُ أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ، قَالَهُ مُجَاهِدٌ. وَقِيلَ: الضَّمِيرُ فِي "لَكُمْ" وَفِي "فَاعْلَمُوا" لِلْمُشْرِكِينَ؛ [ص: ١٤] وَالْمَعْنَى: فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِبْ لَكُمْ مَنْ تَدْعُونَهُ إِلَى الْمُعَاوَنَةِ، وَلَا تَهَيَّأَتْ لَكُمُ الْمُعَارَضَةُ {فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ} [هود:١٤]. وَقِيلَ: الضَّمِيرُ فِي "لَكُمْ" لِلنَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَلِلْمُؤْمِنِينَ، وَفِي "فَاعْلَمُوا" لِلْمُشْرِكِينَ".

نعم الخطاب لمحمد -عليه الصلاة والسلام- {فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ} [هود:١٤] ولأتباعه من بعده، ولذا جاء بضمير الجمع، وقد يكون الضمير له على سبيل الاستقلال، وفي حكمه أتباعه، والعرب تخاطب الواحد بضمير الجمع، تخاطب الواحد بضمير الجمع، وتؤكد فعل الواحد بضمير الجمع كما في تفسير قوله تعالى: {إِنَّا أَنزَلْنَاهُ} [يوسف:٢] في صحيح البخاري، قال: والعرب يؤكد فعل الواحد بضمير الجمع{فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ} [هود:١٤] يعني يا محمد أنت ومن تبعك إذا طلبتم منهم ذلك "فاعلموا"، {فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ} [هود:١٤] فاعلموا أيها المشركون، وإذا قيل بالقول الثاني {فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ} [هود:١٤] أيها الكفار إن لم يستجيبوا لكم من تطلبون منهم المدد والعون، تطلبون منهم المظاهرة على معارضة القران إن لم يستجيبوا لكم، بل أعلنوا العجز {فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ} [هود:١٤] يعني ازعموا، واعترفوا، وأسلموا.

"قَوْلُـهُ تَعَالَى: {مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ} [هود:١٥] فِيهِ ثَلَاثُ مَسَائِلَ:

الْأُولَى: قَوْلُهُ تَعَالَى: "مَنْ كَانَ" كَانَ زَائِدَةٌ، وَلِهَذَا جَزَمَ بِالْجَوَابِ فَقَالَ: {نُوَفِّ إِلَيْهِمْ} [هود:١٥] قَالَهُ الْفَرَّاءُ. وَقَالَ الزَّجَّاجُ: "مَنْ كَانَ" فِي مَوْضِعِ جَزْمٍ بِالشَّرْطِ، وَجَوَابُهُ {نُوَفِّ إِلَيْهِمْ} [هود:١٥] أَيْ مَنْ يَكُنْ يُرِيدُ، وَالْأَوَّلُ فِي اللَّفْظِ مَاضٍ، وَالثَّانِي مُسْتَقْبَلٌ، كَمَا قَالَ زُهَيْرٌ:

وَمَـنْ هَـابَ أَسْـبَابَ الْمَنِيَّـةِ يَلْقَهَـا وَلَوْ رَامَ أَسْبَابَ السَّمَاءِ بِسُلَّمِ

وَاخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ.."

نعم يقول: "كان" هنا زائدة بمعني أنها زائدة لتأكيد اللفظ، ولا تكون زائدة من كل وجه بمعنى أنه يمكن أن نستغني عنها، لا، ويريد أن يبين أنها زائدة من الناحية الإعرابية، وإلا فالأصل الجملة "من يريد الحياة الدنيا نوف إليهم" فكان على كلامه هنا زائدة، قال: ولهذا جزم الجواب فقال: نوف إليهم، وعلى كلٍ جملة الشرط إذا كان فعل الشرط ماضي، والجواب مضارع أو العكس فما الحكم؟

طالب:.....

{مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ} [هود:١٥] يا هشام، إذا كان فعل الشرط ماضيًا وجوابه مضارعًا أو العكس؟

طالب:.....

يعمل الشرط ولو كان الفعل ماضيًا؟ من كان ويريد أن يقرر أنه إنما جزم الجواب؛ لأن فعل الشرط مضارعًا.

طالب:.....

هو يريد من قوله: "كان" زائدة؛ ليقرر أن فعل الشرط مضارع كجوابه وجزائه، ولذا جزم في آخره قال: "نوفِّ"، ما دام يقول: زائدة، فلماذا لم يعمل الشرط في فعله وهو يُرِيدُ؟ ما قال: "مَنْ كَانَ يُرِد الْحَيَاةَ" [هود:١٥] كما قال في جوابه: "نُوَفِّ"، وهذا يضعف كونها زائدة، وقال الزَّجَّاجُ: من كان في موضع جزم بالشرط، الجملة الماضية لا يتطرق إليها الجزم لفظًا، وإن جزمت محلًا، وجوابه "نُوَفِّ إِلَيْهِمْ" أي من يكن يريد، والأول في اللفظ ماضٍ، وإن كان في حقيقته مستقبلًا، والثاني مستقبل في لفظه وحقيقته.

"وَاخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِي تَأْوِيلِ هَذِهِ الْآيَةِ".

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير القرطبي

سورة هود

معالي الشيخ الدكتور

عبد الكريم بن عبد الله الخضير

عضو هيئة كبار العلماء

وعضو اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

تاريخ المحاضرة:	١٤٣١/١١/١٨هـ	المكان:	

نعم.

"وَاخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِي تَأْوِيلِ هَذِهِ الْآيَةِ؛ فَقِيلَ: نَزَلَتْ فِي الْكُفَّارِ؛ قَالَهُ الضَّحَّاكُ، وَاخْتَارَهُ النَّحَّاسُ؛ بِدَلِيلِ الْآيَةِ الَّتِي بَعْدَهَا {أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ} [هود:١٦] أَيْ مَنْ أَتَى مِنْهُمْ بِصِلَةِ رَحِمٍ أَوْ صَدَقَةٍ نُكَافِئُهُ بِهَا فِي الدُّنْيَا، بِصِحَّةِ الْجِسْمِ، وَكَثْرَةِ الرِّزْقِ، لَكِنْ لَا حَسَنَةَ لَهُ فِي الْآخِرَةِ. وَقَدْ تَقَدَّمَ هَذَا الْمَعْنَى فِي "بَرَاءَةٌ" مُسْتَوْفًى".

لأنه في الآخرة لا ينفع مع الكفر طاعة، بل عمل الكافر حابط مردود عليه.

"وَقِيلَ: الْمُرَادُ بِالْآيَةِ الْمُؤْمِنُونَ؛ أَيْ مَنْ أَرَادَ بِعَمَلِهِ ثَوَابَ الدُّنْيَا عُجِّلَ لَهُ الثَّوَابُ وَلَمْ يُنْقَصْ شَيْئًا فِي الدُّنْيَا، وَلَهُ فِي الْآخِرَةِ الْعَذَابُ؛ لِأَنَّهُ جَرَّدَ قَصْدَهُ إِلَى الدُّنْيَا، وَهَذَا كَمَا قَالَ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ»، فَالْعَبْدُ إِنَّمَا يُعْطَى عَلَى وَجْهِ قَصْدِهِ، وَبِحُكْمِ ضَمِيرِهِ؛ وَهَذَا أَمْرٌ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ فِي الْأُمَمِ بَيْنَ كُلِّ أُمَّةٍ. وقيل هو".

بين كل ملة.

"بَيْنَ كُلِّ مِلَّةٍ. وَقِيلَ: هُوَ لِأَهْلِ الرِّيَاءِ؛ وَفِي الْخَبَرِ أَنَّهُ يُقَالُ لِأَهْلِ الرِّيَاءِ: «صُمْتُمْ وَصَلَّيْتُمْ وَتَصَدَّقْتُمْ وَجَاهَدْتُمْ وَقرأْتُمْ؛ لِيُقَالَ ذَلِكَ، فَقَدْ قِيلَ ذَلِكَ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّ هَؤُلَاءِ أَوَّلُ مَنْ تُسَعَّرُ بِهِمُ النَّارُ». رَوَاهُ أَبُو هُرَيْرَةَ، ثُمَّ بَكَى بُكَاءً شَدِيدًا وَقَالَ: صَدَقَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، قال الله تعالى: {مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا} [هود:١٥]، وَقَرَأَ الْآيَتَيْنِ، خَرَّجَهُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ بِمَعْنَاهُ وَالتِّرْمِذِيُّ أَيْضًا".

حديث حديث أبي هريرة في صحيح مسلم في أول من يقضى بينهم يوم القيامة، وما يقضى فيهم يوم القيامة، وأول من تسعر بهم النار يوم القيامة الثلاثة: الشهيد، والعالم، والجواد. «يؤتى بالشهيد فيقال له: ماذا فعلت؟ قال: قاتلت في سبيلك حتى قُوتلت، فيقال له: كذبت إنما قاتلت ليقال: شجاع، وقد قيل، ثم يؤمر به فيسحب على وجه في النار» نسأل الله العافية، ومثله العالم «تعلمت العلم، وعلمته الناس ثم يقال له: كذبت، وإنما تعلمت وعلمت ليقال: عالم»، والجواد يقول: «ما من وجوه من وجوه البر إلا وتصدقت فيه أو بذلت فيه فيقال: إنما فعلت ذلك ليقال: جواد وقد قيل».

وعلى كل حال هذا الحديث وما جاء ما جاء في معناه مخيف؛ لأنه وضع، والظاهر من حال كثيرٍ من الناس هذا. نسأل الله العافية، من تعلم العلم الذي يبتغى به وجه الله لا يتعلمه لا ليريد به غرضًا من الدنيا، نسأل الله العافية، لم يرح رائحة الجنة، وإذا كان هذا في المتعلم، فالتبعة على المعلم إذا كان قصد من باب أولى.

"الجواد" الذي ينفق ويظهر للناس أنه يتصدق، ويبذل في سبيل الله عليه أن يراجع نفسه، وإذا وجد من الأغنياء من إذا كان بحضرة الناس أعطى، وإن انصرف الناس اتصل بالبنك يحجز

الشيك، مثل هذا نسأل الله العافية، ظاهر أمره الشجاع يقدم نفسه ليقتل من أجل أن يقال: شُجاع، فلا نغتر بالمظاهر، بعض الناس يقول: هذا شخص محتسب ومخلص الدليل، الدليل أنه ما يأخذ شيئًا من الناس يرقي الناس، ولا يأخذ منهم شيئًا، يعلم الناس العلم، ولا يأخذ منهم شيئًا، لا، يكفيه أن يقال إنه: جواد، يكفيه أن يقال: شجاع يكفيه، أن يقال: عالم أو معلم، كما يكفيه أن يقال: «إن الله يشفي على يديه من يشفي من الناس» يكفي إذا كان الإنسان يقدم نفسه ليقتل من أجل أن يقال، فمن باب أولى أن يتنازل عن أمور الدنيا، هذا مطلب عظيم عند أكثر النفوس الدنيئة أن يقال: يكفي فلنكن على حذر من هذا {مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لا يُبْخَسُونَ} [هود:١٥]، لا ينقصون شيئًا هم فيها {أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ} [هود:١٦]، نسأل الله العافية، هؤلاء ليس لهم من أعمالهم شيء، إذا كان العمل مما يبتغى به وجه الله فهذا وبال على صاحبه، يعني إذا كان العمل من أعمال الدنيا من هندسة، زراعة، طب، وما أشبه ذلك، نجارة، تجارة، أمرها أخف، لمثل هذا أمره أخف.

نعم لو أحسن القصد، وقصد بذلك وجه الله، والدار الآخرة، ونفع المسلمين أجر، وصار في عبادة، لكن ليست بخسارة إذا قصد بذلك الدنيا مثل خسارة من يطلب العلم الشرعي ويريد بذلك الدنيا، لا، الفرق كبير؛ لأن العلم الشرعي عبادةٌ محضة مذلة، لذا لما جاء في حديث عمر «من كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا نصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه، فهجرته إلى ما هاجر إليه» يعني إذا هاجر من أجل الدنيا، من أجل الدنيا، يصيب من هذه الدنيا، ولا تبعة عليه إذا لم يظهر أنه مهاجر لله، لكن إن أظهر أنه مهاجر لله، وقصده بذلك الدنيا، أو المرأة، خطب امرأة من أهل الشمال أو الجنوب قالوا له: والله أنت بالرياض، بعيدةً علينا، قال: أجيء أسكن عندكم، ثم يشيع بين أخوانه وأقرانه أنه يذهب، وينفع الله به، ويبغى الشمال والجنوب، لا، لكن لو قال: أروح أتزوج بهذا الشمال وأقعد ما لقيت امرأتي إلا هناك، واشترطوا عليه: اجلس معها، ما فيه شيء، نعم، لكن إن أظهر أنه إنما هاجر لله ورسوله فهذه المشكلة، هنا يأتي الوعيد، والله المستعان.

"وَقِيلَ: الْآيَةُ عَامَّةٌ فِي كُلِّ مَنْ يَنْوِي بِعَمَلِهِ غَيْرَ اللَّهِ تَعَالَى، كَانَ مَعَهُ أَصْلُ إِيمَانٍ أَوْ لَمْ يَكُنْ؛ قَالَهُ مُجَاهِدٌ وَمَيْمُونُ بْنُ مِهْرَانَ، وَإِلَيْهِ ذَهَبَ مُعَاوِيَةُ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-. وَقَالَ مَيْمُونُ بْنُ مِهْرَانَ: لَيْسَ أَحَدٌ يَعْمَلُ حَسَنَةً إِلَّا وُفِّيَ ثَوَابَهَا؛ فَإِنْ كَانَ مُسْلِمًا مُخْلِصًا وُفِّيَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَإِنْ كَانَ كَافِرًا وُفِّيَ فِي الدُّنْيَا. وَقِيلَ: مَنْ كَانَ يُرِيدُ الدُّنْيَا بِغَزْوِهِ مَعَ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وُفِّيَهَا، أَيْ وُفِّيَ أَجْرَ الْغُزَاةِ وَلَمْ يُنْقَصْ مِنْهَا؛ وَهَذَا خُصُوصٌ وَالصَّحِيحُ الْعُمُومُ".

يشمل كل أحد؛ لأن من صيغ العموم من كان يريد بعمل الحياة الدنيا، ما يبخس شيء من هذه الدنيا.

"الثَّانِيَةُ: قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ: مَعْنَى هَذِهِ الْآيَةِ قَوْلُهُ -عَلَيْهِ السَّلَامُ-: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ»، وَتَدُلُّكَ هَذِهِ الْآيَةُ عَلَى أَنَّ مَنْ صَامَ فِي رَمَضَانَ لَا عَنْ رَمَضَانَ لَا يَقَعُ عَنْ رَمَضَانَ، وَتَدُلُّ عَلَى أَنَّ مَنْ تَوَضَّأَ لِلتَّبَرُّدِ وَالتَّنَظُّفِ لَا يَقَعُ قُرْبَةً عَنْ جِهَةِ الصَّلَاةِ، وَهَكَذَا كُلُّ مَا كَانَ فِي مَعْنَاهُ".

لأن الأعمال بالنيات إنما تكون بالنيات، الذي لا ينوي القربة بأعماله لا يحصل عليها.

"الثَّالِثَةُ: ذَهَبَ أَكْثَرُ الْعُلَمَاءِ إِلَى أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ مُطْلَقَةٌ؛ وَكَذَلِكَ الْآيَةُ الَّتِي فِي" الشُّورَى {مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا} [الشورى:٢٠] الْآيَةَ. وَكَذَلِكَ {وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا} [آل عمران:١٤٥] قَيَّدَهَا وَفَسَّرَهَا الَّتِي فِي سُبْحَانَ {مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ} [الإسراء:١٨] إِلَى قَوْلِهِ: مَحْظُورًا فَأَخْبَرَ سُبْحَانَهُ أَنَّ الْعَبْدَ يَنْوِي وَيُرِيدُ وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ، وَرَوَى الضَّحَّاكُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- فِي قَوْلِهِ: {مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا} [هود:١٥] أَنَّهَا مَنْسُوخَةٌ بِقَوْلِهِ: {مَنْ كَانَ يُرِيدُ العاجلة} [الإسراء:١٨]. وَالصَّحِيحُ مَا ذَكَرْنَاهُ؛ وَأَنَّهُ مِنْ بَابِ الْإِطْلَاقِ وَالتَّقْيِيدِ؛ وَمِثْلُهُ قَوْلُهُ: {وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ} [البقرة:١٨٦] فَهَذَا ظَاهِرُهُ خَبَرٌ عَنْ إِجَابَةِ كُلِّ دَاعٍ دَائِمًا عَلَى كُلِّ حَالٍ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: {فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ} [الأنعام:٤١] وَالنَّسْخُ فِي الْأَخْبَارِ لَا يَجُوزُ؛ لِاسْتِحَالَةِ تَبَدُّلِ الْوَاجِبَاتِ الْعَقْلِيَّةِ، وَلِاسْتِحَالَةِ الْكَذِبِ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى، فَأَمَّا الْأَخْبَارُ عَنِ الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ فَيَجُوزُ نَسْخُهَا عَلَى خِلَافٍ فِيهِ، عَلَى مَا هُوَ مَذْكُورٌ فِي الْأُصُولِ، وَيَأْتِي فِي "النَّحْلِ" بَيَانُهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى".

هذه الآية مع آية الإسراء، وفيها التقييد بالمشيئة، يعني هل هي من باب الإطلاق والتقييد أو من باب الناسخ والمنسوخ؟ يعني أنه أُخبر أولًا بالعموم، وأن كل من يريد الحياة الدنيا وزينتها يوفَّى إليه عمله، ثم بعد ذلك أُخبر بالإسراء بأنه لا يوفَّى العمل، أجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد، وأن هذا أمرٌ قاصرٌ على ما أراده الله سبحانه وتعالى لا شك أنه لا يقع في ملك الله ما لا يريده وما لا يشأهُ، كل شيء مربوط بإرادة الله سبحانه وتعالى ومشيئته، ومن ذلكم توفية العامل عمله، إذا استوفى الأسباب والشروط، وانتفت الموانع ومثله {وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ} [البقرة:١٨٦]، {أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ} [البقرة:١٨٦].

مقتضاه أن كل داعٍ يُجاب، ويؤيده حديث «ما من داعٍ يدعو الله إلا إيش؟ إلا أجيب بإحدى ثلاث: إما أن يُجاب إلى ما يريد، أو يصرف عنه من السوء بقدره، أو يدخر له يوم القيامة»، على كلِّ الدعاء كغيره من الأسباب، لا بد من توافر الأسباب الأخرى، وانتفاء الموانع، ومن ذلكم: «وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا زراع، فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فدخلها»، مع الحديث الأخر «وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة

فيما يبدو للناس، فيسبق عليه الكتاب، حتى يكون بينه وبينها إلا زراع... إلى آخره»، فهذا القيد معتبر، وأنه إن كان عمله فيما يبدو للناس ويظهر للناس أو أن هذه النتيجة محتملة، وإن كان مخلصًا في عمله مقتضى القواعد التقييد.

نعم إنه إن كان عمله فيما يبدوه للناس لله سبحانه وتعالى وأنه في الآخرة، ولا شك أن الفواتح أن الخواتم، لكن السلف وحالهم وخوفهم من سوء العاقبة وسوء الخاتمة يدل على عدم التقييد، بل يحملون الخبر على ظاهره حديث ابن مسعود، ويخافون من سوء العاقبة، وأن الإنسان قد يفتن في آخر عمره، وإن كان مطيعًا لله مخلصًا في أوله، بل في غالبه، وعلى الإنسان ما دامت روحه في جسده أن يكون خائفًا راجيًا خائفًا من ذنبه راجيًا لربه، والله المستعان.

"قَوْلُهُ تَعَالَى: {أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ} [هود:١٦] إِشَارَةٌ إِلَى التَّخْلِيدِ، وَالْمُؤْمِنُ لَا يُخَلَّدُ ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ} [النساء:٤٨] الْآيَةَ. فَهُوَ مَحْمُولٌ عَلَى مَا لَوْ كَانَتْ مُوَافَاةُ هَذَا الْمُرَائِي عَلَى الْكُفْرِ. وَقِيلَ: الْمَعْنَى لَيْسَ لَهُمْ إِلَّا النَّارُ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَةٍ ثُمَّ يُخْرَجُ؛ إِمَّا بِالشَّفَاعَةِ، وَإِمَّا بِالْقَبْضَةِ".

لكن الذي يرجح الأول قوله: {وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا} [هود:١٦]؛ لأنه لا يحبط العمل إلا الكفر، والردة، نسأل الله العافية، والموت عليها دل على أن قوله: {أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ} [هود:١٦] يعني "الكفار" سيخلدون فيها؛ لأنهم حبط ما صنعوا فيها، وبطل ما كانوا يعملون، حبط ما صنعوا وبطل عملهم؛ لأنهم ارتدوا، أو لأنهم لا يصح مع كفرهم عمل، ولا ينفعهم ذلك.

"وَالْآيَةُ تَقْتَضِي الْوَعِيدَ بِسَلْبِ الْإِيمَانِ؛ وَفِي الْحَدِيثِ الْمَاضِي يُرِيدُ الْكُفْرَ وَخَاصَّةً الرِّيَاءَ، إِذْ هُوَ شِرْكٌ عَلَى مَا تَقَدَّمَ بَيَانُهُ فِي "النِّسَاءِ" وَيَأْتِي فِي آخِرِ "الْكَهْفِ". {وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [الأعراف:١٣٩] ابْتِدَاءٌ وَخَبَرٌ، قَالَ أَبُو حَاتِمٍ: وَحَذَفَ الْهَاءَ".

"أبو حاتم" هذا من هو؟

طالب:.....

ماذا؟

طالب:.....

أبو حاتم.

طالب:.....

من هو؟

طالب:.....

لا الرازي هذا صنعته، ولا ابن حبان هذه صنعته.

طالب: له تفسير.

لـه تفسير، لكن يقولوا: أبو حاتم الرازي حذف "الهاء" وفعل "بالهاء"، يعطف عليها النحاس وجماعته.

طالب:.....

لا لا، لكن أبو حيان ليس بعد صاحبنا هذا.

طالب:.....

أبو حاتم لغوي معروف مشهور من أئمة اللغة مر علينا فب الكثير بشرح الحديث السجستاني أبو حاتم السجستاني.

طالب: تفسير أبي حاتم الرازي موجود؟

تفسير ابن أبي حاتم وليس أبا حاتم.

"قَالَ النَّحَّاسُ: هَذَا لَا يَحْتَاجُ إِلَى حَذْفٍ؛ لِأَنَّهُ بِمَعْنَى الْمَصْدَرِ؛ أَيْ وَبَاطِلٌ عَمَلُهُ".

ما المحذوف؟ يقول: حذف "الهاء"، يعملون العائد على، نعم العائد على الموصول؛ لأن جملة الصلة لا بد لها من عائد، لا بد لها من عائد {وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [الأعراف:١٣٩] والنحاس يقول: هذا لا يحتاج إلى حذف؛ لأنه بمعنى المصدر؛ لأنه باطلٌ عملهم.

"وَفِي حَرْفِ أُبَيٍّ وَعَبْدِ اللَّه {وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [الأعراف:١٣٩] وَتَكُونُ "مَا" زَائِدَةً؛ أَيْ وَكَانُوا يَعْمَلُونَ بَاطِلًا.

قَوْلُهُ تَعَالَى: {أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ} [هود:١٧] ابْتِدَاءٌ وَالْخَبَرُ مَحْذُوفٌ؛ أَيْ أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ فِي إِتِّبَاعِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وَمَعَهُ مِنَ الْفَضْلِ مَا يَتَبَيَّنُ بِهِ كَغَيْرِهِ مِمَّنْ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا؟! عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ وَالْحَسَنِ بْنِ أَبِي الْحَسَنِ. وَكَذَلِكَ قَالَ ابْنُ زَيْدٍ: إِنَّ الَّذِي عَلَى بَيِّنَةٍ هُوَ مَنِ اتَّبَعَ النَّبِيَّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، {وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ} [هود:١٧] من الله، وَهُوَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-. وَقِيلَ: الْمُرَادُ بِقَوْلِهِ: {أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ} [هود:١٧] النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَالْكَلَامُ رَاجِعٌ إِلَى قَوْلِهِ: {وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ} [هود:١٢]؛ أَيْ أَفَمَنْ كَانَ مَعَهُ بَيَانٌ مِنَ اللَّهِ، وَمُعْجِزَةٌ كَالْقُرْآنِ، وَمَعَهُ شَاهِدٌ كَجِبْرِيلَ -عَلَى مَا يَأْتِي- وَقَدْ بَشَّرَتْ بِهِ الْكُتُبُ السَّالِفَةُ يَضِيقُ صَدْرُهُ بِالْإِبْلَاغِ، وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ لَا يُسْلِمُهُ. وَالْهَاءُ فِي "رَبِّهِ" تَعُودُ عَلَيْهِ.

وقوله: {وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ} [هود:١٧] وَرَوَى عِكْرِمَةُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ جِبْرِيلُ؛ وَهُوَ قَوْلُ مُجَاهِدٌ وَالنَّخَعِيُّ: وَالْهَاءُ فِي "مِنْهُ" لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ؛ أَيْ وَيَتْلُو الْبَيَانَ وَالْبُرْهَانَ شَاهِدٌ مِنَ اللَّهِ -عَزَّ وَجَلَّ-.

وَقَالَ مُجَاهِدٌ: الشَّاهِدُ مَلَكٌ مِنَ اللَّهِ -عَزَّ وَجَلَّ- يَحْفَظُهُ وَيُسَدِّدُهُ. وَقَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ وَقَتَادَةُ: الشَّاهِدُ لِسَانُ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-. قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيِّ ابْنُ

الْحَنَفِيَّةِ: قُلْتُ لِأَبِي: أَنْتَ الشَّاهِدُ؟ فَقَالَ: وَدِدْتُ أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ، وَلَكِنَّهُ لِسَانُ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-. وَقِيلَ: هُوَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، ورُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَالَ: هُوَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، وَرُوِيَ عَنْ عَلِيٍّ أَنَّهُ قَالَ: (مَا مِنْ رَجُلٍ مِنْ قُرَيْشٍ إِلَّا وَقَدْ أُنْزِلَتْ فِيهِ الْآيَةُ وَالْآيَتَانِ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: أَيُّ شَيْءٍ نَزَلَ فِيكَ ؟ فَقَالَ عَلِيٌّ: {وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ} [هود:١٧].

وَقِيلَ: الشَّاهِدُ صُورَةُ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَوَجْهُهُ وَمَخَائِلُهُ؛ لِأَنَّ مَنْ كَانَ لَهُ فَضْلٌ وَعَقْلٌ فَنَظَرَ إِلَى النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عَلِمَ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-؛ فَالْهَاءُ عَلَى هَذَا تَرْجِعُ إِلَى النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عَلَى قَوْلِ ابْنِ زَيْدٍ وَغَيْرِهِ".

على كلٍّ كون الشاهد علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- هذا غير متجه، ولذا نفى لما سأله ابنه محمد بن علي المعروف بابن الحنفية، "حنفية" أمه، و"عليٌّ" أبوه، وعلى هذا ابن الثانية بالإلف، تقول: محمد بن علي ابن الحنفية، ولا تقول: بنِ؛ لأنها ليست بوصفٍ لعلي، وإنما هي وصفٌ لمحمد، كما تقول: عبد الله بن أُبي ابن سلول، عبد الله بن مالك ابن بُحينة، "بُحينة" أمه و"مالك" أبوه، وهكذا فتكتب ابن الثانية بالألف، وتتبع الاسم الأول لا الثاني في الإعراب، وتكون حينئذٍ مرفوعة، قلت لأبي: يعني عليًّا -رضي الله عنه- أنت الشاهد، فقال: وددت أن أكون أنا هو، لكن ليس ليس أنا، ينفي أن يكون علي -رضي الله عنه- هو الشاهد، وعلى كل حال من نظر إلى وجهه -عليه الصلاة والسلام- في حياته جزم بأنه رسول الله حقًّا، ومن نظر في سيرته وهديه بعد وفاته جزم بأنه مرسل من الله سبحانه وتعالى حقًّا، فلا يتمارى أحد في أنه صادقٌ مصدق.

يقول ابن مسعود: حدثنا الصادق المصدوق.

وأبـــيض يستســـقى الغمـــام بوجهـــه ثمال اليتامى عصمة للأرامل

فلا شك أن في وجهه شاهدًا -عليه الصلاة والسلام- وفي هديه وسمته، وسيرته شواهد على أنه مرسلٌ من الله سبحانه وتعالى.

"وَقِيلَ: الشَّاهِدُ الْقُرْآنُ فِي نَظْمِهِ وَبَلَاغَتِهِ، وَالْمَعَانِي الْكَثِيرَةُ مِنْهُ فِي اللَّفْظِ الْوَاحِدِ، قَالَهُ الْحُسَيْنُ بْنُ الْفَضْلِ، فَالْهَاءُ فِي "مِنْهُ" لِلْقُرْآنِ".

فضل، قال: الحسين بن فضل، ابن الفضل أم بن المفضل، ما فيه نسخ ثانية.

"فَالْهَاءُ فِي "مِنْهُ" لِلْقُرْآنِ. وَقَالَ الْفَرَّاءُ قَالَ بَعْضُهُمْ: {وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ} [هود:١٧] الْإِنْجِيلُ، وَإِنْ كَانَ قَبْلَهُ فَهُوَ يَتْلُو الْقُرْآنَ فِي التَّصْدِيقِ؛ وَالْهَاءُ فِي "مِنْهُ" لِلَّهِ -عَزَّ وَجَلَّ-.

وَقِيلَ: الْبَيِّنَةُ مَعْرِفَةُ اللَّهِ الَّتِي أَشْرَقَتْ لَهَا الْقُلُوبُ، وَالشَّاهِدُ الَّذِي يَتْلُوهُ الْعَقْلُ الَّذِي رُكِّبَ فِي دِمَاغِهِ، وَأَشْرَقَ صَدْرُهُ بِنُورِهِ.

{وَمِنْ قَبْلِهِ} [هود:١٧] أَيْ مِنْ قَبْلِ الْإِنْجِيلِ".

يعني أن العقل السليم الصريح يشهد للنقل الصحيح، إذا قال: الشاهد الذي يتلوه العقل الذي ركب في دماغه أن الإنسان إذا نظر بعين البصيرة والعقل المجرد عن الشبهات، والهواء لا شك أنه يشهد بأن ما جاء به النبي -عليه الصلاة والسلام- صحت بالإخبار عنه أنه حق.

طالب: معرفة الله الَّتِي أَشْرَقَتْ لَهَا الْقُلُوبُ.

البينة معرفة الله **الَّتِي** أَشْرَقَتْ لَهَا الْقُلُوبُ، العبارة من عباراتهم، عبارة من عباراتهم، ويستفيد منهم كثيرًا، وينقل منهم.

طالب:.....

العقل الذي ركب في دماغه نعم، "وأشرق صدره بنوره" لأن العقل في الدماغ، والخلاف هل هو في القلب أو في الدماغ؟ مسألة خلافية، كأنه الشاهد الذي يتلوه العقل الذي ركب في دماغه، وأشرق صدره بنوره.

على كلٍّ الأكثر على أنه في القلب، العقل على أنه في القلب، والإمام أحمد يتوسط يقول: له اتصال بالدماغ؛ لأنه ليس محله الدماغ، وإنما هو القلب، ولذا قال: {لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا} [الحج:٤٦]، فهو في القلب، وخطابات الشرع كلها متجهة إلى القلب، والأحكام معلقة بمن يعقل، فدل على أن العقل محله القلب، وله اتصال بالدماغ، يعني أنه يتأثر إذا تأثر الدماغ.

"وَمِنْ قَبْلِهِ" أَيْ مِنْ قَبْلِ الْإِنْجِيلِ. {كِتَابُ مُوسَى} [هود:١٧] رُفِعَ بِالِابْتِدَاءِ، قَالَ أَبُو إِسْحَاقَ الزَّجَّاجُ: وَالْمَعْنَى وَيَتْلُوهُ مِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مَوْصُوفٌ فِي كِتَابِ مُوسَى {يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ} [الأعراف:١٥٧]، وَحَكَى أَبُو حَاتِمٍ عَنْ بَعْضِهِمْ أَنَّهُ قَرَأَ {وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابَ مُوسَى} [هود:١٧] بِالنَّصْبِ؛ وَحَكَاهَا الْمَهْدَوِي عن الْكَلْبِيِّ؛ يَكُونُ مَعْطُوفًا عَلَى الْهَاءِ فِي "يَتْلُوهُ" وَالْمَعْنَى: وَيَتْلُو كِتَابَ مُوسَى جِبْرِيلُ -عَلَيْهِ السَّلَامُ-؛ وَكَذَلِكَ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا؛ الْمَعْنَى مِنْ قَبْلِهِ تَلَا جِبْرِيلُ كِتَابَ مُوسَى عَلَى مُوسَى. وَيَجُوزُ عَلَى مَا ذَكَرَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ أَيْضًا مِنْ هَذَا الْقَوْلِ أَنْ يَرْفَعَ "كِتَابُ".

يُرفع يُرفع.

"أَنْ يُرْفَعَ "كِتَابُ" عَلَى أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى: وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى كَذَلِكَ؛ أَيْ تَلَاهُ جِبْرِيلُ عَلَى مُوسَى كَمَا تَلَا الْقُرْآنَ عَلَى مُحَمَّد، "إِمَامًا" نَصْبٌ عَلَى الْحَال. "وَرَحْمَةً" مَعْطُوف. {أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ} إِشَارَةٌ إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ، أَيْ يُؤْمِنُونَ بِمَا فِي التَّوْرَاةِ مِنَ الْبِشَارَةِ بِكَ؛ وَإِنَّمَا كَفَرَ بِكَ هَؤُلَاءِ الْمُتَأَخِّرُونَ فَهُمُ الَّذِينَ مَوْعِدُهُمُ النَّارُ؛ حَكَاهُ الْقُشَيْرِيُّ. وَالْهَاءُ فِي بِهِ يَجُوزُ أَنْ تَكُونَ لِلْقُرْآنِ، وَيَجُوزُ أَنْ تَكُونَ لِلنَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-".

نعم في كتاب موسى والتوراة البشارة بالنبي -عليه الصلاة والسلام-، وقد بشر به المسيح أيضًا، وكان أتباعهم من اليهود والنصارى يؤمنون بالنبي -عليه الصلاة والسلام- وبوصفه، لكن {فَلَمَّا

جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ} [البقرة:٨٩] كانوا يستفتحون على الذين كفروا، على المشركين، سوف يأتي نبي هذه صفته وهذه صفته، لكن لما جاء حسدوه فكفروا نسأل الله العافية.

"{وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ} أَيْ بِالْقُرْآنِ أَوْ بِالنَّبِيِّ -عَلَيْهِ السَّلَامُ-. {مِنَ الْأَحْزَابِ} يَعْنِي مِنَ الْمِلَلِ كُلِّهَا؛ عَنْ قَتَادَةَ؛ وَكَذَا قَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: الْأَحْزَابُ أَهْلُ الْأَدْيَانِ كُلِّهَا [ص:١٨] لِأَنَّهُمْ يَتَحَازَبُونَ. وَقِيلَ: قُرَيْشٌ وحُلَفَاؤُهُمْ. {فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ}أَيْ هُوَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ؛ وَأَنْشَدَ حَسَّانُ:

أُورِدْتُمُوهَا حِيَاضَ الْمَوْتِ ضَاحِيَةً فَالنَّارُ مَوْعِدُهَا وَالْمَوْتُ لَاقِيهَا

وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ مِنْ حَدِيثِ أَبِي يُونُسَ عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - :«وَالَّذِي نَفْسُ ..."

هو من حديث أبي يونس عن أبي هريرة.

"«وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٌّ وَلَا نَصْرَانِيٌّ ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ». {فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ} [هود:١٧] أَيْ {فِي شَكٍّ مِنْهُ} [هود:١٧] أَيْ مِنَ الْقُرْآنِ. {إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ} [هود:١٧] أَيِ الْقُرْآنُ مِنَ اللَّهِ، قَالَهُ مُقَاتِلٌ. وَقَالَ الْكَلْبِيُّ: الْمَعْنَى فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ فِي أَنَّ الْكَافِرَ فِي النَّارِ. {إِنَّهُ الْحَقُّ} [هود:١٧] أَيِ الْقَوْلُ الْحَقُّ الْكَائِنُ؛ وَالْخِطَابُ لِلنَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَالْمُرَادُ جَمِيعُ الْمُكَلَّفِينَ".

لا يجوز لأحدٍ أن يمتري، ويشك، ويماري، ويجادل في أن من كفر بالله في النار، بل خالدٌ مخلدٌ فيها، سواء كان كفره كفرًا أصليًّا أو متعبدًا بشريعة منسوخة محرفة كاليهود والنصارى، لا يجوز أن يشك ويمتري أحد أنه في النار {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ} [البينة:٦].

طالب:

{مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُوْلَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ} [البينة:٦] فالمشرك يستوي مع اليهودي ومع النصراني، كلهم في النار، «والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحدٌ من هذه الأمة» يعني: ممن بعثت فيهم، وأتى بعدي سواءٌ كان من أمة الإجابة أو أمة الدعوى «يهودي ولا نصراني، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار»، هذا حديث متفق عليه، حديث صحيح، ولا إشكال.

فهنا الذين يبحثون مسألة تقارب الأديان أو التعايش مع سائر الأديان أو الاحتمال بأن اليهود والنصارى يمكن أن تصحح مللهم، ويمكن أن.. إلى آخر المسائل الآن تبحث وهي مسائل قطعية، لا يجوز أن يشك فيها، هي مسائل قطعية عند أهل العلم اليهود والنصارى كفار، ولا يمكن أن يدخلوا الجنة؛ لأن المشرك خالد مخلد؛ {إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ}[النساء:٤٨]، وهؤلاء منهم، وهم في حكمهم.

" قَوْلُـهُ تَعَـالَى: {وَمَـنْ أَظْلَـمُ مِمَّـنِ افْتَـرَى عَلَـى اللَّهِ كَـذِبًا} [هـود:١٨] أَيْ لَا أَحَـدَ أَظْلَـمُ مِـنْهُمْ لِأَنْفُسِهِمْ؛ لِأَنَّهُمْ افْتَرَوْا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا؛ فَأَضَافُوا كَلَامَهُ إِلَى غَيْرِهِ؛ وَزَعَمُوا أَنَّ لَهُ شَرِيكًا وَوَلَدًا، وَقَالُوا لِلْأَصْنَامِ: هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ".

"من افترى على الله الكذب" سواءٌ كان بهذا، بأن زعم أن له شريكًا فأشرك معه غيره، أو زعم أن له ولدًا، كما قالت: اليهود والنصارى أو زعم أن هذا حكمه في هذه المسألة، وهو أيضًا {مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا} [هود:١٨]، {وَلا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلالٌ وَهَذَا حَرَامٌ} [النحل:١١٦] هذا كذب أيضًا على الله، فالذي يفتي الناس بغير علم أو على خلاف ما يعلمه من النصوص، هذا {مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا} [هود:١٨]، نسأل الله العافية، {وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ}[الزمر:٦٠]، وهؤلاء منهم، نسأل الله العافية.

فليحظر طالب العلم أن يسارع إلى أن يقول: على الله بغير علم، وهم من أعظم {وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ}[البقرة:١٦٩] نسأل الله العافية.

طالب:.....

لا لا لا الذي يفتي بغير علم لا لا، لا يكفر، لا.

طالب:.....

نعم {فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْمُتَكَبِّرِينَ} [الزمر:٦٠] هذا متكبر على أن يقول: لا أدري؟

طالب:.....

نعم، لكن ما يحكم بكفره.

"{أُولَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ} [هود:١٨] أَيْ يُحَاسِبُهُمْ عَلَى أَعْمَالِهِمْ {وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ الَّـذِينَ كَـذَبُوا عَلَـى رَبِّهِـمْ} [هـود:١٨] يَعْنِـي الْمَلَائِكَـةَ الْحَفَظَـةَ؛ عَـنْ مُجَاهِـدٍ وَغَيْـرِهِ؛ وَقَالَ سُفْيَانُ: سَأَلْتُ الْأَعْمَشَ عَنِ الْأَشْهَادِ فَقَالَ: الْمَلَائِكَةُ. الضَّحَّاكُ: هُمُ الْأَنْبِيَاءُ وَالْمُرْسَلُونَ؛ دَلِيلُـهُ قَوْلُـهُ: {فَكَيْـفَ إِذَا جِئْنَـا مِـنْ كُـلِّ أُمَّـةٍ بِشَـهِيدٍ وَجِئْنَـا بِـكَ عَلَـى هَـؤُلَاءِ شَـهِيدًا} [النساء:٤١]. وَقِيلَ: الْمَلَائِكَةُ وَالْأَنْبِيَاءُ وَالْعُلَمَاءُ الَّذِينَ بَلَّغُوا الرِّسَالَاتِ. وَقَالَ قَتَادَةُ: عَنَى الْخَلَائِقِ أَجْمَعَ. وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ مِنْ حَدِيثِ صَفْوَانَ بْنِ مُحْرِزٍ عَنِ ابْنِ عُمَرَ عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَفِيهِ قَالَ: «وَأَمَّا الْكُفَّارُ وَالْمُنَافِقُونَ فَيُنَادَى بِهِمْ [ص:١٩]عَلَى رُءُوسِ الْخَلَائِقِ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ».

{أَلَا لَعْنَـةُ اللَّهِ عَلَـى الظَّـالِمِينَ} [هود:١٨] أَيْ بُعْدُهُ وَسَخَطُهُ وَإِبْعَادُهُ مِنْ رَحْمَتِهِ عَلَى الَّذِينَ وَضَعُوا الْعِبَادَةَ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهَا.

قَوْلُـهُ تَعَالَى: {الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ} [هود:١٩] يَجُوزُ أَنْ تَكُونَ الَّذِينَ فِي مَوْضِعِ خَفْضٍ نَعْتًا لِلظَّالِمِينَ، وَيَجُوزُ أَنْ تَكُونَ فِي مَوْضِعِ رَفْعٍ؛ أَيْ هُمُ الَّذِينَ. وَقِيلَ: هُوَ ابْتِدَاءُ خِطَابٍ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى؛ أَيْ هُمُ الَّذِينَ يَصُدُّونَ أَنْفُسَهُمْ وَغَيْرَهُمْ عَنِ الْإِيمَانِ وَالطَّاعَةِ {وَيَبْغُونَهَا

عِوَجًا} [هود:١٩] أَيْ يَعْدِلُونَ بِالنَّاسِ عَنْهَا إِلَى الْمَعَاصِي وَالشِّرْكِ. {وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ} [هود:١٩] أَعَادَ لَفْظَ هُمْ تَأْكِيدًا".

نعم {أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ} [هود:١٨] هو شامل لمن يظلم نفسه أو يظلمُ غيره فيظلم نفسه بعبادة غير الله سبحانه وتعالى، والشرك هو أعظم الظلم {الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ}[الأنعام:٨٢]، جاء تفسير "الظلم": بالشرك {إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ}[لقمان:١٣]، أو يتعدى ظلمه إلى غيره فيصد غيره عن سبيل الله، ويبغي بدلًا من "الصراط المستقيم" الصراط المعوج، ولا يؤمن بالآخرة، فيصدون الناس عن سبيل الله إلى سبل الشيطان، نسأل الله العافية، فهؤلاء تحل عليهم اللعنة يستحقون الطرد، والإبعاد عن رحمة الله سبحانه وتعالى.

"قَوْلُهُ تَعَالَى: {أُولَئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ} [هود:٢٠] أَيْ فَائِتِينَ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ. وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: لَمْ يُعْجِزُونِي أَنْ آمُرَ الْأَرْضَ فَتَنْخَسِفَ بِهِمْ. {وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ} [هود:٢٠] يَعْنِي أَنْصَارًا، و"مِنْ" زَائِدَةٌ. وَقِيلَ: مَا بِمَعْنَى الَّذِي تَقْدِيرُهُ: أُولَئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ، لَا هُمْ وَلَا الَّذِينَ كَانُوا لَهُمْ مِنْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ".

يعني لم يكونوا معجزين لا هم، ولا الذين.

"أُولَئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ، لَا هُمْ وَلَا الَّذِينَ كَانُوا لَهُمْ مِنْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ. وَهُوَ قَوْلُ ابْنِ عَبَّاسٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا-. {يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ} [هود:٢٠] أَيْ عَلَى قَدْرِ كُفْرِهِمْ وَمَعَاصِيهِمْ. {مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ} [هود:٢٠] "مَا" فِي مَوْضِعِ نَصْبٍ عَلَى أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى: بِمَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ.{وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ} [هود:٢٠] وَلَمْ يَسْتَعْمِلُوا ذَلِكَ...".

هم يستطيعون السمع، ويبصرون أيضًا، لكنهم لم يستعملوا هذا الاستماع، لم يستمعوا الحق، ولم يبصروه فيؤمنوا به، يعني لهم سمع، ولهم بصر، لكن وجوده مثل عدمه، وإذا قيل: إن "ما" نافيه فهم لا يستطيعون السمع، هم لا يبصرون على ما تقرر في أوائل البقرة.

طالب:.....

سواءٌ هذا أو ذاك يعني سواءٌ قلنا: إنهم يستطيعون السمع ويستطيعون الإبصار، لكن هذا السمع وهذا البصر وجوده مثل عدمه، يعني بسبب كونهم يستطيعون السمع، وبسبب كونهم يبصرون عوقبوا، زِيد في عقوبتهم؛ لأن الله سبحانه وتعالى أعطاهم هذه النعم، ولم يستغلوها ويستفيدوا منها فيما خلقت له، ولم يشكروا خالقهم عليها، والقول الثاني: أنهم ما كانوا يستطيعون السمع؛ لأن الله سبحانه وتعالى لما قضى عليهم بما قضى سلبهم المنافع لهذه الأعضاء، وإن كانت موجودة.

"{وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ} [هود:٢٠] وَلَمْ يَسْتَعْمِلُوا ذَلِكَ فِي اسْتِمَاعِ الْحَقِّ وَإِبْصَارِهِ. وَالْعَرَبُ تَقُولُ: جَزَيْتُهُ مَا فَعَلَ وَبِمَا فَعَلَ فَيَحْذِفُونَ الْبَاءَ مَرَّةً وَيُثْبِتُونَهَا أُخْرَى، وَأَنْشَدَ سِيبَوَيْهِ:

أَمَرْتُكَ الْخَيْرَ فَافْعَلْ مَا أُمِرْتَ بِهِ ... فَقَدْ تَرَكْتُكَ ذَا مَالٍ وَذَا نَشَبِ"

نعم أمرتك الخير حذف "الباء" فعدى الأمر إلى الخير بدون حرف "أمرتك الخير"، لكن الأمر الثاني: قرن بمفعوله "الباء"، "فافعل ما أمرت به" هو الأمر والنهي بمعنى واحد، و"لقد جنيتُك" أقصد:

جنيـــت لـــك أكمـــؤا وعســـاقلا ولقـــد نهيتـــك عـــن بنـــات الأوبـــري

المقصود أنه يمكن أن يعدى مثل هذا بنفسه أو بالحرف.

"وَيَجُوزُ أَنْ تَكُونَ "مَا" ظَرْفًا، وَالْمَعْنَى: يُضَاعَفُ لَهُمْ أَبَدًا، أَيْ وَقْتَ اسْتِطَاعَتِهِمُ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ، وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ يَجْعَلُهُمْ فِي جَهَنَّمَ مُسْتَطِيعِي ذَلِكَ أَبَدًا. وَيَجُوزُ أَنْ تَكُونَ مَا نَافِيَةً لَا مَوْضِعَ لَهَا؛ إِذِ الْكَلَامُ قَدْ تَمَّ قَبْلَهَا، وَالْوَقْفُ عَلَى الْعَذَابِ كَافٍ، وَالْمَعْنَى: مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ فِي الدُّنْيَا أَنْ يَسْمَعُوا سَمْعًا يَنْتَفِعُونَ بِهِ، وَلَا أَنْ يُبْصِرُوا إِبْصَارَ مُهْتَدٍ، قَالَ الْفَرَّاءُ: {مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ} [هود:٢٠]؛ لِأَنَّ اللَّهَ أَضَلَّهُمْ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ. وَقَالَ الزَّجَّاجُ: لِبُغْضِهِمُ النَّبِيَّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَعَدَاوَتِهِمْ لَهُ لَا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَسْمَعُوا مِنْهُ وَلَا يَفْقَهُوا عَنْهُ. قَالَ النَّحَّاسُ: وَهَذَا مَعْرُوفٌ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ، يُقَالُ: فُلَانٌ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى فُلَانٍ إِذَا كَانَ ذَلِكَ ثَقِيلًا عَلَيْهِ".

نعم وشاهده في الواقع أن من أبغض إنسانًا لأمرٍ ما، سواء كان بنفسه أو بتأثير فإنه لا يستطيع أن يسمع كلامه، وإن سمع ما استفاد، ولذا أعداء الدعوة، دعوة الشيخ -رحمه الله- لم يستطيعوا ولم تطاوعهم أنفسهم أن يقرؤوا في كتب الشيخ؛ ليتبين الحق، إلا من أراد الله له الخير حتى دُلِّس في اسم الشيخ، وقرئت كتبه، فنسب إلى جده، بل حذفت أوائل بعض الكتب، ومزقت أغلفُتها وعناوينها، وأُعطيت لمن يقرأها من المخالفين، فأقر بها واعترف، ظنًّا منه أنها لغير الشيخ، ما عرف أنها للشيخ لما يقرأ، لكن كتاب "التوحيد" ارفع منه ورقتين ثلاث من أوله، خلوا الناس يقرؤون، كتابٌ عظيم، كله قال الله، وقال الرسول، لكن لما تقول: هذا كتاب محمد بن عبد الوهاب، شيخ الوهابيين، ما يقرؤون، ما يقرؤون أبدًا، ومنه هذا، نسأل الله العافية.

"قَوْلُهُ تَعَالَى: {أُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ} [هود:٢١] ابْتِدَاءٌ وَخَبَرٌ. {وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ} [هود:٢١] أَيْ ضَاعَ عَنْهُمُ افْتِرَاؤُهُمْ وَتَلِفَ. قَوْلُهُ تَعَالَى: {لَا جَرَمَ} [هود:٢٢] لِلْعُلَمَاءِ فِيهَا أَقْوَالٌ؛ فَقَالَ الْخَلِيلُ وَسِيبَوَيْهِ: {لَا جَرَمَ} [هود:٢٢] بِمَعْنَى حَقٍّ، فَـ "لَا" و"جَرَمَ" عِنْدَهُمَا كَلِمَةٌ وَاحِدَةٌ، و"أَنَّ" عِنْدَهُمَا فِي مَوْضِعِ رَفْعٍ، وَهَذَا قَوْلُ الْفَرَّاءِ وَمُحَمَّدِ بْنِ يَزِيدَ، حَكَاهُ النَّحَّاسُ".

من محمد بن يزيد؟

طالب:.....

أبو العباس؟

طالب:.....

المبرد نعم.

"قَالَ الْمَهْدَوِيُّ: وَعَنِ الْخَلِيلِ أَيْضًا أَنَّ مَعْنَاهَا: لَا بُدَّ وَلَا مَحَالَةَ، وَهُوَ قَوْلُ الْفَرَّاءِ أَيْضًا، ذَكَرَهُ الثَّعْلَبِيُّ. وَقَالَ الزَّجَّاجُ: "لَا" هَاهُنَا نَفْيٌ، وَهُوَ رَدٌّ لِقَوْلِهِمْ: إِنَّ الْأَصْنَامَ تَنْفَعُهُمْ، كَأَنَّ الْمَعْنَى لَا يَنْفَعُهُمْ ذَلِكَ، وَجَرَمَ بِمَعْنَى كَسَبَ، أَيْ كَسَبَ ذَلِكَ الْفِعْلُ لَهُمُ الْخُسْرَانَ، وَفَاعِلُ كَسَبَ مُضْمَرٌ، و"أَن..".

وأنَّ.

نعم؟

وأنَّ.

"وأَنَّ مَنْصُوبَةٌ بِـ "جَرَمَ" و"أَنَّ" مَنْصُوبَةٌ بِـ "جَرَمَ"، كَمَا تَقُولُ: كَسَبَ جَفَاؤُكَ زَيْدًا غَضَبَهُ عَلَيْكَ أو غضبه".

نعم.

"كَسَبَ جَفَاؤُكَ زَيْدًا غَضَبَهُ عَلَيْكَ".

غضبهُ.

"غَضَبَهُ عَلَيْكَ، وَقَالَ الشَّاعِرُ:

نَصَبْنَا رَأْسَهُ فِي جِذْعِ نَخْلٍ بِمَا جَرَمَتْ يَدَاهُ وَمَا اعْتَدَيْنَا

أَيْ بِمَا كَسَبَتْ. وَقَالَ الْكِسَائِيُّ: مَعْنَى "لَا جَرَمَ" لَا صَدَّ وَلَا مَنْعَ عَنْ أَنَّهُمْ. وَقِيلَ: الْمَعْنَى لَا قَطَعَ قَاطِع".

لَا قَطَعَ قَاطِعٌ

"لَا قَطَعَ قَاطِعٌ، فَحُذِفَ الْفَاعِلُ حِينَ كَثُرَ اسْتِعْمَالُهُ، وَالْجَرْمُ الْقَطْعُ، وَقَدْ جَرَمَ النَّحْل".

النَّخْلَ النَّخْلَ.

"وَقَدْ جَرَمَ النَّخْلَ وَاجْتَرَمَهُ أَيْ صَرَمَهُ فَهُوَ جَارِم، وَقَوْمٌ جُرَّمٌ وَجُرَّامٌ، وَهَذَا زَمَنُ الْجَرَامِ وَالْجِرَامِ، وَجَرَمْتُ صُوفَ الشَّاةِ أَيْ جَزَزْتُهُ، وَقَدْ جَرَمْت مِنْهُ".

جَرَمْتُ.

"وَقَدْ جَرَمْتُ مِنْهُ أَيْ أَخَذْتُ مِنْهُ؛ مِثْلُ جَلَمْتُ الشَّيْءَ جَلْمًا أَيْ قَطَعْتُ، وَجَلَمْتُ الْجَزُورَ أجلمُهَا جَلْمًا إِذَا أَخَذْتُ مَا عَلَى عِظَامِهَا مِنَ اللَّحْمِ، وَأَخَذْتُ الشَّيْءَ بِجِلْمَتِهِ -سَاكِنَةُ اللَّامِ- إِذَا أَخَذْتَهُ أَجْمَعَ، وَهَذِهِ جَلَمَةُ الْجَزُورِ -بِالتَّحْرِيكِ- أَيْ لَحْمُهَا أَجْمَعُ، قَالَهُ الْجَوْهَرِيُّ: قَالَ النَّحَّاسُ: وَزَعَمَ الْكِسَائِيُّ أَنَّ فِيهَا أَرْبَعَ لُغَاتٍ: لَا جَرَمَ، وَلَا عَنْ ذَا جَرَمَ؛ وَلَا أَنْ ذَا جَرَمَ، قَالَ: وَنَاسٌ مِنْ فَزَارَةَ

يَقُولُونَ: لَا جَرَ أَنَّهُمْ بِغَيْرِ مِيمٍ. وَحَكَى الْفَرَّاءُ فِيهِ لُغَتَيْنِ أُخْرَيَيْنِ قَالَ: بَنُو عَامِرٍ يَقُولُونَ لَا ذَا جَرَمَ، قَالَ: وَنَاسٌ مِنَ الْعَرَبِ. يَقُولُونَ: لَا جُرْمَ بِضَمِّ الميم بضم الْجِيمِ".

اللهم صلِّ على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، اللهم صلِّ وسلم وبارك على رسولك العظيم.

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير القرطبي

سورة هود

معالي الشيخ الدكتور

عبد الكريم بن عبد الله الخضير

عضو هيئة كبار العلماء

وعضو اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

تاريخ المحاضرة:	١٤٣١/١١/١٨هـ	المكان:	

قال الإمام القرطبي- رحمه الله تعالى-:

"قَوْلُهُ تَعَالَى: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَى رَبِّهِمْ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ}.

قَوْلُهُ تَعَالَى: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا} " الَّذِينَ " اسْمُ إِنَّ، وَ" آمَنُوا" صِلَةٌ، أَيْ صَدَّقُوا. {وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَى رَبِّهِمْ} عَطْفٌ عَلَى الصِّلَةِ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: أَخْبَتُوا أَنَابُوا. قال مُجَاهِدٌ: أَطَاعُوا. قال قَتَادَةُ: خَشَعُوا وَخَضَعُوا. قال مُقَاتِلٌ: أَخْلَصُوا. قال الْحَسَنُ: الْإِخْبَاتُ الْخُشُوعُ لِلْمَخَافَةِ الثَّابِتَةِ فِي الْقَلْبِ، وَأَصْلُ الْإِخْبَاتِ الِاسْتِوَاءُ، مِنَ الْخَبْتِ، وَهُوَ الْأَرْضُ الْمُسْتَوِيَةُ الْوَاسِعَةُ، فَالْإِخْبَاتُ الْخُشُوعُ وَالِاطْمِئْنَانُ، أَوِ الْإِنَابَةُ إِلَى اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - الْمُسْتَمِرَّةُ ذَلِكَ عَلَى اسْتِوَاءٍ.

{إِلَى رَبِّهِمْ} قَالَ الْفَرَّاءُ: إِلَى رَبِّهِمْ وَلِرَبِّهِمْ وَاحِدٌ، وَقَدْ يَكُونُ الْمَعْنَى: وَجَّهُوا إِخْبَاتَهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ. " أُولَئِكَ" خَبَرُ إِنَّ".

بسم الله الرحمن الرحيم.

اللهم صل على محمد وعلى آله وصحبه.

يقول المفسر -رحمه الله تعالى- في قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا} معروف المراد بالإيمان وأنه في أصل اللغة التصديق، وفي الشرع زاد على هذه الحقيقة قيودًا على مجرد التصديق باللسان، اعتقاد بالجنان والعمل بالأركان، وهو اسم إن. و"آمَنُوا" صلة الموصول، {وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ} صلة المعطوف، وعطف العمل على الإيمان الشرعي، للاهتمام به والعناية بشأنه، وَأَخْبَتُوا" معطوف على الذين عملوا الصالحات، وَأَخْبَتُوا إِلَى رَبِّهِمْ" جاء في تفسير المخبتين {وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ}[الحج: ٣٤- ٣٥] ، وخير ما يفسر به كلام الله كلامه، أولى وجوه التفسير تفسير القرآن بالقرآن، وهذا منه، فهذه من أوصاف المخبتين وجل القلب، والخوف، عند ذكر الله سبحانه وتعالى، ذكر أسمائه وصفاته، وآلائه، أوامره ونواهيه، ووعده ووعيده تجل القلوب، تفزع إليه مع إقامة بقية شرائع الدين.

الإخبات منزلة مما ذكره ابن القيم في مدارج السالكين، من منازل {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ}[الفاتحة:٥]، وهي منزلة رفيعة، منه من يقول: هي التواضع، مأخوذة من الخبت وهي الأرض المنخفضة هنا يقول: الأرض المستوية، هناك قال: الأرض المنخفضة، فكون الإنسان يخفض جناحه ويتواضع فهو مخبت، خاشعٌ لله سبحانه وتعالى خاضعٌ له.

لو رأيتِ أخاكِ ببطن خبتٍ

طالب:.....

ببطن خبت، هنا أرض منخفضة وهنا يقول: وَأَصْلُ الْإِخْبَاتِ الِاسْتِوَاءُ، مِنَ الْخَبْتِ وَهُوَ الْأَرْضُ الْمُسْتَوِيَةُ الْوَاسِعَةُ. وعلى كلّ الإخبات يطلق على هذا، ويطلق على ذاك، كله موجود في كتب

اللغة، فالإخبات الخشوع والاطمئنان، الاطمئنان إلى الله وبذكر الله، {أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ}[الرعد:٢٨]، وأخذ الإخبات من السعة، يعني ظاهر، تتسع الصدور والقلوب إلى ما جاء عن الله سبحانه وتعالى من أجل قبوله والعمل به، والانقياد إليه. {أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ}.

ثم قال: أَوِ الْإِنَابَةُ إِلَى اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ -، الإنابة: الرجعة، الرجوع إلى الله، فالمنيب هو الراجع إلى الله -سبحانه وتعالى- الإنابة إلى الله -عز وجل- المستمرة ذلك على استواء، يعني حياته على وتيرة واحدة، ليس يومًا كذا، ويومًا كذا فيها اضطراب، لا، بل هو مستمر على تلك الإنابة.

إلى ربهم، قال: قَالَ الْفَرَّاءُ: إِلَى رَبِّهِمْ، وَلِرَبِّهِمْ وَاحِدٌ، يعني سواء عُدي بإلى أو باللام فالمعنى واحد، فهنا إلى بمعنى اللام، ولو ضمن الفعل فعلًا يتعدى بإلى بدلًا من أن يضمن الحرف على ما اختاره شيخ الإسلام- رحمه الله-، فضمن الفعل معنى فعل يتعدى إلى، وقد يكون المعنى وجهوا إخباتهم إلى ربهم.

أولئك خبر إن، إلى آخره، {أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ}. هذا خبر إن.

"قَوْلُهُ تَعَالَى: {مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى وَالْأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ}.

قَوْلُهُ تَعَالَى: {مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ} ابْتِدَاءٌ، وَالْخَبَرُ "كَالْأَعْمَى" وَمَا بَعْدَهُ. قَالَ الْأَخْفَشُ: أَيْ كَمَثَلِ الْأَعْمَى. النَّحَّاسُ: التَّقْدِيرُ مَثَلُ فَرِيقِ الْكَافِرِ كَالْأَعْمَى وَالْأَصَمِّ، وَمَثَلُ فَرِيقِ الْمُؤْمِنِ كَالسَّمِيعِ وَالْبَصِيرِ، وَلِهَذَا قَالَ: {هَلْ يَسْتَوِيَانِ} فَرَدَّ إِلَى الْفَرِيقَيْنِ، وَهُمَا اثْنَانِ، رُوِيَ مَعْنَاهُ عَنْ قَتَادَةَ وَغَيْرِهِ. قَالَ الضَّحَّاكُ: الْأَعْمَى وَالْأَصَمُّ مَثَلٌ لِلْكَافِرِ، وَالسَّمِيعُ وَالْبَصِيرُ مَثَلٌ لِلْمُؤْمِنِ. وَقِيلَ: الْمَعْنَى هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ؟ وَهَلْ يَسْتَوِي الْأَصَمُّ وَالسَّمِيعُ؟ "مَثَلًا" مَنْصُوبٌ عَلَى التَّمْيِيزِ. {أَفَلَا تَذَكَّرُونَ} فِي الْوَصْفَيْنِ وَتَنْظُرُونَ".

{مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ} فريق من آمن بالله، وفريق من كفر به، كالأعمى والبصير، وكالأصم والسميع، تقرير مثل الكافر كالأعمى والأصم، ومثل الفريق المؤمن كالسميع والبصير، وجاء وصف الكفار بأنهم {صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ}[البقرة:١٨]، لماذا؟

لأنهم وإن كانت لهم أعين، لكنهم لا يبصرون بها الحق، ولهم آذان، لكن لا يسمعون بها الحق، لهم قلوب، لكنهم لا يفقهون ولا يعقلون بها، ولهذا قال: {هَلْ يَسْتَوِيَانِ} يعني هذا الفريق مع ذلك الفريق، فهما اثنان، وإن تعددت ألفاظ كل فريق، {وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا}[الحجرات:٩] الطائفة جمع، فرد الضمير إلى الاثنين، وإن كان أفراد كل طائفة جمعًا.

قَالَ الضَّحَّاكُ: الْأَعْمَى وَالْأَصَمُّ مَثَلٌ لِلْكَافِرِ، وَالسَّمِيعُ وَالْبَصِيرُ مَثَلٌ لِلْمُؤْمِنِ، وهذا ظاهر، وَقِيلَ: الْمَعْنَى هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ؟ وَهَلْ يَسْتَوِي الْأَصَمُّ وَالسَّمِيعُ؟ ما فيه أحد يقول: نعم، فالجواب: لا يستويان، وهذا على سبيل المثال، مثلًا، وإن أقررتم بذلك فعليكم أن تقروا بأنه لا يستوي المؤمن مع الكافر.

مَنْصُوبٌ عَلَى التَّمْيِيزِ، في بعض النسخ: على التفسير، ومر مرارًا تسمية التمييز تفسيرًا، وهذا اصطلاح متقدم، يعني يأتي مثله في كتاب سيبويه، التعبير عن التمييز بالتفسير، يأتي في تفسير الطبري، وغيرهما من كتب المتقدمين يقولون: منصوبٌ على التفسير، المراد به التمييز، فلابد من معرفة اصطلاحهم؛ لأن الذي لا يعرف إطلاقاتهم للألفاظ يتعثر في فهم مرادهم.

{أَفَلَا تَذَكَّرُونَ} فِي الْوَصْفَيْنِ، وَتَنْظُرُونَ نظرًا يفيدكم، وينفعكم، فترجعوا من غيكم وضلالكم؟

طالب:.....

نعم.

طالب:.....

كيف؟

طالب:.....

لا، ما يلزم، ما فيه عطف خاص على عام؟ ما يجيء؟ وعطف عام على خاص؟

طالب:.....

نعم؛ للاهتمام به والعناية بشأنه.

طالب:.....

نعم، للاهتمام به والعناية بشأنه.

طالب:.....

لكنه داخل مسمى الإيمان وهو جزء منه.

نعم.

"قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ} ذَكَرَ سُبْحَانَهُ قَصَصَ الْأَنْبِيَاءِ - عَلَيْهِمُ السَّلَامُ - لِلنَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -؛ تَنْبِيهًا لَهُ عَلَى مُلَازَمَةِ الصَّبْرِ عَلَى أَذَى الْكُفَّارِ إِلَى أَنْ يَكْفِيَهُ اللَّهُ أَمْرَهُمْ".

تسلية للنبي -عليه الصلاة والسلام-، {قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ}[الأحقاف:٩] لست بالرسول المبتدع، بل شأنك شأنهم، تدعو إلى ما يدعون إليه، وتؤذى مثلما يؤذون، فذكر له الله سبحانه وتعالى هذه القصص؛ تسلية له -عليه الصلاة والسلام-.

"{إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ} أَيْ فَقَالَ: إِنِّي؛ لِأَنَّ فِي الْإِرْسَالِ مَعْنَى الْقَوْلِ. وَقَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ وَأَبُو عَمْرٍو وَالْكِسَائِيُّ".

تحذف قال كثيرًا من السياق إذا دل عليها الكلام، كما في قوله تعالى: {يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ}[آل عمران:١٠٦]، يعني يقال لهم: أكفرتم؟

"وَقَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ وَأَبُو عَمْرٍو وَالْكِسَائِيُّ: "أَنِّي" بِفَتْحِ الْهَمْزَةِ أَيْ أَرْسَلْنَاهُ بِأَنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ. وَلَمْ يَقُلْ: "إِنَّهُ "؛ لِأَنَّهُ رَجَعَ مِنَ الْغَيْبَةِ إِلَى خِطَابِ نُوحٍ لِقَوْمِهِ، كَمَا قَالَ: {وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ}، ثُمَّ قَالَ: {فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ}.

قَوْلُهُ تَعَالَى: {أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ} أَيِ اتْرُكُوا الْأَصْنَامَ فَلَا تَعْبُدُوهَا، وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَحْدَهُ. وَمَنْ قَرَأَ "إِنِّي" بِالْكَسْرِ جَعَلَهُ مُعْتَرِضًا فِي الْكَلَامِ، وَالْمَعْنَى أَرْسَلْنَاهُ بِأَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ، {إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ}".

{وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ} هذا مقول قول نوح، وهذه خلاصة دعوته، تفصيلها {أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ}، يعني إن عبدتم غيره، إن عبدتم سواه، ف{إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ}، وهذا الخوف محقق إن عبدوا غيره، وقبل وقوعه يبقى على أصله، قبل وقوع العبادة؛ لأنه يخاف عليهم إن ظلوا بهذا القيد، وعبدوا غيره، ولم يقل إنه، يقول: لأنه رجع من الغيبة إلى خطاب نوح قومه، {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ} هذا غائب، "قومه إني لكم: يعني خاطبهم، لكن إذا قلنا: إن {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ} من قول الله سبحانه وتعالى، وقول: {إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ} من قول الله سبحانه وتعالى على لسان نوح، يعني قال لهم نوح: {إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ} هذا فيه التفات أم ما فيه التفات؟

طالب:.....

هذا قائل، وهذا قائل، ليس القائل واحدًا فيكون التفتًا من خطاب إلى خطاب، {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ} هذا من قول الله سبحانه وتعالى، فقال لهم نوح: {إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ} إذا كان المتكلم واحدًا، على لسان واحد، فجاء بالخطاب بعد الغيب صار فيه التفات، ولذا قال ابن عطية: وفي هذا نظر، وإنما هي حكاية مخاطبته لقومه، وليس هذا حقيقة الخروج من غيبة إلى مخاطبة، يعني لو كان الكلام على وتيرة واحدة، كلام المتكلم واحدًا، صار فيه التفات، لكن لما اختلف المتكلم، في الجملة الأولى الله سبحانه وتعالى ذكر أنه أرسل نوحًا إلى قومه، ثم واجههم نوح، هذا ليس من كلامه، الأول ليس من كلام نوح، ثم واجههم نوح بقوله: {إِنِّي لَكُمْ}، لما أرسل ذهب إليهم فقال لهم: {إِنِّي لَكُمْ}، فيه التفات؟ ما فيه التفات، {إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ} كله خطاب نوح لقومه مواجهة، مباشرة.

"قَوْلُهُ تَعَالَى: {فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ}. فِيهِ أَرْبَعُ مَسَائِلَ: الْأُولَى: قَوْلُهُ تَعَالَى: {فَقَالَ الْمَلَأُ} قَالَ أَبُو إِسْحَاقَ الزَّجَّاجُ: الْمَلَأُ الرُّؤَسَاءُ أَيْ هُمْ مَلِيئُونَ بِمَا يَقُولُونَ".

هم علية القوم، في الغالب هم أهل الكبر، قال الملأ الذين استكبروا من قومه، في الغالب هم علية القوم الذين يرون أنفسهم ويستكبرون، ويأنفون من قبول الحق.

"وَقَدْ تَقَدَّمَ هَذَا فِي " الْبَقَرَةِ " وَغَيْرِهَا".

طالب:.....

في قوله تعالى: {ألم تر إلى الملأ}؟

طالب:.....

نعم.

طالب:.....

نعم.

طالب:.....

يقتسم أم أين؟ هذه بالبقرة؟

طالب:.....

لا لا الكلام في البقرة.

طالب:.....

المهم أنهم العلية سواء كانوا بحق أو بباطل.

طالب:.....

يعني واثقون من كلامهم، كلامهم فيه قوة وثبات؛ نظرًا لتجبرهم واستكبارهم، وتغطرسهم؛ لأن المتكبر يتكلم بملء فيه، بخلاف المستكين المتواضع الذي يخاف ويوجل.

"{مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا} أَيْ آدَمِيًّا. "مِثْلَنَا " نُصِبَ عَلَى الْحَالِ . وَ"مِثْلَنَا" مُضَافٌ إِلَى مَعْرِفَةٍ وَهُوَ نَكِرَةٌ يُقَدَّرُ فِيهِ التَّنْوِينُ، كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ:

يَا رُبَّ مِثْلِكِ فِي النِّسَاءِ غَرِيرَةٌ".

يقول: مثلنا مضاف إلى معرفة، هل يجوز أن يأتي الحال معرفة، أم لابد أن يكون نكرة؟

يأتي الحال معرفة؟

طالب:.....

كيف؟

طالب:.....

الحال لا يأتي إلا نكرة.

والحال إن عرف لفظًا فاعتقد تنكيره معنىً كوحدك اجتهد.

لابد أتموا الصف الأول فالأول، يعني مرتبين، لابد من التأويل في مثل هذا.

الثَّانِيَةُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا} أَرَاذِلُ جَمْعُ أَرْذُلٍ، وَأَرْذُلٌ جَمْعُ رَذْلٍ مِثْلُ كَلْبٍ وَأَكْلُبٍ وَأَكَالِبَ. وَقِيلَ: وَالْأَرَاذِلُ جَمْعُ الْأَرْذَلِ، كَأَسَاوِدَ جَمْعُ الْأَسْوَدِ مِنَ الْحَيَّاتِ. وَالرَّذْلُ النَّذْلُ، أَرَادُوا اتَّبَعَكَ أَخِسَّاؤُنَا وَسَقَطُنَا وَسَفِلَتُنَا. قَالَ الزَّجَّاجُ: نَسَبُوهُمْ إِلَى الْحِيَاكَةِ، وَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ

الصِّنَاعَاتِ لَا أَثَرَ لَهَا فِي الدِّيَانَةِ. قَالَ النَّحَّاسُ: الْأَرَاذِلُ هُمُ الْفُقَرَاءُ، وَالَّذِينَ لَا حَسَبَ لَهُمْ، وَالْخَسِيسُو الصِّنَاعَاتِ.

وهم أتباع الأنبياء، كما في حديث أبي سفيان في قصة هرقل: هم أتباع الأنبياء؛ لأن أشراف الناس وسادتهم يتكبرون، ويأنفون من قبول الحق لأول وهلة، لأول وهلة يستنكف ويستكبر، وهذا عام شامل، غالب الناس وعلى كافة المستويات، تجد من عنده شيء من العلم إذا سأل لا يقنع بسرعة، علك أن توافقه فيما عنده بينما العامي تعطيه الحكم ويمشي، كبير القوم إذا أردت أن تبدي له وجهة نظر ناقشك وأتعبك، وإن أذعن في الأخير؛ لأن عنده شيئًا يعتد به ويرجع إليه، وإن كان في أول الأمر يجادل وينازع، ويعرف أن الحق مع غيره، لكن قبول الحق لأول وهلة ممن عنده شيء من هذا النوع من الكبر بقبول الحق والإذعان إليه فيه ما فيه، موجود، ولذا كان غالب أتباع الأنبياء هم غير أشراف الناس، هذا في الغالب، ولا يرد على هذا مثل أبي بكر وعمر، كبار الصحابة الذين تبعوا النبي -عليه الصلاة والسلام-؛ لأنهم ندرة، ولذا لما سأل هرقل أبا سفيان: أشراف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم؟ قال: بل ضعفاؤهم، ضعفاء الناس هم أتباع الأنبياء؛ لأنه في الغالب ما عنده شيء يخشى عليه، ولذا لما ركن الناس إلى الدنيا صار لهم شيء يؤولون إليه، ويخافون عليه، ويحوطونه بعنياتاهم صعب عليهم الجهاد، لذا جاء الربط بين ترك الجهاد مع الزرع، اتباع أذناب البقر، والله المستعان.

"**وَفِي الْحَدِيثِ: «إِنَّهُمْ كَانُوا حَاكَةً وَحَجَّامِينَ»**.

طالب:.....

من الإسرائيليات.

"**وَكَانَ هَذَا جَهْلًا مِنْهُمْ؛ لِأَنَّهُمْ عَابُوا نَبِيَّ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بِمَا لَا عَيْبَ فِيهِ؛ لِأَنَّ الْأَنْبِيَاءَ -صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ- إِنَّمَا عَلَيْهِمْ أَنْ يَأْتُوا بِالْبَرَاهِينِ وَالْآيَاتِ، وَلَيْسَ عَلَيْهِمْ تَغْيِيرُ الصُّوَرِ وَالْهَيْئَاتِ، وَهُمْ يُرْسَلُونَ إِلَى النَّاسِ جَمِيعًا، فَإِذَا أَسْلَمَ مِنْهُمُ الدَّنِيءُ لَمْ يَلْحَقْهُمْ مِنْ ذَلِكَ نُقْصَانٌ؛ لِأَنَّ عَلَيْهِمْ أَنْ يَقْبَلُوا إِسْلَامَ كُلِّ مَنْ أَسْلَمَ مِنْهُمْ.**

قُلْتُ: الْأَرَاذِلُ هُنَا هُمُ الْفُقَرَاءُ وَالضُّعَفَاءُ، كَمَا قَالَ هِرَقْلُ لِأَبِي سُفْيَانَ: أَشْرَافُ النَّاسِ اتَّبَعُوهُ أَمْ ضُعَفَاؤُهُمْ؟ فَقَالَ: بَلْ ضُعَفَاؤُهُمْ، فَقَالَ: هُمْ أَتْبَاعُ الرُّسُلِ. قَالَ عُلَمَاؤُنَا: إِنَّمَا كَانَ ذَلِكَ لِاسْتِيلَاءِ الرِّيَاسَةِ عَلَى الْأَشْرَافِ، وَصُعُوبَةِ الِانْفِكَاكِ عَنْهَا، وَالْأَنَفَةِ مِنَ الِانْقِيَادِ لِلْغَيْرِ".

نعم؛ لأنهم قبل الانقياد والإذعان لقبول الحق كان هناك تمايز بينهم وطبقات، كلٌّ يرى نفسه في موقع لائق به، لكن إذا أذعنوا للحق وقبلوه فهم سواسية، لا فرق بينهم، وقد يكون الفقير الذي لا حسب له ولا نسب ولا مال بالتقوى أرفع من ذلك الشريف الذي لديه الحسب والنسب والمال، والقوة.

"**وَالْفَقِيرُ خَلِيٌّ عَنْ تِلْكَ الْمَوَانِعِ، فَهُوَ سَرِيعٌ إِلَى الْإِجَابَةِ وَالِانْقِيَادِ. وَهَذَا غَالِبُ أَحْوَالِ أَهْلِ الدُّنْيَا.**

الثَّالِثَةُ: اخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِي تَعْيِينِ السَّفِلَةِ عَلَى أَقْوَالٍ؛ فَذَكَرَ ابْنُ الْمُبَارَكِ عَنْ سُفْيَانَ أَنَّ السَّفِلَةَ هُمُ الَّذِينَ يَتَقَلَّسُونَ، وَيَأْتُونَ أَبْوَابَ الْقُضَاةِ وَالسَّلَاطِينِ يَطْلُبُونَ الشَّهَادَاتِ، وَقَالَ ثَعْلَبٌ عَنِ ابْنِ الْأَعْرَابِيِّ: السَّفِلَةُ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الدُّنْيَا بِدِينِهِمْ، قِيلَ لَهُ: فَمَنْ سَفِلَةُ السَّفِلَةِ؟ قَالَ: الَّذِي يُصْلِحُ دُنْيَا غَيْرِهِ بِفَسَادِ دِينِهِ".

نعم، السفلة هؤلاء الذين هم الطبقة السفلى من القوم، هم الذين يبقون الدنيا بالدين، وتحتهم طبقة هم خلاصتهم الذي يصلح دنيا غيره بفساد دينه، يعني الذي يأكل الدنيا بالدين في الظاهر مستفيد دنيا، لكن الذي يفسد دينه بدنيا غيره، هذا نقصان، نسأل الله العافية، في العقل وفي الدين.

"وَسُئِلَ عَلِيٌّ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- عَنِ السَّفِلَةِ فَقَالَ: الَّذِينَ إِذَا اجْتَمَعُوا غَلَبُوا، وَإِذَا تَفَرَّقُوا لَمْ يُعْرَفُوا. وَقِيلَ لِمَالِكِ بْنِ أَنَسٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-: مَنِ السَّفِلَةُ؟ قَالَ: الَّذِي يَسُبُّ الصَّحَابَةَ".

لا شك؛ لأن الذي يسب الرفيع من أجل رفعته فهو وضيع، من سب الرفيع فهو وضيع، ولو كان رفيعًا لترفَّع عن سب الرفيع، والصحابة أرفع الأمة وأعلاها قدرًا، فالذي يسبهم في الطرف المقابل هم السفلة.

"وَرُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا -: الْأَرْذَلُونَ الْحَاكَةُ وَالْحَجَّامُونَ. وقال يَحْيَى بْنُ أَكْثَمَ: الدَّبَّاغُ وَالْكَنَّاسُ إِذَا كَانَ مِنْ غَيْرِ الْعَرَبِ".

الْأَرْذَلُونَ الْحَاكَةُ وَالْحَجَّامُونَ. هذه نظرة أرباب الدنيا، الحاكة والحجامون، نعم جاء في الحديث الصحيح: «كسب الحجام خبيث» لكن الرسول احتجم، وأعطى الحجام، فأقر الحجامة، والبحث عما يقيم حياة الإنسان ويعفه عن الناس، ولو كانت المهنة يدوية، يباشرها الإنسان بنفسه، فعليه أن لا يستنكف من هذه المهنة، نعم عليه أن يختار المهنة المناسبة بقدر الإمكان، لكن إن لم يتيسر له إلا ذلك، وخير من سؤال الناس، قول يحيى بن أكثم: الدباغ والكناس إذا كان من غير العرب، هؤلاء هم السفلة، إذا كان من غير العرب دباغ وكناس، طيب إذا كان من العرب؟

الظاهر أنه أولى على اصطلاحهم هم من حيث وجهة نظرهم، يعني هل الشريف يؤثر في المهنة شرف؟ هذا إذا قلنا: إن العرب أشرف من غيرهم، يعني ترتفع المهنة بهذا الرجل؟ بدلًا من أن تكون وضيعة تكون شريفة، على هذا يستمر إذا كان الدباغ والكناس من غير العرب يصير سفلى، هذا الكلام لا قيمة له، الكناس والدباغ هذه المهن تعف الإنسان وتغنيه عن غيره، وتصون ماء وجهه وإن كان فيها ما فيها من وجهة نظر الناس.

"الرَّابِعَةُ: إِذَا قَالَتِ الْمَرْأَةُ لِزَوْجِهَا: يَا سَفِلَةُ، فَقَالَ: إِنْ كُنْتُ مِنْهُمْ فَأَنْتِ طَالِقٌ، وحَكَى النَّقَّاشُ أَنَّ رَجُلًا جَاءَ إِلَى التِّرْمِذِيِّ فَقَالَ: إِنَّ امْرَأَتِي قَالَتْ لِي: يَا سَفِلَةُ، فَقُلْتُ: إِنْ كُنْتُ سَفِلَةً فَأَنْتِ طَالِقٌ،

قَالَ التِّرْمِذِيُّ: مَا صِنَاعَتُكَ؟ قَالَ: سَمَّاكٌ، قَالَ: سَفِلَةٌ وَاللَّهِ، سَفِلَةٌ وَاللَّهِ سَفِلَةٌ. قُلْتُ: وَعَلَى مَا ذَكَرَهُ ابْنُ الْمُبَارَكِ".

السماك مهنة وضيعة؟ سواء كان الذي يصيد السمك، أو يبيع السمك، على قول ابن المبارك السابق لما ذكره عن سفيان لا تطلق؛ لأن المهن مهما بلغت من الضعف في أعين الناس إلا أنها تصون الإنسان، تحميه من تكفف الناس، فلا تطلق.

"قُلْتُ: وَعَلَى مَا ذَكَرَهُ ابْنُ الْمُبَارَكِ. عَنْ سُفْيَانَ لَا تُطَلَّقُ، وَكَذَلِكَ عَلَى قَوْلِ مَالِكٍ، وَابْنِ الْأَعْرَابِيِّ لَا يَلْزَمُهُ شَيْءٌ.

قوله: {بَادِيَ الرَّأْيِ} أَيْ ظَاهِرَ الرَّأْيِ".

طالب:.....

نعم.

طالب:.....

الذي يغلب على الظن أنه الحكيم. ما دام الناقل النقاش يغلب على الظن أنه الحكيم.

"بَادِيَ الرَّأْيِ أَيْ ظَاهِرَ الرَّأْيِ، وَبَاطِنُهُمْ عَلَى خِلَافِ ذَلِكَ. يُقَالُ: بَدَا يَبْدُو. إِذَا ظَهَرَ، كَمَا قَالَ:

فَالْيَوْمَ حِينَ بَدَوْنَ لِلنُّظَّارِ"

بادي الرأي يعني اقتنعوا بمجرد ما سمعوا، مجرد ما ظهرت لهم هذه الدعوة اتبعوا، الذين ينظرون إلى بواطن الأمور وخفاياها ما اتبعوا، هذا مقتضى كلامه، ولذا قال: {وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ} يعني مباشرة يتبعون من غير نظر ولا روية ولا تذكر، لكن أهل الروية والتذكر ما اتبعوك.

"وَيُقَالُ لِلْبَرِيَّةِ: بَادِيَةٌ؛ لِظُهُورِهَا. وَبَدَا لِي أَنْ أَفْعَلَ كَذَا، أَيْ ظَهَرَ لِي رَأْيٌ غَيْرَ الْأَوَّلِ. وَقَالَ الْأَزْهَرِيُّ: مَعْنَاهُ فِيمَا يَبْدُو لَنَا مِنَ الرَّأْيِ. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ بَادِيَ الرَّأْيِ مِنْ بَدَأَ يَبْدَأُ، وَحَذَفَ الْهَمْزَةَ، وَحَقَّقَ أَبُو عَمْرٍو الْهَمْزَةَ فَقَرَأَ: "بَادِئَ الرَّأْيِ " أَيْ أَوَّلَ الرَّأْيِ، أَيِ اتَّبَعُوكَ حِينَ ابْتَدَءُوا يَنْظُرُونَ، وَلَوْ أَمْعَنُوا النَّظَرَ وَالْفِكْرَ لَمْ يَتَّبِعُوكَ، وَلَا يَخْتَلِفُ الْمَعْنَى هَاهُنَا بِالْهَمْزِ وَتَرْكِ الْهَمْزِ. وَانْتَصَبَ عَلَى حَذْفِ "فِي" كَمَا قَالَ – عَزَّ وَجَلَّ –: {وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ}".

يعني من قومه، فانتصب لما حذف الجار؟

"{وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ} أَيْ فِي اتِّبَاعِهِ، وَهَذَا جَحْدٌ مِنْهُمْ لِنُبُوَّتِهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –.

{بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ} الْخِطَابُ لِنُوحٍ وَمَنْ آمَنَ مَعَهُ".

إذا كذب التابع فالمتبوع من باب أولى؛ لأن رأيه من رأي متبوعه.

"قَوْلُهُ تَعَالَى: {قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي} أَيْ عَلَى يَقِينٍ، قَالَهُ أَبُو عِمْرَانَ الْجَوْنِيُّ".

الجَوني.

طالب: ضمة.

الجَوني.

طالب:.....

شف الترجمة.

طالب:.....

ما ذكر اسمه؟

طالب: ذكره...

نعم. الجوني.

" قَالَهُ أَبُو عِمْرَانَ الْجُوْنِيُّ، وَقِيلَ: عَلَى مُعْجِزَةٍ، وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي "الْأَنْعَامِ" هَذَا الْمَعْنَى، {وَآتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ} أَيْ نُبُوَّةً وَرِسَالَةً، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَهِيَ رَحْمَةٌ عَلَى الْخَلْقِ. وَقِيلَ: الْهِدَايَةُ إِلَى اللَّهِ بِالْبَرَاهِينِ. وَقِيلَ: بِالْإِيمَانِ وَالْإِسْلَامِ. {فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ} أَيْ عُمِّيَتْ عَلَيْكُمُ الرِّسَالَةُ وَالْهِدَايَةُ فَلَمْ تَفْهَمُوهَا. يُقَالُ: عَمِيتُ عَنْ كَذَا، وَعَمِيَ عَلَيَّ كَذَا أَيْ لَمْ أَفْهَمْهُ. وَالْمَعْنَى: فَعَمِيَتِ الرَّحْمَةُ، فَقِيلَ: هُوَ مَقْلُوبٌ؛ لِأَنَّ الرَّحْمَةَ لَا تَعْمَى إِنَّمَا يُعْمَى عَنْهَا؛ فَهُوَ كَقَوْلِكَ: أَدْخَلْتُ فِي الْقَلَنْسُوَةِ رَأْسِي".

مقتضى السياق أن يقول: أدخلتُ القلنسوة في رأسي، وأدخلت الخف في رجلي، أما أدخل رأسه في القلنسوة فصحيح، ما فيه قلب، أدخلت القلنسوة في رأسي.

"وَدَخَلَ الْخُفُّ فِي رِجْلِي".

خرق الثوب المسمار.

طالب:.....

ماذا؟

طالب:.....

الخف صحيح نعم، أدخلت الخف في رجلي، مقتضاه أن يكون فتح الرجل وأدخل الخف فيها، كما أن مقتضى العبارة الأولى أدخلت القلنسوة في رأسي يعني في جوف رأسي، مع أن المراد أدخلت رأسي في القلنسوة، وأدخلت رجلي في الخف.

" وَقَرَأَهَا الْأَعْمَشُ وَحَمْزَةُ وَالْكِسَائِيُّ: فَعُمِّيَتْ بِضَمِّ الْعَيْنِ وَتَشْدِيدِ الْمِيمِ عَلَى مَا لَمْ يُسَمَّ فَاعِلُهُ، أَيْ فَعَمَّاهَا اللَّهُ عَلَيْكُمْ، وَكَذَا فِي قِرَاءَةِ أُبَيٍّ فَعَمَّاهَا ذَكَرَهَا الْمَاوَرْدِيُّ.

{أَنُلْزِمُكُمُوهَا} قِيلَ: شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ. وَقِيلَ: الْهَاءُ تَرْجِعُ إِلَى الرَّحْمَةِ. وَقِيلَ: إِلَى الْبَيِّنَةِ، أَيْ أَنُلْزِمُكُمْ قَبُولَهَا، وَأُوجِبُهَا عَلَيْكُمْ؟! وَهُوَ اسْتِفْهَامٌ بِمَعْنَى الْإِنْكَارِ، أَيْ لَا يُمْكِنُنِي أَنْ أَضْطَرَّكُمْ إِلَى الْمَعْرِفَةِ بِهَا، وَإِنَّمَا قَصَدَ نُوحٌ – عَلَيْهِ السَّلَامُ –".

لأنه لو استطاع أن يلزم أحدًا لألزم ابنه، وامرأته، لكن ليس عليك إلا البلاغ.

" بِهَذَا الْقَوْلِ أَنْ يَرُدَّ عَلَيْهِمْ. وَحَكَى الْكِسَائِيُّ وَالْفَرَّاءُ: أَنْلُزِمْكُمُوهَا بِإِسْكَانِ الْمِيمِ الْأُولَى تَخْفِيفًا، وَقَدْ أَجَازَ مِثْلَ هَذَا سِيبَوَيْهِ، وَأَنْشَدَ:

فَالْيَوْمَ أَشْرَبُ غَيْرَ مُسْتَحْقِبٍ إِثْمًا مِنَ اللَّهِ وَلَا وَاغِلِ

وَقَالَ النَّحَّاسُ: وَيَجُوزُ عَلَى قَوْلِ يُونُسَ".

لأنه نذر، حلف أن لا يشرب الخمر حتى يأخذ ثأره من قاتل أبيه، فلما وفَّى بنذره شرب، الآن طاب له وآن له أن يشرب، نعوذ بالله.

"وَقَالَ النَّحَّاسُ: وَيَجُوزُ عَلَى قَوْلِ يُونُسَ فِي غَيْرِ الْقُرْآنِ: أَنُلْزِمُكُمُوهَا، يَجْرِي الْمُضْمَرُ مَجْرَى الْمُظْهَرِ، كَمَا تَقُولُ: أَنُلْزِمُكُمْ ذَلِكَ، {وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ} أَيْ لَا يَصِحُّ قَبُولُكُمْ لَهَا مَعَ الْكَرَاهَةِ عَلَيْهَا. قَالَ قَتَادَةُ: وَاللَّهِ لَوِ اسْتَطَاعَ نَبِيُّ اللَّهِ نُوحٌ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - لَأَلْزَمَهَا قَوْمَهُ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَمْلِكْ ذَلِكَ".

هذا معروف، يعني نصح الأنبياء لقومهم أمرٌ معروف ومتواتر ومستفيض، لا يحتاج إلى برهان، بل حرصهم شديد على أن يؤمن القوم، أنتم من أقوامهم، {فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ}[الكهف:٦].

المقصود أنه لو استطاع أن يلزم لألزم، وهناك وجوه في مقدوره أن يلزم بها، كالجهاد مثلًا، هذا وجه إلزام، الجهاد إلزام، لكن لعله في شريعته لم يشرع، لكن ومع الجهاد يعرض عليهم بدائل، إن كانوا من أهل الجزية، والجزية أيضًا نوع من الإلزام، ونوع من الضغط، وهذا كله من باب الحرص على إيمان من بُعث إليهم الرسول، لكن لا يملك القلوب إلا الله سبحانه وتعالى، ولا يستطيع أحد أن يؤثر إلا الله سبحانه وتعالى، فهو مصرف القلوب.

"قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَيَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ} أَيْ عَلَى التَّبْلِيغِ، وَالدُّعَاءِ إِلَى اللَّهِ، وَالْإِيمَانِ بِهِ {أَجْرًا} أَيْ مَالًا فَيَثْقُلُ عَلَيْكُمْ. {إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ} أَيْ ثَوَابِي فِي تَبْلِيغِ الرِّسَالَةِ، {وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُمْ مُلَاقُو} سَأَلُوهُ أَنْ يَطْرُدَ الْأَرَاذِلَ الَّذِينَ آمَنُوا بِهِ، كَمَا سَأَلَتْ قُرَيْشٌ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَنْ يَطْرُدَ الْمَوَالِيَ وَالْفُقَرَاءَ، حَسْبَ مَا تَقَدَّمَ فِي "الْأَنْعَامِ" بَيَانُهُ فَأَجَابَهُمْ بِقَوْلِهِ: {وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ} يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ قَالَ هَذَا عَلَى وَجْهِ الْإِعْظَامِ لَهُمْ بِلِقَاءِ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ -، وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ قَالَهُ عَلَى وَجْهِ الِاخْتِصَامِ، أَيْ لَوْ فَعَلْتُ ذَلِكَ لَخَاصَمُونِي عِنْدَ اللَّهِ، فَيُجَازِيهِمْ عَلَى إِيمَانِهِمْ، وَيُجَازِي مَنْ طَرَدَهُمْ. وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ فِي اسْتِرْذَالِكُمْ لَهُمْ، وَسُؤَالِكُمْ طَرْدَهُمْ".

نعم، طرد الذين آمنوا؛ لضعفهم، وفقرهم، ليس بوارد، بل مجرد الميل إلى الأغنياء دون الفقراء، جاء العتاب عليه، {عَبَسَ وَتَوَلَّى أَن جَاءَهُ الأَعْمَى}[عبس: ١-٢]، قد يقول قائل: إن مصلحة الدعوة مثلًا أن تعتني بفئة دون فئة، وأنه إذا أسلم هذا، أو آمن هذا، أو اهتدى هذا يهتدي

بهدايته آخرون، لكن كلٌّ له نصيبه من الهداية، فلا يقدم أحد، ولا تدري لعل الله سبحانه وتعالى أن ينفع بهذا الذي هو في نظرك أقل مستوى، أقل تأثيرًا في قومه أكثر من ذاك، ما يدريك؟ عليك أن تسعى لهداية البشر والخلق كلهم، «لأن يهدي الله بك رجلًا واحدًا خيرٌ لك من حمر النعم»، ما تقدم أحدًا على أحد تقول: إذا هداه الله نفع الله به، تقدير المصالح في مثل هذا، لله سبحانه وتعالى، وأما طردهم فليس بوارد إطلاقًا، ولا يجوز الإعراض عنهم.

طالب:.....

نعم، لكن ليس على حساب غيره.

طالب:.....

لا لا، لا يجوز أن يهمل الفقير أبدًا، بل له نصيب من الدعوة. ولذا جاء العتاب {عَبَسَ وَتَوَلَّى أَن جَاءَهُ الأَعْمَى}[عبس: ١-٢].

طالب:.....

لا لا، لا يهملون، لكن ليس على حساب غيرهم، لكن لا تدري مستقبلًا هل يكون النفع على يد هذا أو ذاك.

"قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَيَا قَوْمِ مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ} قَالَ الْفَرَّاءُ: أَيْ يَمْنَعُنِي مِنْ عَذَابِهِ. "إِنْ طَرَدْتُهُمْ" أَيْ لِأَجْلِ إِيمَانِهِمْ. {أَفَلَا تَذَّكَّرُونَ} أُدْغِمَتِ التَّاءُ فِي الذَّالِ . وَيَجُوزُ حَذْفُهَا فَتَقُولُ: تَذَكَّرُونَ. قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ} أَخْبَرَ بِتَذَلُّلِهِ وَتَوَاضُعِهِ لِلَّهِ -عَزَّ وَجَلَّ-". وَأَنَّهُ لَا يَدَّعِي مَا لَيْسَ لَهُ مِنْ خَزَائِنِ اللَّهِ؛ وَهِيَ إِنْعَامُهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ؛ وَأَنَّهُ لَا يَعْلَمُ الْغَيْبَ ؛ لِأَنَّ الْغَيْبَ لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ -.

ولا أقول لكم عندي خزائن الله، أستطيع أن أوسع عليكم في أمور دنياكم بشيء لم يرده الله لكم، لا، خزائن الله عنده، وهي ملآى لا تغيضها نفقة، لكن الله يبتلي بالشدة، كما يبتلي بالرخاء، فخزائنه بيده، وأيضًا لا أعلم الغيب؛ لأن الغيب لا يعلمه إلا الله -عز وجل-، غيب لا يعلمه إلا الله -سبحانه وتعالى-.

وبعض أفراد المغيبات قد يطلع الله سبحانه وتعالى بعض البشر من الأنبياء بوحي، فيعرفونه بتعريف الله سبحانه وتعالى إياه، وإلا فالأصل أن غير الله سبحانه وتعالى لا يعلم الغيب، لا يعلم الغيب إلا الله -عز وجل-، فالذين يدعون أن النبي- عليه الصلاة والسلام- يعلم الغيب أو غيره كمن يدعي في الأئمة أنهم يعلمون الغيب، ومن يدعي أن الأولياء يعلمون الغيب، يصرفون الكون، يعرفون حاجات الناس، هذا كله -نسأل الله العافية- من الكفر الأكبر، كفر أعظم، فلا يعلم الغيب إلا الله -سبحانه وتعالى-. ولو كان النبي -عليه الصلاة والسلام- يعلم من الغيب شيئًا لما حبس الناس من أجل العقد الذي هو تحت الراحلة، حبسهم على غير ماء، والعقد تحت

الراحلة، لو كان يعلم الغيب {وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ}[الأعراف:١٨٨]، الله المستعان.

"وَأَنَّهُ لَا يَدَّعِي مَا لَيْسَ لَهُ مِنْ خَزَائِنِ اللَّهِ، وَهِيَ إِنْعَامُهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ؛ وَأَنَّهُ لَا يَعْلَمُ الْغَيْبَ؛ لِأَنَّ الْغَيْبَ لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ -. {وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ} أَيْ لَا أَقُولُ إِنَّ مَنْزِلَتِي عِنْدَ النَّاسِ مَنْزِلَةُ الْمَلَائِكَةِ. وَقَدْ قَالَتِ الْعُلَمَاءُ: الْفَائِدَةُ فِي الْكَلَامِ الدَّلَالَةُ عَلَى أَنَّ الْمَلَائِكَةَ أَفْضَلُ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ؛ لِدَوَامِهِمْ عَلَى الطَّاعَةِ، وَاتِّصَالِ عِبَادَاتِهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ- صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ-. وَقَدْ تَقَدَّمَ هَذَا الْمَعْنَى فِي "الْبَقَرَةِ "."

مسألة المفاضلة بين الأنبياء والبشر مسألة خلافية بين أهل العلم، ولكلٍّ قول أدلته، ولكن المرجح أن الأنبياء أفضل من الملائكة، ومن سواهم من البشر كل على منزلته، فالملائكة باعتبارهم لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، من هذه الحيثية أفضل بلا شك، والبشر باعتبار أنهم ركبت فيهم الغرائز، الملائكة سلبت منهم الغرائز، فلا يعصون، وطاعتهم بمنزلة النفس، أما البشر فركبت فيهم الغرائز، فمن حفظ هذه الغرائز، ولم يعص الله -سبحانه وتعالى- لا شك أنه أفضل من الملائكة، لكن من عصى لا.

فهي مسألة خلافية بين أهل العلم، وأما المفاضلة بين الأنبياء والملائكة، فالأنبياء هم أفضل عند جمهور العلماء.

طالب:.....

نعم.

طالب:.....

لكن لها أدلتها، {وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ}، {مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلاَّ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ} [الأعراف: ٢٠] يعني ترتقيان من مرتبة البشر؛ خشية من ارتقائكما إلى الملائكة، هذه حجة من يفضل الملائكة.

طالب:.....

هي ما لها فائدة عملية لكن الخلاف ينبني على الأدلة، والأدلة موجودة، والاستنباط بابه مفتوح، {لعلمه الذين يستنبطونه منهم}، قد يستنبط من آية حكم لم يستنبطه السابقون، ليس هناك مانع.

"{وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ} أَيْ تَسْتَقِلُّ وَتَحْتَقِرُ أَعْيُنُكُمْ، وَالْأَصْلُ تَزْدَرِيهِمْ حُذِفَتِ الْهَاءُ وَالْمِيمُ لِطُولِ الِاسْمِ. وَالدَّالُ مُبْدَلَةٌ مِنْ تَاءٍ؛ لِأَنَّ الْأَصْلَ فِي تَزْدَرِي تَزْتَرِي".

تذدريه، العائد في الصلة والموصول متى يحذف؟ إن يستطل فالحذف نذرٌ، المقصود أن لطول الصلة حذف العائد، وقد يحذف للعلم به، أو لمراعاة السياق مثلاً، يشرب مما تشربون يعني منه.

"لِأَنَّ الْأَصْلَ فِي تَزْدَرِي تَزْتَرِي".

يعني تاء الافتعال تقلب عند الثقل، ثقل الكلمة.

"وَلَكِنَّ التَّاءَ تُبَدَّلُ بَعْدَ الزَّايِ دَالًا؛ لِأَنَّ الزَّايَ مَجْهُورَةٌ وَالتَّاءُ مَهْمُوسَةٌ، فَأُبْدِلَ مِنَ التَّاءِ حَرْفٌ مَجْهُورٌ مِنْ مَخْرَجِهَا. وَيُقَالُ: أَزْرَيْتُ عَلَيْهِ إِذَا عِبْتُهُ. وَزَرَيْتُ عَلَيْهِ إِذَا حَقَّرْتُهُ".

لكن لو جاء بأي، أزريتُ عليه أي عبتُه، أما إذا جاء بإذا فيفتح.

"وَأَنْشَدَ الْفَرَّاءُ:

يُبَاعِدُهُ الصَّدِيقُ وَتَزْدَرِيهِ حَلِيلَتُهُ وَيَنْهَرُهُ الصَّغِيرُ

لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا أَيْ لَيْسَ لِاحْتِقَارِكُمْ لَهُمْ تَبْطُلُ أُجُورُهُمْ، أَوْ يُنْقَصُ ثَوَابُهُمْ. {اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ} فَيُجَازِيهِمْ عَلَيْهِ، وَيُؤَاخِذُهُمْ بِهِ".

نعم، الله وحده يعلم بما وقر في قلوبهم فيجازيهم عليه، بقدر ما وقر في قلوبهم من الإيمان يعطيهم من الثواب، {اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنفُسِهِمْ} [هود:٣١]، وبقدر ما فيها من شك وارتياب ينالهم العقاب.

"{إِنِّي إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ} أَيْ إِنْ قُلْتُ هَذَا الَّذِي تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ. وَ "إِذًا " مُلْغَاةٌ؛ لِأَنَّهَا مُتَوَسِّطَةٌ".

ملغاة؛ يعني من حيث العمل، لو قال: "إني لمن الظالمين" يختلف الكلام؟ فإذًا {إِنِّي إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ} يقول: لأنها متوسطة، لو تقدمت {إِنِّي إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ}؟ إذًا أنها ملغاة؛ لأنها متوسطة.

طالب:.....

كيف؟

طالب:.....

إذًا يقول: ملغاة؛ لأنها متوسطة، لو تقدمت إذًا إِنِّي لَمِنَ الظَّالِمِينَ؟

طالب:.....

الآن اللام في "لمن" خبر إن أو في جواب القسم؟

طالب:.....

إذا اجتمع شرط وقسم فالجواب للسابق منهما ويلغى الثاني، أليس من هذا، فكأن الجملة في جواب شرط مقدر "والله إني لمن الظالمين، فتلغى إذًا حينئذٍ، إذا اجتمع شرط وقسم فالجواب للسابق، ويلغى الثاني، ولذا قال: إنها ملغاة؛ لأنها متوسطة، يعني متأخرة عن القسم بين القسم وجوابه.

"قَوْلُهُ تَعَالَى: {قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا} أَيْ خَاصَمْتَنَا فَأَكْثَرْتَ خُصُومَتَنَا وَبَالَغْتَ فِيهَا. وَالْجَدَلُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ الْمُبَالَغَةُ فِي الْخُصُومَةِ، مُشْتَقٌّ مِنَ الْجَدْلِ وَهُوَ شِدَّةُ الفتل".

الفتل.

طالب:.....

نعم الفتل.

طالب:.....

ماذا؟

طالب:.....

الفتل معروف.

طالب:.....

"وهو شدة الْفَتْلِ، وَيُقَالُ لِلصَّقْرِ أَيْضًا أَجْدَلُ لِشِدَّتِهِ فِي الطَّيْرِ؛ وَقَدْ مَضَى هَذَا الْمَعْنَى فِي "الْأَنْعَامِ" بِأَشْبَعَ مِنْ هَذَا. وَقَرَأَ ابْنُ عَبَّاسٍ: "فَأَكْثَرْتَ جَدَلَنَا" ذَكَرَهُ النَّحَّاسُ. وَالْجَدَلُ فِي الدِّينِ مَحْمُودٌ؛ وَلِهَذَا جَادَلَ نُوحٌ وَالْأَنْبِيَاءُ قَوْمَهُمْ حَتَّى يَظْهَرَ الْحَقُّ، فَمَنْ قَبِلَهُ أَنْجَحَ وَأَفْلَحَ، وَمَنْ رَدَّهُ خَابَ وَخَسِرَ. وَأَمَّا الْجِدَالُ لِغَيْرِ الْحَقِّ حَتَّى يَظْهَرَ الْبَاطِلُ فِي صُورَةِ الْحَقِّ فَمَذْمُومٌ، وَصَاحِبُهُ فِي الدَّارَيْنِ مَلُومٌ".

الجدال، إن كان من أجل الحق وإعلائه فهو ممدوح، وإن كان لرفع الباطل وإزهاق الحق فهو مذموم، كما البيان، إن من البيان لسحرًا، يحتمل المدح، ويحتمل الذم، إن كان استخدام هذا البيان لنصر الحق، وإظهارها فهو ممدوح، وإن كان على الضد من ذلك فهو مذموم.

طالب:.....

نعم.

طالب:.....

مثل هذا الجدال في الأمور العادية التي لا يترتب عليها نصر الحق، ولا رفع باطل، يعني جدال حضر فلان، ما حضر فلان، ما ترتفع شيئًا حضر أو ما حضر.

طالب:.....

على حسب ما يترتب عليه من المصالح، إذا كان الإنسان على ثقة من نفسه، ومعرفة ما طلب منه، بحيث لا يهضم الحق بسببه، ويعرف من طالب الجدال أنه يريد الحق، أما من لا يريد الحق فهذا لا يدخل معه في شيء، إن كان قصده مجرد إظهار نفسه، وإظهار بدعته، ونحلته، على أن الجدال ينبغي أن لا يكون علنًا، ينبغي أن لا يكون معلنًا؛ لأنه إذا أعلن لا يعدم أن يوجد من يتأثر بهذا الجدال ولو من بعد، يتأثر بقول المبطل، ولو من بعد.

على كل حال على حسب الآثار المترتبة عليه، إذا قدر أن شخصًا صاحب باطل طلب أن يناظر أهل الحق، وكلهم رفضوا ذلك، ترتب عليه أن الناس يقولون: إنه على حق، مثل هذا تجب مجادلته؛ دفعًا لشره، لكن هي تتعين على من يستطيع ذلك، بحيث لو وجد شخص تبرع بالجدال، وهو أقل من المستوى المطلوب، بحيث تظهر حجة الخاصم عليه مثل هذا يضر أكثر مما ينفع، فيبحث عن الشخص المناسب، وينظر في الآثار المترتبة على الجدال.

"{فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا} أَيْ مِنَ الْعَذَابِ، {إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ} فِي قَوْلِكَ، قَوْلُهُ تَعَالَى: {قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ} أَيْ إِنْ أَرَادَ إِهْلَاكَكُمْ عَذَّبَكُمْ، {وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ} أَيْ بِفَائِتِينَ. وَقِيلَ: بِغَالِبِينَ بِكَثْرَتِكُمْ؛ لِأَنَّهُمْ أُعْجِبُوا بِذَلِكَ؛ كَانُوا مَلَئُوا الْأَرْضَ سَهْلًا وَجَبَلًا عَلَى مَا يَأْتِي.

قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي} أَيْ إِبْلَاغِي وَاجْتِهَادِي فِي إِيمَانِكُمْ، {إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ} أَيْ لِأَنَّكُمْ لَا تَقْبَلُونَ نُصْحًا؛ وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي "بَرَاءَةٌ " مَعْنَى النُّصْحِ لُغَةً".

النصح والنصيحة من قولهم: نصح الخياط الثوب، القصار الثوب، إذا نظفه وأزال ما عليه، إذا نصحت العسل خلصته من الشوائب إذا خلصته من الشوائب، فالنصيحة معناها حيازة الحظ للمنصوح، بإزالة ما علق بذهنه من هذه الشوائب، كما ينصح العسل، وكما ينظف الثوب من الأوساخ، وهي كلمة جامعة لخير الدنيا والآخرة.

"{إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ} أَيْ يُضِلَّكُمْ. وَهَذَا مِمَّا يَدُلُّ عَلَى بُطْلَانِ مَذْهَبِ الْمُعْتَزِلَةِ وَالْقَدَرِيَّةِ وَمَنْ وَافَقَهُمَا؛ إِذْ زَعَمُوا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يُرِيدُ أَنْ يَعْصِيَ الْعَاصِي، وَلَا يَكْفُرَ الْكَافِرُ، وَلَا يَغْوِيَ الْغَاوِي؛ وَأَنْ يَفْعَلَ ذَلِكَ، وَاللَّهُ لَا يُرِيدُ ذَلِكَ؛ فَرَدَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ بِقَوْلِهِ: {إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ}".

تعالى الله عما يقولون علوًا كبيرًا، تعالى الله على أن يكون في ملكه ما لا يريده، فالله سبحانه وتعالى مريد، {فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ}[هود:١٠٧]، أراد من المؤمن أن يؤمن، وأراد من الكافر أن يكفر، لما علمه الله سبحانه وتعالى في طبعه وجبلته من أنه لا يؤمن، وأعطاه الله سبحانه وتعالى من حرية الاختيار ما يختار به أحد الطريقين، وليس بمجبور، فيه اختيار، وله حرية وله اختيار، وله مشيئة، لكنها تابعة لإرادة الله سبحانه وتعالى ومشيئته، فإرادة الله سبحانه وتعالى هي الغالبة، وهي فوق كل شيء، ومشيئته نافذة، وليس العبد مجبورًا، ولا شك أن مثل هذه المسائل من مضائق الأنظار، ومن عضل المسائل، وأشكلت على كثير من الناس، حتى صاروا فيها على طرفي نقيض، فمنهم من يزعم أن العبد لا إرادة له ولا مشيئة، وحركته كحركة ورق الشجر في مهب الريح، ومنهم من هو على النقيض من ذلك، فقال: العبد يتصرف، وإرادته مستقلة، وتوسط أهل السنة والجماعة فقالوا: له إرادة ومشيئة، لكنها خاضعة لإرادة الله سبحانه وتعالى، {وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى} [الأنفال:١٧]، هذا يستدل به من يقول إيش؟

بالجبر {وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى} الله سبحانه وتعالى أثبت له الرمي، والمقصود ما أصبت إذ حذفت؛ لأن الرمي منسوب إليه، لكن الإصابة إلى الله سبحانه وتعالى، ولكن الله أصاب، فالرمي منسوب للعبد، والإصابة إلى الله سبحانه وتعالى. فله قدرة، وله حرية، وله مشيئة، وله إرادة، لكنها ليست مستقلة، هي تابعة لإرادة الله سبحانه وتعالى ومشيئته، والله سبحانه وتعالى قضى عليه وحكم عليه بما يعرفه من طبعه.

"وَقَدْ مَضَى هَذَا الْمَعْنَى فِي "الْفَاتِحَةِ" وَغَيْرِهَا. وَقَدْ أَكْذَبُوا شَيْخَهُمُ اللَّعِينَ إِبْلِيسَ عَلَى مَا بَيَّنَّاهُ".

في الفاتحة حينما نسب الضلال إلى اليهود {غير المغضوب عليهم وَلا الضَّالِّينَ}[الفاتحة:٧] نسبه إليهم، وهو من فعل الله سبحانه وتعالى، تابعٌ لإرادته ومشيئته.

"وَقَدْ أَكْذَبُوا شَيْخَهُمُ اللَّعِينَ إِبْلِيسَ عَلَى مَا بَيَّنَّاهُ فِي الْأَعْرَافِ" فِي إِغْوَاءِ اللَّهِ تَعَالَى إِيَّاهُ حَيْثُ قَالَ: {فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي}".

يقولون: كذب إبليس، ما أغواه الله سبحانه وتعالى، لكنه غوى، لكن إذا تسنى لهم تكذيب إبليس فكيف يكذبون نوح؟ {إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ} [هود:٣٤] يعني إذا قبل منهم تكذيب إبليس، وهو أهل للكذب، مع أن الله سبحانه وتعالى ساق كلامه يعني مقررًا له {فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي}، فالإغواء من الله سبحانه وتعالى ،هو غوي بإغواء الله سبحانه وتعالى إياه، هنا في قول نوح: {إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ}، يعني لهم شبهة في تكذيب إبليس؛ لأنه كذوب، الشيطان كذوب، لكن أنى لهم، وأين المحيص من قول نوح -عليه السلام-: {إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ}؟

"وَلَا مَحِيصَ لَهُمْ عَنْ قَوْلِ نُوحٍ -عَلَيْهِ السَّلَامُ-: {إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ}، فَأَضَافَ إِغْوَاءَهُمْ إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ إِذْ هُوَ الْهَادِي وَالْمُضِلُّ؛ سُبْحَانَهُ عَمَّا يَقُولُ الْجَاحِدُونَ وَالظَّالِمُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا. وَقِيلَ: أَنْ يُغْوِيَكُمْ يُهْلِكَكُمْ؛ لِأَنَّ الْإِضْلَالَ يُفْضِي إِلَى الْهَلَاكِ. قاله الطَّبَرِيُّ".

لا، الطبري فيما يأتي، قيل: انتهى إلى الهلاك. قال الطبري...

" قال الطبري: "يُغْوِيَكُمْ" يُهْلِكَكُمْ بِعَذَابِهِ؛ حُكِيَ عَنْ طَيِّئٍ: أَصْبَحَ فُلَانٌ غَاوِيًا أَيْ مَرِيضًا، وَأَغْوَيْتُهُ أَهْلَكْتُهُ؛ وَمِنْهُ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا. {هُوَ رَبُّكُمْ} فَإِلَيْهِ الْإِغْوَاءُ، وَإِلَيْهِ الْهِدَايَةُ {وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} تَهْدِيدٌ وَوَعِيدٌ".

على كلّ تفسير الطبري وما جاء بعده تفسير باللازم، الإغواء شيء يترتب عليه الهلاك، وليس هو عين الهلاك؛ إذ هو سبب الهلاك.

"قَوْلُهُ تَعَالَى: {أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ} يَعْنُونَ النَّبِيَّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-. افْتَرَى افْتَعَلَ؛ أَيِ اخْتَلَقَ الْقُرْآنَ مِنْ قِبَلِ نَفْسِهِ، وَمَا أَخْبَرَ بِهِ عَنْ نُوحٍ وَقَوْمِهِ؛ قَالَه مُقَاتِل، وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: هُوَ مِنْ مُحَاوَرَةِ نُوحٍ لِقَوْمِهِ، وَهُوَ أَظْهَرُ".

لأن السياق واحد، ولم يأت للنبي – عليه الصلاة والسلام- ذكر، فالسياق واحد.

"وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: هُوَ مِنْ مُحَاوَرَةِ نُوحٍ لِقَوْمِهِ وَهُوَ أَظْهَرُ؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ إِلَّا ذِكْرُ نُوحٍ وَقَوْمِهِ؛ فَالْخِطَابُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ. {قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ} أَيِ اخْتَلَقْتُهُ وَافْتَعَلْتُهُ، يَعْنِي الْوَحْيَ وَالرِّسَالَةَ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي أَيْ عِقَابُ إِجْرَامِي، وَإِنْ كُنْتُ مُحِقًّا فِيمَا أَقُولُهُ فَعَلَيْكُمْ عِقَابُ تَكْذِيبِي. وَالْإِجْرَامُ مَصْدَرُ أَجْرَمَ، وَهُوَ اقْتِرَافُ السَّيِّئَةِ. وَقِيلَ الْمَعْنَى: أَيْ جَزَاءُ جُرْمِي وَكَسْبِي. وَجَرَمَ وَأَجْرَمَ بِمَعْنًى، عَنِ النَّحَّاسِ وَغَيْرِهِ قَالَ:

طَرِيدُ عَشِيرَةٍ وَرَهِينُ جُرْمٍ بِمَا جَرَمَتْ يَدِي وَجَنَى لِسَانِي

وَمَنْ قَرَأَ "أَجْرَامِي" بِفَتْحِ الْهَمْزَةِ ذَهَبَ إِلَى أَنَّهُ جَمْعُ جُرْمَ، وَذَكَرَهُ النَّحَّاسُ أَيْضًا، {وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تُجْرِمُونَ} أَيْ مِنَ الْكُفْرِ وَالتَّكْذِيبِ".

يعني مما تكتسبون مما تجنيه أيديكم وتكتسبه جوارحكم.

"قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَأُوحِيَ إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ} "أَنَّهُ" فِي مَوْضِعِ رَفْعٍ عَلَى أَنَّهُ اسْمُ مَا لَمْ يُسَمَّ فَاعِلُهُ".

أوحي أنه، الجملة أن وما دخلت عليه في تأويل مصدر نائب فاعل، أوحي إلى نوح عدم إيمان قومه، المصدر المنسبك من أن وما دخلت عليه في محل رفع نائب فاعل.

"وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ فِي مَوْضِعِ نَصْبٍ، وَيَكُونُ التَّقْدِيرُ: بِ" أَنَّهُ". وَ" آمَنَ" فِي مَوْضِعِ نَصْبٍ بِ "يُؤْمِنُ" وَمَعْنَى الْكَلَامِ الْإِيَاسُ مِنْ إِيمَانِهِمْ، وَاسْتِدَامَةُ كُفْرِهِمْ، تَحْقِيقًا لِنُزُولِ الْوَعِيدِ بِهِمْ. قَالَ الضَّحَّاكُ : فَدَعَا عَلَيْهِمْ لَمَّا أُخْبِرَ بِهَذَا فَقَالَ: {رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا}".

يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ فِي مَوْضِعِ نَصْبٍ، وَيَكُونُ التَّقْدِيرُ: بِ" أَنَّهُ". كيف يكون في موضع نصب، ويكون التقدير بأنه؟

طالب:.....

ماذا؟

طالب:.....

يعني على نزع الخافض.

إذًا ما نائب الفاعل؟

طالب:.....

الذي هو إيش؟

طالب:.....

على نوح، وإذا قلنا: إن الخافض مقدر بأنه، وقلنا إلى نوح جار ومجرور، وبأنه جار ومجرور ما صار الثاني أولى من الأول بالنيابة عن الفاعل، يكون أولى منه إذا لم يكن شبه جملة، جار ومجرور أو ظرف، وهما مستويان إذا قدرنا بأن، من هذه الحيثية قال: وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ فِي مَوْضِعِ نَصْبٍ، وَيَكُونُ التَّقْدِيرُ: بِ" أَنَّهُ"، وإذا دخل عليه الجار صار هو وقوله: إلى نوح على حد سواء، مع أن المتقدم أولى بالنيابة عن الفاعل من المتأخر.

"وَقِيلَ: إِنَّ رَجُلًا مِنْ قَوْمِ نُوحٍ حَمَلَ ابْنَهُ عَلَى كَتِفِهِ، فَلَمَّا رَأَى الصَّبِيُّ نُوحًا قَالَ لِأَبِيهِ: أَعْطِنِي حَجَرًا؛ فَأَعْطَاهُ حَجَرًا ، وَرَمَى بِهِ نُوحًا -عَلَيْهِ السَّلَامُ- فَأَدْمَاهُ؛ فَأَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْهِ {أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ}.

{فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ} أَيْ فَلَا تَغْتَمَّ بِهَلَاكِهِمْ حَتَّى تَكُونَ بَائِسًا؛ أَيْ حَزِينًا. وَالْبُؤْسُ الْحُزْنُ، وَمِنْهُ قَوْلُ الشَّاعِرِ:

وَكَمْ مِنْ خَلِيلٍ أَوْ حَمِيمٍ رُزِئْتُهُ فَلَمْ أَبْتَئِسْ وَالرُّزْءُ فِيهِ جَلِيلٌ"

على كلٍّ ثبتت هذه القصة أو لم تثبت، يعني هي من المتقدمين، فنوح لما دعا قومه ألف سنة إلا خمسين عامًا، لما صار على يأس تام من إيمانهم، أخبر {أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ}، فإما أن تستمر معهم إلى دعوتهم، أو تدعو عليهم، كل نبي له دعوة مستجابة، دعا عليهم، لما أيس منهم {وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لا تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا}[نوح:٢٦]، والنبي – عليه الصلاة والسلام– ادخر دعوته لأمته يوم القيامة.

"يُقَالُ: ابْتَأَسَ الرَّجُلُ إِذَا بَلَغَهُ شَيْءٌ يَكْرَهُهُ. وَالِابْتِئَاسُ حُزْنٌ فِي اسْتِكَانَةٍ. قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا} أَيِ اعْمَلِ السَّفِينَةَ لِتَرْكَبَهَا أَنْتَ وَمَنْ آمَنَ مَعَكَ. {بِأَعْيُنِنَا} أَيْ بِمَرْأًى مِنَّا وَحَيْثُ نَرَاكَ. وَقَالَ الرَّبِيعُ بْنُ أَنَسٍ: بِحِفْظِنَا إِيَّاكَ حِفْظَ مَنْ يَرَاكَ. وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ– رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا–: بِحِرَاسَتِنَا؛ وَالْمَعْنَى وَاحِدٌ؛ فَعَبَّرَ عَنِ الرُّؤْيَةِ بِالْأَعْيُنِ؛ لِأَنَّ الرُّؤْيَةَ تَكُونُ بِهَا. وَيَكُونُ جَمْعُ الْأَعْيُنِ لِلْعَظَمَةِ لَا لِلتَّكْثِيرِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: {فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ} {فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ} {وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ}.

وَقَدْ يَرْجِعُ مَعْنَى الْأَعْيُنِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ وَغَيْرِهَا إِلَى مَعْنَى عَيْنٍ؛ كَمَا قَالَ: {وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي} وَذَلِكَ كُلُّهُ عِبَارَةٌ عَنِ الْإِدْرَاكِ وَالْإِحَاطَةِ، وَهُوَ سُبْحَانَهُ مُنَزَّهٌ عَنِ الْحَوَاسِّ وَالتَّشْبِيهِ وَالتَّكْيِيفِ؛ لَا رَبَّ غَيْرَهُ.

وَقِيلَ: الْمَعْنَى بِأَعْيُنِنَا أَيْ بِأَعْيُنِ مَلَائِكَتِنَا الَّذِينَ جَعَلْنَاهُمْ عُيُونًا عَلَى حِفْظِكَ وَمَعُونَتِكَ؛ فَيَكُونُ الْجَمْعُ عَلَى هَذَا التَّكْثِيرِ عَلَى بَابِهِ. وَقِيلَ: "بِأَعْيُنِنَا" أَيْ بِعِلْمِنَا؛ قَالَهُ مُقَاتِلٌ، وَقَالَ الضَّحَّاكُ وَسُفْيَانُ: "بِأَعْيُنِنَا" بِأَمْرِنَا. وَقِيلَ: بِوَحْيِنَا. وَقِيلَ: بِمَعُونَتِنَا لَكَ عَلَى صُنْعِهَا." وَوَحْيِنَا " أَيْ عَلَى مَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنْ صَنْعَتِهَا. وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا {إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ} أَيْ لَا تَطْلُبْ إِمْهَالَهُمْ فَإِنِّي مُغْرِقُهُمْ".

{وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا} بأعيننا يعني بمرأى منا، وحيث نراك، هذا لازم إثبات البصر الرؤية، والله سبحانه وتعالى يسمع ويبصر، سميع بصير، وليس بأعور، كما جاء في وصف الدجال، فإثبات العين لله سبحانه وتعالى كإثبات اليد وغيرها من الصفات الثابتة له بالكتاب والسنة.

على كلٍّ الذي جعلهم يرتكبون مثل هذا أنه جاء بصيغة الجمع، يعني كما جاء في قوله تعالى: {وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ} [الذاريات:٤٧]، قالوا: بقوة، ولو أراد اليد الحقيقية لما جمع. وعلى كل حال الجمع والمفرد قد يعتريه التأويل، لكن التثنية بيديه لا يمكن أن يعتريها التأويل، فإذا ساغ لهم أن يؤول ما جاء بصيغة الجمع فلا يتسنى لهم أن يؤولوا ما جاء بلفظ المثنى، وعلى كل حال إثبات العين لله سبحانه وتعالى لا إشكال فيه، ومن لازم إثبات العين وإثبات البصر المرأى والإحاطة

والحفظ، ولذا قال: {بِأَعْيُنِنَا} أَيْ بِمَرْأًى مِنَّا وَحَيْثُ نَرَاكَ، وَقَالَ الرَّبِيعُ بْنُ أَنَسٍ: بِحِفْظِنَا إِيَّاكَ حِفْظَ مَنْ يَرَاكَ، والله سبحانه وتعالى يرى، ويحيط بالمرء، لكن لا يحاط به. ويُرى يوم القيامة ولا يُرى في الدنيا، بخلاف رؤية النبي -عليه الصلاة والسلام- لربه، الخلاف بين الصحابة كما هو معروف، ولذا جاء في الحديث الصحيح: «نور أنا أراه» «حجابه من نور- وفي رواية- من نار، لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ».

المقصود أن له بصرًا، وله سمعًا، على ما يليق بجلاله وعظمته، على ضوء ما جاء في النصوص فيلزم إثبات ما أثبته الله سبحانه وتعالى لنفسه، وما أثبته له رسوله على ما يليق بجلاله، ويكون جُمِع للعظمة لا للتكثير، كما قال تعالى: {فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ}، {فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ} {وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ}، وعلى كل حال هو عظيم، فيعبر عن نفسه بما شاء، والعرب تؤكد فعل الواحد بضمير الجمع، كما نقله البخاري وغيره.

المقصود أن إثبات الصفات أمر متقرر، عند أهل السنة والجماعة، خلافًا لما تقول به الطوائف المبتدعة كالجهمية والمعتزلة والأشعرية وغيرهم، والمؤلف في هذا الباب غالبًا ما ينحو منحى الأشعرية، والله المستعان.

طالب:.....

هذه طريقته، التنزه عن الحواس والجوارح هذه طريقة الأشعرية.

طالب:.....

أين؟

طالب:.....

يعنون بأمرنا.

طالب:.....

على كلٍّ إذا نقل التأويل باللازم عن شخص عرف عنه الإثبات، وسلوك مسلك السلف فما فيه إشكال، لكن إذا نقل اللازم عن شخص لا يثبت صار تأويلاً وفرارًا من إثبات الصفات، يعني لو قال النووي مثلاً: والذي نفسي بيديه: روحي في تصرفه، قلنا: فر من إثبات اليد، لكن لما يقولها شيخ الإسلام وابن القيم، ما نقول: فر من إثبات اليد، فما أحد يقول إن روح الناس ليست في تصرف الله -عز وجل-، فنعتني بهذا وننتبه له.

طالب:.....

نعم.

طالب:.....

{فثم وجه الله} هذه آية صفات أم جهة؟

طالب:.....

نعم، يعني ليست من آيات الصفات، والمعول عليه كلام السلف، ونحن ندور معهم حيث داروا؛ لأنهم فهموا عن الله سبحانه مراده أكثر من غيرهم، فهم الذين بهم يقتدى وبأثرهم يهتدى، وعرفوا النصوص بفهمها، ولذا أولوا المعية بالعلم، بل اتفقوا على ذلك، ولو لم يردنا عن السلف تأويلهم للمعية بالعلم ما استطعنا تأويلها بالعلم، ولقلنا: إن تأويل المعية بالعلم مثل تأويل اليد بالقدرة، ما الفرق؟

لكن هم المعول على فهمهم، فما جاءنا منهم فهو على العين والرأس.

طالب:.....

لا، ما له وجه.

"قولُهُ تَعَالَى: {وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ} أَيْ وَطَفِقَ يَصْنَعُ. قَالَ زَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ: مَكَثَ نُوحٌ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مِائَةَ سَنَةٍ يَغْرِسُ الشَّجَرَ وَيَقْطَعُهَا وَيُيَبِّسُهَا، وَمِائَةَ سَنَةٍ يَعْمَلُهَا. وَرَوَى ابْنُ الْقَاسِمِ عَنِ ابْنِ أَشْرَسَ عَنْ مَالِكٍ قَالَ: بَلَغَنِي أَنَّ قَوْمَ نُوحٍ مَلَئُوا الْأَرْضَ، حَتَّى مَلَئُوا السَّهْلَ وَالْجَبَلَ، فَمَا يَسْتَطِيعُ هَؤُلَاءِ أَنْ يَنْزِلُوا إِلَى هَؤُلَاءِ، وَلَا هَؤُلَاءِ أَنْ يَصْعَدُوا إِلَى هَؤُلَاءِ فَمَكَثَ نُوحٌ يَغْرِسُ الشَّجَرَ مِائَةَ عَامٍ لِعَمَلِ السَّفِينَةِ".

يعني تصور أن عمر الواحد منهم ألف سنة، ألفا سنة، ألف وخمسمائة سنة، يعني ولادات دون موت، فيريدون السهل والوعر، يعني الموت بطيء، والولادة كثيرة.

طالب:.....

كيف؟

طالب:.....

ولو كانت. في الألوف المؤلفة من السنين يملؤون السهل والوعر. فمثلاً شخص عنده تجارة مصروفه أكبر من دخله، فيكثر ماله، والعكس بالعكس.

"فَمَكَثَ نُوحٌ يَغْرِسُ الشَّجَرَ مِائَةَ عَامٍ لِعَمَلِ السَّفِينَةِ، ثُمَّ جَمَعَهَا يُيَبِّسُهَا مِائَةَ عَامٍ، وَقَوْمُهُ يَسْخَرُونَ؛ وَذَلِكَ لِمَا رَأَوْهُ يَصْنَعُ مِنْ ذَلِكَ، حَتَّى كَانَ مِنْ قَضَاءِ اللَّهِ فِيهِمْ مَا كَانَ.

وَرُوِيَ عَنْ عَمْرِو بْنِ الْحَارِثِ قَالَ: عَمِلَ نُوحٌ سَفِينَتَهُ بِبِقَاعِ دِمَشْقَ، وَقَطَعَ خَشَبَهَا مِنْ جَبَلِ لُبْنَانَ. وَقَالَ الْقَاضِي أَبُو بَكْرِ بْنُ الْعَرَبِيِّ: لَمَّا اسْتَنْقَذَ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مَنْ فِي الْأَصْلَابِ وَالْأَرْحَامِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ {أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ فَاصْنَعِ الْفُلْكَ} قَالَ: يَا رَبِّ مَا أَنَا بِنَجَّارٍ، قَالَ: بَلَى، فَإِنَّ ذَلِكَ بِعَيْنِي، فَأَخَذَ الْقَدُومَ فَجَعَلَهُ بِيَدِهِ، وَجَعَلَتْ يَدَهُ لَا تُخْطِئُ، فَجَعَلُوا يَمُرُّونَ بِهِ وَيَقُولُونَ: هَذَا الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ صَارَ نَجَّارًا؛ فَعَمِلَهَا فِي أَرْبَعِينَ سَنَةً.

وَحَكَى الثَّعْلَبِيُّ وَأَبُو نَصْرٍ الْقُشَيْرِيُّ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: اتَّخَذَ نُوحٌ السَّفِينَةَ فِي سَنَتَيْنِ. زَادَ الثَّعْلَبِيُّ: وَذَلِكَ لِأَنَّهُ لَمْ يَعْلَمْ كَيْفَ صَنْعَةُ الْفُلْكِ، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعْهَا كَجُؤْجُؤِ الطَّائِرِ. وَقَالَ كَعْبٌ: بَنَاهَا فِي ثَلَاثِينَ سَنَةً، وَاللَّهُ أَعْلَمُ".

ولا سبيل إلى العلم في مقدار المدة التي مكثها يصنع السفينة، والأقوال متباينة، مائتي سنة أو سنتين، فالفرق كبير، أربعون سنة، مائة سنة، لا سبيل إلى العلم؛ لأنه لا نص صحيح يفسر ذلك، ولا حاجة لنا للعلم به، ولو كان مما يحتاج إليه لما سكت الله عنه، لبينه، لكن لما لم يبينه عرفنا أنه لا حاجة لنا به.

المقصود أنه صنع السفينة، وحمل فيها من أراد الله نجاته، فسواء صنعها في يومين، في سنتين، في قرنين، سيان.

"قال الْمَهْدَوِيُّ: وَجَاءَ فِي الْخَبَرِ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ كَانَتْ تُعَلِّمُهُ كَيْفَ يَصْنَعُهَا. وَاخْتَلَفُوا فِي طُولِهَا وَعَرْضِهَا؛ فَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا-: كَانَ طُولُهَا ثَلَاثَمِائَةِ ذِرَاعٍ، وَعَرْضُهَا خَمْسُونَ، وَسُمْكُهَا ثَلَاثُونَ ذِرَاعًا؛ وَكَانَتْ مِنْ خَشَبِ السَّاجِ. وَكَذَا قَالَ الْكَلْبِيُّ وَقَتَادَةُ وَعِكْرِمَةُ: كَانَ طُولُهَا ثَلَاثَمِائَةِ ذِرَاعٍ، وَالذِّرَاعُ إِلَى الْمَنْكِبِ. قَالَهُ سَلْمَانُ الْفَارِسِيُّ. وَقَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ: إِنَّ طُولَ السَّفِينَةِ أَلْفُ ذِرَاعٍ وَمِائَتَا ذِرَاعٍ، وَعَرْضُهَا سِتُّمِائَةِ ذِرَاعٍ. وَحَكَاهُ الثَّعْلَبِيُّ فِي كِتَابِ الْعَرَائِسِ.

وَرَوَى عَلِيُّ بْنُ زَيْدٍ عَنْ يُوسُفَ بْنِ مِهْرَانَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ الْحَوَارِيُّونَ لِعِيسَى -عَلَيْهِ السَّلَامُ-: لَوْ بعث".

لو بعثت، بدليل رجل.

"بَعَثْتَ لَنَا رَجُلًا شَهِدَ السَّفِينَةَ يُحَدِّثُنَا عَنْهَا، فَانْطَلَقَ بِهِمْ حَتَّى انْتَهَى إِلَى كَثِيبٍ مِنْ تُرَابٍ فَأَخَذَ كَفًّا مِنْ ذَلِكَ التُّرَابِ، قَالَ أَتَدْرُونَ مَا هَذَا؟ قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: هَذَا كَعْبُ حَامِ بْنِ نُوحٍ، قَالَ: فَضَرَبَ الْكَثِيبَ بِعَصَاهُ وَقَالَ: قُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ، فَإِذَا هُوَ قَائِمٌ يَنْفُضُ التُّرَابَ مِنْ رَأْسِهِ، وَقَدْ شَابَ، فَقَالَ لَهُ عِيسَى: أَهَكَذَا هَلَكْتَ؟ قَالَ: لَا بَلْ مُتُّ وَأَنَا شَابٌّ؛ وَلَكِنَّنِي ظَنَنْتُ أَنَّهَا السَّاعَةُ فَمِنْ ثَمَّ شِبْتُ. قَالَ: أَخْبِرْنَا عَنْ سَفِينَةِ نُوحٍ؟ قَالَ: كَانَ طُولُهَا أَلْفَ ذِرَاعٍ وَمِائَتَيْ ذِرَاعٍ، وَعَرْضُهَا سِتُّمِائَةِ ذِرَاعٍ، وَكَانَتْ ثَلَاثُ طَبَقَاتٍ: طَبَقَةٌ فِيهَا الدَّوَابُّ وَالْوَحْشُ، وَطَبَقَةٌ فِيهَا الْإِنْسُ، وَطَبَقَةٌ فِيهَا الطَّيْرُ. وَذَكَرَ بَاقِيَ الْخَبَرِ عَلَى مَا يَأْتِي ذِكْرُهُ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى".

وما يروى ويذكر عن بني إسرائيل لا يلزم تصديقه ولا تكذيبه.

طالب:.....

نعم؟

طالب:.....

عمن؟

طالب:.....

يروي إسرائيليات نعم، أبو هريرة وعبد الله بن عمرو بن العاص، يروي.

طالب:.....

معروف، المقصود أن الخبر فيه ما فيه، فيه نكارة.

"وَقَالَ الْكَلْبِيُّ فِيمَا حَكَاهُ النَّقَّاشُ: وَدَخَلَ الْمَاءُ فِيهَا أَرْبَعَةَ أَذْرُعٍ، وَكَانَ لَهَا ثَلَاثَةُ أَبْوَابٍ؛ بَابٌ فِيهِ السِّبَاعُ وَالطَّيْرُ، وَبَابٌ فِيهِ الْوَحْشُ، وَبَابٌ فِيهِ الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ. ابْنُ عَبَّاسٍ جَعَلَهَا ثَلَاثَ بُطُونٍ؛ الْبَطْنُ الْأَسْفَلُ لِلْوُحُوشِ وَالسِّبَاعِ وَالدَّوَابِّ، وَالْأَوْسَطُ لِلطَّعَامِ وَالشَّرَابِ، وَرَكِبَ هُوَ فِي الْبَطْنِ الْأَعْلَى، وَحَمَلَ مَعَهُ جَسَدَ آدَمَ -عَلَيْهِ السَّلَامُ- مُعْتَرِضًا بَيْنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ، ثُمَّ دَفَنَهُ بَعْدُ بِبَيْتِ الْمَقْدِسِ؛ وَكَانَ إِبْلِيسُ مَعَهُمْ فِي الْكَوْثَلِ".

يعني مؤخر السفينة.

"وَقِيلَ: جَاءَتِ الْحَيَّةُ وَالْعَقْرَبُ لِدُخُولِ السَّفِينَةِ فَقَالَ نُوحٌ: لَا أَحْمِلُكُمَا؛ لِأَنَّكُمَا سَبَبُ الضَّرَرِ وَالْبَلَاءِ، فَقَالَتَا: احْمِلْنَا فَنَحْنُ نَضْمَنُ لَكَ أَلَّا نَضُرَّ أَحَدًا ذَكَرَكَ؛ فَمَنْ قَرَأَ حِينَ يَخَافُ مَضَرَّتَهُمَا سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ لَمْ تَضُرَّاهُ؛ ذَكَرَهُ الْقُشَيْرِيُّ وَغَيْرُهُ. وَذَكَرَ الْحَافِظُ ابْنُ عَسَاكِرَ فِي التَّارِيخِ لَهُ مَرْفُوعًا مِنْ حَدِيثِ أَبِي أُمَامَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «مَنْ قَالَ حِينَ يُمْسِي: صَلَّى اللَّهُ عَلَى نُوحٍ، وَعَلَى نُوحٍ السَّلَامُ لَمْ تَلْدَغْهُ عَقْرَبٌ تِلْكَ اللَّيْلَةَ».

قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَكُلَّمَا} ظَرْفٌ. مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ الْأَخْفَشُ وَالْكِسَائِيُّ يُقَالُ: سَخِرْتُ بِهِ وَمِنْهُ. وَفِي سُخْرِيَتِهِمْ مِنْهُ قَوْلَانِ: أَحَدُهُمَا: أَنَّهُمْ كَانُوا يَرَوْنَهُ يَبْنِي سَفِينَتَهُ فِي الْبَرِّ، فَيَسْخَرُونَ بِهِ وَيَسْتَهْزِئُونَ وَيَقُولُونَ: يَا نُوحُ صِرْتَ بَعْدَ النُّبُوَّةِ نَجَّارًا. الثَّانِي: لَمَّا رَأَوْهُ يَبْنِي السَّفِينَةَ وَلَمْ يُشَاهِدُوا قَبْلَهَا سَفِينَةً بُنِيَتْ قَالُوا: يَا نُوحُ مَا تَصْنَعُ؟ قَالَ: أَبْنِي بَيْتًا يَمْشِي عَلَى الْمَاءِ؛ فَعَجِبُوا مِنْ قَوْلِهِ وَسَخِرُوا مِنْهُ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: وَلَمْ يَكُنْ فِي الْأَرْضِ قَبْلَ الطُّوفَانِ نَهْرٌ وَلَا بَحْرٌ؛ فَلِذَلِكَ سَخِرُوا مِنْهُ؛ وَمِيَاهُ الْبِحَارِ هِيَ بَقِيَّةُ الطُّوفَانِ.

قَالَ: {إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا} أَيْ مِنْ فِعْلِنَا الْيَوْمَ عِنْدَ بِنَاءِ السَّفِينَةِ، {فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ} غَدًا عِنْدَ الْغَرَقِ. وَالْمُرَادُ بِالسُّخْرِيَةِ هُنَا الِاسْتِجْهَالُ؛ وَمَعْنَاهُ إِنْ تَسْتَجْهِلُونَا فَإِنَّا نَسْتَجْهِلُكُمْ كَمَا تَسْتَجْهِلُونَنَا".

يعني يدعون جهله، يبني السفينة لأي شيء؟ يصنع السفينة وما عنده بحر! {إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ}، هم سخروا منه؛ لأنهم يرونه بعد مقامه الذي قام به بينهم في دعوتهم إلى الله سبحانه وتعالى رأوه نجارًا، ما يعرفون السبب، ولا يعرفون ماذا يراد بهذه السفينة، يظنونه من ضياع الوقت، لا بحر عندهم ولا نهر، لأمر يريده الله سبحانه وتعالى. نعم.

"قَوْلُهُ تَعَالَى: {فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ} تَهْدِيدٌ، وَ"مَنْ" مُتَّصِلَةٌ بِـ"سَوْفَ" تَعْلَمُونَ وَ"تَعْلَمُونَ" هُنَا مِنْ بَابِ التَّعْدِيَةِ إِلَى مَفْعُولٍ؛ أَيْ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ الَّذِي يَأْتِيهِ الْعَذَابُ. وَيَجُوزُ أَنْ تَكُونَ "مَنْ" اسْتِفْهَامِيَّةً؛ أَيْ أَيُّنَا يَأْتِيهِ الْعَذَابُ؟. وَقِيلَ: "مَنْ " فِي مَوْضِعِ رَفْعٍ بِالِابْتِدَاءِ وَ"يَأْتِيهِ"

الْخَبَرُ، وَ" يُخْزِيهِ" صِفَةٌ لِ"عَذَابٌ ". وَحَكَى الْكِسَائِيُّ: أَنَّ أُنَاسًا مِنْ أَهْلِ الْحِجَازِ يَقُولُونَ: سَو تَعْلَمُونَ".

يعني بدلًا من سوف.

"وَقَالَ مَنْ قَالَ: سَتَعْلَمُونَ أَسْقَطَ الْوَاوَ وَالْفَاءَ جَمِيعًا. وَحَكَى الْكُوفِيُّونَ: سَفْ تَعْلَمُونَ؛ وَلَا يَعْرِفُ الْبَصْرِيُّونَ إِلَّا سَوْفَ تَفْعَلُ، وَسَتَفْعَلُ لُغَتَانِ لَيْسَتْ إِحْدَاهُمَا مِنَ الْأُخْرَى. {وَيَحِلُّ عَلَيْهِ} أَيْ يَجِبُ عَلَيْهِ وَيَنْزِلُ بِهِ. {عَذَابٌ مُقِيمٌ} أَيْ دَائِمٌ، يُرِيدُ عَذَابَ الْآخِرَةِ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: {حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ} اخْتُلِفَ فِي التَّنُّورِ عَلَى أَقْوَالٍ سَبْعَةٍ: الْأَوَّلُ: أَنَّهُ وَجْهُ الْأَرْضِ، وَالْعَرَبُ تُسَمِّي وَجْهَ الْأَرْضِ تَنُّورًا، قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ وَعِكْرِمَةُ وَالزُّهْرِيُّ وَابْنُ عُيَيْنَةَ؛ وَذَلِكَ أَنَّهُ قِيلَ لَهُ: إِذَا رَأَيْتَ الْمَاءَ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ فَارْكَبْ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ. الثَّانِي: أَنَّهُ تَنُّورُ الْخُبْزِ الَّذِي يُخْبَزُ فِيهِ؛ وَكَانَ تَنُّورًا مِنْ حِجَارَةٍ، وَكَانَ لِحَوَّاءَ حَتَّى صَارَ لِنُوحٍ، فَقِيلَ لَهُ: إِذَا رَأَيْتَ الْمَاءَ يَفُورُ مِنَ التَّنُّورِ فَارْكَبْ أَنْتَ وَأَصْحَابُكَ. وَأَنْبَعَ اللَّهُ الْمَاءَ مِنَ التَّنُّورِ، فَعَلِمَتْ بِهِ امْرَأَتُهُ فَقَالَتْ: يَا نُوحُ فَارَ الْمَاءُ مِنَ التَّنُّورِ؛ فَقَالَ: جَاءَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا. هَذَا قَوْلُ الْحَسَنِ، وَقَالَهُ مُجَاهِدٌ وَعَطِيَّةُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ. الثَّالِثُ: أَنَّهُ مَوْضِعُ اجْتِمَاعِ الْمَاءِ فِي السَّفِينَةِ؛ عَنِ الْحَسَنِ أَيْضًا. الرَّابِعُ: أَنَّهُ طُلُوعُ الْفَجْرِ، وَنُورُ الصُّبْحِ؛ مِنْ قَوْلِهِمْ: نَوَّرَ الْفَجْرُ تَنْوِيرًا، قَالَهُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -. الْخَامِسُ: أَنَّهُ مَسْجِدُ الْكُوفَةِ؛ قَالَهُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ أَيْضًا؛ وَقَالَهُ مُجَاهِدٌ. قَالَ مُجَاهِدٌ: كَانَ نَاحِيَةَ التَّنُّورِ بِالْكُوفَةِ. وَقَالَ: اتَّخَذَ نُوحٌ السَّفِينَةَ فِي جَوْفِ مَسْجِدِ الْكُوفَةِ، وَكَانَ التَّنُّورُ عَلَى يَمِينِ الدَّاخِلِ مِمَّا يَلِي كِنْدَةَ. وَكَانَ فَوَرَانُ الْمَاءِ مِنْهُ عَلَمًا لِنُوحٍ، وَدَلِيلًا عَلَى هَلَاكِ قَوْمِهِ".

لكن هل هناك كوفة في وقت نوح، أو المقصود مكانه؟ معروف أن البصرة والكوفة مما اختطها المسلمون بعد الإسلام، في زمن عمر- رضي الله عنه-، إن كان المقصود في المكان الذي اختطت فيه الكوفة يحتمل، وإلا فمسجد الكوفة، في جوف مسجد الكوفة، أصلًا الكوفة ما وجدت إلا بعد الإسلام، فكيف تكون هناك فار التنور من مسجد الكوفة؟

"قَالَ الشَّاعِرُ وَهُوَ أُمَيَّةُ:

فَارَ تَنُّورُهُمْ وَجَاشَ بِمَاءٍ صَارَ فَوْقَ الْجِبَالِ حَتَّى عَلَاهَا

السَّادِسُ: أَنَّهُ أَعَالِي الْأَرْضِ، وَالْمَوَاضِعُ الْمُرْتَفِعَةُ مِنْهَا؛ قَالَهُ قَتَادَةُ. السَّابِعُ: أَنَّهُ الْعَيْنُ الَّتِي بِالْجَزِيرَةِ "عَيْنُ الْوَرْدَةِ" رَوَاهُ عِكْرِمَةُ. وَقَالَ مُقَاتِلٌ: كَانَ ذَلِكَ تَنُّورُ آدَمَ، وَإِنَّمَا كَانَ بِالشَّامِ بِمَوْضِعٍ يُقَالُ لَهُ: "عَيْنُ وَرْدَةٍ " وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ أَيْضًا: فَارَ تَنُّورُ آدَمَ بِالْهِنْدِ.

قَالَ النَّحَّاسُ: وَهَذِهِ الْأَقْوَالُ لَيْسَتْ بِمُتَنَاقِضَةٍ؛ لِأَنَّ اللَّهَ -عَزَّ وَجَلَّ- أَخْبَرَنَا أَنَّ الْمَاءَ جَاءَ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، قَالَ: {فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا}. فَهَذِهِ الْأَقْوَالُ

تَجْتَمِعُ فِي أَنَّ ذَلِكَ كَانَ عَلَامَةً. وَالْفَوَرَانُ الْغَلَيَانُ. وَالتَّنُّورُ اسْمٌ أَعْجَمِيٌّ عَرَّبَتْهُ الْعَرَبُ، وَهُوَ عَلَى بِنَاءِ فَعَّلَ؛ لِأَنَّ أَصْلَ بِنَائِهِ تَنَّر، وَلَيْسَ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ نُونٌ قَبْلَ رَاءٍ. وَقِيلَ: مَعْنَى "فَارَ التَّنُّورُ " التَّمْثِيلُ لِحُضُورِ الْعَذَابِ، كَقَوْلِهِمْ: حَمِيَ الْوَطِيسُ إِذَا اشْتَدَّتِ الْحَرْبُ. وَالْوَطِيسُ التَّنُّورُ. وَيُقَالُ: فَارَتْ قِدْرُ الْقَوْمِ إِذَا اشْتَدَّ حَرْبُهُمْ؛ قَالَ شَاعِرُهُمْ:

تَرَكْتُمْ قِدْرَكُمْ لَا شَيْءَ فِيهَا وَقِدْرُ الْقَوْمِ حَامِيَةٌ تَفُورُ

قَوْلُهُ تَعَالَى: {قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ} يَعْنِي ذَكَرًا وَأُنْثَى؛ لِبَقَاءِ أَصْلِ النَّسْلِ بَعْدَ الطُّوفَانِ. وَقَرَأَ حَفْصٌ: (مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ) بِتَنْوِينِ كُلٍّ أَيْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ زَوْجَيْنِ. وَالْقِرَاءَتَانِ تَرْجِعَانِ إِلَى مَعْنًى وَاحِدٍ: شَيْءٌ مَعَهُ آخَرُ لَا يَسْتَغْنِي عَنْهُ. وَيُقَالُ لِلِاثْنَيْنِ: هُمَا زَوْجَانِ، فِي كُلِّ اثْنَيْنِ لَا يَسْتَغْنِي أَحَدُهُمَا عَنْ صَاحِبِهِ؛ فَإِنَّ الْعَرَبَ تُسَمِّي كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا زَوْجًا يُقَالُ: لَهُ زَوْجَا نَعْلٍ إِذَا كَانَ لَهُ نَعْلَانِ. وَكَذَلِكَ عِنْدَهُ زَوْجَا حَمَامٍ، وَعَلَيْهِ زَوْجَا قُيُودٍ؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى}. وَيُقَالُ لِلْمَرْأَةِ: هِيَ زَوْجُ الرَّجُلِ، وَلِلرَّجُلِ هُوَ زَوْجُهَا. وَقَدْ يُقَالُ لِلِاثْنَيْنِ: هُمَا زَوْجٌ، وَقَدْ يَكُونُ الزَّوْجَانِ بِمَعْنَى الضَّرْبَيْنِ".

يقال المرأة: زوج هذا هو الكثير الدارج، ويقال لها أيضًا: زوجة، وجاء في الحديث الصحيح «هذه زوجتي»، وجاء أيضًا في كلام العرب، لكنه قليل، يحتاج إليه في الفرائض للتمييز، بحيث لا يجوز أن يوضع أحدهما بمكان الآخر، وقد يكون الزوجان بمعنى الصنفين، "من أنفق زوجين في سبيل الله" يعني اثنين، اثنين اثنين من كل شيء.

"وَقَدْ يَكُونُ الزَّوْجَانِ بِمَعْنَى الضَّرْبَيْنِ وَالصِّنْفَيْنِ، وَكُلُّ ضَرْبٍ يُدْعَى زَوْجًا".

الضربين والصنفين، والجنسين، والنوعين، ألفاظ متقاربة.

"قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ أَيْ مِنْ كُلِّ لَوْنٍ وَصِنْفٍ. وَقَالَ الْأَعْشَى:

وَكُلُّ زَوْجٍ مِنَ الدِّيبَاجِ يَلْبَسُهُ أَبُو قُدَامَةَ مَحْبُوٌّ بِذَاكَ مَعَا

أَرَادَ كُلَّ ضَرْبٍ وَلَوْنٍ. وَ"مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ" فِي مَوْضِعِ نَصْبٍ بِـ"احْمِلْ". اثْنَيْنِ تَأْكِيدٌ.

"وَأَهْلَكَ" أَيْ وَاحْمِلْ أَهْلَكَ.

إِلَّا مَنْ سَبَقَ "مَنْ" فِي مَوْضِعِ نَصْبٍ بِالِاسْتِثْنَاءِ.

"عَلَيْهِ الْقَوْلُ" مِنْهُمْ أَيْ بِالْهَلَاكِ؛ وَهُوَ ابْنُهُ كَنْعَانُ، وَامْرَأَتُهُ وَاعِلَةُ كَانَا كَافِرَيْنِ.

وَمَنْ آمَنَ قَالَ الضَّحَّاكُ وَابْنُ جُرَيْجٍ: أَيِ احْمِلْ مَنْ آمَنَ بِي، أَيْ مَنْ صَدَّقَكَ؛ فَـ " مَنْ " فِي مَوْضِعِ نَصْبٍ بِـ " احْمِلْ". وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا -: (آمَنَ مِنْ قَوْمِهِ ثَمَانُونَ إِنْسَانًا".

من هؤلاء الذين ملئوا الأرض والسهل والجبل والوعر صار هؤلاء لا يستطيعون أن يصعدوا إلى أولئك وأولئك لا يستطيعون أن ينزلوا إلى هؤلاء، ما آمن إلا ثمانون أو أقل.

"قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا –: آمَنَ مِنْ قَوْمِهِ ثَمَانُونَ إِنْسَانًا مِنْهُمْ ثَلَاثَةٌ مِنْ بَنِيهِ؛ سَامٌ وَحَامٌ وَيَافِثُ، وَثَلَاثُ كَنَائِنَ لَهُ. وَلَمَّا خَرَجُوا مِنَ السَّفِينَةِ بَنَوْا قَرْيَةً، وَهِيَ الْيَوْمُ تُدْعَى قَرْيَةُ الثَّمَانِينَ بِنَاحِيَةِ الْمَوْصِلِ.

وَوَرَدَ فِي الْخَبَرِ أَنَّهُ كَانَ فِي السَّفِينَةِ ثَمَانِيَةُ أَنْفُسٍ؛ نُوحٌ وَزَوْجَتُهُ غَيْرَ الَّتِي عُوقِبَتْ، وَبَنُوهُ الثَّلَاثَةُ وَزَوْجَاتُهُمْ؛ وَهُوَ قَوْلُ قَتَادَةَ وَالْحَكَمِ بْنِ عُتَيْبَةَ وَابْنِ جُرَيْجٍ وَمُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ؛ فَأَصَابَ حَامٌ امْرَأَتَهُ فِي السَّفِينَةِ، فَدَعَا نُوحٌ اللَّهَ أَنْ يُغَيِّرَ نُطْفَتَهُ فَجَاءَ بِالسُّودَانِ. قَالَ عَطَاءٌ: وَدَعَا نُوحٌ عَلَى حَامٍ أَلَّا يَعْدُوَ شَعْرُ أَوْلَادِهِ آذَانَهُمْ، وَأَنَّهُمْ حَيْثُمَا كَانَ وَلَدُهُ يَكُونُونَ عَبِيدًا لِوَلَدِ سَامٍ وَيَافِثَ.

وَقَالَ الْأَعْمَشُ: كَانُوا سَبْعَةً؛ نُوحٌ وَثَلَاثُ كَنَائِنَ وَثَلَاثَةُ بَنِينَ؛ وَأَسْقَطَ امْرَأَةَ نُوحٍ. وَقَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: كَانُوا عَشَرَةً سِوَى نِسَائِهِمْ: نُوحٌ وَبَنُوهُ سَامٌ وَحَامٌ وَيَافِثُ، وَسِتَّةُ أُنَاسٍ مِمَّنْ كَانَ آمَنَ بِهِ، وَأَزْوَاجُهُمْ جَمِيعًا. وَ"قَلِيلٌ" رُفِعَ بِـ"آمَنَ"، وَلَا يَجُوزُ نَصْبُهُ عَلَى الِاسْتِثْنَاءِ؛ لِأَنَّ الْكَلَامَ قَبْلَهُ لَمْ يَتِمَّ، إِلَّا أَنَّ الْفَائِدَةَ فِي دُخُولِ إِلَّا وَمَا لِأَنَّكَ لَوْ قُلْتَ: آمَنَ مَعَهُ فُلَانٌ وَفُلَانٌ جَازَ أَنْ يَكُونَ غَيْرُهُمْ قَدْ آمَنَ؛ فَإِذَا جِئْتَ بِمَا وَإِلَّا، أَوْجَبْتَ لِمَا بَعْدَ إِلَّا وَنَفَيْتَ عَنْ غَيْرِهِمْ".

يفيد الحصر، الاستثناء بعد النفي يفيد الحصر، ومن هذا أنه لم يؤمن غيرهم وإلا لو قيل: إنه آمن معه فلان وفلان آمن معه قليل، يعني وآمن معه غيرهم.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد.

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير القرطبي

سورة هود

معالي الشيخ الدكتور

عبد الكريم بن عبد الله الخضير

عضو هيئة كبار العلماء

وعضو اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

تاريخ المحاضرة:	١٤٣١/١١/١٨هـ	المكان:	

اشترط المؤلف على نفسه أن لا يذكر الأخبار الإسرائيلية، ويشترط على نفسه في المقدمة ووفى به غالبًا، وإن كان نقل بعض الأخبار التي هي مما أُثر عن بني إسرائيل مما لا يصح، بل بعضه مما لا يُعقل على ما سيأتي؛ ذكر أشياء لا حاجة لطالب العلم بها، وهي مُتلقاة من بني إسرائيل، وقد سكت عنها شرعُنا؛ لعدم حاجتنا إليها.

والتفاسير تذكر مثل هذه الأشياء من باب قوله -صلى الله عليه وسلم-: «حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج»، وفي رواية عند أبي بزار «فإن فيهم الأعاجيب»، لكن بحيث لا تسير على حساب شيء آخر مما لا يهم طالب العلم، والتعلق بها والافتتان بها معروف عن الناس؛ لأنها أخبار بها شيء من الغرابة، وإلا الأصل أن كلام الله يُنزه عن مثل هذا الكلام؛ لئلا يصد عما هو أهم منه، والمؤلف -رحمه الله- من أقل من كتب في التفسير في هذا الباب، هو مُقل في هذا الباب، وقد اشترط في المقدمة لكتابه ألا يذكر من ذلك شيئًا، إلا أنه غفل عن شرطه فأورد بعض الأشياء، والله المستعان.

من التفاسير ما هو مشحون بها، الإسرائيليات، كالثعلبي، وابن كثير ما سلم -رحمه الله-، والخازن والبغوي ذكر بعض الأشياء، المقصود أن هناك تفاسير ذكرت كثيرًا منها، تفاسير اشتملت على أشياء لا يُصدقها عقل، تفاسير حُشيت مع ذلك بالأخبار الباطلة والموضوعة، ويندر أن يوجد تفسير سالم من كل وجه، وأقرب ما يوجد للسلامة هو تفسير الحافظ ابن كثير -رحمه الله-، وابن جرير، والبغوي على شيء من التأويل اليسير عنده، المقصود أن مثل هذه التفاسير يُستفاد منها على قدر الإمكان، ويُترك ما اشتملت عليه مما لا يحتاجه طالب العلم، والله المستعان.

طالب: ...

كذلك، في كل آية يذكر التفسير الإشاري، والتفسير الإشاري معتمد عند الصوفية، لكن لا يعتمده عليه عند أهل العلم، كما هو معروف،

نعم يا شيخ.

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه.

قال الإمام القرطبي -رحمه الله تعالى-: قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا} [هود: ٤١] أَمْرٌ بِالرُّكُوبِ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ مِنْ نُوحٍ لِقَوْمِهِ".

نعم هذا الأمر بالركوب، اركبوا فعل أمر من الركوب. والآمر يحتمل أن يكون الله -سبحانه وتعالى-، أي أن الله -سبحانه وتعالى- قال: اركبوا فيها. والاحتمال الثاني: أن يكون نوح قال لقومه: اركبوا، وقال اركبوا فيها، المقصود أن الأمر صدر بالركوب فهو إما عن الله -سبحانه وتعالى- مباشرة، أو بواسطة نبيه ورسوله نوح -عليه السلام-.

طالب:...

نعم، ما فيه.

"وَالرُّكُوبُ الْعُلُوُّ عَلَى ظَهْرِ الشَّيْءِ. وَيُقَالُ: رَكِبَهُ الدَّيْنُ. وَفِي الْكَلَامِ حَذْفٌ".

الركوب نسبي، الركوب العلو على ظهر الشيء، وقد يكون في جوفه، لا على ظهره كالسفينة والسيارة، وما أشبه ذلك. وأما ركبه الدين فهو من باب أنه علاه، مما اضطره إلى أن ينزل ويطأطئ رأسه، فكأنه علوٌّ حسي.

"أَيِ ارْكَبُوا الْمَاءَ فِي السَّفِينَةِ. وَقِيلَ: الْمَعْنَى ارْكَبُوهَا. وَ"فِي" لِلتَّأْكِيدِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: {إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ} [يوسف:٤٣] وَفَائِدَةُ "فِي".

لأن الفعل (ركب) متعدٍّ بنفسه، وعُدي ب "في" للتأكيد، كما أن عبر يعبرُ متعدٍّ؛ {إن كنتم للرؤيا تعبرون} الأصل إن كنتم تعبرون الرؤيا.

" وَفَائِدَةُ "فِي" أَنَّهُمْ أُمِرُوا أَنْ يَكُونُوا فِي جَوْفِهَا لَا عَلَى ظَهْرِهَا. قَالَ عِكْرِمَةُ: رَكِبَ نُوحٌ -عَلَيْهِ السَّلَامُ- فِي الْفُلْكِ لِعَشْرٍ خَلَوْنَ مِنْ رَجَبٍ، وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ لِعَشْرٍ خَلَوْنَ مِنَ الْمُحَرَّمِ، فَذَلِكَ سِتَّةُ أَشْهُرٍ، وَقَالَهُ قَتَادَةُ وَزَادَ وَهُوَ يَوْمُ عَاشُورَاءَ، فَقَالَ لِمَنْ كَانَ مَعَهُ: مَنْ كَانَ صَائِمًا فَلْيُتِمَّ صَوْمَهُ، وَمَنْ لَمْ يَكُنْ صَائِمًا فَلْيَصُمْهُ. وَذَكَرَ الطَّبَرِيُّ فِي هَذَا حَدِيثًا عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَنَّ نُوحًا رَكِبَ فِي السَّفِينَةِ أَوَّلَ يَوْمٍ مِنْ رَجَبٍ، وَصَامَ الشَّهْرَ أَجْمَعَ، وَجَرَتْ بِهِمُ السَّفِينَةُ إِلَى يَوْمِ عَاشُورَاءَ، فَفِيهِ أَرْسَتْ عَلَى الْجُودِيِّ، فَصَامَهُ نُوحٌ وَمَنْ مَعَهُ".

أما صيام يوم عاشوراء فمعروف، الثابت بالأحاديث الصحيحة أن النبي -صلى الله عليه وسلم- صامه وأمر بصيامه؛ اقتداءً بموسى -عليه السلام-، فقد نجا الله فيه موسى وقومه، ولو كان يوم النجاة لنوح في هذا اليوم لذكره النبي -صلى الله عليه وسلم-.

"وَذَكَرَ الطَّبَرِيُّ عَنِ ابْنِ إِسْحَاقَ مَا يَقْتَضِي أَنَّهُ أَقَامَ عَلَى الْمَاءِ نَحْوَ السَّنَةِ ، وَمَرَّتْ بِالْبَيْتِ فَطَافَتْ بِهِ سَبْعًا".

جاء في خبرٍ موضوع أن سفينة نوح طافت بالبيت سبعًا، وصلت خلف المقام ركعتين، كل هذا من الموضوعات.

طالب: ....

نعم يقولون: صلت.

"وَقَدْ رَفَعَهُ اللَّهُ عَنِ الْغَرَقِ، فَلَمْ يَنَلْهُ غَرَقٌ، ثُمَّ مَضَتْ إِلَى الْيَمَنِ وَرَجَعَتْ إِلَى الْجُودِيِّ فَاسْتَوَتْ عَلَيْهِ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: {بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا} [هود: ٤١] قِرَاءَةُ أَهْلِ الْحَرَمَيْنِ وَأَهْلِ الْبَصْرَةِ بِضَمِّ الْمِيمِ فِيهِمَا إِلَّا مَنْ شَذَّ، عَلَى مَعْنَى بِسْمِ اللَّهِ إِجْرَاؤُهَا وَإِرْسَاؤُهَا، فَمُجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا فِي مَوْضِعِ رَفْعٍ بِالِابْتِدَاءِ".

ويكون خبره الجار والمجرور المتقدم.

"وَيَجُوزُ أَنْ تَكُونَ فِي مَوْضِعِ نَصْبٍ، وَيَكُونُ التَّقْدِيرُ: بِسْمِ اللَّهِ وَقْتَ إِجْرَائِهَا ثُمَّ حَذَفَ وَقْتَ، وَأُقِيمَ مَجْرَاهَا مَقَامَهُ. وَقَرَأَ الْأَعْمَشُ وَحَمْزَةُ وَالْكِسَائِيُّ: "بِسْمِ اللَّهِ مَجْرِيهَا" بِفَتْحِ الْمِيمِ وَ"مُرْسَاهَا" بِضَمِّ الْمِيمِ. وَرَوَى يَحْيَى بْنُ عِيسَى عَنِ الْأَعْمَشِ عَنْ يَحْيَى بْنِ وَثَّابٍ "بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمَرْسَاهَا" بِفَتْحِ الْمِيمِ فِيهِمَا عَلَى الْمَصْدَرِ مِنْ جَرَتْ تَجْرِي جَرْيًا وَمَجْرًى، وَرَسَتْ رُسُوًّا وَمَرْسًى إِذَا ثَبَتَتْ".

نعم مجرى ومرسى كالمدخل والمخرج كما هو معروف مصدر.

"وَقَرَأَ مُجَاهِدٌ وَسُلَيْمَانُ بْنُ جُنْدُبٍ وَعَاصِمٌ الْجَحْدَرِيُّ وَأَبُو رَجَاءٍ الْعُطَارِدِيُّ: "بِسْمِ اللَّهِ مُجْرِيهَا وَمُرْسِيهَا" نَعْتٌ لِلَّهِ -عَزَّ وَجَلَّ- فِي مَوْضِعِ جَرٍّ. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ فِي مَوْضِعِ رَفْعٍ عَلَى إِضْمَارِ مُبْتَدَأٍ".

نعم في موضع جر؛ لأنها نعوت؛ لأنهما منعوتان لله -سبحانه وتعالى-، ولفظ الجلالة مجرور بالإضافة، يعني كما هو الشأن في الرحمن الرحيم في البسملة.

"وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ فِي مَوْضِعِ رَفْعٍ عَلَى إِضْمَارِ مُبْتَدَأٍ؛ أَيْ هُوَ مُجْرِيهَا وَمُرْسِيهَا. وَيَجُوزُ النَّصْبُ عَلَى الْحَالِ. وَقَالَ الضَّحَّاكُ: كَانَ نُوحٌ -عَلَيْهِ السَّلَامُ- إِذَا قَالَ: بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا جَرَتْ، وَإِذَا قَالَ: بِسْمِ اللَّهِ مُرْسَاهَا رَسَتْ".

طالب: هذا نصب على الحال، حال السفينة؟

ماذا عندك؟

طالب: يقول: نصب على الحال.

الكلمة الكلمة.

طالب: حال ماذا؟ أين الموصوف يعني الذي يوصف حاله؟

وصف هذا؟

طالب: يقول: الحال؛ على أنها حال، حال من ماذا؟

ماذا تسميها أنت؟ الذي تُريد أن تبين هيئته، ماذا تُسميه؟ ماذا يُسمى؟

طالب: الموصوف يبين الحال.

نعم صاحب الحال؛ الذي الحال يُبيِّن هيئته سواء كان مفعولًا أو فاعلًا يُسمى صاحب الحال.

طالب: أين هو؟ السفينة؟

أين هو يا إخوان؟ من صاحب الحال؟ صاحب الحال من هو؟

طالب:.....

تجيء السفينة؟

طالب:....

صحب الحال نعم، حال كونه مجراها؛ بسم الله حال كونها مُجريها ومُرسيها.

طالب: .....

لفظ الجلالة إعرابه؟

طالب: مضاف إليه.

مضاف إليه، يجوز أن يكون صاحب الحال مضاف إليه؟

طالب: قال قبل قليل إما أن يكون مجرورًا على أنها نعت لله -سبحانه وتعالى-.

على أنها حال، انتهينا من النعت، قلنا: صاحب الحال هو لفظ الجلالة، حال كونه -سبحانه وتعالى- مُجريها ومُرسيها، هل يجوز أن يأتي الحال من الصاحب المجرور بالإضافة؟

طالب:....

كيف؟

طالب: ....

في ثلاث صور.

طالب: يجوز؟

يجوز.

من يذكر الصور؟ أين .. عندنا أحد؟

طالب: .....

يقول ابن مالك -رحمه الله-:

ولا تجز حالًا من المضاف له إلا إذا اقتضى المضاف عمله
أو كان جزء ما له أضيف أو مثل جزئه فلا تحيف
..... إلا إذا اقتضى المضاف عمله
أو كان جزء ما له أضيف أو مثل جزئه فلا تحيف

تبع ملة إبراهيم حنيفًا، قُطعت يد زيدٍ قائمًا.

طالب: ....

ماذا؟

طالب:.....

نعم، لكن المضاف إليه زيد، ويده جزء من المضاف إليه. ملة إبراهيم مثل الجزء منه.

طالب: إبراهيم مضاف إليه؟

نعم، حال من المضاف إليه.

طالب: لأنه حال؟

لأنه مثل الجزء؛ الملة مثل الجزء من الشخص.

طالب: ونفس الشيء قُطعت يد زيد..

هذا جزؤه؛ قطعت يده جزؤه، وهنا؟

طالب: ....

من أي الصور؟

طالب: من عمل المضاف إليه؟

سبحان الله، هو مضاف إليه، والمضاف إليه بحاجة أن يكون من هذه الصور الثلاث.

طالب: حال من المضاف إليه؟

لا، ما معنى عمله؟

المضاف يعمل في المضاف إليه، إلا إذا اقتضى المضاف عمله؛ يعني في المضاف إليه، بأن يكون اسم فاعل مُضافًا إلى فاعله أو إلى مفعوله إذا كان اسم مفعول، فالنعت هنا أقرب من الحالية.

"**وَرَوَى مَرْوَانُ بْنُ سَالِمٍ عَنْ طَلْحَةَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ كَرِيزٍ عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ عَنِ النَّبِيِّ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– قَالَ: «أَمَانٌ لِأُمَّتِي مِنَ الْغَرَقِ إِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ {وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ} [الزمر:٦٧]»**"

خرج هذا؟ خرجوا الحديث؟

طالب:.....

نعم.

طالب: ....

فيه طبعة مخرج فيه الحديث؟

طالب: ....

ماذا يقول؟

طالب: ....

نعم.

طالب: ....

أنا ما تيسر لي المراجعة.

"و{بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ} [هود:٤١]. وَفِي هَذِهِ الْآيَةِ دَلِيلٌ، عَلَى ذِكْرِ الْبَسْمَلَةِ عِنْدَ ابْتِدَاءِ كُلِّ فِعْلٍ؛ كَمَا بَيَّنَّاهُ فِي الْبَسْمَلَةِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ. {إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ} [هود:٤١] أَيْ لِأَهْلِ السَّفِينَةِ".

دليلٌ على ذكر البسملة؛ وقال هنا: {وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ} [هود:٤١]، والتقدير: بسم الله أركب، وعند الأكل تقول: بسم الله، يعني بسم الله آكل، وعند القراءة بسم الله، بسم الله أقرأ، وهكذا. وجاء في ذلك خبر وهو ضعيف عند أهل العلم، «كل أمر ذي بال لا يُبدأ فيه بسم الله الرحمن الرحيم فهو أبتر»، معروف أن حكمه الضعف، لكن العمل على الابتداء بالبسملة؛ كالابتداء بها في الأكل والشرب وغيرها والقراءة وما أشبه.

"وَرُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: لَمَّا كَثُرَتِ الْأَزْوَاثُ وَالْأَقْذَارُ أَوْحَى اللَّهُ إِلَى نُوحٍ اغْمِزْ ذَنَبَ الْفِيلِ، فَوَقَعَ مِنْهُ خِنْزِيرٌ وَخِنْزِيرَةٌ فَأَقْبَلَا عَلَى الرَّوْثِ، فَقَالَ نُوحٌ: لَوْ غَمَزْتُ ذَنَبَ هَذَا الْخِنْزِيرِ! فَفَعَلَ، فَخَرَجَ مِنْهُ فَأْرٌ وَفَأْرَةٌ فَلَمَّا وَقَعَا أَقْبَلَا عَلَى السَّفِينَةِ وَحِبَالِهَا تَقْرِضُهَا، وَتَقْرِضُ الْأَمْتِعَةَ وَالْأَزْوَادَ حَتَّى خَافُوا عَلَى حِبَالِ السَّفِينَةِ، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَى نُوحٍ أَنِ امْسَحْ جَبْهَةَ الْأَسَدِ فَمَسَحَهَا، فَخَرَجَ مِنْهَا سِنَّوْرَانِ فَأَكَلَا الْفَأْرَةَ. وَلَمَّا حَمَلَ الْأَسَدَ فِي السَّفِينَةِ قَالَ: يَا رَبِّ مِنْ أَيْنَ أُطْعِمُهُ؟ قَالَ: سَوْفَ أُشْغِلُهُ، فَأَخَذَتْهُ الْحُمَّى، فَهُوَ الدَّهْرَ مَحْمُومٌ".

هذا كله من الإسرائيليات التي لا تثبت، مما أخذ المؤلف على نفسه أن لا يُرد مثلها، كما تقدم قريبًا؛ المؤلف اشترط أن لا يُورد شيئًا من الإسرائيليات، وقد غفل عن شرطه، فأورد منها مثل ما ذكرنا آنفًا ما لم يثبت، بل أثبت ما لا يقبله عقل.

"قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: وَأَوَّلُ مَا حَمَلَ نُوحٌ مِنَ الْبَهَائِمِ فِي الْفُلْكِ حَمَلَ الْإِوَزَّةَ، وَآخِرُ مَا حَمَلَ حَمَلَ الْحِمَارَ، قَالَ: وَتَعَلَّقَ إِبْلِيسُ بِذَنَبِهِ، وَيَدَاهُ قَدْ دَخَلَتَا فِي السَّفِينَةِ، وَرِجْلَاهُ خَارِجَةٌ بَعْدُ فَجَعَلَ الْحِمَارُ يَضْطَرِبُ، وَلَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَدْخُلَ، فَصَاحَ بِهِ نُوحٌ: ادْخُلْ وَيْلَكَ فَجَعَلَ يَضْطَرِبُ، فَقَالَ: ادْخُلْ وَيْلَكَ! وَإِنْ كَانَ مَعَكَ الشَّيْطَانُ، كَلِمَةٌ زَلَّتْ عَلَى لِسَانِهِ، فَدَخَلَ وَوَثَبَ الشَّيْطَانُ فَدَخَلَ. ثُمَّ إِنَّ نُوحًا رَآهُ يُغَنِّي فِي السَّفِينَةِ، فَقَالَ لَهُ: يَا لَعِينُ مَا أَدْخَلَكَ بَيْتِي؟! قَالَ: أَنْتَ أَذِنْتَ لِي، فَذَكَرَ لَهُ، فَقَالَ لَهُ: قُمْ فَاخْرُجْ. قَالَ: مَا لَكَ بُدٌّ فِي أَنْ تَحْمِلَنِي مَعَكَ، فَكَانَ فِيمَا يَزْعُمُونَ فِي ظَهْرِ الْفُلْكِ. وَكَانَ مَعَ نُوحٍ -عَلَيْهِ السَّلَامُ- خَرَزَتَانِ مُضِيئَتَانِ، وَاحِدَةٌ مَكَانَ الشَّمْسِ، وَالْأُخْرَى مَكَانَ الْقَمَرِ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: إِحْدَاهُمَا بَيْضَاءُ كَبَيَاضِ النَّهَارِ، وَالْأُخْرَى سَوْدَاءُ كَسَوَادِ اللَّيْلِ، فَكَانَ يَعْرِفُ بِهِمَا مَوَاقِيتَ الصَّلَاةِ، فَإِذَا أَمْسَوْا غَلَبَ سَوَادُ هَذِهِ بَيَاضَ هَذِهِ، وَإِذَا أَصْبَحُوا غَلَبَ بَيَاضُ هَذِهِ سَوَادَ هَذِهِ، عَلَى قَدْرِ السَّاعَاتِ".

وهذا كسابقه، والشيطان إبليس أبو الشياطين قد حُكم له بالخلود، فلو لم يركب معهم ما تناوله الموت، وبإمكانه أن يركب على هذه، أو يطفو على الماء، والشياطين معروف، كثيرٌ منهم على وجه الماء لا يضرهم مثل هذا، ولا يلزم أن نورد مثل هذه القصص؛ لكي نُخرج إبليس من كونه

أو الشيطان من كونه لا بُد أن يغرق، والله حكم له بالخلود إلى يوم يُبعثون، ما يلزم هذا كله، وهو خالدٌ باقٍ ما بقي الناس، وما بقيت وظيفته فهو باقٍ؛ لأمرٍ يُريده الله -سبحانه وتعالى- لامتحان الناس، واختبارهم، وبقاؤه على أي وجهٍ يُريده الله -سبحانه وتعالى-، ولا يلزم أننا إن لم نثبت مثل هذه الأخبار أننا نقول: إذًا إبليس كيف بقي؟ لماذا لم يغرق؟ لماذا؟ كل هذا لا داعي له. ولو كان مما لنا به حاجة لبيَّنه الله -سبحانه وتعالى- في كتابه، أو على لسان رسوله -صلى الله عليه وسلم-، لكن لا حاجة لنا بمثل هذا، ولهذا سكت الله عنه، وسكت عنه الرسول -صلى الله عليه وسلم-. في نظائر لذلك كثيرة جدًّا حُشيت وملئت بها كُتب التفسير.

طالب: طيب يا شيخ.

نعم.

طالب: أحسن الله إليك، بالنسبة للحديث الأول حديث الخنزير والخنزيرة؟

هذه كلها من نفس الشيء، تحتاج إلى نقل، تحتاج إلى نقل صحيح.

طالب: لكن.

لكن أنت تحتاج أنت..

طالب: لا، ما أحتاج، لكن هل نوح حمل معه الدواب المُفسدة؟

من كل زوجين اثنين.

طالب: ما آذتهم هذه الدواب؟

الله أعلم. ماذا حدث، احمل، قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين.

"قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ} [هود:٤٢]، الْمَوْجُ جَمْعُ مَوْجَةٍ، وَهِيَ مَا ارْتَفَعَ مِنْ جُمْلَةِ الْمَاءِ الْكَثِيرِ عِنْدَ اشْتِدَادِ الرِّيحِ. وَالْكَافُ لِلتَّشْبِيهِ، وَهِيَ فِي مَوْضِعِ خَفْضِ نَعْتٍ لِلْمَوْجِ. وَجَاءَ فِي التَّفْسِيرِ أَنَّ الْمَاءَ جَاوَزَ كُلَّ شَيْءٍ بِخَمْسَةَ عَشَرَ ذِرَاعًا".

يعني جاوز الجميع بخمسة عشرن يعني جاوز أعلى ما على الأرض بخمسة عشر ذراعًا، ليس معناه أنه جاوز كل شيء بحسبه خمسة عشر ذراعًا من الطويل والقصير، لا.

طالب: ....

نعم نعم.

طالب: ....

أين؟ يعني جاء ما روي من التفاسير، والمقصود من جنس التفسير.

"{وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ} [هود:٤٢] قِيلَ: كَانَ كَافِرًا وَاسْمُهُ كَنْعَانُ. وَقِيلَ: يَامٌ. وَيَجُوزُ عَلَى قَوْلِ سِيبَوَيْهِ: وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ بِحَذْفِ الْوَاوِ مِنَ ابْنِهِ فِي اللَّفْظِ، وَأَنْشَدَ:

لَهُ زَجَلٌ كَأَنَّهُ صَوْتُ حَادٍ

فَأَمَّا "وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهَا وَكَانَ" فَقِرَاءَةٌ شَاذَّةٌ، وَهِيَ مَرْوِيَّةٌ عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ -كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ- وَعُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ"

نصب الضمير إتباعًا للواو {وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ} [هود:٤٢].

طالب: ....

نعم، بنصب الضمير إتباعًا للواو التي بعدها، لكنها قراءة شاذة.

"وَزَعَمَ أَبُو حَاتِمٍ أَنَّهَا تَجُوزُ عَلَى أَنَّهُ يُرِيدُ "ابْنَهَا" فَحَذَفَ الْأَلِفَ كَمَا تَقُولُ: "ابْنَهُ"، فَتَحْذِفُ الْوَاوَ".

والمقصود بالواو الحاصلة من إشباع الضمة؛ لأن الضمير مبني على الضم. وزعم أبو حاتم من هو؟

طالب: السجستاني.

نعم، السجستاني كما مر بنا مرارًا.

"وَقَالَ النَّحَّاسُ: وَهَذَا الَّذِي قَالَهُ أَبُو حَاتِمٍ لَا يَجُوزُ عَلَى مَذْهَبِ سِيبَوَيْهِ؛ لِأَنَّ الْأَلِفَ خَفِيفَةٌ فَلَا يَجُوزُ حَذْفُهَا، وَالْوَاوَ ثَقِيلَةٌ يَجُوزُ حَذْفُهَا، {وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ} [هود:٤٢] أَيْ مِنْ دِينِ أَبِيهِ. وَقِيلَ: عَنِ السَّفِينَةِ. وَقِيلَ: إِنَّ نُوحًا لَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ابْنَهُ كَانَ كَافِرًا، وَأَنَّهُ ظَنَّ أَنَّهُ مُؤْمِنٌ، وَلِذَلِكَ قَالَ لَهُ: {وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ} [هود:٤٢]، وَسَيَأْتِي".

أما الحذف يقول: لأن الألف خفيفة لا يجوز حذفها، والواو ثقيلة يجوز حذفها، إن كان قصده لا يجوز حذفها في الكتابة فهذا شيء، أما حذفها في النطق لا سيما إذا أُضيفت الكلمة فهو الأصل، كلتا الجنة، دعو الله، لا يلزم أن تقول دعوا الله، وهذا مثني، وهذه الألف على خفتها تُحذف في مثل هذا.

"وَكَانَ هَذَا النِّدَاءُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَسْتَيْقِنَ الْقَوْمُ الْغَرَقَ، وَقَبْلَ رُؤْيَةِ الْيَأْسِ، بَلْ كَانَ فِي أَوَّلِ مَا فَارَ التَّنُّورُ، وَظَهَرَتِ الْعَلَامَةُ لِنُوحٍ. وَقَرَأَ عَاصِمٌ: "يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا" بِفَتْحِ الْيَاءِ، وَالْبَاقُونَ بِكَسْرِهَا".

يا بُنيّ على الأصل.

"وَأَصْلُ يَا بُنَيَّ أَنْ تَكُونَ بِثَلَاثِ يَاءَاتٍ، يَاءُ التَّصْغِيرِ، وَيَاءُ الْفِعْلِ، وَيَاءُ الْإِضَافَةِ، فَأُدْغِمَتْ يَاءُ التَّصْغِيرِ فِي لَامِ الْفِعْلِ، وَكُسِرَتْ لَامُ الْفِعْلِ مِنْ أَجْلِ يَاءِ الْإِضَافَةِ، وَحُذِفَتْ يَاءُ الْإِضَافَةِ لِوُقُوعِهَا مَوْقِعَ التَّنْوِينِ، أَوْ لِسُكُونِهَا وَسُكُونِ الرَّاءِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ، هَذَا أَصْلُ قِرَاءَةِ مَنْ كَسَرَ الْيَاءَ، وَهُوَ أَيْضًا أَصْلُ قِرَاءَةِ مَنْ فَتَحَ؛ لِأَنَّهُ قَلَبَ يَاءَ الْإِضَافَةِ أَلِفًا لِخِفَّةِ الْأَلِفِ، ثُمَّ حَذَفَ الْأَلِفَ؛ لِكَوْنِهَا عِوَضًا مِنْ حَرْفٍ يُحْذَفُ، أَوْ لِسُكُونِهَا وَسُكُونِ الرَّاءِ.

قَالَ النَّحَّاسُ: أَمَّا قِرَاءَةُ عَاصِمٍ فَمُشْكِلَةٌ، قَالَ أَبُو حَاتِمٍ: يُرِيدُ يَا بُنَيَّاهُ ثُمَّ يُحْذَفُ، قَالَ النَّحَّاسُ: رَأَيْتُ عَلِيَّ بْنَ سُلَيْمَانَ يَذْهَبُ إِلَى أَنَّ هَذَا لَا يَجُوزُ؛ لِأَنَّ الْأَلِفَ خَفِيفَةٌ. قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ النَّحَّاسُ: مَا عَلِمْتُ أَنَّ أَحَدًا مِنَ النَّحْوِيِّينَ جَوَّزَ الْكَلَامَ فِي هَذَا إِلَّا أَبَا إِسْحَاقَ؛ فَإِنَّهُ زَعَمَ أَنَّ الْفَتْحَ مِنْ

جِهَتَيْنِ، وَالْكَسْرَ مِنْ جِهَتَيْنِ، فَالْفَتْحُ عَلَى أَنَّهُ يُبْدَلُ مِنَ الْيَاءِ أَلِفًا، قَالَ اللَّهُ -عَزَّ وَجَلَّ- إِخْبَارًا: {يَا وَيْلَتَا} وَكَمَا قَالَ الشَّاعِرُ:

فَيَا عَجَبًا مِنْ رَحْلِهَا الْمُتَحَمَّلِ

فَيُرِيدُ يَا بُنَيَّا، ثُمَّ حَذَفَ الْأَلِفَ، لِالْتِقَاءِ السَّاكِنَيْنِ، كَمَا تَقُولُ: جَاءَنِي عَبْدَا اللَّهِ فِي التَّثْنِيَةِ. وَالْجِهَةُ الْأُخْرَى أَنْ تَحْذِفَ الْأَلِفَ؛ لِأَنَّ النِّدَاءَ مَوْضِعُ حَذْفٍ. وَالْكَسْرُ عَلَى أَنْ تُحْذَفَ الْيَاءُ لِلنِّدَاءِ. وَالْجِهَةُ الْأُخْرَى عَلَى أَنْ تَحْذِفَهَا؛ لِالْتِقَاءِ السَّاكِنَيْنِ".

المضاف إلى ياء المتكلم إذا نودي، مُضاف إلى ياء المتكلم إذا نودي، كم يجوز فيه من وجه؟

طالب: ....

نعم. خمسة أوجه.

طالب:.....

ماذا؟

طالب: ....

طيب، طيب

في عبدي، يا بُنيَّ.

هات البيت أضبط لك؟

طالب: ....

نعم.

طالب: .....

كمل يا هشام.

طالب: ....

نعم.

طالب:.....

عبدُ آخر شيء، يجوز يا عبدُ، يجوز ذلك.

طالب: ....

يعني إذا..

طالب: ....

لا لا طلعت، المهم أنه يجوز فيه خمسة أوجه، يجوز في المضاف إلى ياء المتكلم خمسة أوجه وهذا منه.

"قَوْلُهُ تَعَالَى: {قَالَ سَآوِي} [هود:٤٣] أَيْ: أَرْجِعُ وَأَنْضَمُّ. {إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي} [هود:٤٣] أَيْ: يَمْنَعُنِي مِنَ الْمَاءِ فَلَا أَغْرَقُ. {قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ} [هود:٤٣] أَيْ لَا مَانِعَ".

قد يقول أو يُلاحظ بعض الإخوان أن بعض المسائل التي تُثار لا تُكمل، صح؟ أو لا توضح، وهذا فيه شحذ هِمم للأخوة أن يَرجعوا بأنفسهم لما فُتح لهم الباب فيلجوا بأنفسهم، ويكملوا هم، وليس من الضروري أن الطالب يأخذ كل شيء في الدرس.

المقصود أن يفتح له الباب ويلج هو بنفسه؛ لأنكم كلكم- ولله الحمد- مؤهلون للمراجعة، والفهم، وإذا أشكل بعد المراجعة شيء فالأمر سهل يعني، أما أن يُبين كل شيء ويُوضح كل شيء أمام الطالب فيصبح مجرد آلة ما يستفيد ولا ينفع.

طالب:.....

نعم يبرد عن البحث، لكن إن سمع طرف الخبر وبحاجة إلى مثل هذا الخبر يبحث عن باقيه، فيصل إلى المعلومة بنفسه، وبهذه الطريقة يستطيع أن يواصل تعليمه. وهذا قد تشاهدونه، أحيانًا نأتي بالشيء ونُمره كما جاء، باعتبار أن الأخوة إذا أشكل عليهم، وقد فُتح لهم الباب، وعرفوا طرف المسألة، وعرفوا مظنتها من الكتب، يبحثون عنها بأنفسهم، أنا عارف إن أشرف يقول: ما وضحت الخمس اللغات، نعم الخمسة أوجه ما يلزم، ما يلزم أن كل شيء يوضح.

طالب: المسائل النحوية يا شيخ قد...

لا لا، ترجع إليها بنفسك، وتثبت في ذهنك، والحمد لله، وكل شيء، وأنت عرفت أن هذه المسألة في باب النداء، وأوجه المضاف إلى ياء المتكلم معروفة، ومتكلم عليها باستفاضة، وغيره وغيره مما تقدم، يعني ورود الصور الثلاثة التي ذكرنها فيما يجوز في مجيء الحال من المضاف إليه، ترجع إليها، وتثبت عندك.

طالب: جزاك الله خيرًا.

نعم.

"**{قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ} [هود:٤٣] أَيْ لَا مَانِعَ، فَإِنَّهُ يَوْمٌ حَقَّ فِيهِ الْعَذَابُ عَلَى الْكُفَّارِ. وَانْتَصَبَ "عَاصِمَ" عَلَى التَّبْرِئَةِ**".

ما معنى على التبرئة؟

أولًا: عاصم الآن الذي عليه علامة إعراب، يقول: انتصب أم انفتح؟

انتصب من علامات الإعراب، كيف يقول: انتصب، والأصل أن يقول: انفتح؟ وانتصب عاصم على التبرئة.

أولًا: الفتحة فتحة بناء؛ لأن مدخول لا النافية للجنس مبني، مبني على الفتح في محل نصب. على التبرئة؛ ما معنى على التبرئة؟

طالب: ....

نعم.

طالب:.....

الأصل في الكلمة أنها منصوبة؟

طالب: ....

كيف؟

لا، إذا كانت تقصد البراءة الأصلية قبل دخول العوامل الأصلية فهذا شيء، إن كان يقصد هذا، وليست الكلمة منصوبة، الأصل في الكلمات؟

طالب: ....

الأصل قبل دخول العوامل على الأسماء وعلى الأفعال ايش؟ الرفع، قبل دخول العوامل، إن كان يقصد هذا فلا محل له ولا وجه له، وليس يقصد على الأصل، على براءة الكلمة الأصلية من دخول العوامل، لا. ومر وسيمر اصطلاحات لا توجد عند النُحاة المتأخرين وتسميات لبعض الأبواب لا توجد في كتب المتأخرين، لكن لا بُد من مراجعة كُتب المتقدمين في مثل هذا، هو يستعمل مثل هذه الألفاظ في كتابه، يستعمل التفسير مكان التميز، يستعمل مثل هذا الكلام، فإذا أردنا أن نفهم مثل هذا الكلام، في تفسير الطبري أكثر النحو ما يُفهم، وموجود النحو فيه بكثرة، لكن ما يُفهم؛ لأنه بالمسميات القديمة، فإذا قلنا: إنه منصوب على التبرئة صار عندنا طرف خبر على ما انفتح؛ لأنه اسم لا النافية للجنس، والنافية للجنس تنفي جنس العامل، دخول العامل.

طالب: ....

نعم.

تنفي جنس العاصم، لا عاصم، لا حول..

طالب: تنفي العصمة.

فرق بين نفي الجنس ونفي الوحدة.

طالب: ....

نعم، فرق بين نفي الجنس ونفي الوحدة، فهذه تنفي نفيًا باتًّا؛ تنفي كل عاصم إلا ما استثني، وهل المراد بالعاصم على حقيقته اسم الفاعل؟ أو المراد به المعصوم؟ لا عاصم يعني لا معصوم من أمر الله؟ لا معصوم من أمر الله إلا من رحم، يجوز دخول الاستثناء بعد لا النافية للجنس؟

طالب: ....

نعم

طالب: .....

كلمة التوحيد، كلمة التوحيد.

"وَيَجُوزُ "لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ" تَكُونُ لَا بِمَعْنَى لَيْسَ. {إِلَّا مَنْ رَحِمَ} [هود:٤٣] فِي مَوْضِعِ نَصْبِ اسْتِثْنَاءٍ لَيْسَ مِنَ الْأَوَّلِ، أَيْ لَكِنْ مَنْ رَحِمَهُ اللَّهُ فَهُوَ يَعْصِمُهُ، قَالَهُ الزَّجَّاجُ".

في موضع نصب على الاستثناء، الآن الاستثناء تام موجب لكي يُنصب المستثنى، أو لا تام ولا موجب، أو تام لكنه ليس بموجب؟

نعم.

طالب: ....

يعني ذُكر المستثنى منه. ذُكر المستثنى منه، هذا إذا قلنا: إن الاستثناء متصل، إذا قُلنا: الاستثناء متصل قُلنا ذُكر المستثنى منه، لكن إذا كان المستثنى من غير جنس المستثنى منه، قلنا الاستثناء منقطع.

طالب: ....

يكون في محل نصب.

يجوز فيه الوجهان؛ لأنه قال هنا في موضع نصب استثناء ليس من الأول، يعني مُنقطعًا، فإذا قُلت: قام القوم إلا حمارًا، فالحمار ليس من القوم، وإذا قلت: قام القوم إلا فاطمة، منهم أم ليست منهم؟ منهم؟

طالب: ....

كيف؟

طالب: ...

يدخل أم ما يدخل؟

طالب: ....

لا يسخر قومٌ من قومٍ ولا

طالب: نساء من نساء.

من باب العطف هذا من باب التخصيص، الخاص بعد العام.

طالب:.....

نعم، ماذا؟

طالب: ....

يعني هل النساء من القوم أم لا؟

طالب: من جنس....

إذًا منهم؟

طالب:.....

نعم هات.

طالب: ....

كيف؟

طالب: ....

هذا يؤيد الآية، يؤيد.

عندهم أن النساء ليست من القوم، القوم خاص بالرجال، فعلى هذا إذا صحت كلمة لكن بدل إلا فهو مُنقطع، قام القوم إلا حمارًا يعني قام حمارٌ، أو لكن القائم حمار.

أي: لكن من -رحمه الله- فهو يعصمه، فعلى هذا الاستثناء منقطع، ولذا قال: ليس من الأول، يعني أن المستثنى ليس من جنس المستثنى منه.

"وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ فِي مَوْضِعِ رَفْعٍ، عَلَى أَنَّ عَاصِمًا بِمَعْنَى مَعْصُومٍ، مِثْلُ: {مَاءٌ دَافِقٌ} [الطارق:٦] أَيْ مَدْفُوقٌ، فَالِاسْتِثْنَاءُ عَلَى هَذَا مُتَّصِلٌ".

{عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ} يعني: مرضية، كما أنه يجيء اسم المفعول ويُراد به اسم الفاعل، هنا اسم فاعل يُراد به اسم مفعول، العكس، **{حِجَابًا مَسْتُورًا}** [الإسراء:٤٥] يعني ساترًا.

"قَالَ الشَّاعِرُ:

بَطِيءُ الْقِيَامِ رَخِيمُ الْكَلَامِ أَمْسَى فُؤَادِي بِهِ فَاتِنَا

أَيْ مَفْتُونًا. وَقَالَ الْآخَرُ:

دَعِ الْمَكَارِمَ لَا تَنْهَضْ لِبُغْيَتِهَا وَاقْعُدْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الطَّاعِمُ الْكَاسِي

أَيِ الْمَطْعُومُ الْمَكْسُوُّ. قَالَ النَّحَّاسُ: وَمِنْ أَحْسَنِ مَا قِيلَ فِيهِ أَنْ تَكُونَ "مَنْ" فِي مَوْضِعِ رَفْعٍ، بِمَعْنَى لَا يَعْصِمُ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا الرَّاحِمُ، أَيْ إِلَّا اللَّهُ. وَهَذَا اخْتِيَارُ الطَّبَرِيِّ. وَيُحَسِّنُ هَذَا أَنَّكَ لَمْ تَجْعَلْ عَاصِمًا بِمَعْنَى مَعْصُومٍ فَتُخْرِجُهُ مِنْ بَابِهِ، وَلَا " إِلَّا" بِمَعْنَى "لَكِن".

يعني يقوي هذا الاختيار، اختيار الطبري، لا عاصم من أمر الله إلا الله، إلا من رحم يعني الراحم، وليس المراد به المرحوم. يقول: يقوي هذا اختيار أنك أجريت اسم الفاعل على بابه، وإلا على بابها أيضًا، فيكون عاصم، لا عاصم إلا الراحم، فتكون عاصم على بابها، ولا تحتاج إلى أن تؤول باسم المفعول، وإلا أيضًا على بابها ولا تحتاج أن تؤول بـ "لكن".

"{وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ} [هود:٤٣] يَعْنِي بَيْنَ نُوحٍ وَابْنِهِ. {فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ} [هود:٤٣] قِيلَ: إِنَّهُ كَانَ رَاكِبًا عَلَى فَرَسٍ قَدْ بَطِرَ بِنَفْسِهِ، وَأُعْجِبَ بِهَا، فَلَمَّا رَأَى الْمَاءَ جَاءَ قَالَ: يَا أَبَتِ فَارَ التَّنُّورُ، فَقَالَ لَهُ أَبُوهُ: يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا، فَمَا اسْتَتَمَّ الْمُرَاجَعَةَ حَتَّى جَاءَتْ مَوْجَةٌ عَظِيمَةٌ فَالْتَقَمَتْهُ هُوَ وَفَرَسُهُ، وَحِيلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ نُوحٍ فَغَرِقَ. وَقِيلَ: إِنَّهُ اتَّخَذَ لِنَفْسِهِ بَيْتًا مِنْ زُجَاجٍ يَتَحَصَّنُ فِيهِ مِنَ الْمَاءِ، فَلَمَّا فَارَ التَّنُّورُ دَخَلَ وَأَقْفَلَهُ عَلَيْهِ مِنْ دَاخِلٍ، فَلَمْ يَزَلْ يَتَغَوَّطُ فِيهِ وَيَبُولُ حَتَّى غَرِقَ بِذَلِكَ. وَقِيلَ: إِنَّ الْجَبَلَ الَّذِي أَوَى إِلَيْهِ "طُورُ سَيْنَاءَ".

كان من المغرقين، كان من جملة المغرقين، والأصل أن الغرق حصل بالماء، أنه حصل بالماء، ونقل، يقول: قيل على ما تقدم من نقل عن أهل الكتاب أنه اتخذ بيت من زجاج صار لا يستطيع الخروج منه، فيأكل فيه ويقضي حاجته فيه إلى أن غرق فيه، مثل هذا خلاف الأصل.

طالب: ...

{وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ} [هود:٤٣] والغرق إنما حصل بالماء.

طالب: بيت من زجاج.

يعصم من الغرق؟

ألا ينزلون البحار بزجاج أو شيء؟

طالب:.....

ما فيه بيوت زجاجية ومصاعد زجاجية بالبحار؟

طالب: ....

موجودة هذا، لكن أنت ما جربت.

طالب: ...

نعم.

طالب: لما يكون فيضان يطلع لك بيت من زجاج، الفيضان ما يحمله؟

لما تدخل قارورة ما يدخل عليك الماء؟ يعني القارورة ما يمتنع الماء من دخولها إذا أُحكم أغلقها؟

طالب: ممكن، لكن تفرغ من الهوا، ما يكون فيها هواء.

هذا كلام تسمعه واتركه، مثل هذا الكلام هو ما أشرنا إليه سابقًا مما اشترط المؤلف عدم ذكره في كتابه وقد ذكره.

"**قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي} [هود: ٤٤] هَذَا مَجَازٌ؛ لِأَنَّهَا مَوَاتٌ**".

يعني كيف تُنادى وهي موات؟! لا تعقل، كيف تُنادى والأصل في النداء أنه لمن يعقل؛ لكي يُجيب، {يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي} [هود:٤٤]، لكن ما الذي يمنع أنها تسمع وتُطيع وتمتثل؟ وجاء عنهما أنهما قالتا: أتينا طائعين، القدرة الإلهية تجعل مثل هذه الجمادات تنطق. وسوف تنطق الجوارح، والجوارح في حكم الجمادات، ولا مانع من ذلك، والشمس تسجد تحت العرش، ولا مانع يمنعها من ذلك، تسجد تحت العرش وهي في مسارها، ولا يقول قائل: كيف؟ الآن هي هبطت ونزلت وكيف تسجد تحت العرش؟ الحديث صحيح في ذلك، الذي جاء في ذلك، وهذا فوق ما تدركه العقول، فعلينا الرضا والتسليم، كما جاء في القول الصحيح عند أهل العلم: أن الله -سبحانه وتعالى- ينزل كل ليلة إلى السماء الدنيا، والذي قرره شيخ الإسلام وغيره أن العرش لا يخلو منه، لكن الذي يدخل ذهنه وعقله القاصر في كل شيء يستشكل، والقدرة الإلهية فوق هذا كله.

"وَقِيلَ: جُعِلَ فِيهَا مَا تُمَيِّزُ بِهِ. وَالَّذِي قَالَ إِنَّهُ مَجَازٌ قَالَ: لَوْ فُتِّشَ كَلَامُ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ مَا وُجِدَ فِيهِ مِثْلَ هَذِهِ الْآيَةِ عَلَى حُسْنِ نَظْمِهَا، وَبَلَاغَةِ رَصْفِهَا، وَاشْتِمَالِ الْمَعَانِي فِيهَا. وَفِي الْأَثَرِ: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يُخْلِي الْأَرْضَ مِنْ مَطَرٍ عَامًا أَوْ عَامَيْنِ، وَأَنَّهُ مَا نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءٌ قَطُّ إِلَّا بِحِفْظِ مَلَكٍ مُوَكَّلٍ بِهِ إِلَّا مَا كَانَ مِنْ مَاءِ الطُّوفَانِ، فَإِنَّهُ خَرَجَ مِنْهُ مَا لَا يَحْفَظُهُ الْمَلَكُ. وَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: {إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ} [الحاقة:١١] فَجَرَتْ بِهِمُ السَّفِينَةُ إِلَى أَنْ تَنَاهَى الْأَمْرُ، فَأَمَرَ اللَّهُ الْمَاءَ الْمُنْهَمِرَ مِنَ السَّمَاءِ بِالْإِمْسَاكِ، وَأَمَرَ اللَّهُ الْأَرْضَ بِالِابْتِلَاعِ. وَيُقَالُ: بَلَعَ الْمَاءَ يَبْلَعُهُ".

بلع يبلَع.

"مِثْلُ مَنَعَ يَمْنَعُ وَبَلِعَ يَبْلَعُ مِثْلُ حَمِدَ وَيَحْمَدُ، لُغَتَانِ حَكَاهُمَا الْكِسَائِيُّ وَالْفَرَّاءُ وَالْبَالُوعَةُ الْمَوْضِعُ الَّذِي يَشْرَبُ الْمَاءَ. قَالَ ابْنُ الْعَرَبِيِّ: الْتَقَى الْمَاءَانِ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ، مَا كَانَ فِي الْأَرْضِ وَمَا نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ، فَأَمَرَ اللَّهُ مَا نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ بِالْإِقْلَاعِ، فَلَمْ تَمْتَصَّ الْأَرْضُ مِنْهُ قَطْرَةً، وَأَمَرَ الْأَرْضَ بِابْتِلَاعِ مَا خَرَجَ مِنْهَا فَقَطْ، وَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ} [هود:٤٤]، وَقِيلَ: مَيَّزَ اللَّهُ بَيْنَ الْمَاءَيْنِ، فَمَا كَانَ مِنْ مَاءِ الْأَرْضِ أَمَرَهَا فَبَلَعَتْهُ، وَصَارَ مَاءُ السَّمَاءِ بِحَارًا.

قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَغِيضَ الْمَاءُ} [هود:٤٤] أَيْ نَقَصَ".

لأنه قال: {يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ} [هود:٤٤]، فابتلعت ماءها، والماء النازل من السماء ليس من ماء الأرض، أين ذهب؟

طالب: ....

نعم

طالب:.....

نعم

طالب:....

ابلعي ماءك؛ {يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي} [هود:٤٤].

طالب:....

منهم من يقول: إن البحار موجودة من ماء الطوفان فقط، منهم من يرى ذلك، ومنهم من يقول: إن البحار موجودة مع خلق الأرض.

على كل حال الآية ظاهرة في أن ماء السماء لم تبتلعه الأرض، وكون الأرض ابتلعت ماءها وبقي ماء السماء على الأرض، فوجدت منه البحار أو جنس البحار أو شيء منها دون شيء، وإن كان بعضه موجودًا قبل، ولا يمتنع أن يكون تبخر جزء منه إلى آخر ما هو معروف في هذا الباب.

"يُقَالُ: غَاضَ الشَّيْءُ وَغِضْتُهُ أَنَا، كَمَا يُقَالُ: نَقَصَ بِنَفْسِهِ وَنَقَصَهُ غَيْرُهُ، وَيَجُوزُ "غُيِضَ" بِضَمِّ الْغَيْنِ {وَقُضِيَ الْأَمْرُ} [هود: ٤٤] أَيْ أُحْكِمَ وَفُرِغَ مِنْهُ، يَعْنِي أُهْلِكَ قَوْمُ نُوحٍ عَلَى تَمَامٍ وَإِحْكَامٍ. وَيُقَالُ: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَعْقَمَ أَرْحَامَهُمْ أَيْ أَرْحَامَ نِسَائِهِمْ قَبْلَ الْغَرَقِ بِأَرْبَعِينَ سَنَةٍ، فَلَمْ يَكُنْ فِيمَنْ هَلَكَ صَغِيرٌ. وَالصَّحِيحُ أَنَّهُ أَهْلَكَ الْوِلْدَانَ بِالطُّوفَانِ، كَمَا هَلَكَتِ الطَّيْرُ وَالسِّبَاعُ. وَلَمْ يَكُنِ الْغَرَقُ عُقُوبَةً لِلصِّبْيَانِ وَالْبَهَائِمِ وَالطَّيْرِ، بَلْ مَاتُوا بِآجَالِهِمْ".

وليس في هذا ظلم لأحد؛ لأن الخلق خلق الله، ومشيئته وإرادته نافذة في الكبير والصغير، والعقوبات إذا جاءت عمَّت، العقوبات إذا جاءت عمَّت، تحمل إثم مثل هؤلاء من كان سببًا في العقوبة، وأما هم فبأجلهم ماتوا، فالحروب والفيضانات وغيرها التي تحدث من الكوارث العامة بأسباب الذنوب والمعاصي، إذا جاءت لا تُفرق بين صغير وكبير، بين رفيعٍ وحقير، لكن التبعة على المتسبب، {فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ} [الشورى: ٣٠]، فالذي يتحمل هذه المسؤوليات المتسبب.

"وَحُكِيَ أَنَّهُ لَمَّا كَثُرَ الْمَاءُ فِي السِّكَكِ خَشِيَتْ أُمُّ صَبِيٍّ عَلَيْهِ؛ وَكَانَتْ تُحِبُّهُ حُبًّا شَدِيدًا، فَخَرَجَتْ بِهِ إِلَى الْجَبَلِ، حَتَّى بَلَغَتْ ثُلُثَهُ، فَلَمَّا بَلَغَهَا الْمَاءُ خَرَجَتْ حَتَّى بَلَغَتْ ثُلُثَيْهِ، فَلَمَّا بَلَغَهَا الْمَاءُ اسْتَوَتْ عَلَى الْجَبَلِ، فَلَمَّا بَلَغَ الْمَاءُ رَقَبَتَهَا رَفَعَتْ يَدَيْهَا بِابْنِهَا حَتَّى ذَهَبَ بِهَا الْمَاءُ، فَلَوْ رَحِمَ اللَّهُ مِنْهُمْ أَحَدًا لَرَحِمَ أُمَّ الصَّبِيِّ".

طالب: ما جاء في هذا الحديث؟

نعم.

طالب: ....

معلق عليه عندك؟

على كلِّ ما حصل كان بجنايتها؛ لأنها لو آمنت بنوح لركبت معه، لأنه أُمِر بإركاب من كل زوجين اثنين ومن آمن، لكنها لم تؤمن، فجنت على نفسها وعلى ولدها.

"قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ} [هود: ٤٤] أَيْ هَلَاكًا لَهُمْ. الْجُودِيُّ جَبَلٌ بِقُرْبِ الْمَوْصِلِ، اسْتَوَتْ عَلَيْهِ فِي الْعَاشِرِ مِنَ الْمُحَرَّمِ يَوْمَ عَاشُورَاءَ، فَصَامَهُ نُوحٌ وَأَمَرَ جَمِيعَ مَنْ مَعَهُ مِنَ النَّاسِ وَالْوَحْشِ وَالطَّيْرِ وَالدَّوَابِّ وَغَيْرِهَا فَصَامُوهُ، شُكْرًا لِلَّهِ تَعَالَى وَقَدْ تَقَدَّمَ هَذَا الْمَعْنَى. وَقِيلَ: كَانَ ذَلِكَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ. وَرُوِيَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَوْحَى إِلَى الْجِبَالِ أَنَّ السَّفِينَةَ تُرْسَى عَلَى وَاحِدٍ مِنْهَا فَتَطَاوَلَتْ، وَبَقِيَ الْجُودِيُّ لَمْ يَتَطَاوَلْ تَوَاضُعًا لِلَّهِ، فَاسْتَوَتِ السَّفِينَةُ عَلَيْهِ: وَبَقِيَتْ عَلَيْهِ أَعْوَادُهَا. وَفِي الْحَدِيثِ أَنَّ النَّبِيَّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: «لَقَدْ بَقِيَ مِنْهَا شَيْءٌ أَدْرَكَهُ أَوَائِلُ هَذِهِ الْأُمَّةِ»".

عندك تخريج الحديث؟

طالب: .....

لا بُد أن يكون قائل هذا الكلام من المتأخرين؛ لأن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: لقد بقي منها شيءٌ أدركه أوائل هذه الأمة، فيه أحد قبله من هذه الأمة، قبل الرسول -صلى الله عليه وسلم-؟ كان يقول: أدركته.

"وَقَالَ مُجَاهِدٌ: تَشَامَخَتِ الْجِبَالُ وَتَطَاوَلَتْ لِئَلَّا يَنَالُهَا الْغَرَقُ، فَعَلَا الْمَاءُ فَوْقَهَا خَمْسَةَ عَشَرَ ذِرَاعًا، وَتَطَامَنَ الْجُودِيُّ، وَتَوَاضَعَ لِأَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى فَلَمْ يَغْرَقْ، وَرَسَتِ السَّفِينَةُ عَلَيْهِ. وَقَدْ قِيلَ: إِنَّ الْجُودِيَّ اسْمٌ لِكُلِّ جَبَلٍ، وَمِنْهُ قَوْلُ زَيْدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ نُفَيْلٍ.

سُبْحَانَهُ ثُمَّ سُبْحَانًا يَعُودُ لَهُ وَقَبْلَنَا سَبَّحَ الْجُودِيُّ وَالْجَمَدُ

وَيُقَالُ: إِنَّ الْجُودِيَّ مِنْ جِبَالِ الْجَنَّةِ، فَلِهَذَا اسْتَوَتْ عَلَيْهِ. وَيُقَالُ: أَكْرَمَ اللَّهُ ثَلَاثَةَ جِبَالٍ بِثَلَاثَةِ نَفَرٍ: الْجُودِيَّ بِنُوحٍ، وَطُورَ سَيْنَاءَ بِمُوسَى، وَحِرَاءَ بِمُحَمَّدٍ -صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ- أَجْمَعِينَ.

[مَسْأَلَةٌ]: لَمَّا تَوَاضَعَ الْجُودِيُّ وَخَضَعَ عَزَّ، وَلَمَّا ارْتَفَعَ غَيْرُهُ وَاسْتَعْلَى ذَلَّ، وَهَذِهِ سُنَّةُ اللَّهِ فِي خَلْقِهِ، يَرْفَعُ مَنْ تَخَشَّعَ، وَيَضَعُ مَنْ تَرَفَّعَ، وَلَقَدْ أَحْسَنَ الْقَائِلُ:

وَإِذَا تَذَلَّلَتِ الرِّقَابُ تَخَشُّعًا مِنَّا إِلَيْكَ فَعِزُّهَا فِي ذُلِّهَا

وَفِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ وَمُسْلِمٍ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: كَانَتْ نَاقَةٌ لِلنَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- تُسَمَّى الْعَضْبَاءَ، وَكَانَتْ لَا تُسْبَقُ، فَجَاءَ أَعْرَابِيٌّ عَلَى قَعُودٍ لَهُ فَسَبَقَهَا، فَاشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، وَقَالُوا: سُبِقَتِ الْعَضْبَاءُ! فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «إِنَّ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَلَّا يَرْفَعَ شَيْئًا مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا وَضَعَهُ»".

نعم، وهذا شيءٌ مشاهد ومُلاحظ، حتى من أهل الفضل والخير والصلاح ممن ليس بمعصوم، إذا بلغ الغاية في رأي الناس، وفي عُرفهم من الفضل، فلا بُد أن يقع منه ما يكون سببًا في عدم الغلو فيه، لا بُد أن يحصل منه شيء مما يُنقم عليه، وإلا لو استمر في علوه وارتفاعهِ لصار سببًا في فتنة بعض الناس، وقد يَفتتن بنفسه ما ارتفع شيء إلا وضعه الله هذه سنة إلهية، ولما انتصر خالد بن الوليد في معاركه الانتصارات الباهرة الظاهرة عزله عمر -رضي الله عنه-؛ خشية أن يفتتن به الناس، وهذا شواهد الحال عليه ظاهره، تجدون الإمام الكبير العالم الجبل لا بُد أن يقع منه شيء يجعل الناس يثقون ويعتقدون أنه لا معصوم إلا من عصمه الله، مثل هذا تقع منه الذلة، وتقع منه الهفوة، وإلا لو استمر على علمه وفضله وخيره وعباداته وعمله لافتتن به الناس، وقد يفتتن به من لا يُرد الله تعالى هدايته، من يُرد الله فتنته ويُعميها عما يحصل له من الأخطاء، لكن من نظر بعين البصيرة عرف أن هذا مهما بلغ من العلم والفضل والخير والصلاح؛ لأنه ليس بمعصوم، وهكذا نجد لكبار العلماء والأئمة من المتقدمين والمتأخرين نجدهم

يرتفعون في أعين الناس، وهم أهل لذلك لاقتران العلم بالعمل، إلا أنهم يحصل منهم الهفوة؛ رحمةً بهم، وبمن يقتدي بهم، وإلا لو استمروا على هذا الارتفاع وهذا العلو وهذا الخير والفضل والصلاح صار خطرًا عليهم وعلى غيرهم، وهذه الهفوة يَعرفون فيها الحق فيما بعد، ويرجعون عنها، فتصير من حسناتهم. وهم أيضًا إنما وقعت منهم عن اجتهاد، وهم معذرون إذا بذلوا وسعهم وجهدهم، وهم مأجورون -إن شاء الله-، وإن كانت في الواقع خطأً، لكن هذه من حكمة الله -سبحانه وتعالى-، ومن لطفه بالعلماء وبغيرهم ممن يقتدي بهم، ولذا قال -صلى الله عليه وسلم-: «إِنَّ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَلَّا يَرْفَعَ شَيْئًا مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا وَضَعَهُ».

مثل أيضًا ما هو موجود في الحضارات، ما يوجد عند الأمم من رقي وتقدم تجده يصل إلى مبلغ، ثم فجاءةً يهبط، وهذا معروف في الأزمنة الغابرة القديمة والحديثة أن حقًّا على الله أن لا يرفع شيئًا من الدنيا إلا وضعه، وبهذا تبين منزلة الآخرة، وأن النقص ملازم لهذه الحياة، ولذا قال: أن لا يرفع شيئًا من الدنيا، أمور الدنيا مهما بلغت وارتفعت لا بُد لها من نقصان، ولو اعتبر الإنسان في نفسهِ {وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ} [الذاريات:٢١]، تجده أول ما ولد عريان، طفل لا يستطيع طرد البعوض عن نفسه، ثم بعد ذلك ينمو ويشب إلى أن يصير غلامًا، ثم شابًّا، ثم كهلًا، ثم ينزل، يبدأ في العد التنازلي؛ لأن هذا من أمور الدنيا. لكن في الآخرة ٣٣ سنة ما تزيد ولا تنقص،

هذا وسنهم ثلاث مع ثلاثين التي هي قوة الشبان غاية ثلاثة وثلاثين، لا بعد مليون سنة ولا أكثر ولا أقل ما فيه، هذا ثلاثة والثلاثين انتهى.

طالب: ما الحكمة في ثلاثة وثلاثين، أليس الشاب؟

قوة الشبان، خلاص في ثلاثة وثلاثين مكتمل الشباب

طالب: أليس قوة الشباب صاحب ثلاثة وعشرين، وخمسة وعشرين؟

لا لا، أنت تنظر إلى قوة واحدة، انظر إلى جميع القوى، متى تكتمل؟ متى تكتمل جميع القوى؟ بثلاثة وثلاثين.

طالب: .....

نعم، يبدأ فيه النقص. لكن ثلاثة وثلاثين هي الغاية.

"وَخَرَّجَ مُسْلِمٌ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: «مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ، وَمَا زَادَ اللَّهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا، وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ». وَقَالَ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «إِنَّ اللَّهَ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا حَتَّى لَا يَبْغِيَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ، وَلَا يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ». خَرَّجَهُ الْبُخَارِيُّ.

[مَسْأَلَةٌ]: نَذْكُرُ فِيهَا مِنْ قِصَّةِ نُوحٍ مَعَ قَوْمِهِ وَبَعْضَ ذِكْرِ السَّفِينَةِ ، ذَكَرَ الْحَافِظُ ابْنُ عَسَاكِرَ فِي التَّارِيخِ لَهُ عَنِ الْحَسَنِ: أَنَّ نُوحًا أَوَّلُ رَسُولٍ بَعَثَهُ اللَّهُ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَلَقَدْ

أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا} [العنكبوت: ١٤]، وَكَانَ قَدْ كَثُرَتْ فِيهِمُ الْمَعَاصِي، وَكَثُرَتِ الْجَبَابِرَةُ، وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا، وَكَانَ نُوحٌ يَدْعُوهُمْ لَيْلًا وَنَهَارًا، سِرًّا وَعَلَانِيَةً، وَكَانَ صَبُورًا حَلِيمًا، وَلَمْ يَلْقَ أَحَدٌ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ أَشَدَّ مِمَّا لَقِيَ نُوحٌ، فَكَانُوا يَدْخُلُونَ عَلَيْهِ فَيَخْنُقُونَهُ حَتَّى يُتْرَكَ وَقِيذًا".

يعني على حسب ظنهم إن صح الخبر، وقيل" يعني منتهيًا.

"وَيَضْرِبُونَهُ فِي الْمَجَالِسِ وَيُطْرَدُ، وَكَانَ لَا يَدْعُو عَلَى مَنْ يَصْنَعُ بِهِ، بَلْ يَدْعُوهُمْ وَيَقُولُ: "رَبِّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ" فَكَانَ لَا يَزِيدُهُمْ ذَلِكَ إِلَّا فِرَارًا مِنْهُ، حَتَّى إِنَّهُ لَيُكَلِّمُ الرَّجُلَ مِنْهُمْ فَيَلُفُّ رَأْسَهُ بِثَوْبِهِ، وَيَجْعَلُ أُصْبُعَيْهِ فِي أُذُنَيْهِ؛ لِكَيْلَا يَسْمَعَ شَيْئًا مِنْ كَلَامِهِ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ} [نوح: ٧].

وَقَالَ مُجَاهِدٌ وَعُبَيْدُ بْنُ عُمَيْرٍ: كَانُوا يَضْرِبُونَهُ حَتَّى يُغْشَى عَلَيْهِ فَإِذَا أَفَاقَ قَالَ: "رَبِّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ".

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: إِنَّ نُوحًا كَانَ يُضْرَبُ ثُمَّ يُلَفُّ فِي لِبَدٍ فَيُلْقَى فِي بَيْتِهِ، يَرَوْنَ أَنَّهُ قَدْ مَاتَ، ثُمَّ يَخْرُجُ فَيَدْعُوهُمْ، حَتَّى إِذَا يَئِسَ مِنْ إِيمَانِ قَوْمِهِ جَاءَهُ رَجُلٌ وَمَعَهُ ابْنُهُ وَهُوَ يَتَوَكَّأُ عَلَى عَصًا، فَقَالَ: يَا بُنَيَّ انْظُرْ هَذَا الشَّيْخَ لَا يَغُرَّنَّكَ، قَالَ: يَا أَبَتِ أَمْكِنِّي مِنَ الْعَصَا، فَأَمْكَنَهُ فَأَخَذَ الْعَصَا ثُمَّ قَالَ: ضَعْنِي فِي الْأَرْضِ فَوَضَعَهُ، فَمَشَى إِلَيْهِ بِالْعَصَا فَضَرَبَهُ فَشَجَّهُ شَجَّةً مُوضِحَةً فِي رَأْسِهِ، وَسَالَتِ الدِّمَاءُ، فَقَالَ نُوحٌ: "رَبِّ قَدْ تَرَى مَا يَفْعَلُ بِي عِبَادُكَ، فَإِنْ يَكُ لَكَ فِي عِبَادِكَ خَيْرِيَّةٌ فَاهْدِهِمْ، وَإِنْ يَكُ غَيْرُ ذَلِكَ فَصَبِّرْنِي إِلَى أَنْ تَحْكُمَ وَأَنْتَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ"، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ وَآيَسَهُ مِنْ إِيمَانِ قَوْمِهِ، وَأَخْبَرَهُ أَنَّهُ لَمْ يَبْقَ فِي أَصْلَابِ الرِّجَالِ وَلَا فِي أَرْحَامِ النِّسَاءِ مُؤْمِنٌ. قَالَ: {وَأُوحِيَ إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ} [هود: ٣٦]؛ أَيْ لَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ، {وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا} [هود: ٣٧] قَالَ: يَا رَبِّ، وَأَيْنَ الْخَشَبُ؟ قَالَ: اغْرِسِ الشَّجَرَ. قَالَ: فَغَرَسَ السَّاجَ عِشْرِينَ سَنَةً، وَكَفَّ عَنِ الدُّعَاءِ، وَكَفُّوا عَنِ الِاسْتِهْزَاءِ. وَكَانُوا يَسْخَرُونَ مِنْهُ، فَلَمَّا أَدْرَكَ الشَّجَرَ، أَمَرَهُ رَبُّهُ فَقَطَعَهَا وَجَفَّفَهَا: فَقَالَ: يَا رَبِّ كَيْفَ أَتَّخِذُ هَذَا الْبَيْتَ؟ قَالَ: اجْعَلْهُ عَلَى ثَلَاثَةِ صُوَرٍ، رَأْسُهُ كَرَأْسِ الدِّيكِ، وَجُؤْجُؤُهُ كَجُؤْجُؤِ الطَّيْرِ، وَذَنَبُهُ كَذَنَبِ الدِّيكِ، وَاجْعَلْهَا مُطْبَقَةً، وَاجْعَلْ لَهَا أَبْوَابًا فِي جَنْبِهَا، وَشُدَّهَا بِدُسُرٍ، يَعْنِي مَسَامِيرَ الْحَدِيدِ. وَبَعَثَ اللَّهُ جِبْرِيلَ فَعَلَّمَهُ صَنْعَةَ السَّفِينَةِ، وَجَعَلَتْ يَدُهُ لَا تُخْطِئُ.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: كَانَتْ دَارُ نُوحٍ -عَلَيْهِ السَّلَامُ- دِمَشْقَ، وَأَنْشَأَ سَفِينَتَهُ مِنْ خَشَبِ لُبْنَانَ بَيْنَ زَمْزَمَ وَبَيْنَ الرُّكْنِ وَالْمَقَامِ، فَلَمَّا كَمُلَتْ حَمَلَ فِيهَا السِّبَاعَ وَالدَّوَابَّ فِي الْبَابِ الْأَوَّلِ".

الخشب من لبنان، والصناعة وقعت في هذا المكان بين زمزم وبين الركن والمقام، ومعروف أن هذا مما يرويه الحسن عن أهل الكتاب.

طالب: .....

كل هذا على ما تقدم سابقًا من نقله واعتماده على الإسرائيليات، وإن كانت قليلة بالنسبة لحجم الكتاب.

"وَجَعَلَ الْوَحْشَ وَالطَّيْرَ فِي الْبَابِ الثَّانِي، وَأَطْبَقَ عَلَيْهِمَا/ وَجَعَلَ أَوْلَادَ آدَمَ أَرْبَعِينَ رَجُلًا وَأَرْبَعِينَ امْرَأَةً فِي الْبَابِ الْأَعْلَى وَأَطْبَقَ عَلَيْهِمْ، وَجَعَلَ الذَّرَّ مَعَهُ فِي الْبَابِ الْأَعْلَى< لِضَعْفِهَا أَلَّا تَطَأَهَا الدَّوَابُّ.

قَالَ الزُّهْرِيُّ: إِنَّ اللَّهَ -عَزَّ وَجَلَّ- بَعَثَ رِيحًا فَحُمِلَ إِلَيْهِ مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ، مِنَ السِّبَاعِ وَالطَّيْرِ وَالْوَحْشِ وَالْبَهَائِمِ.

وَقَالَ جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ. بَعَثَ اللَّهُ جِبْرِيلَ فَحَشَرَهُمْ، فَجَعَلَ يَضْرِبُ بِيَدَيْهِ عَلَى الزَّوْجَيْنِ فَتَقَعُ يَدُهُ الْيُمْنَى عَلَى الذَّكَرِ، وَالْيُسْرَى عَلَى الْأُنْثَى، فَيُدْخِلُهُ السَّفِينَةَ وَقَالَ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ: اسْتُصْعِبَتْ عَلَى نُوحٍ الْمَاعِزَةُ أَنْ تَدْخُلَ السَّفِينَةَ، فَدَفَعَهَا بِيَدِهِ فِي ذَنَبِهَا، فَمِنْ ثَمَّ انْكَسَرَ ذَنَبُهَا فَصَارَ مَعْقُوفًا وَبَدَا حَيَاؤُهَا. وَمَضَتِ النَّعْجَةُ حَتَّى دَخَلَتْ فَمَسَحَ عَلَى ذَنَبِهَا فَسُتِرَ حَيَاؤُهَا. قَالَ إِسْحَاقُ: أَخْبَرَنَا رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ أَنَّ نُوحًا حَمَلَ أَهْلَ السَّفِينَةِ، وَجَعَلَ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ، وَحَمَلَ مِنَ الْهُدْهُدِ زَوْجَيْنِ، فَمَاتَتِ الْهُدْهُدَةُ فِي السَّفِينَةِ قَبْلَ أَنْ تَظْهَرَ الْأَرْضُ. فَحَمَلَهَا الْهُدْهُدُ فَطَافَ بِهَا الدُّنْيَا لِيُصِيبَ لَهَا مَكَانًا، فَلَمْ يَجِدْ طِينًا وَلَا تُرَابًا، فَرَحِمَهُ رَبُّهُ، فَحَفَرَ لَهَا فِي قَفَاهُ قَبْرًا فَدَفَنَهَا فِيهِ، فَذَلِكَ الرِّيشُ النَّاتِئُ فِي قَفَا الْهُدْهُدِ مَوْضِعُ الْقَبْرِ، فَلِذَلِكَ نَتَأَتْ أَقْفِيَةُ الْهَدَاهِدِ.

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: كَانَ حَمْلُ نُوحٍ مَعَهُ فِي السَّفِينَةِ مِنْ جَمِيعِ الشَّجَرِ وَكَانَتِ الْعَجْوَةُ مِنَ الْجَنَّةِ مَعَ نُوحٍ فِي السَّفِينَةِ. وَذَكَرَ صَاحِبُ كِتَابِ الْعَرُوسِ وَغَيْرُهُ: أَنَّ نُوحًا- عَلَيْهِ السَّلَامُ- لَمَّا أَرَادَ أَنْ يَبْعَثَ مَنْ يَأْتِيهِ بِخَبَرِ الْأَرْضِ قَالَ الدَّجَاجُ: أَنَا، فَأَخَذَهَا وَخَتَمَ عَلَى جَنَاحِهَا".

العرائس ممكن العرائس في قصص الأنبياء، نعم. العروس، على كلٍّ كل هذه الأخبار لا قيمة لها، من المؤسف أن يسود الورق بمثلها.

طالب: .....

نعم، نعم

طالب: .....

لا، لا أصل.

طالب:...

نعم ماذا؟

ارفع صوتك، عندك الحديث المرفوع.

قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عندك؟

طالب: ....

ماذا يقول؟

طالب: ....

ظاهر عليها النكارة، ظاهرة، من قال لك؟ تحقيق من هذا؟

طالب: .....

نعم، العراس الثعلبي، عرايس المجالس ثم قصص الأنبياء.

"فَأَخَذَهَا وَخَتَمَ عَلَى جَنَاحِهَا وَقَالَ لَهَا: أَنْتِ مَخْتُومَةٌ بِخَاتَمِي لَا تَطِيرِي أَبَدًا، أَنْتِ يَنْتَفِعُ بِكِ أُمَّتِي، فَبَعَثَ الْغُرَابَ فَأَصَابَ جِيفَةً فَوَقَعَ عَلَيْهَا فَاحْتَبَسَ فَلَعَنَهُ، وَلِذَلِكَ يُقْتَلُ فِي الْحِلِّ وَالْحَرَمِ، وَدَعَا عَلَيْهِ بِالْخَوْفِ، فَلِذَلِكَ لَا يَأْلَفُ الْبُيُوتَ. وَبَعَثَ الْحَمَامَةَ فَلَمْ تَجِدْ قَرَارًا فَوَقَعَتْ عَلَى شَجَرَةٍ بِأَرْضِ سَيْنَاءَ فَحَمَلَتْ وَرَقَةَ زَيْتُونَةٍ، وَرَجَعَتْ إِلَى نُوحٍ فَعَلِمَ أَنَّهَا لَمْ تَسْتَمْكِنْ مِنَ الْأَرْضِ، ثُمَّ بَعَثَهَا بَعْدَ ذَلِكَ فَطَارَتْ حَتَّى وَقَعَتْ بِوَادِي الْحَرَمِ، فَإِذَا الْمَاءُ قَدْ نَضَبَ مِنْ مَوَاضِعِ الْكَعْبَةِ، وَكَانَتْ طِينَتُهَا حَمْرَاءَ، فَاخْتَضَبَتْ رِجْلَاهَا، ثُمَّ جَاءَتْ إِلَى نُوحٍ -عَلَيْهِ السَّلَامُ- فَقَالَتْ: بُشْرَايَ مِنْكَ أَنْ تَهَبَ لِيَ الطَّوْقَ فِي عُنُقِي، وَالْخِضَابَ فِي رِجْلِي، وَأَسْكُنُ الْحَرَمَ؛ فَمَسَحَ يَدَهُ عَلَى عُنُقِهَا وَطَوَّقَهَا، وَوَهَبَ لَهَا الْحُمْرَةَ فِي رِجْلَيْهَا، وَدَعَا لَهَا وَلِذُرِّيَّتِهَا بِالْبَرَكَةِ.

وَذَكَرَ الثَّعْلَبِيُّ أَنَّهُ بَعَثَ بَعْدَ الْغُرَابِ التُّدْرُجَ، وَكَانَ مِنْ جِنْسِ الدَّجَاجِ، وَقَالَ: إِيَّاكَ أَنْ تَعْتَذِرَ، فَأَصَابَ الْخُضْرَةَ وَالْفُرْجَةَ فَلَمْ يَرْجِعْ، وَأَخَذَ أَوْلَادَهُ عِنْدَهُ رَهْنًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ".

نعم.

طالب: ....

نعم، ينسبون السلام إلى الحمام، والحمام السلام.

طالب: ...

استنادًا لمثل هذه الإسرائيليات، لعله منهم جاء، لعله جاء من بني إسرائيل من اليهود والنصارى، ولا يبعد أن يكون من تصرفاتهم.

"قَوْلُهُ: {وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ (٤٥) قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ (٤٦) قَالَ رَبِ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ(٤٧)} [هود: ٤٥-٤٧].

فِيهِ خَمْسُ مَسَائِلَ:

الْأُولَى: قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ} [هود:٤٥] أَيْ دَعَاهُ. {فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي} [هود:٤٥] أَيْ مِنْ أَهْلِي الَّذِينَ وَعَدْتُهُمْ أَنْ تُنَجِّيَهُمْ مِنَ الْغَرَقِ، فَفِي الْكَلَامِ حَذْفٌ. {وَإِنَّ وَعْدَكَ

الْحَقُّ} [هود:٤٥] يَعْنِي الصِّدْقَ. وَقَالَ عُلَمَاؤُنَا: وَإِنَّمَا سَأَلَ نُوحٌ رَبَّهُ ابْنَهُ لِقَوْلِهِ: "وَأَهْلَكَ" وَتَرَكَ قَوْلَهُ: {إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ} [هود:٤٠] فَلَمَّا كَانَ عِنْدَهُ مِنْ أَهْلِهِ".

وظن أنه لن يسبق عليه القول، فكان في ظنه أنه لم يسبق عليه القول، فهو من أهله، لكن هو مما سبق عليه القول.

"قَالَ: {رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي} [هود:٤٥] يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ قَوْلُهُ: {وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ} [هود:٤٦] أَيْ لَا تَكُنْ مِمَّنْ لَسْتَ مِنْهُمْ؛ لِأَنَّهُ كَانَ عِنْدَهُ مُؤْمِنًا فِي ظَنِّهِ، وَلَمْ يَكُ نُوحٌ يَقُولُ لِرَبِّهِ: {إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي} [هود:٤٥] إِلَّا وَذَلِكَ عِنْدَهُ كَذَلِكَ، إِذْ مُحَالٌ أَنْ يَسْأَلَ هَلَاكَ الْكُفَّارِ، ثُمَّ يَسْأَلُ فِي إِنْجَاءِ بَعْضِهِمْ، وَكَانَ ابْنُهُ يُسِرُّ الْكُفْرَ، وَيُظْهِرُ الْإِيمَانَ، فَأَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى نُوحًا بِمَا هُوَ مُنْفَرِدٌ بِهِ مِنْ عِلْمِ الْغُيُوبِ، أَيْ عَلِمْتُ مِنْ حَالِ ابْنِكَ مَا لَمْ تَعْلَمْهُ أَنْتَ. وَقَالَ الْحَسَنُ: كَانَ مُنَافِقًا، وَلِذَلِكَ اسْتَحَلَّ نُوحٌ أَنْ يُنَادِيَهُ.

وَعَنْهُ أَيْضًا: كَانَ ابْنُ امْرَأَتِهِ، دَلِيلُهُ قِرَاءَةُ عَلِيٍّ: "وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهَا". {وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ} [هود:٤٥] ابْتِدَاءٌ وَخَبَرٌ. أَيْ حَكَمْتَ عَلَى قَوْمٍ بِالنَّجَاةِ، وَعَلَى قَوْمٍ بِالْغَرَقِ.

الثَّانِيَةُ: {قَالَ يَانُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ} [هود:٤٦] أَيْ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ الَّذِينَ وَعَدْتُهُمْ أَنْ أُنَجِّيَهُمْ، قَالَهُ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ. وَقَالَ الْجُمْهُورُ: لَيْسَ مِنْ أَهْلِ دِينِكَ وَلَا وِلَايَتِكَ، فَهُوَ عَلَى حَذْفِ مُضَافٍ، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ حُكْمَ الِاتِّفَاقِ فِي الدِّينِ أَقْوَى مِنْ حُكْمِ النَّسَبِ".

العلاقة في الدين والقوة في الدين أقوى من قوة النسب إذا لم يوجد الدين، يعني الدين بلا نسب أقوى من النسب بلا دين، لكن إذا اجتمع النسب مع الدين فهما قوتان.

"{إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ}، قَرَأَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَعُرْوَةُ وَعِكْرِمَةُ وَيَعْقُوبُ وَالْكِسَائِيُّ: "إِنَّهُ عَمِلَ غَيْرَ صَالِحٍ" أَيْ مِنَ الْكُفْرِ وَالتَّكْذِيبِ، وَاخْتَارَهُ أَبُو عُبَيْدٍ. وَقَرَأَ الْبَاقُونَ: "عَمَلٌ" أَيِ ابْنُكَ ذُو عَمَلٍ غَيْرِ صَالِحٍ، فَحُذِفَ الْمُضَافُ، قَالَهُ الزَّجَّاجُ وَغَيْرُهُ.

قَالَ:

تَرْتَعُ مَا رَتَعَتْ حَتَّى إِذَا ادَّكَرَتْ ... فَإِنَّمَا هِيَ إِقْبَالٌ وَإِدْبَارُ

أَيْ: ذَاتُ إِقْبَالٍ وَإِدْبَارٍ.

وَهَذَا الْقَوْلُ وَالَّذِي قَبْلَهُ يَرْجِعُ إِلَى مَعْنًى وَاحِدٍ. وَيَجُوزُ أَنْ تَكُونَ الْهَاءُ لِلسُّؤَالِ، أَيْ إِنَّ سُؤَالَكَ إِيَّايَ أَنْ أُنَجِّيَهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ؛ قَالَ قَتَادَةُ. وَقَالَ الْحَسَنُ: مَعْنَى "عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ" أَنَّهُ وُلِدَ عَلَى فِرَاشِهِ وَلَمْ يَكُنِ ابْنَهُ. وَكَانَ لِغَيْرِ رِشْدَةٍ، وَقَالَهُ أَيْضًا مُجَاهِدٌ. قَالَ قَتَادَةُ سَأَلْتُ الْحَسَنَ عَنْهُ فَقَالَ: وَاللَّهِ مَا كَانَ ابْنَهُ، قُلْتُ: إِنَّ اللَّهَ أَخْبَرَ عَنْ نُوحٍ أَنَّهُ قَالَ: {إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي} [هود:٤٥]، فَقَالَ: لَمْ يَقُلْ مِنِّي، وَهَذِهِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّهُ كَانَ ابْنَ امْرَأَتِهِ مِنْ زَوْجٍ آخَرَ، فَقُلْتُ لَهُ: إِنَّ اللَّهَ حَكَى عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: {إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي} [هود:٤٥]، {وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ} [هود:٤٢]، وَلَا يَخْتَلِفُ أَهْلُ

الْكِتَابَيْنِ أَنَّهُ ابْنُهُ، فَقَالَ الْحَسَنُ: وَمَنْ يَأْخُذُ دِينَهُ عَنْ أَهْلِ الْكِتَابِ! إِنَّهُمْ يَكْذِبُونَ. وَقَرَأَ: "فَخَانَتَاهُمَا". وَقَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ: نَادَاهُ وَهُوَ يَحْسَبُ أَنَّهُ ابْنُهُ، وَكَانَ وُلِدَ عَلَى فِرَاشِهِ، وَكَانَتِ امْرَأَتُهُ خَانَتْهُ فِيهِ، وَلِهَذَا قَالَ: "فَخَانَتَاهُمَا" وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: مَا بَغَتِ امْرَأَةُ نَبِيٍّ قَطُّ، وَأَنَّهُ كَانَ ابْنُهُ لِصُلْبِهِ".

نعم، هذا هو الصحيح كان ابنه، ولذا قال: {إِنَّ ابْنِي} [هود:٤٥]، {وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ} [هود:٤٢]، وهذا الأصل في البنوة إذا كانت للصلب، وأما قوله تعالى: {فَخَانَتَاهُمَا} [التحريم:١٠] يعني في غير الفراش، وما زنت امرأة نبيٍ قط؛ صيانة لعرض الأنبياء، كرامة لهم. وأما ما تقدم مما يروى عن الحسن وغيره، وأنه كان لغير رشدة، وأنه ابن زنا، وأنه ولد على فراشه، وابن امرأته، كل هذا لا أصل له ولا قيمة له.

طالب: ...

لكن الزنا، فعلن ما يتعلق بهن لا ما يتعدى ضرره إلى غيرهم، إلى النبي نفسه. الكفر والشرك ضرره عليهن.

طالب: ....

نعم ضرره عليها، بخلاف -نسأل الله العافية- انتهاك الأعراض، فالضرر متعدٍّ إلى الزوج في الدرجة الأولى، وإلى أقاربه، وإلى أقاربها.

المقصود أن مثل هذا لا يقع من امرأة نبي.

"وَكَذَلِكَ قَالَ الضَّحَّاكُ وَعِكْرِمَةُ وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ وَمَيْمُونُ بْنُ مِهْرَانَ، وَغَيْرُهُمْ، وَأَنَّهُ كَانَ ابْنُهُ لِصُلْبِهِ. وَقِيلَ لِسَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ: يَقُولُ نُوحٌ: {إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي} [هود:٤٥]، أَكَانَ مِنْ أَهْلِهِ؟ أَكَانَ ابْنَهُ؟ فَسَبَّحَ اللَّهَ طَوِيلًا ثُمَّ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ! يُحَدِّثُ اللَّهُ مُحَمَّدًا -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَنَّهُ ابْنُهُ، وَتَقُولُ إِنَّهُ لَيْسَ ابْنُهُ! نَعَمْ كَانَ ابْنَهُ، وَلَكِنْ كَانَ مُخَالِفًا فِي النِّيَّةِ وَالْعَمَلِ وَالدِّينِ، وَلِهَذَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ} [هود:٤٦]؛ وَهَذَا هُوَ الصَّحِيحُ فِي الْبَابِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى لِجَلَالَةِ مَنْ قَالَ بِهِ، وَإِنَّ قَوْلَهُ: {إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ} [هود:٤٦] لَيْسَ مِمَّا يَنْفِي عَنْهُ أَنَّهُ ابْنُهُ.

وَقَوْلُهُ:{فَخَانَتَاهُمَا} يَعْنِي فِي الدِّينِ، لَا فِي الْفِرَاشِ، وَذَلِكَ أَنَّ هَذِهِ كَانَتْ تُخْبِرُ النَّاسَ أَنَّهُ مَجْنُونٌ، وَذَلِكَ أَنَّهَا قَالَتْ لَهُ: أَمَا يَنْصُرُكَ رَبُّكَ؟ فَقَالَ لَهَا: نَعَمْ. قَالَتْ: فَمَتَى؟ قَالَ: إِذَا فَارَ التَّنُّورُ، فَخَرَجَتْ تَقُولُ لِقَوْمِهَا: يَا قَوْمُ، وَاللَّهِ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ، يَزْعُمُ أَنَّهُ لَا يَنْصُرُهُ رَبُّهُ إِلَّا أَنْ يَفُورَ هَذَا التَّنُّورُ، فَهَذِهِ خِيَانَتُهَا. وَخِيَانَةُ الْأُخْرَى أَنَّهَا كَانَتْ تَدُلُّ عَلَى الْأَضْيَافِ عَلَى مَا سَيَأْتِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وَقِيلَ: الْوَلَدُ قَدْ يُسَمَّى عَمَلًا، كَمَا يُسَمَّى كَسْبًا، كَمَا فِي الْخَبَرِ: «أَوْلَادُكُمْ مِنْ كَسْبِكُمْ»، ذَكَرَهُ الْقُشَيْرِيُّ.

الثَّالِثَةُ: فِي هَذِهِ الْآيَةِ تَسْلِيَةٌ لِلْخَلْقِ فِي فَسَادِ أَبْنَائِهِمْ، وَإِنْ كَانُوا صَالِحِينَ".

لأن الرجل الصالح إذا حرص وبذل جهده في تربية أولاده، ثم خرجت النتائج على عكس ما يُريد يتسلى بمثلها، نوح ما قصَّر، ألف سنة إلا خمسين وما استفاد ابنه، الرسول -صلى الله عليه وسلم- ما يقرب من ربع قرن وما استفاد بعض أعمامه، النتائج بيد الله -سبحانه وتعالى-، أنت مأمور بأن تبذل جهدك وتسعى، تأمر، وتنهى، وتوجه، والنتائج ما عليك إلا البلاغ فقط، وأما هداية التوفيق والقبول فهذه بيد الله -سبحانه وتعالى- لا يملكها أحد، ولا الأنبياء. ولهذا ما أسلمت زوجته ولا ولده، أقرب الناس إليه، ولهذا قال: في الآية تسلية للخلق في فساد أبنائهم وكذلك زوجاتهم، وكذلك زوجاتهم، لكن على الشخص أن يبذل الأسباب، بدأً من اختيار الزوجة التي تُعينه في إصلاحه وإصلاح بيتها وولدها. ولا يقول: أنا أختار الشيء الثابت الذي يدَّعي كثير من الناس، يختار الشيء الثابت وهو الجمال، والدين يأتي بالدعوة، ويأتي بالقدوة، ويأتي بكذا، كلامه، كلام كثير من الناس يقول هذا الكلام؛ إذا أخذت دَيِّنة لكن الجمال متى يجيء؟

أنت، الدين يجيء بالدعوة، يجيء بالصبر، يجيء بالقدوة، يجيء بالمعاملة، هو لا يدري أن عمران بن حطان أخذ الخارجية لجمالها، زعمًا منه أنه يأخذ الأجر من الله -سبحانه وتعالى- بدعوتها، فما لبث أن صار من دعاة الخوارج -نسأل الله العافية-.

وهذه دعوة، كثير من الناس يقول: أنا، كثير من الناس يقول: نعتني بالأمر الذي لا يُدرك، وأما ما يأتي به الوقت والدعوة والقدوة وغير ذلك فسهلة هذه، والمرأة تبع لزوجها؛ المرأة تبع لزوجها، كثير من الناس يقول هذا الكلام، المرأة خام تشكلها على ما تريد، لا، على العكس كثيرٌ من الرجال وقع، لا سيما إذا كان من منطلق الضعف، وهي أقوى منه في الشخصية، أو أمكن منه في الباب، بعض الناس لا يحسب العواقب، ولذا جاء في الحديث عنه -صلى الله عليه وسلم-: **«تُنكح المرأة لأربعة لمالها ولجمالها ولحسابها ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك»**، نعم إن وجد مع الدين شيء آخر لا بأس، لكن الأصل هو الدين، الأصل هو الدين.

"وَرُوِيَ أَنَّ ابْنَ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ نَزَلَ مِنْ فَوْقٍ وَمَعَهُ حَمَامٌ قَدْ غَطَّاهُ، قَالَ: فَعَلِمَ مَالِكٌ أَنَّهُ قَدْ فَهِمَهُ النَّاسُ، فَقَالَ مَالِكٌ: الْأَدَبُ أَدَبُ اللَّهِ لَا أَدَبَ الْآبَاءِ وَالْأُمَّهَاتِ، وَالْخَيْرِ خَيْرُ اللَّهِ لَا خَيْرَ الْآبَاءِ وَالْأُمَّهَاتِ. وَفِيهَا أَيْضًا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الِابْنَ".

يوجد في البيوت، بيوت أهل العلم والفضل من هو أفسق الناس، والعكس يوجد في بيوت الفُساق بنين وبنات من أصلح الناس، نعم الوسائل لا بُد أن تُبذل، لا بُد أن تُبذل، لكن النتائج بيد الله، قال: كيف يهتدي هذا الولد وليس عنده من يدعوه؟ الهادي هو الله -سبحانه وتعالى-، قلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن.

"وَفِيهَا أَيْضًا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الِابْنَ مِنَ الْأَهْلِ لُغَةً وَشَرْعًا، وَمِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ، فَمَنْ وَصَّى لِأَهْلِهِ دَخَلَ فِي ذَلِكَ ابْنُهُ، وَمَنْ تَضَمَّنَهُ مَنْزِلُهُ، وَهُوَ فِي عِيَالِهِ. وَقَالَ تَعَالَى فِي آيَةٍ أُخْرَى: {وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ

فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ (٧٥) وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ(٧٦)} [الصافات:٧٥-٧٦] فَسَمَّى جَمِيعَ مَنْ ضَمَّهُ مَنْزِلُهُ مِنْ أَهْلِهِ".

كما أن الشخص يدخل في الأهل ويدخل في الآل؛ الشخص نفسه، {وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ} [غافر:٤٦]، والمقصود به فرعون بالدرجة الأولى وأهله، وجاء في آية الأكل من بيوت الأقارب فبدأ بالنفس فقال: {مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ} [النور:٦١]، ما ذكر الأبناء لماذا؟

طالب:.....

نعم.

طالب:.....

لأنها داخلة في بيوته؛ بيت الابن بيتك فلا يحتاج إلى ذكر، ولا يحتاج إلى تنصيص، لكن من عداه يحتاج إلى ذكر؛ بيت الأب، بيت الأخ، بيت كذا ولا جناح في الأكل منه، لكن بيت الابن لا يحتاج إلى ذكر؛ لأنه بيتٌ للشخص نفسه.

"الرَّابِعَةُ: وَدَلَّتِ الْآيَةُ عَلَى قَوْلِ الْحَسَنِ وَمُجَاهِدٍ وَغَيْرِهِمَا: أَنَّ الْوَلَدَ لِلْفِرَاشِ؛ وَلِذَلِكَ قَالَ نُوحٌ مَا قَالَ آخِذًا بِظَاهِرِ الْفِرَاشِ. وَقَدْ رَوَى سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ عَنْ عَمْرِو بْنِ دِينَارٍ أَنَّهُ سَمِعَ عُبَيْدَ بْنَ عُمَيْرٍ يَقُولُ: نَرَى رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إِنَّمَا قَضَى بِالْوَلَدِ لِلْفِرَاشِ؛ مِنْ أَجْلِ ابْنِ نُوحٍ -عَلَيْهِ السَّلَامُ-، ذَكَرَهُ أَبُو عُمَرَ".

أبو عمر.

"ذكره أبو عمر فِي كِتَابِ "التَّمْهِيدِ". وَفِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَنَّهُ قَالَ: «الْوَلَدُلِلْفِرَاشِ وَلِلْعَاهِرِ الْحَجَرُ» يُرِيدُ الْخَيْبَةُ. وَقِيلَ: الرَّجْمُ بِالْحِجَارَةِ".

الخيبة أقوى؛ لأنه قد يكون العاهر غير محصن، فلا يستحق الحجارة، وللعاهر الحجر يعني الخيبة، وليس له شيء مما يُنتجه هذا السفاح؛ لأن له الخيبة، والرجم إنما هو للمحصن.

"وَقَرَأَ عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ. وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهَا" يُرِيدُ ابْنَ امْرَأَتِهِ، وَهِيَ تَفْسِيرُ الْقِرَاءَةِ الْمُتَقَدِّمَةِ عَنْهُ، وَعَنْ عَلِيٍّ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- وَهِيَ حُجَّةٌ لِلْحَسَنِ وَمُجَاهِدٍ؛ إِلَّا أَنَّهَا قِرَاءَةٌ شَاذَّةٌ، فَلَا نَتْرُكُ الْمُتَّفَقَ عَلَيْهَا لَهَا. وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

الْخَامِسَةُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: {إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ} [هود:٤٦] أَيْ أَنْهَاكَ عَنْ هَذَا السُّؤَالِ، وَأُحَذِّرُكَ لِئَلَّا تَكُونَ، أَوْ كَرَاهِيَةَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ، أَيِ الْآثِمِينَ. وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: {يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا} [النور:١٧] أَيْ يُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ وَيَنْهَاكُمْ. وَقِيلَ: الْمَعْنَى أَزْفَعُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ. قَالَ ابْنُ الْعَرَبِيِّ: وَهَذِهِ زِيَادَةٌ مِنَ اللَّهِ وَمَوْعِظَةٌ يَرْفَعُ بِهَا نُوحًا عَنْ مَقَامِ الْجَاهِلِينَ، وَيُعْلِيهِ بِهَا إِلَى مَقَامِ الْعُلَمَاءِ وَالْعَارِفِينَ، فَ "قَالَ" نُوحٌ: {رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ} [هود:٤٧] الْآيَةَ، وَهَذِهِ ذُنُوبُ الْأَنْبِيَاءِ -عَلَيْهِمُ السَّلَامُ- فَشُكْرُ اللَّهِ تَذَلُّلُهُ وَتَوَاضُعُهُ {وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي} [هود:٤٧]: مَا فَرَطَ مِنَ السُّؤَالِ.

{وَتَرْحَمْنِي} [هود:٤٧] أَيْ بِالتَّوْبَةِ {أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ} [هود:٤٧] أَيْ أَعْمَالًا. فَقَالَ: {يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا} [هود:٤٨]. قَوْلُهُ تَعَالَى: {قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا} [هود:٤٨] أَيْ قَالَتْ لَهُ الْمَلَائِكَةُ".

في الآية السابقة إني أعظك عن مثل هذه المقالة؛ لئلا تكون، أو خشية أن تكون من الجاهلين؛ لأن من يُعيد الطلب في شيءٍ قد نُهي عنه، وأخبر عن مغبته بالتفصيل، لا شك أنه جاهل، وإلا فالذي يُدرك ما يُنهى عنه وينتهي؛ حذرًا من مغبته هذا قد أحسن من ينتهي إلى ما سمع، هذا انتهى، لكن إن عاد لا شك أنه باستحقاق اسم الوصف بالجهل أقرب وأولى.

"قَوْلُهُ تَعَالَى: {قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا} [هود:٤٨] أَيْ قَالَتْ لَهُ الْمَلَائِكَةُ، أَوْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ: اهْبِطْ مِنَ السَّفِينَةِ إِلَى الْأَرْضِ، أَوْ مِنَ الْجَبَلِ إِلَى الْأَرْضِ، فَقَدِ ابْتَلَعَتِ الْمَاءَ وَجَفَّتْ {بِسَلَامٍ مِنَّا} [هود:٤٨] أَيْ بِسَلَامَةٍ وَأَمْنٍ. وَقِيلَ: بِتَحِيَّةٍ {وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ} [هود:٤٨] أَيْ نِعَمٍ ثَابِتَةٍ، مُشْتَقٌّ مِنْ بُرُوكِ الْجَمَلِ وَهُوَ ثُبُوتُهُ وَإِقَامَتُهُ. وَمِنْهُ الْبِرْكَةُ لِثُبُوتِ الْمَاءِ فِيهَا. قَالَ ابْنُ عَبَّاس – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا–: نُوحٌ آدَمُ الْأَصْغَرُ، فَجَمِيعُ الْخَلَائِقِ الْآنَ مِنْ نَسْلِهِ، وَلَمْ يَكُنْ مَعَهُ فِي السَّفِينَةِ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ إِلَّا مَنْ كَانَ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ، عَلَى قَوْلِ قَتَادَةَ وَغَيْرِهِ، حَسَبَ مَا تَقَدَّمَ، وَفِي التَّنْزِيلِ: {وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ} [الصافات:٧٧]، {وَعَلَى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ} [هود:٤٨] قِيلَ: دَخَلَ فِي هَذَا كُلِّ مُؤْمِنٍ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ. وَدَخَلَ فِي قَوْلِهِ: {وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ} [هود:٤٨] كُلُّ كَافِرٍ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، رُوِيَ ذَلِكَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ، وَالتَّقْدِيرُ عَلَى هَذَا: وَعَلَى ذُرِّيَّةِ أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ، وَذُرِّيَّةِ أُمَمٍ سَنُمَتِّعُهُمْ. وَقِيلَ: "مِنْ" لِلتَّبْعِيضِ، وَتَكُونُ لِبَيَانِ الْجِنْسِ". {وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ} [هود:٤٨] ارْتَفَعَ وَ"أُمَمٌ" عَلَى مَعْنَى وَتَكُونُ أُمَمٌ. قَالَ الْأَخْفَشُ سَعِيدٌ كَمَا تَقُولُ: كَلَّمْتُ زَيْدًا وَعَمْرٌو جَالِسٌ".

الأخفش سعيد ما يحتاج أن نقول: سعيد؛ لأن الأخفش إذا أُطلق المراد به سعيد بن مسعدة الأوسط كما هو معروف، وإذ أُريد غيره قُيّد، وأما إذا أُطلق فينطلق إلى الأوسط؛ سعيد بن مسعدة المجاشعي، وإن كان الأخافش ثلاثة عشر، ثلاثة عشر، لكن أشهرهم هذا، فإذا أُطلق وهو المراد هنا لزيادة البيان والإيضاح قال: الأخفش سعيد.

"وَأَجَازَ الْفَرَّاءُ فِي غَيْرِ الْقِرَاءَةِ وَأُمَمًا، وَتَقْدِيرُهُ: وَنُمَتِّعُ أُمَمًا. وَأُعِيدَتْ "عَلَى" مَعَ "أُمَمٌ"؛ لِأَنَّهُ مَعْطُوفٌ عَلَى الْكَافِ مِنْ "عَلَيْكَ" وَهِيَ ضَمِيرُ الْمَجْرُورِ، وَلَا يُعْطَفُ عَلَى ضَمِيرِ الْمَجْرُورِ إِلَّا بِإِعَادَةِ الْجَارِ عَلَى قَوْلِ سِيبَوَيْهِ وَغَيْرِهِ. وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي "النِّسَاءِ" بَيَانُ هَذَا مُسْتَوْفًى فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: {وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ} [النساء:١]. بِالْخَفْضِ".

فعطف على مجرور من غير إعادة الجار، عند سيبويه لا يجوز العطف على مجرور، إلا مع إعادة الجر، تقول: الله الذي تسألون به والأرحام، تسألون به وبالأرحام هذا الأصل، على القراءة

الأخرى واتقوا الله الذي تسألون به والأرحامَ يعني: اتقوا الله واتقوا الأرحام، فالمنصوب يجوز العطف عليه بغير إعادة الناصب، بخلاف المجرور لا بُد من إعادة الخافض.

"وَالْبَاءُ فِي قَوْلِهِ: "بِسَلَامٍ" مُتَعَلِّقَةٌ بِمَحْذُوفٍ، لِأَنَّهَا فِي مَوْضِعِ الْحَالِ، أَيِ اهْبِطْ مُسَلَّمًا عَلَيْكَ. وَ"مِنَّا" فِي مَوْضِعِ جَرٍّ مُتَعَلِّقٍ بِمَحْذُوفٍ، لِأَنَّهُ نَعْتٌ لِلْبَرَكَاتِ. {وَعَلَى أُمَمٍ} [هود:٤٨] مُتَعَلِّقٌ بِمَا تَعَلَّقَ بِهِ "عَلَيْكَ"، لِأَنَّهُ أُعِيدَ مِنْ أَجْلِ الْمَعْطُوفِ عَلَى الْكَافِ. وَ "مِنْ" فِي قَوْلِهِ: {مِمَّنْ مَعَكَ} [هود:٤٨] مُتَعَلِّقٍ بِمَحْذُوفٍ؛ لِأَنَّهُ فِي مَوْضِعِ جَرِّ نَعْتٍ لِلْأُمَمِ. وَ"مَعَكَ" مُتَعَلِّقٌ بِفِعْلٍ مَحْذُوفٍ؛ لِأَنَّهُ صِلَةٌ لِ "مَنْ" أَيْ مِمَّنِ اسْتَقَرَّ مَعَكَ، أَوْ آمَنَ مَعَكَ، أَوْ رَكِبَ مَعَكَ".

لأن "مَن" موصول تحتاج إلى صلة، أما "مِن" التي دخلت على "مَن" فهي حرف جر تحتاج إلى متعلق.

"نعم قَوْلُهُ: {تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ} [هود:٤٩] قَوْلُهُ تَعَالَى: {تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ} [هود:٤٩] أَيْ تِلْكَ الْأَنْبَاءُ ، وَفِي مَوْضِعٍ آخَرَ " ذَلِكَ " أَيْ ذَلِكَ النَّبَأُ وَالْقَصَصُ مِنْ أَنْبَاءِ مَا غَابَ عَنْكَ. {نُوحِيهَا إِلَيْكَ} [هود:٤٩] أَيْ لِتَقِفَ عَلَيْهَا {مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا} [هود:٤٩] أَيْ كَانُوا غَيْرَ عَارِفِينَ بِأَمْرِ الطُّوفَانِ، وَالْمَجُوسُ الْآنَ يُنْكِرُونَهُ".

نعم؛ لأنهم لا يتدينون بدين، ولا بلغهم عن معصوم، فهم ينكرونه، {تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا} [هود:٤٩]، للدلالة على نبوته -عليه الصلاة والسلام- لا يقرأ الكتاب ولا يتلقها عن غيره من أهل الكُتب، ومع ذلك جاء بهذه الأخبار، من أين جاءته؟ إذا كان لا يوجد له مصدر يمكن أن يستقي منه هذه المعلومات، فدل على أن الله -سبحانه وتعالى- أوحى إليه.

"{مِنْ قَبْلِ هَذَا} [هود:٤٩] خَبَرٌ أَيْ مَجْهُولَةٌ عِنْدَكَ وَعِنْدَ قَوْمِكَ. {فَاصْبِرْ} [هود:٤٩] عَلَى مَشَاقِّ الرِّسَالَةِ وَإِذَايَةِ الْقَوْمِ كَمَا صَبَرَ نُوحٌ. وَقِيلَ: أَرَادَ جَهْلَهُمْ بِقِصَّةِ ابْنِ نُوحٍ وَإِنْ سَمِعُوا أَمْرَ الطُّوفَانِ فَإِنَّهُ عَلَى الْجُمْلَةِ . "فَاصْبِرْ".

يعني وإن سمع قومه خبر الطوفان عن أهل الكتاب، فإنما سمعوا أخبارًا مجملة لا على مثل هذا التفصيل الذي جاء به القرآن.

"فَاصْبِرْ" أَيِ اصْبِرْ يَا مُحَمَّدُ عَلَى الْقِيَامِ بِأَمْرِ اللَّهِ وَتَبْلِيغِ رِسَالَتِهِ، وَمَا تَلْقَى مِنْ أَذَى الْعَرَبِ الْكُفَّارِ، كَمَا صَبَرَ نُوحٌ عَلَى أَذَى قَوْمِهِ {إِنَّ الْعَاقِبَةَ} [هود:٤٩] فِي الدُّنْيَا بِالظَّفَرِ، وَفِي الْآخِرَةِ بِالْفَوْزِ {لِلْمُتَّقِينَ} [هود:٤٩] عَنِ الشِّرْكِ وَالْمَعَاصِي".

لا شك أن في نوح قدوة وأسوة، ضرب أروع الأمثلة في الصبر والتحمل، ولا يوجد له نظير في طول المدة لا من الأنبياء ولا من غيرهم، مثل هذا الصبر ألف سنة يصبر على أذى قومه، ويدعوهم إلى الله، ومع ذلك حصل له من الأذى ما حصل، ثم بعد ذلك في النهاية يدعو عليهم

لما أُخبر بأنه لن يؤمن أحد، وأنه لا فائدة من بقائهم، فقد دعا عليهم، ونبينا -صلى الله عليه وسلم- تحمل الأذى في سبيل الدعوة، وإن قصرت مدته، وتأخر وقته وعصره إلا أنه السابق يوم القيامة، وهذا وصف هذه الأمة، «نحن الآخرون السابقون»، يعني يوم القيامة، جاءوا في الزمن المتأخر، وسبقوا الناس، لم يسبقوهم بكثرة عمل، وإنما بفضل الله -سبحانه وتعالى- على هذه الأمة، وتشريفها بهذا النبي الذي هو أكرم مخلوقٍ على الله -سبحانه وتعالى-، والله أعلم.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الأسبوع القادم، أنا غير موجود -إن شاء الله- ما فيه درس، الذي يليه فيه درس.

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير القرطبي

سورة هود

معالي الشيخ الدكتور

عبد الكريم بن عبد الله الخضير

عضو هيئة كبار العلماء

وعضو اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

تاريخ المحاضرة:	١٤٣١/١١/١٨هـ	المكان:	

بسم الله الرحمن الرحيم.

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

قال الإمام القرطبي -رحمه الله-:

"قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا} [هود:٥٠] أَيْ: وَأَرْسَلْنَا، فَهُوَ مَعْطُوفٌ عَلَى {أَرْسَلْنَا نُوحًا} [هود:٢٥]، وَقِيلَ لَهُ: أَخُوهُمْ؛ لِأَنَّهُ مِنْهُمْ، وَكَانَتِ الْقَبِيلَةُ تَجْمَعُهُمْ، كَمَا تَقُولُ: يَا أَخَا تَمِيمٍ. وَقِيلَ: إِنَّمَا قِيلَ لَهُ: أَخُوهُمْ؛ لِأَنَّهُ مِنْ بَنِي آدَمَ، كَمَا أَنَّهُمْ مِنْ بَنِي آدَمَ".

نعم، أولًا: اختيار هود من بين سائر الأنبياء؛ ليكون اسمًا لهذه السورة مع أن قصة هود في هذه السورة ليست بأطول القصص، فقصة نوح أطول منها على ما تقدم، قصة نوح أطول من قصة هود في هذه السورة، واختير لها اسم هود من بين سائر الأنبياء، وقد اشتملت على عدد من الأنبياء، وما جرى لهم مع أقوامهم، وتسميتها بلا شك أنها توقيفيه، فإذا نزلت الآية قال النبي -صلى الله عليه وسلم- للكَتبة: اجعلوها في السورة التي يُذكر فيها كذا، مع الحديث السابق «شيبتني هود وأخواتها»، على ما قيل فيه من كلام من الاضطراب أو انتفائهِ. ونوح له سورة مستقلة اشتملت على شيء من أخبارهِ، لكن اشتمال السورة على الشيء ولو كان يسيرًا مما يُميزها به عن غيره كالبقرة مثلًا، قصة البقرة لا توجد في غير سورة البقرة، فسُميت بها وهي آيات يسيرة، قصتها آيات يسيرة، والسورة طويلة كما تعلمون، فالسورة تُسمى بما يُميزها عن غيرها.

ولا يخلو الاختيار من حكمة وعلة، لكن هنا في تخصيص هود بهذا اسم السورة دون غيرهِ من الأنبياء، من يذكر في هذا الشيء؟ هل أحد يذكر في هذا شيئًا؟

طالب: شيخ.

نعم

طالب: أحسن الله إليك، ليس في هذا، وإنما تقولون: أحسن الله إليك بأن تُسمى السورة بأبرز ما فيها من قصة، كالبقرة، أنت ضربت لسورة البقرة، يا شيخ مُلاحظ أن قصة نوح على سبيل المثال لم ترد بالتفصيل الكثير مثل ما وردت في هذه السورة.

نعم.

طالب: لماذا مثلًا لم تُسم مثلًا سورة نوح؟

عرفنا أن الأسماء توقيفية، الأسماء توقيفية، فليس لأحدٍ أن يعترض وأن يُسمي السور من تلقاء نفسه، ليس له ذلك؛ لما عرفنا من طريقته -صلى الله عليه وسلم- أنه إذا نزلت عليه الآية أو الآيات قال: اجعلوا في كذا، في السورة التي يُذكر فيها كذا، وأيضًا الصحابة تتابعوا على هذه التسميات التي أنزلت عليه سورة البقرة، وبعضهم يكره أن تضاف السورة إلى شيء يجعلها خاصة به كسورة البقرة مثلًا أو هود، الحجاج مثلًا كان ينهى عن ذلك يقول: لا تقولوا سورة البقرة، ولا

سورة آل عمران، وإنما السورة التي يُذكر بها البقرة، والسورة التي يُذكر فيها آل عمران وهكذا، ورد عليه ابن عمر وغيره، وابن مسعود في الجمرات عند الرمي قال: هذا المكان الذي أُنزلت عليه سورة البقرة، ومن هنا رمى من أنزلت عليه سورة البقرة؛ للرد على ما يقوله الحجاج وغيره ممن يكره إضافة السورة إلى شيء، أو إلى جزء من أجزائها.

على كل حال ليس لأحدٍ أن يعترض، وإذا وجد شيء بارز ظاهر سُميت به كسورة الفيل وسورة قريش مثلًا، فهذا واضح، لكن حينما تشتمل السورة على أشياء، ثم تُسمى السورة بشيء من هذه الأشياء، المقصود ما يُميز هذه السورة عن غيرها، ويكون علمًا عليها، كما يُسمى الإنسان بمحمد أو أحمد أو صالح، أو ما أشبه ذلك، هذا اسم علم يُميزه عن غيره، وإن كان مشتملًا على صفاتٍ كثيرة، وقد يكونُ مشتملًا على صفاتٍ مناقضة لهذه التسمية؛ لأن العلَم هو الذي يُعين المسمى، التسمية لا بُد منه، تسميات السور من هذا الباب.

وعلى كل حال هي توقيفية، وليس لأحد أن يعترض، وقد ميزتها هذه الأسماء، وجاء في الخبر: «شيبتني هود وأخواتها»، وقرأ النبي -صلى الله عليه وسلم- البقرة ثم النساء ثم آل عمران على التسميات الموجودة، فالتسميات ليست اجتهادية، وإلا قد يقول قائل: قصة نوح هنا أطول من قصة هود، فلماذا اختير هود دون نوح؟

أولًا: نوح سُمي باسمه سورة تتميز بها عن غيرها، وهود ليس لاسمه سورة أخرة بحيث تلتبس بهذه السورة كيوسف ويونس وغيرها.

طالب: قصة موسى -عليه السلام- ما خصت بسورة.

نعم؛ لأن أكثر ما ورد في قصص القرآن قصة موسى مع قومه، وما سميت سورة باسمه.

طالب: لاسيما الأعراف.

ولا آدم أيضًا، ولا آدم.

طالب:....

كم تكرر؟

لا هات من حفظك يا أبا عبد الله، هات من عندك.

طالب: ...

نوح كم؟ أكثر يمكن.

طالب:..

لماذا سُميت سورة صالح مثلاً؟

طالب: ....

نعم، على كل حال مثل هذا يقف الرأي دونه، يقف الرأي دونه.

أخاهم هودًا قد يقول قائل: أكثرهم كفار، فلماذا قيل: إنه أخٌ لهم؟ والحصر جاء {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ} [الحجرات:١٠]، تُطلق الأخوة ويُراد بها أخوة النسب، وهم من نفس القبيلة، وهو أخٌ لهم من هذه الحيثية، وعلى هذا الألفاظ التي تُطلق الأخوة في الإنسانية مثلًا؛ الأخوة في الإنسانية هذه ترد أم ما ترد؟

طالب: ترد

نعم. وقد تكون أخص من ذلك فيُقال: أخوة في العروبة. أخوة في المواطنة، وهذا شقيق، وهذا صديق.

كل هذا مع عدم الدين لا قيمة له، فلا أخوة فوق أخوة الدين، ولا رابط فوق رابطة الدين، وهنا قال: {وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا} [هود:٥٠]؛ لأنه منهم، من نسبهم، والقبيلة تجمعهم. وقيل: إنما قيل لهم: أخوهم؛ لأنهم من بني آدم كما أنه بني أدم. لكن إذا كان من قبيلتهم فهذا أخص.

ألا يمكن أن يُقال: إن هذا كان في شرع من قبلنا؟ شرع من قبلنا يُطلق الفرد من العشيرة أو القبيلة أخ، وإن لم يكن على دينه بهذه الآية، أو أخوة النسب تبقى ولا تنتفي، ولو مع عدم الدين. وعمر -رضي الله عنه- كسى الحلة أخًا له كافرًا. فهو أخ. والأب أب وإن كان كافرًا. والأم أم وإن كانت كافرة، كما في قصة أسماء: قدمت علي أمي وهي راغبة، المقصود أنه إذا كان المراد به أخوة النسب فلا بأس أن يُطلق على الكافر إذا كان أخًا له في النسب، أنه أخ، لكن إذا لم يكن أخًا له في النسب فلا يجوز أن يُطلق عليه أخ؛ لانتفاء الوصف، فلا رابط هناك، لا نسب ولا دين.

طالب:.....

نعم.

طالب: ....

إذا كان من قبيلة واحدة فلا بأس، إذا كان من قبيلة واحدة فهم أخوة؛ لأنهم يجمعهم أبٌ واحد.

نعم.

طالب: ....

على كل حال، غاية ما هنالك أنه أثبت الأخوة له، وهي أخوة النسب بلا شك بالنسبة لمن لم يؤمن به، وأما من آمن به فهي أخوة الدين.

"وَقِيلَ: إِنَّمَا قِيلَ لَهُ: أَخُوهُمْ؛ لِأَنَّهُ مِنْ بَنِي آدَمَ كَمَا أَنَّهُمْ مِنْ بَنِي آدَمَ، وَقَدْ تَقَدَّمَ هَذَا فِي "الْأَعْرَافِ"، وَكَانُوا عَبَدَةَ الْأَوْثَانِ. وَقِيلَ: هُمْ عَادَانِ، عَادٌ الْأُولَى وَعَادٌ الْأُخْرَى، فَهَؤُلَاءِ هُمُ الْأُولَى، وَأَمَّا الْأُخْرَى فَهُوَ شَدَّادٌ وَلُقْمَانُ الْمَذْكُورَانِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: {إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ} [الفجر:٧]، وَعَادٌ اسْمُ رَجُلٍ، ثُمَّ اسْتَمَرَّ عَلَى قَوْمٍ انْتَسَبُوا إِلَيْهِ، {قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ

مِنْ إِلَـهٍ غَيْرِهِ} [هود:٥٠] بِالْخَفْضِ عَلَى اللَّفْظِ، وَ "غَيْرُهُ" بِالرَّفْعِ عَلَى الْمَوْضِعِ ، وَ "غَيْرَهُ " بِالنَّصْبِ عَلَى الِاسْتِثْنَاءِ".

نعم يجوز فيه الأوجه الثلاثة: بالخفض إتباعًا للإله؛ لأن إله مجرور لفظًا، وإن كان مرفوعًا محلًّا؛ لأن من زائدة للتأكيد، لتأكيد النفي، فهي تعمل ظاهرًا وإن كان مدخوله في حقيقة الأمر مرفوعًا، ولذا جاز الرفع على موضعه.

طالب: الرفع يا شيخ.

لا غيره، إله ما يجوز.

طالب: لكن يا شيخ أنتم قلتم: إن إله مجرور لفظًا، مرفوع محلًا، ما الرافع له؟

هذا أصل ما لكم من إله غيره، ليس لكم إله غيره، أصله هذا مكانه.

طالب: ومن زائدة؟

زائدة. لكن لا نقول: زائدة، وجودها مثل عدمها، لا، زائدة لفائدة؛ زائدة للتأكيد، تأكيد النفي، وغيره بالرفع على الموضع، وغيره بالنصب على الاستثناء.

طالب: الموضع إلى؟

لا، أين؟

طالب: غيره مرفوع برفع على موضع المقصود بموضع إلى؟

نعم؛ لأن موضعه ومحله الرفع، وغير بالنصب على الاستثناء كأنه قال: قال يا قومِ اعبدوا الله ما لكم من إله إلا هو أو إلا إياه.

"{إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ} [هود:٥٠] أَيْ مَا أَنْتُمْ فِي اتِّخَاذِكُمْ إِلَهًا غَيْرَهُ إِلَّا كَاذِبُونَ عَلَيْهِ -عَزَّ وَجَلَّ- قَوْلُهُ تَعَالَى: {يَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي} [هود:٥١] تَقَدَّمَ مَعْنَاهُ. وَالْفِطْرَةُ ابْتِدَاءُ الْخَلْقِ".

فطرني يعني خلقني، خلقني مبتدأً خلقي، {فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ} [يوسف:١٠١] يعني خالقهم مبتدأً. ابن عباس -رضي الله عنهما- ما يعرف معنى فطر فجاء الأعرابي يقول: هي بئري، أنا فطرتها، يعني ابتدأتها وأنشأتها.

"{أَفَلَا تَعْقِلُونَ} [هود:٥١] مَا جَرَى عَلَى قَوْمِ نُوحٍ لَمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ".

نعم، هذه هي فائدة القصص في الكتاب والسنة؛ للاعتبار، والتعقل، والتدبر، إن كانت القصص لمن أطاع الله فالاقتداء والاقتفاء، وإن كانت لمن عصى فالازدجار والاعتبار والاتعاظ بمآل أولئكم ومصيرهم.

"قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ} [هود:٥٢] تَقَدَّمَ فِي أَوَّلِ السُّورَةِ، {يُرْسِلِ السَّمَاءَ} [هود:٥٢] جزمَ".

جُزِمَ.

"جُزِمَ؛ لِأَنَّهُ جَوَابٌ وَفِيهِ مَعْنَى الْمُجَازَاةِ".

استغفروا يُرسل، جُزم لأنه جواب الطلب، جواب الطلب، استغفروا ثم توبوا يرسل. ومنهم من يقول: إنه جواب شرطٍ محذوف يدل عليه الأمر استغفروا، إن تستغفروا يرسل، فهو مجزوم على كل حال.

"{عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا} [هود:٥٢] نُصِبَ عَلَى الْحَالِ، وَفِيهِ مَعْنَى التَّكْثِيرِ، أَيْ يُرْسِلِ السَّمَاءَ بِالْمَطَرِ مُتَتَابِعًا يَتْلُو بَعْضُهُ بَعْضًا، وَالْعَرَبُ تَحْذِفُ الْهَاءَ فِي مِفْعَالٍ عَلَى النَّسَبِ، وَأَكْثَرُ مَا يَأْتِي مِفْعَالٌ مِنْ أَفْعَلَ، وَقَدْ جَاءَ هَاهُنَا مِنْ فَعَلَ، لِأَنَّهُ مِنْ دَرَّتِ السَّمَاءُ تَدِرُّ وَتَدُرُّ فَهِيَ مِدْرَارٌ. وَكَانَ قَوْمُ هُودٍ -أَعْنِي عَادًا- أَهْلَ بَسَاتِينَ وَزُرُوعٍ وَعِمَارَةٍ، وَكَانَتْ مَسَاكِنُهُمُ الرِّمَالَ الَّتِي بَيْنَ الشَّامِ وَالْيَمَنِ كَمَا تَقَدَّمَ فِي "الْأَعْرَافِ".

بين الشام واليمن، أين تكون مساكنهم؟

طالب:.....

دقيق التحديد أم ؟

طالب: ....

نعم، كيف؟

طالب: ما فيه علاقة بين الشام واليمين.

ما في بينهم شيء!

طالب: بعيدة بعيدة.

هذه كتب ومعاجم البلدان على هذه الطريقة، وكتب المتقدمين يقولك مثلًا: حائل بين مكة والبصرة.

طالب: صحيح.

نعم، ومثلًا اليمامة بين مكة وهجر؛ لأنها أمور يحددون غالبًا بمكة؛ لأنها طريق الحاج يُؤدي إلى ما ذكر، فإذا قالوا: ما بين مكة والبصرة فحجاج البصرة يمرون بهذه البلدة ذاهبين وآيبين غالبًا. فهي معروفة عندهم، لكن الآن لا بُد أن تحدد بدقة، وإلا ما يُستفاد من هذا التحديد، نعم يُستفاد منها الجهات يكون هناك، لكن الذي يذهب إلى هذا البلد، أو تلك القرية من خلال تحديد ياقوت في معجم البلدان ما يكسب شيئًا؛ لأن بين مكة والبصرة، كم بين مكة والبصرة؟ ألوف من الكيلومترات، والآن الجزيرة كلها بين اليمن والشام، هذه طريقتهم، ما عندهم تحديد دقيق، أمور تقريبية، كل أمورهم مبنية على المسامحة، لاسيما وأن مثل هذه الأشياء ما يترتب عليها شيء، شأن هذا أنك تذهب لترى مساكنهم وتدخلها؟ أنت منهي عن دخول بلدان المعذبين إلا للاعتبار؛ باكيًا متباكيًا.

والذين يعتنون بالآثار الآن يحددون بدقة، ويرسمون خرائط، إنك تروح تشوف وتتفرج، وتتلفها شُلت يمينك خلها؛ لأنهم يجنون من ورائها، مصدر دخل عندهم، غافلين أو متغافلين عن النهي عن دخول هذه البلدان المعذبة، والنهي عن قربان مواضع الخسف، والله المستعان. نعم.

طالب: يا شيخ.

نعم

طالب: أحسن الله إليك، فيه كُتب مُعينة لتحديد هذه الأماكن بدقة، يحدد المكان صاحب معجم البلدان يستطيع أن يكتب ويحدد بدقة؟

كتب الجغرافيا الآن، جغرافيا كل بلد بعينها تحدد لك البلدان بدقة.

طالب: لكن ما فيه كتاب؟

شامل للدنيا كلها؟

طالب: يعني مثلاً.

لا، شامل للبلدان كلها، لا، لكن كل بلد اعتنت بجغرافية بلدها وحدت الأماكن بدقة.

طالب: ....

وتتصور أنهم يملؤون الجزيرة؟

طالب: لا.

لكن ما هم قليل، ذُكر في عدهم أنهم اثنتا عشرة ألف قبيلة، كل قبيلة ذكر في عددهم اثنا عشر ألف فرد. فهم يملؤون بين الشام واليمن على هذا إن صح، على كل حال المتقدمون ما يعتنون بتحديد الأماكن بدقة، لا سيما الأماكن التي لا يُحتاج إليها.

"{وَيَزِدْكُمْ} [هود:٥٢] عَطْفٌ عَلَى يُرْسِلْ، {قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ} [هود:٥٢] قَالَ مُجَاهِدٌ : شِدَّةٌ عَلَى شِدَّتِكُمْ. وقال الضَّحَّاكُ. خِصْبًا إِلَى خِصْبِكُمْ وقال عَلِيُّ بْنُ عِيسَى: عِزًّا عَلَى عِزِّكُمْ. وقال عِكْرِمَةُ: وَلَدًا إِلَى وَلَدِكُمْ. وَقِيلَ: إِنَّ اللَّهَ حَبَسَ عَنْهُمُ الْمَطَرَ وَأَعْقَمَ الْأَرْحَامَ ثَلَاثَ سِنِينَ فَلَمْ يُولَدْ لَهُمْ وَلَدٌ، فَقَالَ لَهُمْ هُودٌ: إِنْ آمَنْتُمْ أَحْيَا اللَّهُ بِلَادَكُمْ وَرَزَقَكُمُ الْمَالَ وَالْوَلَدَ، فَتِلْكَ الْقُوَّةُ، وَقَالَ الزَّجَّاجُ: الْمَعْنَى يَزِدْكُمْ قُوَّةً فِي النِّعَمِ، {وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ} [هود:٥٢] أَيْ لَا تُعْرِضُوا عَمَّا أَدْعُوكُمْ إِلَيْهِ، وَتُقِيمُوا عَلَى الْكُفْرِ".

ما ذُكر في تأويل قوله تعالى: {وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ} [هود:٥٢] لا تنافي بينها ولا تنافر، وليس من اختلاف التضاد، وإنما هو من اختلاف التنوع، شدةً على شدتكم هذه هي القوة، خصبًا إلى خصبكم هذا سبب قوة، عزًّا على عزكم أيضًا هذا مصدر قوة، ولدًا إلى ولدكم أيضًا هذا عون على القوة إلى آخره، فليس بين أقوالهم تنافر ولا تضاد.

"قَوْلُهُ تَعَالَى: {قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ} [هود:٥٣] أَيْ حُجَّةٍ وَاضِحَةٍ، {وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ} [هود:٥٣] إِصْرَارًا مِنْهُمْ عَلَى الْكُفْرِ.

قَوْلُـهُ تَعَالَى: {إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ} [هود:٥٤] أَيْ أَصَابَكَ، {بَعْضُ آلِهَتِنَا} [هود:٥٤] أَيْ أَصْنَامِنَا، {بِسُوءٍ} [هود:٥٤] أَيْ: بِجُنُونٍ لِسَبِّكَ إِيَّاهَا، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَغَيْرِهِ يُقَالُ: عَرَاهُ الْأَمْرُ وَاعْتَرَاهُ إِذَا أَلَمَّ بِهِ. وَمِنْهُ {وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ} [الحج:٣٦]".

{إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا} [هود:٥٤] بسوء، يعني قصدهم أن الآلهة ضربت هودًا -عليه السلام- لما سبها، تعرضت له بسوء فأصيب بالخبل والجنون بسببها، ونظيره ما يدَّعيه عُباد القبور إذا سفهت صنيعهم ونهيتهم، وبينت أن هذا شرك، وأن هذا هو الشرك الأكبر، قالوا لك: يشور بك الشيخ، يعني صاحب القبر، ويزعمون أنه يضر من يقول مثل هذا الكلام، وقد يوجد اتفاقًا، يعني من غير مواطأة لهذا الضرر فتزداد بذلك الفتنة، فيُقال: شور به الشيخ، أو ضره الشيخ، وما أشبه ذلك، وهذا زيادة في الفتنة -نسأل الله السلامة والعافية-، فما وُجد من شرك الأولين، وتصور الأولين، وعناد الأولين موجود أيضًا في الآخرين، ولكل قومٍ وارث، {إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ} [هود:٥٤] يعني لما ذكرتهم بسوء أصابوك بالسوء، هذا كلامٌ لا قيمة لهُ، ومثل ما يقوله عُباد القبور مما ذكرنا، والله المستعان.

"{قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ} [هود:٥٤] أَيْ عَلَى نَفْسِي، {وَاشْهَدُوا} [هود:٥٤] أَيْ وَأُشْهِدُكُمْ، لَا أَنَّهُمْ كَانُوا أَهْلَ شَهَادَةٍ، وَلَكِنَّهُ نِهَايَةٌ لِلتَّقْرِيرِ، أَيْ لِتَعْرِفُوا، {أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ} [هود:٥٤] أَيْ مِنْ عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ الَّتِي تَعْبُدُونَهَا، {فَكِيدُونِي جَمِيعًا} [هود:٥٥] أَيْ أَنْتُمْ وَأَوْثَانَكُمْ فِي عَدَاوَتِي وَضُرِّي.

{ثُمَّ لَا تُنْظِرُونِ} [هود:٥٥] أَيْ لَا تُؤَخِّرُونِ. وَهَذَا الْقَوْلُ مَعَ كَثْرَةِ الْأَعْدَاءِ يَدُلُّ عَلَى كَمَالِ الثِّقَةِ بِنَصْرِ اللَّهِ تَعَالَى. وَهُوَ مِنْ أَعْلَامِ النُّبُوَّةِ، أَنْ يَكُونَ الرَّسُولُ وَحْدَهُ يَقُولُ لِقَوْمِهِ: {فَكِيدُونِي جَمِيعًا} [هود:٥٥]. وَكَذَلِكَ قَالَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لِقُرَيْشٍ. وَقَالَ نُوحٌ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- {فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ} [يونس:٧١] الْآيَةَ".

نعم، يشهد الله -سبحانه وتعالى- على براءته من الشرك، ويُشهد الحاضرين وإن لم يكونوا أهلًا للشهادة؛ لأن هذه الشهادة ليس المقصود منها أن تؤدى في وقتٍ من الأوقات فيُنتفع بها، وتترتب على أداء هذه الشهادة، كأنه يتحداهم بذلك، وليس المراد بالشهادةِ هنا ما يُراد منها في الحقوق، ولو كانت مما يتوقف عليها استيفاء الحق لطُلبت من الشاهد المرضي، وهؤلاء غير مرضين، لكن المقصود به تحديهم يعني يشهد الله، واشهدوا، واعلموا أنني بريء من عبادة الأصنام التي تعبدونها.

يقول ذلك يتحداهم، وهم من الكثرة بمكان، وهو واحد، وهذا من تمام ثقته بربه -عز وجل-، وهو أيضًا علم من أعلام نبوته ومعجزة أن يخرج الشخص إلى هؤلاء الجمع الغفير ويتحداهم مع توافرهم وقوتهم وشدتهم وصلابتهم في دينهم، يتحداهم شخص واحد، كما حصل منه -صلى الله عليه وسلم-، وكما حصل من نوح، ويحصل من أتباعهم، من أتباع الرسل شيءٌ قريب من هذا،

فيكون من باب الكرامة إذا حفظه الله -سبحانه وتعالى- من كيد الكفار؛ إذ يتحداهم وهو واحد، فيحرسه الله -سبحانه وتعالى- منهم، وقد يسلطهم عليه ابتلاءً واختبارًا ورفعًا لدرجته فيقتلونه، وهذا حاصل كثيرًا، حصل من هذا الشيء الكثير.

ذكر الذهبي -رحمه الله- في ترجمة شخص نسيته، أنه قال: لو كان عندي عشرةُ سهام لرميت الحاكم بتسعة، الحاكم بأمر الله العُبيدي الخبيث الفاطمي، واليهود بالعاشر، فنُقلت إلى الحاكم، فجيء به؛ استدعي وجيء به. قال: ألم تقل كذا؟ قال: كذبوا عليك، خاف؟ ما خاف، وإنما قلت: لرميته بالتسعة وأتبعته بالعاشر. فطلب الحاكم العُبيدي الخبيث يهوديًّا، أأتوا بفلان اليهودي، جاءوا به، كأنه جزار قال: اسلخه من رأسه إلى قدميه، سلخ من غير قتل، فبدأ به من رأسه إلى أن وصل الصدر، وهو صابر محتسب فرحمه اليهودي فطعنه في قلبه فمات. هذا يأمر بسلخه؛ نكاية له -نسأل الله العافية-، فثبت -رحمه الله-، ومثله أيضًا من يصمد أمام الدجال فينشره بالمنشار، وهكذا تاريخ الأمة مملوء بمثل هذه القصص، وفيها من صمد وثبت للإلقاء في النار من هو؟

من هو يا شباب؟

طالب: إبراهيم أو أبو مسلم.

من هذه الأمة؟

أبو مسلم الخولاني، المقصود أن التاريخ شاهد بذلك، يقف الإنسان يتحدى الأقوام، إن نجى كرامة، وإن لم ينجُ فشهادة. وليس معنى هذا أن الإنسان يُلقي بيديه إلى التهلكة، ولا ينظر إلى العواقب، فالعمل الذي لا يترتب عليه مصلحة يكون من باب إلقاء اليد إلى التهلكة، والعمل الذي يجر المصائب إلى غيره ويتعدى ضرره إلى غيره لا يجوز أن يقدم عليه الشخص، وفي الرخصة التي رخص الله به لعبادة مندوحة، لكن إن لم يكن هناك آثار مترتبة على غيره، ويُريد أن يصبر ويحتسب ويسلك العزيمة يؤجر على ذلك -إن شاء الله-، لا سيما إن كان يرجو من المصلحة أضعاف ما يترتب على ذلك من المفسدة.

ولذا في قصة الغلام التي سيقت في شرعنا مساق المدح ما استطاعوا أن يقتلوه، ما استطاعوا أن يُغرقوه، ما استطاعوا أن يُردوه من الجبل، ولم يقدروا عليه حتى دلهم على كيفية قتله، لكن ما المصلحة المترتبة على فعله؟ آمن الناس كلهم.

فإذا وجدت أو ترتبت مثل هذه المصالح العظيمة، واندفعت المفاسد، وإن وجدت مفسدة يسيرة مغمورة فلا بأس، لكن إذا كانت المفسدة أعظم، يثبت شخص أمام قوة جبارة يقتلونه وحده لا بأس، لكن يقتلون من وراءه كلهم، كلهم مثلًا بدون استثناء، يأتي شخص إلى بلدٍ آمن فيزعزع الأمن في هذه البلد، هذا لا، لكن بلد فوضى من أصله، هو مقتول مقتول هو وغيره، إذا كان ذلك نكاية في العدو، وأراد العزيمة فله ذلك عند جمع من أهل العلم. والله المستعان.

"قَوْلُهُ تَعَالَى: {إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ} [هود:٥٦] أَيْ رَضِيتُ بِحُكْمِهِ، وَوَثِقْتُ بِنَصْرِهِ. {مَا مِنْ دَابَّةٍ} [هود:٥٦] أَيْ نَفْسٍ تَدِبُّ عَلَى الْأَرْضِ، وَهُوَ فِي مَوْضِعِ رَفْعٍ بِالِابْتِدَاءِ، {إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا} [هود:٥٦] أَيْ يُصَرِّفُهَا كَيْفَ يَشَاءُ، وَيَمْنَعُهَا مِمَّا يَشَاءُ، أَيْ فَلَا تَصِلُونَ إِلَى ضُرِّي. وَكُلُّ مَا فِيهِ رُوحٌ يُقَالُ لَهُ: دَابٌّ وَدَابَّةٌ، وَالْهَاءُ لِلْمُبَالَغَةِ. وَقَالَ الْفَرَّاءُ: مَالِكُهَا، وَالْقَادِرُ عَلَيْهَا. وَقَالَ الْقُتَبِيُّ: قَاهِرُهَا؛ لِأَنَّ مَنْ أَخَذْتَ بِنَاصِيَتِهِ فَقَدْ قَهَرْتَهُ. وَقَالَ الضَّحَّاكُ: يُحْيِيهَا ثُمَّ يُمِيتُهَا، وَالْمَعْنَى مُتَقَارِبٌ. وَالنَّاصِيَةُ قُصَاصُ الشَّعْرِ فِي مُقَدَّمِ الرَّأْسِ".

نعم ومن تُراد إهانته تجز ناصيته من هذا الباب، فالناصية قصاص الشعر في مقدم الرأس، فمن مُلكت ناصيته فمالكه قاهرٌ له، مُدبرٌ له، {مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا} [هود:٥٦]، فالله – سبحانه وتعالى– متصرف في هؤلاء الخلائق.

"وَنَصَوْتُ الرَّجُلَ أَنْصُوهُ نَصْوًا أَيْ مَدَدْتُ نَاصِيَتَهُ".

ناصيَتَهُ.

"أَيْ مَدَدْتُ نَاصِيَتَهُ، قَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ: إِنَّمَا خَصَّ النَّاصِيَةَ؛ لِأَنَّ الْعَرَبَ تَسْتَعْمِلُ ذَلِكَ إِذَا وَصَفَتْ إِنْسَانًا بِالذِّلَّةِ وَالْخُضُوعِ، فَيَقُولُونَ: مَا نَاصِيَةُ فُلَانٍ إِلَّا بِيَدِ فُلَانٍ، أَيْ إِنَّهُ مُطِيعٌ لَهُ يُصَرِّفُهُ كَيْفَ يَشَاءُ. وَكَانُوا إِذَا أَسَرُوا أَسِيرًا وَأَرَادُوا إِطْلَاقَهُ وَالْمَنَّ عَلَيْهِ جَزُّوا نَاصِيَتَهُ؛ لِيُعْرَفُوا بِذَلِكَ فَخْرًا عَلَيْهِ، فَخَاطَبَهُمْ بِمَا يَعْرِفُونَهُ فِي كَلَامِهِمْ.

وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ الْحَكِيمُ فِي "نَوَادِرِ الْأُصُولِ": قَوْلُهُ تَعَالَى: {مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا} [هود:٥٦] وَجْهُهُ عِنْدَنَا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدَّرَ مَقَادِيرَ أَعْمَالِ الْعِبَادِ، ثُمَّ نَظَرَ إِلَيْهَا، ثُمَّ خَلَقَ خَلْقَهُ، وَقَدْ نَفَذَ بَصَرُهُ فِي جَمِيعِ مَا هُمْ فِيهِ عَامِلُونَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَخْلُقَهُمْ، فَلَمَّا خَلَقَهُمْ وَضَعَ نُورَ تِلْكَ النَّظْرَةِ فِي نَوَاصِيهِمْ، فَذَلِكَ النُّورُ آخِذٌ بِنَوَاصِيهِمْ، يُجْرِيهِمْ إِلَى أَعْمَالِهِمُ الْمُقَدَّرَةِ عَلَيْهِمْ يَوْمَ الْمَقَادِيرِ. وَخَلَقَ اللَّهُ الْمَقَادِيرَ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، رَوَاهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– يَقُولُ: «قَدَّرَ اللَّهُ الْمَقَادِيرَ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ». وَلِهَذَا قَوِيَتِ الرُّسُلُ، وَصَارُوا مِنْ أُولِي الْعَزْمِ؛ لِأَنَّهُمْ لَاحَظُوا نُورَ النَّوَاصِي، وَأَيْقَنُوا أَنَّ جَمِيعَ خَلْقِهِ مُنْقَادُونَ بِتِلْكَ الْأَنْوَارِ إِلَى مَا نَفَذَ بَصَرُهُ فِيهِمْ مِنَ الْأَعْمَالِ، فَأَوْفَرُهُمْ حَظًّا مِنَ الْمُلَاحَظَةِ أَقْوَاهُمْ فِي الْعَزْمِ، وَلِذَلِكَ مَا قَوِيَ هُودٌ النَّبِيُّ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– حَتَّى قَالَ: {فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنْظِرُونِ (٥٥) إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا(٥٦)} [هود:٥٥-٥٦]، وَإِنَّمَا سُمِّيَتْ نَاصِيَةً؛ لِأَنَّ الْأَعْمَالَ قَدْ نُصَّتْ وَبَرَزَتْ مِنْ غَيْبِ الْغَيْبِ، فَصَارَتْ مَنْصُوصَةً فِي الْمَقَادِيرِ، قَدْ نَفَذَ بَصَرُ الْخَالِقِ فِي جَمِيعِ حَرَكَاتِ الْخَلْقِ بِقُدْرَةٍ، ثُمَّ وُضِعَتْ حَرَكَاتُ كُلِّ مَنْ دَبَّ عَلَى الْأَرْضِ

حَيًّا فِي جَبْهَتِهِ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، فَسُمِّيَ ذَلِكَ الْمَوْضِعُ مِنْهُ نَاصِيَةً؛ لِأَنَّهَا تَنُصُّ حَرَكَاتِ الْعِبَادِ بِمَا قُدِّرَ، فَالنَّاصِيَةُ مَأْخُوذَةٌ بِمَنْصُوصِ الْحَرَكَاتِ الَّتِي نَظَرَ اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْهَا قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَهَا".

نعم هذا كلام الترمذي الحكيم، ومعروف اتجاهه أنه متصوف ومُغرق، وتأثره باصطلاحاتهم ظاهر، وهذا أيضًا من تأملاتهم ودقيق علمهم فيما يزعمون، وله رأي في الولاية لم يوافق عليه، أن الولي يأخذ من المعدن، يقول: وجهه عندنا أن الله قدر مقادير العباد، ثم نظر إليها، ثم خلق خلقه وقد نفذ بصره في جميع ما هم فيه عاملون قبل أن يخلقهم، فلما خلقهم جعل نور تلك النظرة في نواصيهم، فذلك النور أخذٌ بنواصيهم، إنما قاله تفسيرًا لقول تعالى: {مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا} [هود:٥٦]، فمن الذي يأخذ بالناصية؟ الله -سبحانه وتعالى- أو النور؟

طالب:.....

نعم.

طالب:.....

الله -سبحانه وتعالى- يقول: عن هود -عليه السلام- {إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ} [هود:٥٦] يعني الله -سبحانه وتعالى- آخذ بناصيتها، وهنا يقول: النور هو الذي. نعم. فذلك النور آخذٌ بنواصيهم؛ فذلك النور آخذٌ بنواصيهم، النور يأخذ بالنواصي؟ أو النور يوجد في النواصي؟ نور المؤمن وبهاؤه الذي يظهر على وجهه وملامحه وناصيته، والغرة التي تكون في وجه المسلم في دنياه وأخراه، النور هو الذي يأخذ أو أنه يُوجد في ناصية المسلم والمؤمن؟

طالب: يوجد.

نعم، فكلامه متعقب.

طالب: تأويل هذا يا شيخ؟

على طريقتهم، على طريقة المتصوفة وتأملاتهم التي يستطردون وراء العقول إلى أن يصلوا إلى حدٍّ قد يُنافر المفسر.

طالب: يا شيخ نوادر الأصول في ماذا؟

في السلوك وفي الأحاديث، أحاديث مسندة بإسناده هو؛ لأنه متقدم من القرن الثالث، وهو مصدر من مصادر الحديث، لكن ما تفرد به فهو ضعيف عند أهل العلم، ما تفرد به فهو ضعيف. من يحفظ البيت الذي يجمع الكُتب الضعيفة؟ وما نُمي؟ ما فيه حد يحفظ طلعة الأنوار؟

يا أشرف؟

طالب: المجلس ...

وتخجل أنت أم ؟

طالب: ما أخجل، هم ما حفظوا، فالأولى بي أن لا أحفظ مثلهم.

وما نمي لعد وعق وخط وكر ومسند الفردوس ضعفه شُهر

إلى أن قال: ونوادر الأصول وغيرها. نعم. التاريخ تاريخ نيسابور وغيره. المقصود أن هذه مظنة الحديث الضعيف.

وَوَصَفَ نَاصِيَةَ أَبِي جَهْلٍ فَقَالَ: {نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ} [العلق:١٦] يُخْبِرُ أَنَّ النَّوَاصِيَ فِيهَا كَاذِبَةٌ خَاطِئَةٌ، فَعَلَى سَبِيلِ مَا تَأَوَّلُوهُ يَسْتَحِيلُ أَنْ تَكُونَ النَّاصِيَةُ مَنْسُوبَةً إِلَى الْكَذِبِ وَالْخَطَأِ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

نعم، على سبيل ما تأوله في كلام الحكيم، ومن يقول بقوله، يستحيل أن تكون الناصية منسوبة إلى الخطأ والكذب، وحينئذٍ يكون تفسيره وتأويله معارضًا لقوله تعالى: {نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ} [العلق:١٦]، وهذا سببه الاسترسال وراء الإفهام، ووراء الأوهام، أفهام أشبه ما تكون بالأوهام، يسترسلون بالنظر في الغيبيات، فتقودهم هذه الأنظار إلى الشطحات، وقد حصل، وأخبارهم في كُتب التراجم، تراجم الصوفية وما يعرفون بالأولياء أو الأصفياء الكُتب مملوءة من هذا.

فمن إغراقهم في التأمل ما يقودهم إلى مصادمة النصوص، حتى قال قائلهم: ألا بذكر الله تزداد الذنوب، وتنطمس البصائر والقلوب، ومن المؤسف أن هذا يُعبد من دون الله، يُطاف بقبره على أنه ولي من أولياء الله.

طالب: من هو؟

هذا ابن عربي.

طالب: ...

نعم وصف الناصية بالجهل هذا كلام المفسر.

طالب:.....

على كلٍّ النوادر المطبوع ليس هو الأصل؛ لأن هذا مجرد عن الأسانيد. والأصل أن الكتاب مسند وله نسخ.

طالب:.....

نعم.

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير القرطبي

سورة هود

معالي الشيخ الدكتور

عبد الكريم بن عبد الله الخضير

عضو هيئة كبار العلماء

وعضو اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

تاريخ المحاضرة:	١٤٣١/١١/١٨هـ	المكان:	

"{إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} [هود:٥٦] قَالَ النَّحَّاسُ: الصِّرَاطُ فِي اللُّغَةِ الْمِنْهَاجُ الْوَاضِحُ، وَالْمَعْنَى أَنَّ اللَّهَ- جَلَّ ثَنَاؤُهُ- وَإِنْ كَانَ يَقْدِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ فَإِنَّهُ لَا يَأْخُذُهُمْ إِلَّا بِالْحَقِّ. وَقِيلَ: مَعْنَاهُ لَا خَلَلَ فِي تَدْبِيرِهِ، وَلَا تَفَاوُتَ فِي خَلْقِهِ سُبْحَانَهُ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: {فَإِنْ تَوَلَّوْا} [هود:٥٧] فِي مَوْضِعِ جَزْمٍ، فَلِذَلِكَ حُذِفَتْ مِنْهُ النُّونُ، وَالْأَصْلُ تَتَوَلَّوْا، فَحُذِفَتِ التَّاءُ؛ لِاجْتِمَاعِ تَاءَيْنِ".

لأن هنا الفعل {فَإِنْ تَوَلَّوْا} [هود:٥٧] يحتمل أن يكون ماضيًا، ويحتمل أن يكون مضارعًا، وهنا المراد به المضارع، تولوا يعني تتولوا، وهو مجزوم بإن، على أنه فعل الشرط.

طالب:.....

الفعل تولى ماضٍ، والمضارع؟

يتولى، نعم يتولى. وإذا أُسند إلى المخاطب صار تتولى، فلما حُذفت إحدى التاءين من أول المضارع أشبه الماضي. وحذفت النون للجازم، فطابق الماضي، فيحتمل أن يكون المعنى فإن تولوا فيما مضى فقد أبلغتكم، وهذا ليس هو المراد، وإن تتولوا يعني في المستقبل فقد أبلغتكم، أقمت عليكم الحجة، وبينت لكم ما أرسلت به، وحينئذٍ تكون التبعة عليكم.

"{فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ} [هود:٥٧] بِمَعْنَى قَدْ بَيَّنْتُ لَكُمْ، {وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ} [هود:٥٧] أَيْ يُهْلِكُكُمْ وَيَخْلُقُ مَنْ هُوَ أَطْوَعُ لَهُ مِنْكُمْ يُوَحِّدُونَهُ وَيَعْبُدُونَهُ. "وَيَسْتَخْلِفُ" مَقْطُوعٌ مِمَّا قَبْلَهُ فَلِذَلِكَ ارْتَفَعَ؛ أَوْ مَعْطُوفٌ عَلَى مَا يَجِبُ فِيمَا بَعْدَ الْفَاءِ مِنْ قَوْلِهِ: {فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ} [هود:٥٧]، وَرُوِيَ عَنْ حَفْصٍ عَنْ عَاصِمٍ {وَيَسْتَخْلِفْ} بِالْجَزْمِ حَمْلًا عَلَى مَوْضِعِ الْفَاءِ وَمَا بَعْدَهَا، مِثْلُ: {وَيَذَرهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ} [الأعراف:١٨٦]".

يذرهم بالجزم.

"مِثْلُ: {وَيَذَرهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ} [الأعراف:١٨٦]".

يعني يستخلف معطوفة على إيش؟ أبلغتكم؟

طالب: ...

ويستخلف، أو استئناف؟ الواو استئنافية وليست عاطفة، وتكون الجملة {فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ} [هود:٥٧]، ثم يُستأنف فقال: {وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ} [هود:٥٧]. يعني هناك ارتباط بين التولي والاستخلاف؟

طالب: ...

تقديره؟

طالب: فإن تولوا فقد أبلغتكم ما أرسلت به إليكم ويهلكم الله ثم يستخلف قومًا غيركم، يعني توليكم يكون سبب إهلاككم، ويأتي الله -سبحانه وتعالى- بقومٍ يحبهم.

يعني أطوع له منكم.

طالب: نعم.

وعلى هذا المتجه الجزم أم الرفع يا شيخ؟

طالب: إلى هنا أقف يا شيخ.

الرفع على إيش؟ والجزم على إيش؟

طالب: الرفع يمكن على العطف.

على عطف إيش؟

طالب: عطف على الجملة نفسها.

الرفع على الاستئناف، الرفع على الاستئناف، فتكون الواو استئنافية، ليست عاطفية، ويكون الفعل مقطوعًا مما قبله، وحينئذٍ يرتفع، أو يكون معطوف على ما يجب فيما بعد الفاء فقد أبلغتكم.

جواب الشرط؟

طالب:.....

أين جواب الشرط؟

طالب:.....

مدخول الفاء. وباعتبار الجواب فعلًا ماضيًا، لا يؤثر فيه الجازم لفظًا، لا يؤثر فيه الشرط لفظًا، لكن ما يُعطف عليه.

طالب: ...

نعم يُعطف على محله أم على لفظه؟

طالب: على محله.

إن عُطف على محله تجزمه، ونقول: أو معطوف على ما يجب فيما بعد الفاء من قوله: فقد أبلغتكم، وروي عن حفص عن عاصم: ويستخلف بالجزم حملًا على موضع الفاء وما بعدها؛ لأن الفاء وما بعدها جواب الشرط، والأصل في جواب الشرط أنه مجزوم، هذا الأصل فيه، فيكون جزمه حملًا على موضع جواب الشرط.

طالب: ....

نعم. ماذا فيها؟

طالب:.....

غير معروفة، غير معروفة.

طالب: ....

غير مشهورة نعم.

طالب:.....

ماذا تقول يا أبا عبد الله؟

طالب:.....

هذه هي القراءة المعروفة؟ الجزم؟ لا. نعم يمكن من غير طريق حفص عن عاصم، لكن من طريق غير المشهور.

"قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَلَا تَضُرُّونَهُ شَيْئًا} [هود:٥٧] أَيْ بِتَوَلِّيكُمْ وَإِعْرَاضِكُمْ. {إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ} [هود:٥٧] أَيْ لِكُلِّ شَيْءٍ حَافِظٌ. "عَلَى" بِمَعْنَى اللَّامِ ، فَهُوَ يَحْفَظُنِي مِنْ أَنْ تَنَالُونِي بِسُوءٍ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا} [هود:٥٨] أَيْ عَذَابُنَا بِهَلَاكِ عَادٍ {نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا} [هود:٥٨]؛ لِأَنَّ أَحَدًا لَا يَنْجُو إِلَّا بِرَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى، وَإِنْ كَانَتْ لَهُ أَعْمَالٌ صَالِحَةٌ. وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ وَالْبُخَارِيِّ وَغَيْرِهِمَا عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «لَنْ يُنَجِّيَ أَحَدًا مِنْكُمْ عَمَلُهُ. قَالُوا: وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟! قَالَ: وَلَا أَنَا إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللَّهُ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ». وَقِيلَ: مَعْنَى بِرَحْمَةٍ مِنَّا، بِأَنْ بَيَّنَّا لَهُمُ الْهُدَى الَّذِي هُوَ رَحْمَةٌ. وَكَانُوا أَرْبَعَةَ آلَافٍ. وَقِيلَ: ثَلَاثَةُ آلَافٍ".

هؤلاء الذين آمنوا من الجمع الغفير ثلاثة آلاف أو أربعة آلاف.

"{وَنَجَّيْنَاهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ} [هود:٥٨] أَيْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ. وَقِيلَ: هُوَ الرِّيحُ الْعَقِيمُ كَمَا ذَكَرَ اللَّهُ فِي "الذَّارِيَاتِ" وَغَيْرِهَا وَسَيَأْتِي. قَالَ الْقُشَيْرِيُّ أَبُو نَصْرٍ: وَالْعَذَابُ الَّذِي يَتَوَعَّدُ بِهِ النَّبِيَّ أُمَّتُهُ إِذَا حَضَرَ يُنَجِّي اللَّهُ مِنْهُ النَّبِيَّ وَالْمُؤْمِنِينَ مَعَهُ، نَعَمْ! لَا يَبْعُدُ أَنْ يَبْتَلِيَ اللَّهُ نَبِيًّا وَقَوْمَهُ فَيَعُمُّهُمْ بِبَلَاءٍ فَيَكُونُ ذَلِكَ عُقُوبَةً لِلْكَافِرِينَ، وَتَمْحِيصًا لِلْمُؤْمِنِينَ إِذَا لَمْ يَكُنْ مِمَّا تَوَعَّدَهُمُ النَّبِيُّ بِهِ".

إذا لم يكن هذا العذاب مما توعدهم النبي به. أما إذا توعدهم النبي بعذاب فالعذاب يخصهم، وينجو منه النبي، وإلا إذا عمه معهم، فما ميزته عليهم؟

إذا توعدهم، لكن قد يأتي العذاب بغتة على أمةٍ استحقت هذا العذاب، وحلت بها عقوبة الرب- جل وعلا-، وحينئذٍ يعم الصالح والطالح، ثم يبعثون على نياتهم، يُبعثون على نياتهم، فإذا نزلت العقوبة عمَّت، إذا كثر الخبث، وضعف الإنكار، فإن العقوبة تعُمَّ، فإذا عمَّت شملت، مع أنه نص على أنه يُنجي الذين ينهون عن السوء، ويأخذ الذين ظلموا بعذابٍ بئيس -نسأل الله العافية-، وقد يكون من مصلحة هذا الآمر الناهي أن يموت مع قومه ثم يُبعث على نيته، ومصيره غير مصيرهم. كما جاء في حديث القوم الذين يُخسف بهم وفيهم أُناس ليس معهم، وفيهم الباعة، وفيهم وفيهم قال: يعمهم ثم يبعثون على نياتهم.

وعلى كل حال قد يموت الإنسان، قد يموت بأجله لأي سبب؛ قد يموت بهدم، قد يموت بغرق، قد يموت بحرق، يموت بعقوبة عمَّت الناس فيموت معهم ويُبعث على نيته، وإن كان صالحًا مُصلحًا، لكن لا يُمكن أن يتواعدهم بعذاب من عند الله بأمر الله -سبحانه وتعالى- ثم يشمله هذا

العذاب؛ لأنه حينئذٍ لا يكون له ميزة عليهم، في بادئ الأمر يحذرهم العقوبة، ويقع فيها، فلا يقع فيما حذرهم منه، لا يقع فيما حذرهم منه، كما دلت القصص؛ قصص الأنبياء أنهم أنجاهم الله مما حل بأممهم، كما نجا نوحًا وهودًا وصالحًا وموسى وقومه وهكذا، -والله المستعان-.

طالب: ....

ما يلزم؛ لأنه ليس عن وحي حين أخبرهم، ليس عن الوحي، وكونه يهدد بشيء ما عنده منه خبر إلا نصوص عامة بعد، ويجزم بأن هؤلاء يأتيهم نوع من عذاب معين، ليس له ذلك، ليس له أن يجزم أن هؤلاء سيخسف بهم، ليس له أن يجزم أنهم يُغرقون، أنهم يُحرقون، لا، هذا توقيفي، هذا يحتاج إلى نص؛ لأنه خبر غيبي للمستقبل.

طالب: .....

أن يحذرهم بخبرٍ صادق جاء عن النبي -صلى الله عليه وسلم- وإن لم يكن في الحقيقة ينطبق عليهم، على كلّ الإنذار والتحذير مطلوب، لكن بالعمومات، ما ينص على أنهم هم المقصودون بذلك، لا ينص على أنهم المرادون بالنص، لا، يحتاج لتوقيف.

طالب: ...

لا.

"قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَتِلْكَ عَادٌ} [هود:٥٩] ابْتِدَاءٌ وَخَبَرٌ. وَحَكَى الْكِسَائِيُّ أَنَّ مِنَ الْعَرَبِ مَنْ لَا يَصْرِفُ "عَادًا" فَيَجْعَلُهُ اسْمًا لِلْقَبِيلَةِ، {جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ} [هود:٥٩] أَيْ كَذَّبُوا بِالْمُعْجِزَاتِ وَأَنْكَرُوهَا، {وَعَصَوْا رُسُلَهُ} [هود:٥٩] يَعْنِي هُودًا وَحْدَهُ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يُرْسِلْ إِلَيْهِمْ مِنَ الرُّسُلِ سِوَاهُ. وَنَظِيرُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: {يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ} [المؤمنون:٥١] يَعْنِي النَّبِيَّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَحْدَهُ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِي عَصْرِهِ رَسُولٌ سِوَاهُ، وَإِنَّمَا جَمَعَ هَاهُنَا؛ لِأَنَّ مَنْ كَذَّبَ رَسُولًا وَاحِدًا فَقَدْ كَفَرَ بِجَمِيعِ الرُّسُلِ. وَقِيلَ: عَصَوْا هُودًا وَالرُّسُلَ قَبْلَهُ، وَكَانُوا بِحَيْثُ لَوْ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ أَلْفُ رَسُولٍ لَجَحَدُوا الْكُلَّ".

لأن من يجحد واحدًا يجحد الجميع؛ لأن دينهم واحد، الأنبياء دينهم واحد، فإذا كذب واحدًا فقد كذب الجميع، وإذا عصى واحدًا فقد عصى الجميع.

"{وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ} [هود:٥٩] أَيِ اتَّبَعَ سُقَّاطُهُمْ رُؤَسَاءَهُمْ. وَالْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ. وَالْعَنِيدُ الطَّاغِي الَّذِي لَا يَقْبَلُ الْحَقَّ وَلَا يُذْعِنُ لَهُ. قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ: الْعَنِيدُ وَالْعَنُودُ وَالْعَانِدُ وَالْمُعَانِدُ الْمُعَارِضُ بِالْخِلَافِ، وَمِنْهُ قِيلَ لِلْعِرْقِ الَّذِي يَنْفَجِرُ بِالدَّمِ: عَانِدٌ".

المعارض بالخلاف يعني بلا حجة، يعني مجرد عناد، تقول: الحق كذا يقول: لا، كذا. طيب دليلك؟ حجتك؟ ما عنده لا دليل ولا حجة ولا برهن. هذا عند.

"وَقَالَ الرَّاجِزُ: إِنِّي كَبِيرٌ لَا أُطِيقُ الْعُنَّدَا

قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَأُتْبِعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً أَيْ أُلْحِقُوهَا} [هود:٦٠] {وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ} [هود:٦٠] أَيْ وَأُتْبِعُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِثْلَ ذَلِكَ، فَالتَّمَامُ عَلَى قَوْلِهِ: وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ، {أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ} [هود:٦٠] قَالَ الْفَرَّاءُ: أَيْ كَفَرُوا نِعْمَةَ رَبِّهِمْ، قَالَ: وَيُقَالُ كَفَرْتُهُ، وَكَفَرْتُ بِهِ، مِثْلُ شَكَرْتُهُ، وَشَكَرْتُ لَهُ، {أَلَا بُعْدًا لِعَادٍ قَوْمِ هُودٍ} [هود:٦٠] أَيْ لَا زَالُوا مُبْعَدِينَ عَنْ رَحْمَةِ اللَّهِ. وَالْبُعْدُ الْهَلَاكُ، وَالْبُعْدُ التَّبَاعُدُ مِنَ الْخَيْرِ. يُقَالُ: بَعُدَ يَبْعُدُ بُعْدًا إِذَا تَأَخَّرَ وَتَبَاعَدَ. وَبَعِدَ يَبْعَدُ بَعَدًا إِذَا هَلَكَ، قَالَ:

لَا يَبْعَدَنْ قَوْمِي الَّذِينَ هُمُ سُمُّ الْعُدَاةِ وَآفَةِ الْجُزْرِ

وَقَالَ النَّابِغَةُ:

فَلَا تَبْعَدَنْ إِنَّ الْمَنِيَّةَ مَنْهَلٌ وَكُلُّ امْرِئٍ يَوْمًا بِهِ الْحَالُ زَائِلُ"

{كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ} [هود:٩٥]، كما بعِدت يستشكل الناس مثل هذا اللفظ، لماذا ما قال: بعُدت؟ بعِد، لا يعرف أن هناك فرقًا بين بعِد وبعُد، بعُد يبعد بعدًا إذا تأخر وتباعد. البعودة في مكانه. وبعِد يبعدُ بعدًا إذا هلك. {كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ} [هود:٩٥] يعني كما هلكت ثمود، وليس معناه أنها أبعدت من مكانه انتقلت إلى مكان بعيد، نعم ففرق بين بعَد وبعد. نعم

لا يبعدن قومي الذين هم سم العداة وآفة الجزر

يمدح قومه. سم العداة يعني يقتلون العداة؛ لشجاعتهم، وشدة بأسهم. وآفة الجزر يعني لكرمهم. نعم.

"قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ} [هود:٦١] فِيهِ خَمْسُ مَسَائِلَ:

الْأُولَى: قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَإِلَى ثَمُودَ} [هود:٦١] أَيْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ "أَخَاهُمْ" أَيْ فِي النَّسَبِ صَالِحًا، وَقَرَأَ يَحْيَى بْنُ وَثَّابٍ وَإِلَى ثَمُودٍ بِالتَّنْوِينِ فِي كُلِّ الْقُرْآنِ، وَكَذَلِكَ رُوِيَ عَنِ الْحَسَنِ. وَاخْتَلَفَ سَائِرُ الْقُرَّاءِ فِيهِ فَصَرَفُوهُ فِي مَوْضِعٍ وَلَمْ يَصْرِفُوهُ فِي مَوْضِعٍ. وَزَعَمَ أَبُو عُبَيْدَةَ أَنَّهُ لَوْلَا مُخَالَفَةُ السَّوَادِ لَكَانَ".

على كل حال هو قابل للتأويل، القبائل والأماكن يُمكن صرفها، ويمكن منعها، فإذا أُريد بها المذكر صُرفت. وإذا أريد بها المؤنث مُنعت، فإن أردت الحي صرفت، وإن أردت القبيلة منعت، إن أردت المكان في البُلدان صرفت، وإن أردت البقعة منعت، ما لم يضف إلى ذلك مانعٌ ثالث من موانع الصرف كأن يكون علمًا مؤنثًا أعجميًّا مثلًا حمص، حمص فيه ثلاث علل؛ حمص، علم مؤنث، وأعجمي.

طالب:.....

ساكن الوسط يخفف، كونه ساكن الوسط نعم، مثل: مصر مثلًا، ومثل: هند كونه ساكن الوسط يقتضي أن يُعرب، هذا لو كان عربيًّا، فيه العلمية والتأنيث فقط ثم صار ساكن الوسط يُعرب، لكن إذا كان فيه ثلاث علل، فسكون الوسط يُقابل العلل الثلاثة، أو يُقابل علة واحدة؟

طالب:...

وتبقى علتان فيستمر ممنوعًا من الصرف.

طالب: ...

أو كونه ثلاثي ساكن الوسط يجعله خفيفًا على اللسان فيُصرف؟

طالب: ....

يعني هل كونه خفيفًا ثلاثيًّا ساكن الوسط مُقابل للعلل الثلاث؟

طالب: ....

يقوى على رفع الثلاثة، أو يرفع واحدة، ويبقى اثنتان؟

يعني إذ كان ممنوعًا من الصرف لعلتين فالأمر سهل، يرفع واحدة ويبقى واحدة، ما مشكلة، يُصرف. لكن إذا كان فيه ثلاث علل تقتضي منعه من الصرف، ثم خف على اللسان بأن كان ثُلاثيًّا ساكن الوسط فهل يقوى هذا السبب على رفع العلل الثلاث أو على رفع ثنتين أو واحدة فقط؟

طالب: ...

انظر العين يا أبا عبد الله، حديث هرقل، نحن منتظروك يا أبا عبد الله.

طالب: نعم.

نحن منتظروك إلى أن تجيء به.

الأول، المجلد الأول فوق، حديث هرقل يا أبا عبد الله.

سم يا شيخ.

"وَزَعَمَ أَبُو عُبَيْدَةَ أَنَّهُ لَوْلَا مُخَالَفَةُ السَّوَادِ لَكَانَ الْوَجْهُ تَرْكَ الصَّرْفِ".

ترك الصرف، يعني منعه من الصرف؛ الأغلب منعه من الصرف، والخلاف يطول في كثير من الكلمات في الصرف وعدمه؛ نظرًا إلى أصله، فعفان، وحسان، وأبان، كانت من الحس أو الحسن، من العفة أو من العفن، من الإبانة أو من الآباء، كلها مما يُصرف أو يمنع، وعلى كل حال قالوا في أبان، من منع أبان فهو أتان، وإن كان ابن مالك الإمام المعروف المشهور يمنع من الصرف.

وعلى كل حال يختلفون في مثل هذا في تحقق هذه العلل وعدم تحققها.

حمص، حديث هرقل يا أبا عبد الله أوله، أنت ما تجده أول الحديث، الحديث طويل، الإعراب.

ضعيف الإسناد؟

طالب:.....

لا، الإعراب؟

من بعد اختلاف الروايات.

طالب:.....

بعد الصرف تجده، الإعراب.

طالب:.....

حمص حمص تجاوزها كلها.

طالب:.....

حمص نعم.

يقول: حمص مفتوح يعني إلى حمصَ في موضع الجر؛ لأنه غير منصف للعالمية والتأنيث والعُجمة، وقال بعضهم: يعني من؟

طالب:.....

ابن حجر.

وقال بعضهم: يحتمل أن يجوز صرفه، قلت: لا يحتمل أصلًا؛ لأن هذا القائل أنما غره فيما قاله سكون وسط حمص فإن ما لا ينصرف أذا سُكن أوسطه يكون في غاية الخفة، وذلك يقاوم أحد السببين، فيبقى الاسم بسبب واحد فيجوز صرفه، ولكن هذا فيما إذا كمان الاسم فيه علتان فبسكون الأوسط يبقى بسببٍ واحد، وأما إذا كانت فيه ثلاث علل مثل ماه وجور فإنه لا ينصرف ألبتة؛ لأنه بعد مقاومة سكونه أحد الأسباب يبقى سببان، وحمص كما ذكرنا فيه ثلاث علل فافهم.

طالب: ....

أربعة وتسعين.

طالب: يا شيخ إذا قال: بعضهم في سائر الكتاب.

الغالب إن قال بعضهم: ورد عليه فهو ابن حجر.

طالب: الحق فيم؟

الله أعلم، عندك المحاكمة، حاكم بينهم، افصل بينهم.

طالب: ....

نعم.

"إِذْ كَانَ الْأَغْلَبُ عَلَيْهِ التَّأْنِيثُ. قَالَ النَّحَّاسُ: الَّذِي قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ -رَحِمَهُ اللَّهُ- مِنْ أَنَّ الْغَالِبَ عَلَيْهِ التَّأْنِيثُ كَلَامٌ مَرْدُودٌ؛ لِأَنَّ ثَمُودًا يُقَالُ لَهُ: حَيٌّ ، وَيُقَالُ: لَهُ قَبِيلَةٌ".

مثل: قريش، تميم. المقصود أن ليس كونه مؤنثًا بأغلب من كونه مذكرًا، وإنما هو احتمالان، نعم.

"وَلَيْسَ الْغَالِبُ عَلَيْهِ الْقَبِيلَةَ، بَلِ الْأَمْرُ عَلَى ضِدِّ مَا قَالَ عِنْدَ سِيبَوَيْهِ. وَالْأَجْوَدُ عِنْدَ سِيبَوَيْهِ فِيمَا لَمْ يَقُلْ فِيهِ".

يُقَلْ.

"فِيمَا لَمْ يُقَلْ فِيهِ: بَنُو فُلَانٍ الصَّرْفُ، نَحْو قُرَيْشٍ وَثَقِيفٍ وَمَا أَشْبَهَهُمَا، وَكَذَلِكَ ثَمُودُ، وَالْعِلَّةُ فِي ذَلِكَ أَنَّهُ لَمَّا كَانَ التَّذْكِيرُ الْأَصْلُ، وَكَانَ يَقَعُ لَهُ مُذَكَّرٌ وَمُؤَنَّثٌ كَانَ الْأَصْلُ الْأَخَفُّ أَوْلَى. وَالتَّأْنِيثُ جَيِّدٌ بَالِغٌ حَسَنٌ. وَأَنْشَدَ سِيبَوَيْهِ فِي التَّأْنِيثِ:

غَلَبَ الْمَسَامِيحَ الْوَلِيدُ سَمَاحَةً وَكَفَى قُرَيْشَ الْمُعْضِلَاتِ وَسَادَهَا".

منع قريش من الصرف. نعم.

"الثَّانِيَةُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: {قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ} [هود:٦١] تَقَدَّمَ. {هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ} [هود:٦١] أَيِ ابْتَدَأَ خَلْقَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ، وَذَلِكَ أَنَّ آدَمَ خُلِقَ مِنَ الْأَرْضِ عَلَى مَا تَقَدَّمَ فِي "الْبَقَرَةِ" وَ "الْأَنْعَامِ" وَهُمْ مِنْهُ، وَقِيلَ: أَنْشَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ".

لكن قوله: وكفى قريش المعضلات وسادها، قريشَ نعرف أن لغة ربيعة حتى في الإعراب يفتحون من غير تنوين، يفتحون الكلمة من غير تنوين، فإن كان ربعة من ربيعة فلا إشكال، فلا يقتضي أن يكون ممنوعًا، وعليه قال: سمعتُ أنس بن مالك، وإلا فالأصل سمعت أنسًا بن مالك، فعلى لغة ربيعة ينصب بدون تنوين كما هنا.

طالب: ....

نعم.

طالب:.....

لا في النصب، هنا ما فيه تنوين.

"وَلَا يَجُوزُ إِدْغَامُ الْهَاءِ مِنْ غَيْرِهِ فِي الْهَاءِ مِنْ "هُوَ" إِلَّا عَلَى لُغَةِ مَنْ حَذَفَ الْوَاوَ فِي الْإِدْرَاجِ. {وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا} [هود:٦١] أَيْ جَعَلَكُمْ عُمَّارَهَا وَسُكَّانَهَا. قَالَ مُجَاهِدُ: وَمَعْنَى اسْتَعْمَرَكُمْ أَعْمَرَكُمْ، مِنْ قَوْلِهِ: أَعْمَرَ فُلَانٌ فُلَانًا دَارَهُ، فَهِيَ لَهُ عُمْرَى. وَقَالَ قَتَادَةُ: أَسْكَنَكُمْ فِيهَا، وَعَلَى هَذَيْنِ الْقَوْلَيْنِ تَكُونُ اسْتَفْعَلَ بِمَعْنَى أَفْعَلَ، مِثْلَ اسْتَجَابَ بِمَعْنَى أَجَابَ. وَقَالَ الضَّحَّاكُ: أَطَالَ أَعْمَارَكُمْ، وَكَانَتْ أَعْمَارُهُمْ مِنْ ثَلَاثِمِائَةٍ إِلَى أَلْفٍ".

يعني بدلًا من أن أعمار أمة محمد من ستين إلى سبعين. هؤلاء من ثلاثمائة إلى ألف. والله المستعان. نعم.

" وقال ابْنُ عَبَّاسٍ: أَعَاشَكُمْ فِيهَا".

وطول العمر ليس بميزة، يعني طول العمر ليس بميزة، إن لم يُصرف في طاعة الله، يُفترض أن شخصًا عاش أكثر من مائة سنة غافلًا ولاهيًا، وما استعمله في طاعة الله، بل في معاصي، فمثل هذا وبال عليه، «شركم من طال عمره وساء عمله»، أو عاش في حياته فقيرًا مريضًا، فمثل هذا إن لم يصحبه دين وصبر واحتساب فالحياة وبال عليه، إن لم يصحبه دين وصبر واحتساب، يرجو ثواب ذلك عند ربه، وإلا صار هذا الفقر وهذه الأمراض نعمة، منحة وليست محنة.

على كل حال العمر ظرف وإناء، وقيمته فيما يوضع فيه، ويومٌ يمضي من غير فائدة خسارة، ليس من عمر الإنسان، والعبرةُ بالأعمال، وما يُودع في هذه الخزائن، قد عرفنا وعرف غيرنا من عُمّر، ومر في هذه الدنيا، وعبر ولم يُذكر، ومن عاش المدة القصيرة اليسيرة وذُكر بالخير، والعبرةُ بالذكر الحسن، {وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ} [الشعراء:٨٤]، فالنووي -رحمه الله- مات عن خمسة وأربعين عامًا وملأ الدنيا علمًا، في كل مسجد من مساجد المسلمين على مدى كم؟

طالب:.....

على أكثر من سبعة قرون ونصف في مساجد المسلمين يُقال: قال -رحمه الله تعالى-، قال -رحمه الله-، وهناك من عاش أكثر من ذلك فما ذُكر بشيء، وأسوأ منه من يُذكر بشر -نسأل الله العافية-، والله المستعان.

وأسوأ من ذلك من تعيش سيئاته بعده، ووزر من اقتدى به عليه، «من في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها»، وبعكسه وضده من سن سنة سيئة -نسأل الله العافية-، فمثل هذا حياته وبال عليه، فلا نقول: ليت أعمارنا مثل أعمارهم، يعيشون ألفًا، ويستأنسون، وينبسطون، ليس أكيدًا أنهم ينبسطون، ماذا وراء الدنيا إلا الشقاء؟! إذا ما استغلت في طاعة الله -والله المستعان-.

"وقال: زَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ: أَمَرَكُمْ بِعِمَارَةِ مَا تَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ فِيهَا مِنْ بِنَاءِ مَسَاكِنَ، وَغَرْسِ أَشْجَارٍ. وَقِيلَ: الْمَعْنَى أَلْهَمَكُمْ عِمَارَتَهَا مِنَ الْحَرْثِ وَالْغَرْسِ وَحَفْرِ الْأَنْهَارِ وَغَيْرِهَا".

الأصل في السين والتاء أنها للطلب، استعمركم أي: طلب منكم عمارتها، عمارة الأرض، هذا الأصل في السين والتاء، وقد تأتي غير مُراد بها حقيقتها، كما تأتي في الاعتقاد، استسهلت كذا يعني اعتقدته سهلًا، استصعبته يعني اعتقدته صعبًا، وغير ذلك.

"الثَّالِثَةُ: قَالَ ابْنُ الْعَرَبِيِّ: قَالَ بَعْضُ عُلَمَاءِ الشَّافِعِيَّةِ: الِاسْتِعْمَارُ طَلَبُ الْعِمَارَةِ".

كم أن الاستشفاء طلب الشفاء، والاستسقاء طلب السُقية. وهكذا.

"وَالطَّلَبُ الْمُطْلَقُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى الْوُجُوبِ، وقَالَ الْقَاضِي أَبُو بَكْرٍ: تَأْتِي كَلِمَةُ اسْتَفْعَلَ فِي لِسَانِ الْعَرَبِ عَلَى مَعَانٍ: مِنْهَا، اسْتَفْعَلَ بِمَعْنَى طَلَبِ الْفِعْلِ فقوله".

كقوله.

"كَقَوْلِهِ: اسْتَحْمَلْتُهُ أَيْ طَلَبْتُ مِنْهُ حُمْلَانًا، وَبِمَعْنَى اعْتَقَدَ، كَقَوْلِهِمْ: اسْتَسْهَلْتُ هَذَا الْأَمْرَ اعْتَقَدْتُهُ سَهْلًا، أَوْ وَجَدْتُهُ سَهْلًا، وَاسْتَعْظَمْتُهُ أَيِ اعْتَقَدْتُهُ عَظِيمًا وَوَجَدْتُهُ، وَمِنْهُ اسْتَفْعَلْتُ بِمَعْنَى أَصَبْتُ، كَقَوْلِهِمْ: اسْتَجَدْتُهُ أَيْ أَصَبْتُهُ جَيِّدًا: وَمِنْهَا بِمَعْنَى فَعَلَ، كَقَوْلِهِ: قَرَّ فِي الْمَكَانِ وَاسْتَقَرَّ، وَقَالُوا: وَقَوْلُهُ: {يَسْتَهْزِئُونَ} وَ{يَسْتَسْخِرُونَ} مِنْهُ".

من هذا أي السين والتاء ليس معناهما الطلب، يستهزئون يعني يهزؤون، يستسخرون يعني يسخرون وهكذا.

"فَقَوْلُهُ تَعَالَى: {اسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا} [هود:٦١] خَلَقَكُمْ لِعِمَارَتِهَا، لَا عَلَى مَعْنَى اسْتَجَدْتُهُ وَاسْتَسْهَلْتُهُ، أَيْ أَصَبْتُهُ جَيِّدًا وَسَهْلًا، وَهَذَا يَسْتَحِيلُ فِي الْخَالِقِ، فَيَرْجِعُ إِلَى أَنَّهُ خَلَقَ؛ لِأَنَّهُ الْفَائِدَةُ، وَقَدْ يُعَبَّرُ عَنِ الشَّيْءِ بِفَائِدَتِهِ مَجَازًا، وَلَا يَصِحُّ أَنْ يُقَالَ: إِنَّهُ طَلَبٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى لِعِمَارَتِهَا، فَإِنَّ هَذَا اللَّفْظَ لَا يَجُوزُ فِي حَقِّهِ، أَمَّا أَنَّهُ يَصِحُّ أَنْ يُقَالَ".

طلبٌ من الله تعالى لعمارتها، يعني الله -سبحانه وتعالى- يطلب من الخلق أن يعمروها، الذي يعمر الديار هو الله -سبحانه وتعالى-، لكن السبب المباشر لهذه العمارة هم الخلق، فلا وجه لاستحالة ذلك.

"أَمَّا أَنَّهُ يَصِحُّ أَنْ يُقَالَ: إِنَّهُ اسْتَدْعَى عِمَارَتَهَا فَإِنَّهُ جَاءَ بِلَفْظِ اسْتَفْعَلَ، وَهُوَ اسْتِدْعَاءُ الْفِعْلِ بِالْقَوْلِ مِمَّنْ هُوَ دُونَهُ إِذَا كَانَ أَمْرًا، وَطَلَبٌ لِلْفِعْلِ إِذَا كَانَ مِنَ الْأَدْنَى إِلَى الْأَعْلَى رَغْبَةً".

يعني سؤال ودعاء، كما تقول: اللهم اغفر لي؛ اغفر لي، هذا الأصل فيه أنه فعل أمر، لكن الفعل من الأدنى للأعلى دعاء، ومن القرين لقرينه التماس، ومن الأعلى إلى الأدنى طلب وأمر.

"قُلْتُ: لَمْ يُذْكَرِ اسْتَفْعَلَ بِمَعْنَى أَفْعَلَ، مِثْلَ قَوْلِهِ: {اسْتَوْقَدَ} [البقرة:١٧] بِمَعْنَى أَوْقَدَ، وَقَدْ ذَكَرْنَاهُ وَهِيَ: الرَّابِعَةُ: وَيَكُونُ فِيهَا دَلِيلٌ عَلَى الْإِسْكَانِ وَالْعُمْرَى، وَقَدْ مَضَى الْقَوْلُ فِي "الْبَقَرَةِ " فِي السُّكْنَى وَالرُّقْبَى.

وَأَمَّا الْعُمْرَى فَاخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِيهَا عَلَى ثَلَاثَةِ أَقْوَالٍ: أَحَدُهَا: أَنَّهَا تَمْلِيكٌ لِمَنَافِعِ الرَّقَبَةِ حَيَاةَ الْمُعْمَرِ مُدَّةَ عُمْرِهِ".

حياة المُعمر؛ إذا أسكنه بيته وقال: لك عمرك أو هي لك عمرى، أسكنه البيت وقال: هي لك عمرة أو الدابة وما أشبه ذلك، فإن قال: هي لك عمرى، فالمقصود به مدة عمره، أو إن قال: لك ولعقبك عمرى فهي لا تعود للمعمر على خلاف في ذلك بين أهل العلم.

"فَإِنْ لَمْ يَذْكُرْ عَقِبًا فَمَاتَ الْمُعْمَرُ رَجَعَتْ إِلَى الَّذِي أَعْطَاهَا أَوْ لِوَرَثَتِهِ، هَذَا قَوْلُ الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ وَيَزِيدَ بْنِ قُسَيْطٍ وَاللَّيْثِ بْنِ سَعْدٍ، وَهُوَ مَشْهُورُ مَذْهَبِ مَالِكٍ، وَأَحَدُ أَقْوَالِ الشَّافِعِيِّ، وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي "الْبَقَرَةِ" حُجَّةُ هَذَا الْقَوْلِ الثَّانِي: أَنَّهَا تَمْلِيكُ الرَّقَبَةِ وَمَنَافِعِهَا وَهِيَ هِبَةٌ مَبْتُولَةٌ، وَهُوَ قَوْلُ أَبِي حَنِيفَةَ وَالشَّافِعِيِّ وَأَصْحَابِهِمَا وَالثَّوْرِيِّ".

هبةٌ مبتولة يعني مستمرة، مبتولة يعني مستمرة ودائمة وثابتة.

"وَالْحَسَنِ بْنِ حَيٍّ وَأَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ وَابْنِ شُبْرُمَةَ وَأَبِي عُبَيْدٍ، قَالُوا: مَنْ أَعْمَرَ رَجُلًا شَيْئًا حَيَاتَهُ فَهُوَ لَهُ حَيَاتَهُ، وَبَعْدَ وَفَاتِهِ لِوَرَثَتِهِ؛ لِأَنَّهُ قَدْ مَلَكَ رَقَبَتَهَا، وَشَرْطُ الْمُعْطِي الْحَيَاةَ وَالْعُمْرَ بَاطِلٌ؛ لِأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: الْعُمْرَى جَائِزَةٌ وَالْعُمْرَى لِمَنْ وُهِبَتْ لَهُ".

فعلى هذا لو قال: وهبت هذا البيت عمرك يعني مدة عمرك تستمر ولو مات ولورثته من بعده، فتقييده بالعمر لاغٍ، والعمرة جائزة، ولمن وهبت له.

لكن هل فيها في الحديث ما يُعارض أنها تعود بموته؟ وهبه إياها هبةً مؤقتة، يستفيد منها مدة حياته، وهي جائزة مدة الحياة، العمرة جائزة مدة الحياة، والعمرة لمن وهبت له مدة الحياة ما فيه ما يمنع، المسلمون على شروطهم. وهبه أن ينتفع بهذا الكتاب مدة حياته، فإذا مات رجع إلى الواهب أو إلى ورثته إن كان مات، ما الذي يمنع؟ إنه متفضل {مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ} [التوبة:٩١].

طالب: ...

كيف؟

طالب: ....

هو مالك للمنفعة، ما دام عطية مؤقتة، موقتة، مردودة، فهو مالك للمنفعة فقط.

طالب: ....

إذا قال لك: هذا البيت مدة عمرك، ما العرف؟ العرف يعرفون إن مت يرجع، لكن الذي يُشكل: العمرة جائزة، يعني نافذة، والعمرة لمن وهبت له، ما الذي يمنع أنها جائزة لمن وهبت له في حياته بهذا القيد. أو تُحمل هذه النصوص على عمرة دائمة له ولعقبه.

طالب: ....

من إيش؟

طالب: .....

معروف أنه إذا قال: حياتك، حدد.

طالب: إذا طرأ على الموهوب شيء؟

إذا طرأ على الموهوب، يعني هو بيت مثلًا وانهدم إذا أراد أن يستفيد بقية حياته عمره، وإلا ما يكمل، نقول: ما يلزم صاحبه أن يعمره له، وهبه هذا البيت يعني مدة انتفاعه به، إن أراد أن يستفيد منه عمره فلا بأس، إن أراد أن يعيده إلى صاحبه يقول: خلاص، والله دورت غيره أنسب.

طالب: ...

أو ثُمِّن مثلًا، نعم أو ثمن مثلًا لمصلحة عامة وثُمن، يصطلحون على ذلك، إن اشتري له مكانه بيت يسكنه مدة عمره فلا بأس، يصطلحون مثل الأجرة الدائمة أو شبه الدائمة، يسمونها الصُّبرة.

طالب: .....

يؤجر بيتًا مدة مائة سنة، كل سنة كان يؤجر بريال، بريالين، خمسة، عشرة، مائة سنة، ثم تأتي المصلحة العامة شارع أو مرفق من المرافق العامة، فيهدم هذا البيت، يُثمن بمبالغ، نعم لا بُد أن يصطلحوا على شيء، أو يشترطوا من هذه القيمة ما يكون امتدادًا للعين المهدومة.

"**الثَّالِثُ: إِنْ قَالَ عُمْرَكَ وَلَمْ يَذْكُرِ الْعَقِبَ كَانَ كَالْقَوْلِ الْأَوَّلِ، وَإِنْ قَالَ: لِعَقِبِكَ كَانَ كَالْقَوْلِ الثَّانِي**".

يعني مركب من القولين، القول الثالث مركب من القولين.

"**وَبِهِ قَالَ الزُّهْرِيُّ وَأَبُو ثَوْرٍ وَأَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ وَابْنُ أَبِي ذِئْبٍ، وَقَدْ رُوِيَ عَنْ مَالِكٍ؛ وَهُوَ ظَاهِرُ قَوْلِهِ فِي الْمُوَطَّأِ. وَالْمَعْرُوفُ عَنْهُ وَعَنْ أَصْحَابِهِ أَنَّهَا تَرْجِعُ إِلَى الْمُعْمِرِ**".

كالقول الأول. نعم.

"**إِذَا انْقَرَضَ عَقِبَ الْمُعْمَرِ، إِنْ كَانَ الْمُعْمِرُ حَيًّا، وَإِلَّا فَإِلَى مَنْ كَانَ حَيًّا مِنْ وَرَثَتِهِ، وَأَوْلَى النَّاسِ بِمِيرَاثِهِ. وَلَا يَمْلِكُ الْمُعْمَرُ بِلَفْظِ الْعُمْرَى عِنْدَ مَالِكٍ وَأَصْحَابِهِ رَقَبَةَ شَيْءٍ مِنَ الْأَشْيَاءِ، وَإِنَّمَا يَمْلِكُ بِلَفْظِ الْعُمْرَى الْمَنْفَعَةَ دُونَ الرَّقَبَةِ. وَقَدْ قَالَ مَالِكٌ فِي الْحَبْسِ أَيْضًا:**"

يعني الوقف. نعم.

"**إِذَا حُبِسَ عَلَى رَجُلٍ وَعَقِبِهِ أَنَّهُ لَا يَرْجِعُ إِلَيْهِ**".

هذا وقف لا يرجع إليه، خرج من يده.

"**وَإِنْ حُبِسَ عَلَى رَجُلٍ بِعَيْنِهِ حَيَاتَهُ رَجَعَ إِلَيْهِ، وَكَذَلِكَ الْعُمْرَى قِيَاسًا، وَهُوَ ظَاهِرُ الْمُوَطَّأِ. وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: «أَيُّمَا رَجُلٍ أَعْمَرَ رَجُلًا عُمْرَى لَهُ وَلِعَقِبِهِ فَقَالَ: قَدْ أَعْطَيْتُكَهَا وَعَقِبَكَ مَا بَقِيَ مِنْكُمْ أَحَدٌ فَإِنَّهَا لِمَنْ أُعْطِيَهَا، وَأَنَّهَا لَا تَرْجِعُ إِلَى صَاحِبِهَا مِنْ أَجْلِ أَنَّهُ أَعْطَى عَطَاءً وَقَعَتْ فِيهِ الْمَوَارِيثُ». وَعَنْهُ قَالَ: إِنَّ الْعُمْرَى الَّتِي أَجَازَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَنْ يَقُولَ: هِيَ لَكَ وَلِعَقِبِكَ، فَأَمَّا إِذَا قَالَ: هِيَ لَكَ مَا عِشْتَ، فَإِنَّهَا تَرْجِعُ إِلَى صَاحِبِهَا، قَالَ مَعْمَرٌ: وَبِذَلِكَ كَانَ الزُّهْرِيُّ يُفْتِي.**

قُلْتُ: مَعْنَى الْقُرْآنِ يَجْرِي مَعَ أَهْلِ الْقَوْلِ الثَّانِي؛ لِأَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ قَالَ: {وَاسْتَعْمَرَكُمْ} [هود:٦١] بِمَعْنَى أَعْمَرَكُمْ، فَأَعْمَرَ الرَّجُلَ الصَّالِحَ فِيهَا مُدَّةَ حَيَاتِهِ بِالْعَمَلِ الصَّالِحِ، وَبَعْدَ مَوْتِهِ بِالذِّكْرِ الْجَمِيلِ وَالثَّنَاءِ الْحَسَنِ، وَبِالْعَكْسِ الرَّجُلُ الْفَاجِرُ، فَالدُّنْيَا ظَرْفٌ لَهُمَا حَيَاةً وَمَوْتًا. وَقَدْ يُقَالُ: إِنَّ الثَّنَاءَ الْحَسَنَ يَجْرِي مَجْرَى الْعَقِبِ. وَفِي التَّنْزِيلِ: {وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ} [الشعراء:٨٤]، أَيْ ثَنَاءً حَسَنًا. وَقِيلَ: هُوَ مُحَمَّد -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-. قَالَ: {وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ} [الصافات:٧٧]. وَقَالَ: {وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَاقَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِنَفْسِهِ مُبِينٌ} [الصافات:١١٣]".

يعني دلالة الآية على القول الثاني {وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا} [هود:٦١] يعني طلب منكم عمارتها لتكون لكم ولعقبكم ولمن شاء الله من بعدكم، لكن هل هذه بمعنى ما فُرع عليها؟ يعني من سبق إلى مُباح فأمره، مَلكه له ولعقبه صار ملكًا له، بخلاف من جاءه من ملك غيره، ممن هو مملوك

لغيره، وهذا الغير له أن يتصرف في هذا الملك بما شاء، ثم أعطاه إياه مدة محددة. لو قال: تسكن هذا البيت سنة، سنتين، عشر سنين، فما مفهومه؟ مفهومه أنه يرجع بعد هذه المدة. إذا قال: مدة عمرك مفهومه أنه يعود لصاحبه بعد وفاته.

فرق بين أن تكون الهبة والعطية من الله -سبحانه وتعالى- حيث لا تعود، اللهم إلا إن ارتد وصار ماله فيئًا يؤخذ منه إلى بيت المال، هذه مسألة أخرى. مالك الأرض ومالك المالك، مالك المعمور ومالك العامر، فرقٌ بين حقوق العباد المبنية على المشاحة، وحقوق الخالق المبنية على المسامحة، فتفريع هذا على تلك فيها ما فيها، كون الآية تدل على القول الثاني فيه بُعدٌ شديد؛ لأن العمرة لا ترجع؛ لأن الله تعالى قال: {وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا} [هود:٦١]، والله -سبحانه وتعالى- لا يرجع إذا عمرها، لا. نقول: هذا فيه بُعد، فيه سعةٌ في الخطو.

وقد يُقال: إن الثناء الحسن يجري لأجل مجرى العقب، الثناء الحسن امتداد للعمر.

عمر الفتى ذكره لا طول مدته والذكر للإنسانِ عُمرٌ ثاني

هذا واضح، الشخص الذي مات ووراءه علم يُنتفع به، هذا ما مات في الحقيقة؛ لأن معنى الحياة: الحياة التي يُستفاد منها، وهذه يُستفاد منها، وعمله دائم، عمله يجري، وإن كان في قبره، لكن الذي لا يجري له عمل وهو بين الأحياء، هذا حي أم ميت؟ هذا ميت، والذي يذكر الله -سبحانه وتعالى- هذا هو الحي، والذي لا يذكر الله هو الميت، كالبيت الخرب، وإن كان يمشي بين الناس، ويزاحم الناس، ويطالب الناس، ويُمازح الناس، هذا لا دليل على حياته. نعم.

طالب: .....

نعم

طالب: ...

القول الأول والثاني. القول الأول: أنها ترجع. والثاني: لا ترجع. والثالث مركب من القولين، الثالث مُركب من القولين.

طالب: ....

نعم.

طالب:.....

هو الظاهري، ولا تنافي بينه وبين الحديثين.

"الْخَامِسَةُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: {فَاسْتَغْفِرُوهُ} [هود:٦١] أَيْ سَلُوهُ الْمَغْفِرَةَ مِنْ عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ {ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ} [هود:٦١] أَيِ ارْجِعُوا إِلَى عِبَادَتِهِ، {إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ} [هود:٦١] أَيْ قَرِيبُ الْإِجَابَةِ لِمَنْ دَعَاهُ. وَقَدْ مَضَى فِي "الْبَقَرَةِ" عِنْدَ قَوْلِهِ: {فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ} [البقرة:١٨٦] الْقَوْلُ فِيهِ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: {قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا} [هود:٦٢] أَيْ كُنَّا نَرْجُو أَنْ تَكُونَ فِينَا سَيِّدًا قَبْلَ هَذَا، أَيْ قَبْلَ دَعْوَتِكَ النُّبُوَّةَ. وَقِيلَ: كَانَ صَالِحٌ يَعِيبُ آلِهَتَهُمْ وَيَشْنَؤُهَا، وَكَانُوا يَرْجُونَ رُجُوعَهُ إِلَى دِينِهِمْ، فَلَمَّا دَعَاهُمْ إِلَى اللَّهِ قَالُوا".

يأملون في الرجل، ويعلقون عليه أمالًا، ثم -على حد زعمهم- خابت آمالهم لما أُرسل من قبل الله -سبحانه وتعالى-، قبل أن يدعوهم كانوا يتوقعون أن يصير سيدًا، كنا نرجو أن تكون فينا سيدًا قبل هذا، هذا انتكاس الفطر، أي: قبل دعوتك للنبوة، كانوا يتوقعونه شيئًا، ثم صار على حد زعمهم لا شيء، لكن في الحقيقة هم المفلسون، هم الذين لا شيء في الحقيقة.

"فَلَمَّا دَعَاهُمْ إِلَى اللَّهِ قَالُوا: انْقَطَعَ رَجَاؤُنَا مِنْكَ، {أَتَنْهَانَا} [هود:٦٢] اسْتِفْهَامٌ مَعْنَاهُ الْإِنْكَارُ. {أَنْ نَعْبُدَ} [هود:٦٢] أَيْ عَنْ أَنْ نَعْبُدَ {مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا} [هود:٦٢] فَأَنْ فِي مَحَلِّ نَصْبٍ بِإِسْقَاطِ حَرْفِ الْجَرِّ، {وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ} [هود:٦٢] وَفِي سُورَةِ "إِبْرَاهِيمَ" وَ"وَإِنَّا" وَالْأَصْلُ وَإِنَّنَا، فَاسْتُثْقِلَ ثَلَاثُ نُونَاتٍ فَأُسْقِطَ الثَّالِثَةُ".

لأن النون المشددة عبارة عن نونين، ثم النون الثالثة فأسقطت أحدى هذه النونات، واقتصر على المشددة.

"{مِمَّا تَدْعُونَا} [هود:٦٢] الْخِطَابُ لِصَالِحٍ، وَفِي سُورَةِ إِبْرَاهِيمَ تَدْعُونَنَا؛ لِأَنَّ الْخِطَابَ لِلرُّسُلِ -صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ-. {إِلَيْهِ مُرِيبٍ} [هود:٦٢] مِنْ أَرَبْتُهُ فَأَنَا أُرِيبُهُ إِذَا فَعَلْتُ".

إذا فعلتَ.

"إذا فعلتَ بِهِ فِعْلًا يُوجِبُ لَدَيْهِ الرِّيبَةَ. قَالَ الْهُذَلِيُّ:

كُنْتُ إِذَا أَتَوْتُهُ مِنْ غَيْبٍ ... يَشُمُّ عِطْفِي وَيَبُزُّ ثَوْبِي

كَأَنَّمَا أَرَبْتُهُ بِرَيْبِ".

الأفصح أن تكون الشين مفتوحة (يشَمُ).

فعل مضارع يلي لم كيشم.

"قَوْلُهُ تَعَالَى: {قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي مِنْهُ رَحْمَةً} [هود:٦٣] تَقَدَّمَ مَعْنَاهُ فِي قَوْلِ نُوحٍ، {فَمَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ} [هود:٦٣] اسْتِفْهَامٌ مَعْنَاهُ النَّفْيُ، أَيْ لَا يَنْصُرُنِي مِنْهُ إِنْ عَصَيْتُهُ أَحَدٌ، {فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ} [هود:٦٣] أَيْ تَضْلِيل وَإِبْعَاد".

تَضْلِيلٍ وَإِبْعَادٍ.

"تَضْلِيلٍ وَإِبْعَادٍ مِنَ الْخَيْرِ، قَالَهُ الْفَرَّاءُ. وَالتَّخْسِيرُ لَهُمْ لَا لَهُ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، كَأَنَّهُ قَالَ: غَيْرَ تَخْسِيرٍ لَكُمْ لَا لِي. وَقِيلَ: الْمَعْنَى (مَا تَزِيدُونَنِي بِاحْتِجَاجِكُمْ بِدِينِ آبَائِكُمْ غَيْرَ بَصِيرَةٍ بِخَسَارَتِكُمْ)، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ. قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَيَا قَوْمِ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ} [هود:٦٤] ابْتِدَاءٌ وَخَبَرٌ {لَكُمْ آيَةً} [هود:٦٤] نُصِبَ عَلَى الْحَالِ".

هذه مبتدأ وناقة خبر، آية يعني حال كونها آية منصوب على الحال.

"وَالْعَامِلُ مَعْنَى الْإِشَارَةِ أَوِ التَّنْبِيهِ فِي هَذِهِ. وَإِنَّمَا قِيلَ: نَاقَةُ اللَّهِ، لِأَنَّهُ أَخْرَجَهَا لَهُمْ مِنْ جَبَلٍ"

معنى الإشارة يعني صاحب الحال {وَيَا قَوْمِ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً} [هود:٦٤]، العامل يعني صاحب الحال ناقة الله آيةً، أو هذه ناقة الله فيكون صاحب الحال المبتدأ أو الخبر؟

طالب: ....

نعم، لا بد أن يكون الصاحب المبتدأ؛ لأن المبتدأ يُخبر عنه، وتُبين هيئته، الخبر ارتباطه واعتماده على المبتدأ، هو تابع له.

"وَإِنَّمَا قِيلَ: نَاقَةُ اللَّهِ؛ لِأَنَّهُ أَخْرَجَهَا لَهُمْ مِنْ جَبَلٍ -عَلَى مَا طَلَبُوا- عَلَى أَنَّهُمْ يُؤْمِنُونَ. وَقِيلَ: أَخْرَجَهَا مِنْ صَخْرَةٍ صَمَّاءَ مُنْفَرِدَةٍ فِي نَاحِيَةِ الْحِجْرِ يُقَالُ لَهَا: الْكَاثِبَةُ، فَلَمَّا خَرَجَتِ النَّاقَةُ -عَلَى مَا طَلَبُوا- قَالَ لَهُمْ نَبِيُّ اللَّهِ صَالِحٌ: {هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً} [هود:٦٤]، {فَذَرُوهَا تَأْكُلْ} [هود:٦٤] أَمْرٌ وَجَوَابُهُ، وَحُذِفَتِ النُّونُ مِنْ فَذَرُوهَا".

مثل ما تقدم {فَذَرُوهَا تَأْكُلْ} [هود:٦٤] يعني أن تذروها تأكل جواب طلب مقدر، أو هو جواب الشرط مجزوم.

"فَذَرُوهَا؛ لِأَنَّهُ أَمْرٌ. وَلَا يُقَالُ: وَذَرَ وَلَا وَاذِرَ إِلَّا شَاذًّا".

يعني ذر ويذر مستعمل الفعل الأمر والمضارع مستعمل، لكن وزر فلان وازر يعني تارك هذا أُميت ومثله ودع، يدعُ مستعمل، دع أمر مستعمل، وودع المصدر مستعمل، لكن ودع أميت؛ أميت ماضيه؛ اكتفاء بتركه، مثل وذر وأما قراءة: {ما ودعك ربك} ما تركك، فهي قراءة شاذة، دع، «دع ما يريبك»، «من لم يدع قول الزور»، «لينتهين أقوام عن ودعهم الجمعات»، هذه مستعملة، أما البعض فقد أُميت كما هنا.

"وَلِلنَّحْوِيِّينَ فِيهِ قَوْلَانِ، قَالَ سِيبَوَيْهِ: اسْتَغْنَوْا عَنْهُ بِ "تَرَكَ". وَقَالَ غَيْرُهُ: لَمَّا كَانَتِ الْوَاوُ ثَقِيلَةً، وَكَانَ فِي الْكَلَامِ فِعْلٌ بِمَعْنَاهُ لَا وَاوَ فِيهِ أَلْغَوْهُ، قَالَ أَبُو إِسْحَاقَ الزَّجَّاجُ: وَيَجُوزُ رَفْعُ تَأْكُلُ عَلَى الْحَالِ وَالِاسْتِئْنَافُ، {وَلَا تَمَسُّوهَا} [هود:٦٤] جَزْمٌ بِالنَّهْيِ، {بِسُوءٍ} [هود:٦٤]، قَالَ الْفَرَّاءُ بِعَقْرٍ، {فَيَأْخُذَكُمْ} [هود:٦٤] جَوَابُ النَّهْيِ. {عَذَابٌ قَرِيبٌ} [هود:٦٤] أَيْ قَرِيبٌ مِنْ عَقْرِهَا.

قَوْلُهُ تَعَالَى: {فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ} [هود:٦٥] فِيهِ مَسْأَلَتَانِ الْأُولَى: قَوْلُهُ تَعَالَى: {فَعَقَرُوهَا} [هود:٦٥] إِنَّمَا عَقَرَهَا بَعْضُهُمْ، وَأُضِيفَ إِلَى الْكُلِّ؛ لِأَنَّهُ كَانَ بِرِضَا الْبَاقِينَ".

فهم شركاء، فهم شركاء لهذا الأشقى؛ لأنهم راضين بفعله فهم شركاء له.

"وَقَدْ تَقَدَّمَ الْكَلَامُ فِي عَقْرِهَا فِي "الْأَعْرَافِ". وَيَأْتِي أَيْضًا {فَقَالَ تَمَتَّعُوا} [هود:٦٥] أَيْ قَالَ لَهُمْ صَالِحٌ تَمَتَّعُوا، أَيْ بِنِعَمِ اللَّهِ -عَزَّ وَجَلَّ- قَبْلَ الْعَذَابِ. {فِي دَارِكُمْ} [هود:٦٥] أَيْ فِي بَلَدِكُمْ، وَلَوْ أَرَادَ الْمَنْزِلَ لَقَالَ فِي دُورِكُمْ. وَقِيلَ: أَيْ يَتَمَتَّعُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ فِي دَارِهِ وَمَسْكَنِهِ، كَقَوْلِهِ: {يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا} [غافر:٦٧]. أَيْ كُلَّ وَاحِدٍ طِفْلًا. وَعَبَّرَ عَنِ التَّمَتُّعِ بِالْحَيَاةِ؛ لِأَنَّ الْمَيِّتَ لَا يَتَلَذَّذُ،

وَلَا يَتَمَتَّعُ بِشَيْءٍ، فَعُقِرَتْ يَوْمَ الْأَرْبِعَاءِ، فَأَقَامُوا يَوْمَ الْخَمِيسِ وَالْجُمْعَةِ وَالسَّبْتِ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْأَحَدِ. وَإِنَّمَا أَقَامُوا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، لِأَنَّ الْفَصِيلَ رَغَا ثَلَاثًا عَلَى مَا تَقَدَّمَ فِي "الْأَعْرَافِ" فَاصْفَرَّتْ أَلْوَانُهُمْ فِي الْيَوْمِ الْأَوَّلِ، ثُمَّ احْمَرَّتْ فِي الثَّانِي، ثُمَّ اسْوَدَّتْ فِي الثَّالِثِ، وَهَلَكُوا فِي الرَّابِعِ، وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي "الْأَعْرَافِ".

نسأل الله العافية، فليعتبر وليتعظ من يُبارز ويحارب الله -سبحانه وتعالى- علنًا، ويجاهر بمعصيته، وليستحي من يزاول المعاصي سواء في السر أو العلن؛ لأن نهايته وعاقبته كعاقبة غيره، ليس بين الله وبين أحد نسب، إنما من أطاعه أثابه، ومن عصاه عذبه، والله المستعان.

نعم.

"الثَّانِيَةُ: اسْتَدَلَّ عُلَمَاؤُنَا بِإِرْجَاءِ اللَّهِ الْعَذَابَ عَنْ قَوْمِ صَالِحٍ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ عَلَى أَنَّ الْمُسَافِرَ إِذَا لَمْ يُجْمِعْ عَلَى إِقَامَةِ أَرْبَعِ لَيَالٍ قَصَرَ؛ لِأَنَّ الثَّلَاثَةَ الْأَيَّامَ خَارِجَةٌ عَنْ حُكْمِ الْإِقَامَةِ وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي "النِّسَاءِ" مَا لِلْعُلَمَاءِ فِي هَذَا".

نعم، كاستدلال غيرهم بنهي المهاجر عن الإقامة بمكة فوق ثلاث، قالوا: لأن الثلاث ليست إقامة، فدل على أن ما فوق الثلاث إقامة، فمن أزمع وعقد النية على البقاء في بلد أربعة أيام فليس له أن يترخص عند جمهور العلماء.

طالب: ....

هذا أضبط للناس وأحوط، القول الثاني مطلق ما ينتهي بشيء.

"قَوْلُهُ تَعَالَى: {ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ} [هود:٦٥] أَيْ غَيْرُ كَذِبٍ. وَقِيلَ: غَيْرُ مَكْذُوبٍ فِيهِ. قَوْلُهُ تَعَالَى: {فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا} [هود:٦٦] أَيْ عَذَابُنَا. {نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا} [هود:٦٦] تَقَدَّمَ. {وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ} [هود:٦٦] أَيْ وَنَجَّيْنَاهُمْ مِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ، أَيْ مِنْ فَضِيحَتِهِ وَذِلَّتِهِ. وَقِيلَ: الْوَاوُ زَائِدَةٌ، أَيْ نَجَّيْنَاهُمْ مِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ. وَلَا يَجُوزُ زِيَادَتُهَا عِنْدَ سِيبَوَيْهِ، وَأَهْلِ الْبَصْرَةِ. وَعِنْدَ الْكُوفِيِّينَ يَجُوزُ زِيَادَتُهَا مَعَ "لَمَّا" وَ"حَتَّى" لَا غَيْرَ. وَقَرَأَ نَافِعٌ وَالْكِسَائِيُّ: يَوْمَئِذٍ، بِالنَّصْبِ. وَالْبَاقُونَ بِالْكَسْرِ عَلَى إِضَافَةِ يَوْمٍ إِلَى إِذْ، وَقَالَ أَبُو حَاتِمٍ: حَدَّثَنَا أَبُو زَيْدٍ عَنْ أَبِي عَمْرٍو أَنَّهُ قَرَأَ {وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ} [هود:٦٦]، أَدْغَمَ الْيَاءَ فِي الْيَاءِ، وَأَضَافَ، وَكَسَرَ الْمِيمَ فِي يَوْمِئِذٍ. قَالَ النَّحَّاسُ: الَّذِي يَرْوِيهِ النَّحْوِيُّونَ: مِثْلُ سِيبَوَيْهِ وَمَنْ قَارَبَهُ عَنْ أَبِي عَمْرٍو فِي مِثْلِ هَذَا: الْإِخْفَاءُ، فَأَمَّا الْإِدْغَامُ فَلَا يَجُوزُ، لِأَنَّهُ يَلْتَقِي سَاكِنَانِ، وَلَا يَجُوزُ كَسْرُ الزَّايِ".

قال أبو حاتم: من أبو حاتم؟

طالب: السجستاني.

هذه قراءة. حدثنا أبو زيد عن أبي عمرو، وأبو زيد من هو؟

طالب: .....

كلهم بالكنى أبو حاتم عن أبي زيد عن أبي عمرو.

طالب: .....

نعم يا أخوان؟ أن القراء؟

طالب: .....

ما في القراء أبو عمرو؟

طالب:...

وأبو زيد.

طالب: ...

لأن المسألة فيها تداخل بين القراءة واللغة، ويعتني اللغويون بالقراءات أكثر من غيرهم، فأبو زيد هو الأنصاري، وأبو حاتم السجستاني، وهذا يروي عن هذا، وذاك يروي عن ذاك، نعم.

"قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ} [هود:٦٧] أَيْ فِي الْيَوْمِ الرَّابِعِ صِيحَ بِهِمْ فَمَاتُوا، وَذُكِّرَ؛ لِأَنَّ الصَّيْحَةَ وَالصِّيَاحَ وَاحِدٌ. قِيلَ: صَيْحَةُ جِبْرِيلَ. وَقِيلَ: صَيْحَةٌ مِنَ السَّمَاءِ فِيهَا صَوْتُ كُلِّ صَاعِقَةٍ، وَصَوْتُ كُلِّ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ، فَتَقَطَّعَتْ قُلُوبُهُمْ وَمَاتُوا. وَقَالَ هُنَا: {وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ} [هود:٦٧]، وَقَالَ فِي الْأَعْرَافِ: {فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ} [الأعراف:٧٨]، وَقَدْ تَقَدَّمَ بَيَانُهُ هُنَاكَ".

يُذكر في واحد قبل ثلاثة أيام أو أربعة لما نزل رعد شديد وصواعق كان هناك واحد يتكلم بالجوال فأصيب.

طالب: ...

نعم، أصيب، والآن هو في العناية المركزة، والله المستعان. فما أهون الخلق على الله عند أدنى سبب، عجيب.

طالب: ....

ما أهون الخلق على الله، المتكبر المتجبر المتغرطس إذا سمع مثل هذه الأصوات عرف الحقيقة، والله المستعان.

"وَفِي التَّفْسِيرِ: أَنَّهُمْ لَمَّا أَيْقَنُوا بِالْعَذَابِ قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ مَا مَقَامُكُمْ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْأَمْرُ بَغْتَةً؟! قَالُوا: فَمَا نَصْنَعُ؟ فَأَخَذُوا سُيُوفَهُمْ وَرِمَاحَهُمْ وَعِدَدَهُمْ، وَكَانُوا فِيمَا يُقَالُ اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفَ قَبِيلَةٍ، فِي كُلِّ قَبِيلَةٍ اثْنَا عَشَرَ أَلْفَ مُقَاتِلٍ، فَوَقَفُوا عَلَى الطُّرُقِ وَالْفِجَاجِ، زَعَمُوا يُلَاقُونَ الْعَذَابَ، فَأَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَى الْمَلَكِ الْمُوَكَّلِ بِالشَّمْسِ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِحَرِّهَا، فَأَدْنَاهَا مِنْ رُءُوسِهِمْ فَاشْتَوَتْ أَيْدِيهِمْ، وَتَدَلَّتْ أَلْسِنَتُهُمْ عَلَى صُدُورِهِمْ مِنَ الْعَطَشِ، وَمَاتَ كُلُّ مَا كَانَ مَعَهُمْ مِنَ الْبَهَائِمِ. وَجَعَلَ الْمَاءُ يَتَفَوَّرُ مِنْ تِلْكَ الْعُيُونِ مِنْ غَلَيَانِهِ حَتَّى يَبْلُغَ السَّمَاءَ، لَا يَسْقُطُ عَلَى شَيْءٍ إِلَّا أَهْلَكَهُ مِنْ شِدَّةِ حَرِّهِ، فَمَا زَالُوا كَذَلِكَ، وَأَوْحَى اللَّهُ إِلَى مَلَكِ الْمَوْتِ أَلَّا يَقْبِضَ أَرْوَاحَهُمْ تَعْذِيبًا لَهُمْ إِلَى أَنْ غَرَبَتِ

الشَّمْسُ، فَصِيحَ بِهِمْ فَأُهْلِكُوا. {فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ} [هود:٦٧] أَيْ سَاقِطِينَ عَلَى وُجُوهِهِمْ، قَدْ لَصِقُوا بِالتُّرَابِ كَالطَّيْرِ إِذَا جَثَمَتْ. {أَلَا إِنَّ ثَمُودَ كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِثَمُودَ} [هود:٦٨] تَقَدَّمَ مَعْنَاهُ".

اللهم صلى على محمد وعلى آله.

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير القرطبي

سورة هود

معالي الشيخ الدكتور
عبد الكريم بن عبد الله الخضير
عضو هيئة كبار العلماء
وعضو اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

تاريخ المحاضرة:	**١٤٣١/١١/١٨هـ**	**المكان:**	

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

قال الإمام القرطبي -رحمه الله تعالى-:

"قوله تعالى: {وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى} [هود: ٦٩] هَذِهِ قِصَّةُ لُوطٍ -عَلَيْهِ السَّلَامُ-، وَهُوَ ابْنُ عَمِّ إِبْرَاهِيمَ -عَلَيْهِ السَّلَامُ- لَحًّا، وَكَانَتْ قُرَى لُوطٍ بِنَوَاحِي الشَّامِ، وَإِبْرَاهِيمَ بِبِلَادِ فِلَسْطِينَ، فَلَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ الْمَلَائِكَةَ بِعَذَابِ قَوْمِ لُوطٍ مَرُّوا بِإِبْرَاهِيمَ وَنَزَلُوا عِنْدَهُ، وَكَانَ كُلُّ مَنْ نَزَلَ عِنْدَهُ يُحْسِنُ قِرَاهُ".

يحسن إبراهيم، نعم.

"وَكَانُوا مَرُّوا بِبِشَارَةِ إِبْرَاهِيم، فَظَنَّهُمْ أَضْيَافًا، (وَهُمْ جِبْرِيلُ وَمِيكَائِيلُ وَإِسْرَافِيلُ -عَلَيْهِمُ السَّلَامُ-)، قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ. وقال الضَّحَّاكُ: كَانُوا تِسْعَةً. السُّدِّيُّ: أَحَدَ عَشَرَ مَلَكًا عَلَى صُورَةِ الْغِلْمَانِ الْحِسَانِ الْوُجُوهِ، ذُو وَضَاءَةٍ وَجَمَالٍ بَارِعٍ.

{بِالْبُشْرَى} قِيلَ: بِالْوَلَدِ. وَقِيلَ: بِإِهْلَاكِ قَوْمِ لُوطٍ. وَقِيلَ: بَشَّرُوهُ بِأَنَّهُمْ رُسُلُ اللَّهِ -عَزَّ وَجَلَّ- وَأَنَّهُ لَا خَوْفَ عَلَيْهِ.

{قَالُوا سَلَامًا} [هود: ٦٩] نُصِبَ بِوُقُوعِ الْفِعْلِ عَلَيْهِ، كَمَا تَقُولُ: قَالُوا خَيْرًا. وَهَذَا اخْتِيَارُ الطَّبَرِيِّ. وَأَمَّا قَوْلُهُ: {سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ} [الكهف: ٢٢]، فَالثَّلَاثَةُ اسْمٌ غَيْر قَوْلٍ مَقُولٍ".

غَيْرَ قَوْل مَقُول.

"غَيْرَ قَوْلٍ مَقُولٍ. وَلَوْ رُفِعَا جَمِيعًا أَوْ نُصِبَا جَمِيعًا {قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ} [هود: ٦٩] جَازَ فِي الْعَرَبِيَّةِ".

يعني لو قالوا: سلامٌ وقال سلامٌ أو نصب جميعًا قالوا: سلامًا قال سلامًا، جاز في العربية؛ لأنه إذا انتصب فإنه نائب مصدر نائب عن فعله، وإذا رفع فهو اسم، ولذا يقول أهل العربية: إن سلام إبراهيم -عليه السلام- أبلغ من سلام الملائكة؛ لأنه مرفوع فهو اسم، وذاك منصوب فهو نائب عن فعل، والاسم إنما هو للثبوت والدوام والاستمرار بخلاف الفعل، ولذا جاء سلام إبراهيم -عليه السلام- أبلغ من سلام الملائكة، مع أنه يجوز من حيث العربية النصب في الموضوعين، والرفع في الموضوعين، والعكس برفع الأول ونصب الثاني.

على كل حال هذه قصة لوط وبدايتها، عندما مروا بإبراهيم -عليه السلام-، فأحسن قراهم، وبشروه بأنه سيولد له على ما سيأتي بالتفسير، وأما بالنسبة لعددهم هل كانوا ثلاثة أو كانوا تسعة، أو كانوا أحد عشر، فلا يتعلق به فائدة، ولذا أبهم العدد، رسل، الرسل جمع من الثلاثة فما فوق، يجوز عند بعضهم أن يكون اثنين؛ لأن أقل الجمع اثنان، لكن الأكثر على أن أقل الجمع ثلاثة.

لوط -عليه السلام- ابن عم لإبراهيم -عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام-، لحًّا يعني نسبًا مباشرًا، نسبًا مباشرًا له ليس بابن عم بعيد، إنما هو مباشر، وقرى لوط كما قال أهل العلم بنواحي الشام، وإبراهيم بطرف الشام الغربي بفلسطين، كانت تلك الجهات كلها يطلق عليها الشام، فلسطين، سوريا، الأردن، لبنان، كلها شام، وشمال المملكة أيضًا شام، تبوك أيضًا من أرض الشام، هذا من حيث الأصل.

"قِيلَ: انْتَصَبَ عَلَى الْمَصْدَرِ. وَقِيلَ : {قَالُوا سَلَامًا} [هود: ٦٩] أَيْ فَاتَحُوهُ بِصَوَابٍ مِنَ الْقَوْلِ".

يعني قالوا قولاً صائبًا، {قَالُوا سَلَامًا} [هود: ٦٩] يعني قالوا قولاً صائبًا، كما في قوله تعالى: {وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا} [الفرقان:٧٢] يعني صوابًا من القوم، كما أن يقول خيرًا لهؤلاء يعني يكفوهم عن اللغو، أو يرشدوهم لما هو أنفع منه، وهم يقولون صوابًا، وهذه صفة عباد الرحمن.

"كَمَا قَالَ: {وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلامًا} [الفرقان:٦٣] أَيْ صَوَابًا، فَسَلَامًا مَعْنَى قَوْلِهِمْ لَا لَفْظُهُ".

يعني ليس إذا مر الإنسان باللغو، ناس يلغو بعضهم على بعض، يتشاجرون بعضهم مع بعض، قالوا سلامًا اتركوهم، لماذا سلامًا هذه؟ إنما يقولون قولاً صوابًا، يكفونهم عن هذا اللغو، أو يرشدونه إلى ما هو أنفع منه، {قَالُوا سَلَامًا} [هود: ٦٩].

طالب:.....

قالوا سلامًا.

"قَالَ مَعْنَاهُ ابْنُ الْعَرَبِيِّ وَاخْتَارَهُ. قَالَ: أَلَا تَرَى أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمَّا أَرَادَ ذِكْرَ اللَّفْظِ قَالَهُ بِعَيْنِهِ فَقَالَ مُخْبِرًا عَنِ الْمَلَائِكَةِ : {سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ} [الرعد:٢٤] {سَلامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ} [الزمر: ٧٣] وَقِيلَ: دَعَوْا لَهُ، وَالْمَعْنَى سَلِمْتَ سَلَامًا {قَالَ سَلامٌ} [هود: ٦٩] فِي رَفْعِهِ وَجْهَانِ:

أَحَدُهُمَا: عَلَى إِضْمَارِ مُبْتَدَأٍ أَيْ هُوَ سَلَامٌ، وَأَمْرِي سَلَامٌ، وَالْآخَرُ: بِمَعْنَى سَلَامٌ عَلَيْكُمْ إِذَا جُعِلَ بِمَعْنَى التَّحِيَّةِ، فَأُضْمِرَ الْخَبَرُ. وَجَازَ سَلَامٌ عَلَى التَّنْكِيرِ؛ لِكَثْرَةِ اسْتِعْمَالِهِ".

هو الأصل في الآية عند الموضع بأنهم قالوا سلامًا، يعني حيوه بهذه التحية، ورد عليهم بقوله: سلامٌ، وهذا اللفظ أقل ما تتأدى به التحية، أقل ما تتأدى به التحية، والأصل أن يؤتى بالتحية كاملة: سلامٌ عليكم ورحمة الله وبركاته، ونكروا لكثرة الاستعمال، ولذا يقول الفقهاء: ويخير بين تعريفه وتنكيره في سلامٍ على الحي، يعني الحي إذا قلت: السلام عليكم ورحمة الله، أو قلت: سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، سيان، فهما على التخير، لكن بالنسبة للميت لا ينكر، وإنما يؤتى به معرفًا على لفظ الخبر، السلام عليكم دار قوم المؤمنين، إلى آخره.

"وَجَازَ سَلَامٌ عَلَى التَّنْكِيرِ؛ لِكَثْرَةِ اسْتِعْمَالِهِ، فَحُذِفَ الْأَلِفُ وَاللَّامُ كَمَا حُذِفَتْ مِنْ لَاهُمَّ فِي قَوْلِكَ: اللَّهُمَّ. وَقُرِئَ "سِلْمٌ" قَالَ الْفَرَّاءُ: السِّلْمُ وَالسَّلَامُ بِمَعْنًى، مِثْلُ الْحِلِّ وَالْحَلَالِ قَوْلُهُ تَعَالَى: {فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ} [هود: ٦٩] فِيهِ أَرْبَعُ عَشْرَةَ مَسْأَلَةً .

فِيهِ أَرْبَعَ عَشْرَةَ مَسْأَلَةً. مبني على فتح الجزأين.

" فِيهِ أَرْبَعَ عَشْرَةَ مَسْأَلَةً: الْأُولَى: {فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ} [هود: ٦٩] أَنْ بِمَعْنَى حَتَّى، قَالَهُ كُبَرَاءُ النَّحْوِيِّينَ، حَكَاهُ ابْنُ الْعَرَبِيِّ. والتَّقْدِيرُ: فَمَا لَبِثَ حَتَّى جَاءَ. وَقِيلَ: أَنْ فِي مَوْضِعِ نَصْبٍ بِسُقُوطِ حَرْفِ الْجَرِّ، التَّقْدِيرُ: فَمَا لَبِثَ عَنْ أَنْ جَاءَ، أَيْ مَا أَبْطَأَ عَنْ مَجِيئِهِ بِعِجْلٍ، فَلَمَّا حُذِفَ حَرْفُ الْجَرِّ بَقِيَ أَنْ فِي مَحَلِّ النَّصْبِ".

أن وما دخلت عليه في تأويل مصدر في محل جر أصله، وإن كان بعد النزع نزع الخافض ينتصب، كما هو معروف، فلما حذف حرف الجر بقي أن في محل النصب، يعني على نزع الخافض.

طالب: شيخ.

نعم.

طالب: إذا قال: ابن العربي، يعني في أحكام القرآن؟

نعم. في الغالب.

"وَفِي لَبِثَ ضَمِيرُ اسْمِ إِبْرَاهِيمَ. وَمَا نَافِيَةٌ، قَالَهُ سِيبَوَيْهِ. وَقَالَ الْفَرَّاءُ: فَمَا لَبِثَ مَجِيئُهُ، أَيْ مَا أَبْطَأَ مَجِيئُهُ، فَأَنْ فِي مَوْضِعِ رَفْعٍ، وَلَا ضَمِيرَ فِي لَبِثَ".

أن وما دخلت عليه في موضع رفع فاعل لبث، فاعل لبث، يقول: فما لبث مجيئه، فما لبث أن جاء أي مجيئه، وحينئذٍ يكون أن المصدرية وما دخلت عليه في تأويل مصدر فاعل للبث، على القول الأول فاعل لبث إبراهيم- عليه السلام-.

"وَ "مَا" نَافِيَةٌ، وَيَصِحُّ أَنْ تَكُونَ مَا بِمَعْنَى الَّذِي، وَفِي لَبِثَ ضَمِيرُ إِبْرَاهِيمَ وَ "أَنْ جَاءَ "خَبَرُ" مَا" أَيْ فَالَّذِي لَبِثَ إِبْرَاهِيمُ هُوَ مَجِيئُهُ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ".

يعني الذي أخره هو المجيء بهذا العجل، يعني تأخر عنهم قليلاً، ولبث مدةً هي أقصر ما يمكن من أجل أن يجهز لهم هذا النزل، وهذا القراه.

"وَ "حَنِيذٍ" مَشْوِيٍّ. وَقِيلَ: هُوَ الْمَشْوِيُّ بِحَرِّ الْحِجَارَةِ مِنْ غَيْرِ أَنْ تَمَسَّهُ النَّارُ. يُقَالُ: حَنَذْتُ الشَّاةَ أَحْنِذُهَا حَنْذًا أَيْ شَوَيْتُهَا، وَجَعَلْتُ فَوْقَهَا حِجَارَةً مُحْمَاةً لِتُنْضِجَهَا فَهِيَ حَنِيذٌ. وَحَنَذْتُ الْفَرَسَ أَحْنِذُهُ حَنْذًا، وَهُوَ أَنْ تُحْضِرَهُ شَوْطًا أَوْ شَوْطَيْنِ".

تجريه شوطًا أو شوطين، تحضره، حضر الفرس يعني محل جريه.

"ثُمَّ تُظَاهِرُ عَلَيْهِ الْجِلَالَ فِي الشَّمْسِ لِيَعْرَقَ، فَهُوَ مَحْنُوذٌ وَحَنِيذٌ، فَإِنْ لَمْ يَعْرَقْ قِيلَ: كَبَا. وَحَنَذٌ مَوْضِعٌ قَرِيبٌ مِنَ الْمَدِينَةِ. وَقِيلَ: الْحَنِيذُ السَّمِيطُ ، قاله ابْنُ عَبَّاسٍ وَغَيْرُهُ".

طالب: شيخ.

نعم.

طالب: يحتج بعضهم، تقول في التبذير في الضيافة وكذا، يقول: إن إبراهيم جاءه ثلاثة أو تسعة فجاء لهم بعجل، وهو حجته لما يأتيه واحد أو اثنان يأتي له بذبيحة كاملة، ومعروف أن الواحد أو الاثنين أو العشرة ما يأكلون ذبيحة كاملة. فهل لهم فذ هذا حجة حتى لو كانت لا تؤكل؟

لكن هل يمكن لإبراهيم أن يأتي بأقل من ذلك؟ إذا كان ما عنده بقر، فماذا يقدم لهم؟

طالب: يشتري يا شيخ؟

من أين يشتري؟ ما عنده إلا بقرته أو فرسه أو كذا.

طالب: يعني هل لهم في ذلك حجة؟

لا ليس لهم، إن يجزئ أقل من ذلك، فالإسراف محرم.

نعم.

طالب: هو يقول: إذا ذبحت أقل من ذلك أعير بين قومي.

على كلٍّ قد يمر معنا ذلك.

"حَنِيذٌ نَضِيجٌ. وَحَنِيذٌ بِمَعْنَى مَحْنُوذٍ، وَإِنَّمَا جَاءَ بِعِجْلٍ لِأَنَّ الْبَقَرَ كَانَتْ أَكْثَرَ أَمْوَالِهِ.

الثَّانِيَةُ: فِي هَذِهِ الْآيَةِ مِنْ أَدَبِ الضَّيْفِ أَنْ يُعَجِّلَ قِرَاهُ، فَيُقَدِّمُ الْمَوْجُودَ الْمُيَسَّرَ فِي الْحَالِ، ثُمَّ يُتْبِعُهُ بِغَيْرِهِ إِنْ كَانَ لَهُ جِدَةٌ، وَلَا يَتَكَلَّفُ مَا يَضُرُّ بِهِ. وَالضِّيَافَةُ مِنْ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ، وَمِنْ آدَابِ الْإِسْلَامِ، وَمِنْ خُلُقِ النَّبِيِّينَ وَالصَّالِحِينَ. وَإِبْرَاهِيمُ أَوَّلُ مَنْ أَضَافَ عَلَى مَا تَقَدَّمَ فِي " الْبَقَرَةِ ، وَلَيْسَتْ بِوَاجِبَةٍ عِنْدَ عَامَّةِ أَهْلِ الْعِلْمِ".

نعم عند الجمهور ليست بواجبة وإنما مستحبة، وأوجبها جمع من أهل التحقيق؛ لثبوت الأمر بها.

طالب:.....

تقدم بحث المسألة، يعني ما ثبتت الضيافة قبل إبراهيم -عليه السلام-.

طالب:.....

النصوص الصحيحة هي التي يعول عليها، وقد يأتي في الأوائل أول من فعل كذا.

"لِقَوْلِهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - «الضِّيَافَةُ ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ، وَجَائِزَتُهُ يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ، فَمَا كَانَ وَرَاءَ ذَلِكَ فَهُوَ صَدَقَةٌ». وَالْجَائِزَةُ الْعَطِيَّةُ وَالصِّلَةُ الَّتِي أَصْلُهَا عَلَى النَّدْبِ.

وَقَالَ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ جَارَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ»".

الأصل في اللام، لام الأمر هنا الوجوب، وعلى هذا فإكرام الجار وإكرام الضيف واجب، ولا يعني أنك تكرم جارك كل يوم تدفع له، تبعث له بشيء من طعامك أو شرابك، إنما الإكرام بما يقابل الإهانة، فإذا كانت إهانة الجار محرمة فإكرامه واجب، وإكرام كل شخص بحسبه، فالضيف

إكرامه أن تقدم له ما تستطيع، هذا إكرامه، والجار أن تعامله بالحسنى، وتواسيه إن كنت أهلًا للمواساة وحلت به نازله، هذا إكرامه، لا تهينه، لا تسبب في إيذائه، كل هذا على الوجوب.

"وَإِكْرَامُ الْجَارِ لَيْسَ بِوَاجِبٍ إِجْمَاعًا".

نعم إذا قلنا: المراد بالإكرام أن تبعث له بطعام، هذا ليس بواجب، لاسيما إذا كانت ليست حاجته إلى الطعام تصل إلى حد الضرورة، أما إذا كانت حاجته إلى الطعام وصلت به إلى حد الضرورة، فإطعامه واجب على الأمة كلها، فرض كفاية، لو ترك أثم جميع من يعلم بحاله.

"فَالضِّيَافَةُ مِثْلُهُ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ".

استدلالاً بدلالة الاقتران، ومعروف عند أهل العلم أن دلالة الاقتران ضعيفة.

"وَذَهَبَ اللَّيْثُ إِلَى وُجُوبِهَا تَمَسُّكًا بِقَوْلِهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «لَيْلَةُ الضَّيْفِ حَقٌّ» إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَحَادِيثِ. وَفِيمَا أَشَرْنَا إِلَيْهِ كِفَايَةٌ، وَاللَّهُ الْمُوَفِّقُ لِلْهِدَايَةِ.

قَالَ ابْنُ الْعَرَبِيِّ: وَقَدْ قَالَ قَوْمٌ: إِنَّ وُجُوبَ الضِّيَافَةِ كَانَ فِي صَدْرِ الْإِسْلَامِ ثُمَّ نُسِخَ، وَهَذَا ضَعِيفٌ، فَإِنَّ الْوُجُوبَ لَمْ يَثْبُتْ، وَالنَّاسِخُ لَمْ يَرِدْ، وَذَكَرَ حَدِيثَ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، خَرَّجَهُ الْأَئِمَّةُ، وَفِيهِ: «فَاسْتَضَفْنَاهُمْ فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُونَا فَلُدِغَ سَيِّدُ ذَلِكَ الْحَيِّ» الْحَدِيثَ. وَقَالَ: هَذَا ظَاهِرٌ فِي أَنَّ الضِّيَافَةَ لَوْ كَانَتْ حَقًّا لَلَامَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- الْقَوْمَ الَّذِينَ أَبَوْا، وَلَبَيَّنَ لَهُمْ ذَلِكَ".

بعض الروايات ما يبين إن هؤلاء القوم ليسوا بمسلمين، الذين لدغ سيدهم ليسوا بمسلمين، وإذا كانوا بهذه الصفة لا يتوجه لهم لوم منه -عليه الصلاة والسلام-، ما دام هؤلاء لا يمتثلون أوامر الإسلام فلومهم في غير محله، **فاستضفناهم**، يقول لهم سعيد، فأبوا أن يضيفوهم، فلدغ سيد ذلك الحي، فرقاه أبو سعيد، رقاه بالفاتحة فبرأ، وأخذوا منهم الجعل، وفي قصة موسى مع الخضر دخلوا القرية، ولم يضيفوهم، فوجد الخضر جدارًا يريد أن ينقض فأقامه، {قَالَ لَوْ شِئْتَ لاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا} [الكهف: ٧٧]؛ لأن هؤلاء القوم لم يضيفوهم، فاستحقوا أن يعاملوا بالعدل لا بالعفو، كما صنع أبو سعيد، وهل فعل أبي سعيد أكمل أو فعل الخضر؟

أولاً فعل أبو سعيد جائز اتفاقًا، وأخذ النبي -عليه الصلاة والسلام- قسمًا من هذا الجعل ضربوا له بسهم، وقال: «إن أحق ما أتخذتم عليه أجرًا كتاب الله»، وهو جائز مثل صنيعه، لكن هل صنيعه أكمل أو صنيع الخضر؟ يعني هل الفضل هنا أو العدل؟ أو نقول: إن بين الحالتين اختلافًا؟

الذي لدغ سيد القوم، والجدار كان لغلامين يتيمين ليس بيدهم شيء ليضيفوهم، وليس لديهم أمر ولا نهي، وإلا لو كان بمثابة سيد القوم لعملوا بالعدل، وهذا قد يستحسن إذا كان من باب التأديب والتربية للشخص، على أن العفو أقرب للتقوى دائمًا. لكن إذا كان في مثل هذه الحالة في حال أبي سعيد قوم أبوا أن يضيفوهم استضافناهم فأبوا أن يضيفونا، فتأديب مثل هؤلاء القوم له وجه،

وكون الخضر لم يأخذ أجر {لَوْ شِئْتَ لاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا} [الكهف: ٧٧]، كونه لم يأخذ أجرًا؛ لأن الجدار كان ليتيمين.

المقصود أن الحالة تختلف، ومثل هذا عندهم سيدهم استضافوهم فأبوا أن يضيفوهم، فلا مانع أن يعامل مثل هؤلاء بالعدل تأديبًا لهم.

طالب: شيخ.

نعم

طالب: قلت: إن هؤلاء القوم قيل: إنهم غير مسلمين، فهنا يرد سؤال.

نعم.

طالب: سيد القوم الذي لدغ كان غير مسلم، فهل تنفع الرقية الشرعية معه؟

تنفع نعم غير المسلم.

طالب: طيب كلام الإمام أحمد أن الفاتحة هي الفاتحة والراقي غير الراقي.

هذا في الراقي.

طالب: ما يلزم للمرقي أن يعتقد اعتقادًا جازمًا في الرقية؟

طيب افترض أنه غير أهل للاعتقاد، صبي صغير، يلزم؟

طالب: هو غير مكلف بها.

فهذا في حكمه.

"الثَّالِثَةُ: اخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِيمَنْ يُخَاطِبُ بِهَا ، فَذَهَبَ الشَّافِعِيُّ وَمُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْحَكَمِ إلَى أَنَّ الْمُخَاطَبَ بِهَا أَهْلُ الْحَضَرِ وَالْبَادِيَةِ. وَقَالَ مَالِكٌ: لَيْسَ عَلَى أَهْلِ الْحَضَرِ ضِيَافَةٌ. قَالَ سُحْنُونٌ: إنَّمَا الضِّيَافَةُ عَلَى أَهْلِ الْقُرَى، وَأَمَّا الْحَضَرُ فَالْفُنْدُقُ يَنْزِلُ فِيهِ الْمُسَافِرُ، حَكَى اللُّغَتَيْنِ صَاحِبُ الْعَيْنِ وَغَيْرُهُ".

حكى اللغتين، أين اللغتان؟

طالب:.....

قولان.

أين هما؟ حكى اللغتين صاحب العين، هل يذكر خلافًا؟ يذكر خلافًا في حكم المسألة، حكمًا شرعيًّا.

طالب:.....

صاحب العين كيف كتاب العين؟ كتاب العين فيه أحكام شرعية؟ حكى اللغتين صاحب العين وغيره. يعني المراد باللغتين في ضبط الفندق، لكنه ما تقدمت اللغتان، لا شك أن فيه قصورًا، لأن هذه زيادة من بعض النسخ، حكى اللغتين صاحب العين وغيره، فلعلها مأخوذة من تعليق

على الكتاب، وليست من أصله، أو تخريج من خرج الكتاب، فقص بعض الكلام دون بعض، من مجلد أو غيرها، أو تعرضت لها آفة أو أكلة أو أرضة.

المقصود أنه يقول حكى اللغتين صاحب العين، اللغتين في ضبط الفندق، هو ما ضبط الفندق، وما حصل في الفندق ينزل فيه المسافر، حكى اللغتين صاحب العين، يعني في ضبطه، والفندق معروف عندهم معروف، إطلاقه ما فيه إشكال عربي.

طالب: بفتح الدال؟

نعم.

"وَاحْتَجُّوا بِحَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «الضِّيَافَةُ عَلَى أَهْلِ الْوَبَرِ وَلَيْسَتْ عَلَى أَهْلِ الْمَدَرِ». وَهَذَا حَدِيثٌ لَا يَصِحُّ، وَإِبْرَاهِيمُ ابْنُ أَخِي عَبْدِ الرَّزَّاقِ مَتْرُوكُ الْحَدِيثِ، مَنْسُوبٌ إِلَى الْكَذِبِ، وَهَذَا مِمَّا انْفَرَدَ بِهِ، وَنُسِبَ إِلَى وَضْعِهِ، قَالَه أَبُو عمرو".

عمر.

"أبو عُمَرَ بْنُ عَبْدِ الْبَرّ".

الضيافة على أهل الوبر، بالنسبة للخبر لا يثبت، لكن إذا كان الوافد في البادية، وليس عنده محل يشتري منه ما يأكله، تعين عليهم أن يضيفوه، لكن في الحضر والأسواق مشرعة، والأماكن مفتوحة، فلا يحتاج إلى غيره، فالأمر فيه أسهل، في حكم أهل الوبر حكم البوادي، إذا كان الوافد ليس معه ما يشتري به، يلزم الناس أن يضيفوه.

"قَالَ ابْنُ الْعَرَبِيّ: الضِّيَافَةُ -حَقِيقَةً- فَرْضٌ عَلَى الْكِفَايَةِ، وَمِنَ النَّاسِ مَنْ قَالَ: إِنَّهَا وَاجِبَةٌ فِي الْقُرَى حَيْثُ لَا طَعَامَ وَلَا مَأْوَى، بِخِلَافِ الْحَوَاضِرِ فَإِنَّهَا مَشْحُونَةٌ بِالْمَأْوَاةِ وَالْأَقْوَاتِ، وَلَا شَكَّ أَنَّ الضَّيْفَ كَرِيمٌ، وَالضِّيَافَةَ كَرَامَةٌ، فَإِنْ كَانَ غَرِيبًا فَهِيَ فَرِيضَةٌ.

الرَّابِعَةُ: قَالَ ابْنُ الْعَرَبِيّ: قَالَ بَعْضُ عُلَمَائِنَا: كَانَتْ ضِيَافَةُ إِبْرَاهِيمَ قَلِيلَةً فَشَكَرَهَا الْحَبِيبُ مِنَ الْحَبِيبِ، وَهَذَا حُكْمٌ بِالظَّنِّ فِي مَوْضِعِ الْقَطْعِ، وَبِالْقِيَاسِ فِي مَوْضِعِ النَّقْلِ، مِنْ أَيْنَ عُلِمَ أَنَّهُ قَلِيلٌ"؟!

هذا عكس ما تقوله، عكس ما تذكر.

طالب:.....

لكن من الضيوف؟ أمرنا أن ننزل الناس منازلهم، فالضيوف ملائكة، ومن غرائب الاستدلال عند بعض العوام، معروف عند العامة أنهم في الغالب يكرهون لحم البقر، غالبًا عامة الناس يكرهونه، هذا موجود.

طالب:.....

نعم عندنا كلام في بلدنا. فقدم بعضهم من العامة لحم عجل، فقال بعض الحاضرين: ما وجدت إلا هذا تقدمه لضيوفك، قال: ما وجدت أفضل منه، قدمه إبراهيم للملائكة -عليه السلام-.

الاستدلال طيب، فرد عليه الآخر قال: إنهم لم يأكلوا لما رأوا عجلًا ما أكلوا، نعم لو أكلوا صار فيه دليل، لكن ما أكلوا لما رأوا عجلًا، هذا يدل على السرعة في البديهة، لكن في النصوص الملائكة لا يأكلون كما هو معروف.

"بَلْ قَدْ نَقَلَ الْمُفَسِّرُونَ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ كَانُوا ثَلَاثَةً؛ جِبْرِيلُ وَمِيكَائِيلُ وَإِسْرَافِيلُ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَسَلَّمَ- وَعِجْلٌ لِثَلَاثَةٍ عَظِيمٌ، فَمَا هَذَا التَّفْسِيرُ لِكِتَابِ اللَّهِ بِالرَّأْيِ! هَذَا بِأَمَانَةِ اللَّهِ هُوَ التَّفْسِيرُ الْمَذْمُومُ فَاجْتَنِبُوهُ فَقَدْ عَلِمْتُمُوهُ".

طالب:.....

هو الظاهر.

طالب:.....

لكن الأمانة هل هي من أوصاف الله أو من أسمائه؟

طالب:.....

إذن هي شيء منفك عنه ليس من أوصافه، أن تضاف إلى الله لشرفها، كما يقال: بيت الله وناقة الله، فلا يجوز القسم بها.

"الْخَامِسَةُ : السُّنَّةُ إِذَا قُدِّمَ لِلضَّيْفِ الطَّعَامُ أَنْ يُبَادِرَ الْمُقَدَّمُ إِلَيْهِ بِالْأَكْلِ ، فَإِنَّ كَرَامَةَ الضَّيْفِ تَعْجِيلُ التَّقْدِيمِ، وَكَرَامَةُ صَاحِبِ الْمَنْزِلِ الْمُبَادَرَةُ بِالْقَبُولِ، فَلَمَّا قَبَضُوا أَيْدِيَهُمْ نَكِرَهُمْ إِبْرَاهِيمُ؛ لِأَنَّهُمْ خَرَجُوا عَنِ الْعَادَةِ، وَخَالَفُوا السُّنَّةَ، وَخَافَ أَنْ يَكُونَ وَرَاءَهُمْ مَكْرُوهٌ يَقْصِدُونَهُ. وَرُوِيَ أَنَّهُمْ كَانُوا يَنْكُتُونَ بِقِدَاحٍ كَانَتْ فِي أَيْدِيهِمْ فِي اللَّحْمِ، وَلَا تَصِلُ أَيْدِيهِمْ إِلَى اللَّحْمِ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ مِنْهُمْ {نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً} [هود: ٧٠] أَيْ أَضْمَرَ. وَقِيلَ: أَحَسَّ، وَالْوُجُوسُ الدُّخُولُ، قَالَ الشَّاعِرُ:

جَاءَ الْبَرِيدُ بِقِرْطَاسٍ يَخُبُّ بِهِ ... فَأَوْجَسَ الْقَلْبُ مِنْ قِرْطَاسِهِ جَزَعًا

خِيفَةً خَوْفًا، أَيْ فَزَعًا. وَكَانُوا إِذَا رَأَوُا الضَّيْفَ لَا يَأْكُلُ ظَنُّوا بِهِ شَرًّا، فَقَالَتِ الْمَلَائِكَةُ: {لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ} [هود: ٧٠]".

نعم ومازال هذا الخوف موجودًا، إذا وجد ضيف ما أكل، إذا أكل عرفوا أن الضيف ليس وراءه شر، لأن الإنسان في عرف العرب واصطلاحهم إذا مالح فهو دخل في القوم، لكن إذا لم يأكل فلا شك أنه مبيت شرًّا، فإبراهيم -عليه السلام- خاف منهم {نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً} [هود: ٧٠]؛ لأنهم لم يأكلوا، ولو أكلوا لزال عنه الخوف، فلما اعتذروا زال الخوف وهكذا، إذا قدمت لإنسان شيئًا من المطعوم أو من المشروب، فلم يأكل منه شيئًا، جاءك في وقت غير وقت الوجبات مثلاً، فقدمت له القهوة والشاي، أصب لك قهوة قال: خلاص أنا ما أشرب القهوة، أصب لك شاي قال: ما أشرب الشاي، يصيب النفس شيء، لكن إذا بيّن السبب وقال: والله القهوة تؤثر عندي على المعدة، والشاي كذا وكذا، يعني إذا اعتذر يقبل عذره، لكن مثل هذا لا شك أنه عبء

على مضيفه، ما يأكل شيئًا، ماذا تفعل؟ قد لا يكون حاضرًا شيء يناسبه، ما هو إلا الماء الذي ما يحجب عنه أحد.

فعليه السلام إبراهيم لما لم يأكلوا {نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً} [هود: ٧٠]، وهذه جبلة في الناس وطبيعة، إذا لم يأكل الضيف حصل ذعر عند المضيف، لكن لما أبدوا عذرًا مقبولاً زال، زال هذا الخوف.

طالب:.....

كيف.

طالب:.....

نعم إذا وصل الحد إلى أن يكون هناك شك وعدم ثقة يبدأ المضيف بالأكل ما الذي يمنع؟ لاسيما إذا كان هناك قرائن تدل على أن المضيف محل تهمة أو شيء من هذا، ولا شك أنه من باب إكرام الضيف وتأنيسه، والتلطف معه الأكل معه، أما كونك تترك ضيفك وحده يأكل وأنت تقعد تنتظر وهو جالس، فهذا ليس من الأدب، وليس من الكرم، ما ينفع هذا لا يأكل ويأنس ضيفه؛ لأن هذا مدعاة لأن يستعجل الضيف.

طالب:.....

غلط هذا.

طالب:.....

نعم على المضيف أن يأكل مع ضيفه، لكن ليس معنى هذا أنه ينظر في أكل ضيفه، ويحدد فيه، وكم أكل، وكم ترك، لا، هذا ليس من الأدب، هذا من سوء الأدب؛ لأن بعض الناس قد لا يملك نفسه، بعض الناس، الناس عادات وطبائع، وجاء في كتب الأدب من هذا القصص الكثيرة، قال بعضهم: من أجشع الناس من يرى الناس يأكلون من قصعته وهو ينظر، المقصود أنه إذا كان من هذا النوع الذي لا يملك نفسه بحيث يرى الناس يأكلون من طعامه، ولا يصلح شيء من هذا، لو خرج وتركهم فهذا أفضل من جلوسه.

"السَّادِسَةُ: مِنْ أَدَبِ الطَّعَامِ أَنَّ لِصَاحِبِ الضَّيْفِ أَنْ يَنْظُرَ فِي ضَيْفِهِ هَلْ يَأْكُلُ أَمْ لَا؟ وَذَلِكَ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ بِتَلَفُّتٍ وَمُسَارَقَةٍ لَا بِتَحْدِيدِ النَّظَرِ. رُوِيَ أَنَّ أَعْرَابِيًّا أَكَلَ مَعَ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ، فَرَأَى سُلَيْمَانُ فِي لُقْمَةِ الْأَعْرَابِيِّ شَعْرَةً فَقَالَ لَهُ: أَزِلِ الشَّعْرَةَ عَنْ لُقْمَتِكَ؟ فَقَالَ لَهُ: أَتَنْظُرُ إِلَيَّ نَظَرَ مَنْ يَرَى الشَّعْرَةَ فِي لُقْمَتِي؟! وَاللَّهِ لَا أَكَلْتُ مَعَكَ".

يحدد النظر، يحدد النظر فيه.

"قُلْتُ: وَقَدْ ذُكِرَ أَنَّ هَذِهِ الْحِكَايَةَ إِنَّمَا كَانَتْ مَعَ هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ لَا مَعَ سُلَيْمَانَ، وَأَنَّ الْأَعْرَابِيَّ خَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ وَهُوَ يَقُولُ:

وَلَلْمَوْتُ خَيْرٌ مِنْ زِيَارَةِ بَاخِلٍ يُلَاحِظُ أَطْرَافَ الْأَكِيلِ عَلَى عَمْدِ

السَّابِعَةُ : قَوْلُهُ تَعَالَى : {فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ} [هود: ٧٠] يَقُولُ: أَنْكَرَهُمْ، تَقُولُ: نَكِرْتُكَ وَأَنْكَرْتُكَ وَاسْتَنْكَرْتُكَ إِذَا وَجَدْتَهُ.

وجدتَه.

إذا وجدتَه عَلَى غَيْرِ مَا عَهِدْتَهُ، قَالَ الشَّاعِرُ:

وَأَنْكَرَتْنِي وَمَا كَانَ الَّذِي نَكِرَتْ مِنَ الْحَوَادِثِ إِلَّا الشَّيْبَ وَالصَّلَعَا"

هذا هو العيب عند النساء.

"فَجَمَعَ بَيْنَ اللُّغَتَيْنِ".

أنكر ونكر.

"وَيُقَالُ: نَكِرْتُ لِمَا تَرَاهُ بِعَيْنِكَ وَأَنْكَرْتُ لِمَا تَرَاهُ بِقَلْبِكَ.

الثَّامِنَةُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ} [هود: ٧١] ابْتِدَاءٌ وَخَبَرٌ، أَيْ قَائِمَةٌ بِحَيْثُ تَرَى الْمَلَائِكَةَ. قِيلَ: كَانَتْ مِنْ وَرَاءِ السِّتْرِ. وَقِيلَ: كَانَتْ تَخْدُمُ الْمَلَائِكَةَ وَهُوَ جَالِسٌ. وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ: قَائِمَةٌ تُصَلِّي. وَفِي قِرَاءَةِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ:" وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ وَهُوَ قَاعِدٌ". التَّاسِعَةُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: فَضَحِكَتْ قَالَ مُجَاهِدٌ وَعِكْرِمَةُ: حَاضَتْ، وَكَانَتْ آيِسَةً.

كانت تخدم الملائكة وهو جالس، كان هذا في شرعهم، أن المرأة تخدم الضيوف مع وجود زوجها، أما شرعنا بعد نزول الحجاب فلا شيء من ذلك، قد وجد منه شيء، ودلت النصوص على وجود شيء منه قبل نزول الحجاب، أن المرأة تقدم للضيف، بمن في ذلك العروس قد تقدم لضيفانها ليلة عرسها شيئًا من ذلك، وهذا في أول الإسلام، وأمرٌ جرى عليه العرب قديمًا، جاء عليه المسلمون في أول الأمر، ثم لما نزل الحجاب حجب النساء فلم يختلطن بالرجال.

"وَكَانَتْ آيِسَةً، تَحْقِيقًا لِلْبِشَارَةِ".

آيسة عمرها أكثر من تسعين أو تسع وتسعين سنة.

"وَأَنْشَدَ عَلَى ذَلِكَ اللُّغَوِيُّونَ:

وَإِنِّي لَآتِي الْعِرْسَ عِنْدَ طُهُورِهَا وَأَهْجُرُهَا يَوْمًا إِذَا تَكُ ضَاحِكَا

وَقَالَ آخَرُ:

وَضِحْكُ الْأَرَانِبِ فَوْقَ الصَّفَا كَمِثْلِ دَمِ الْجَوْفِ يَوْمَ اللِّقَا"

يعني حيض الأرانب فوق الصفا.

طالب: تحيض الأرنب؟

نعم تحيض.

"وَالْعَرَبُ تَقُولُ: ضَحِكَتِ الْأَرْنَبُ إِذَا حَاضَتْ، وَرُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- وَعِكْرِمَةَ ، أُخِذَ مِنْ قَوْلِهِمْ: ضَحِكَتِ الْكَافُورَةُ -وَهِيَ قِشْرَةُ الطَّلْعَةِ- إِذَا انْشَقَّتْ. وَقَدْ أَنْكَرَ بَعْضُ

اللُّغَوِيِّينَ أَنْ يَكُونَ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ ضَحِكَتْ بِمَعْنَى حَاضَتْ. وَقَالَ الْجُمْهُورُ: هُوَ الضَّحِكُ الْمَعْرُوفُ، وَاخْتَلَفُوا فِيهِ، فَقِيلَ: هُوَ ضَحِكُ التَّعَجُّبِ، قَالَ أَبُو ذُؤَيْبٍ:

فَجَاءَ بِمَزْجٍ لَمْ يَرَ النَّاسُ مِثْلَهُ هُوَ الضَّحْكُ إِلَّا أَنَّهُ عَمَلُ النَّحْلِ"

عمل نحل يعني العسل، إن ضحكت متعجبة، لكن ضحكها لحلاوته أشبه عمل النحل، أشبه العسل.

"وَقَالَ مُقَاتِلٌ: ضَحِكَتْ مِنْ خَوْفِ إِبْرَاهِيمَ، وَرِعْدَتِهِ مِنْ ثَلَاثَةِ نَفَرٍ، وَإِبْرَاهِيمُ فِي حَشَمِهِ وَخَدَمِهِ، وَكَانَ إِبْرَاهِيمُ يَقُومُ وَحْدَهُ بِمِائَةِ رَجُلٍ. قَالَ: وَلَيْسَ الضَّحِكُ الْحَيْضَ فِي اللُّغَةِ بِمُسْتَقِيمٍ. وَأَنْكَرَ أَبُو عُبَيْدٍ وَالْفَرَّاءُ ذَلِكَ، قَالَ الْفَرَّاءُ: لَمْ أَسْمَعْهُ مِنْ ثِقَةٍ، وَإِنَّمَا هُوَ كِنَايَةٌ. وَرُوِيَ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ مَسَحَتِ الْعِجْلَ، فَقَامَ مِنْ مَوْضِعِهِ فَلَحِقَ بِأُمِّهِ، فَضَحِكَتْ سَارَةُ عِنْدَ ذَلِكَ فَبَشَّرُوهَا بِإِسْحَاقَ. وَيُقَالُ: كَانَ إِبْرَاهِيمُ -عَلَيْهِ السَّلَامُ- إِذَا أَرَادَ أَنْ يُكْرِمَ أَضْيَافَهُ أَقَامَ سَارَةَ تَخْدُمُهُمْ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ: {وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ} [هود: ٧١] أَيْ قَائِمَةٌ فِي خِدْمَتِهِمْ. وَيُقَالُ: قَائِمَةٌ لِرَوْعِ إِبْرَاهِيمَ فَضَحِكَتْ لِقَوْلِهِمْ: "لَا تَخَفْ" سُرُورًا بِالْأَمْنِ. وَقَالَ الْفَرَّاءُ: فِيهِ تَقْدِيمٌ وَتَأْخِيرٌ، الْمَعْنَى: فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ فَضَحِكَتْ، أَيْ ضَحِكَتْ سُرُورًا بِالْوَلَدِ، وَقَدْ هَرِمَتْ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ أَيُّ ذَلِكَ كَانَ.

قَالَ النَّحَّاسُ فِيهِ أَقْوَالٌ: أَحْسَنُهَا - أَنَّهُمْ لَمَّا لَمْ يَأْكُلُوا أَنْكَرَهُمْ وَخَافَهُمْ، فَلَمَّا قَالُوا لَا تَخَفْ، وَأَخْبَرُوهُ أَنَّهُمْ رُسُلُ اللَّهِ، فَرِحَ بِذَلِكَ، فَضَحِكَتِ امْرَأَتُهُ سُرُورًا بِفَرَحِهِ. وَقِيلَ: إِنَّهَا كَانَتْ قَالَتْ لَهُ: أَحْسَبُ أَنَّ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ سَيَنْزِلُ بِهِمْ عَذَابٌ فَضمَّ لُوطًا إِلَيْكَ، فَلَمَّا جَاءَتِ الرُّسُلُ بِمَا قَالَتْهُ سُرَّتْ بِهِ فَضَحِكَتْ".

يعني وافق توقعها.

"قَالَ النَّحَّاسُ: وَهَذَا إِنْ صَحَّ إِسْنَادُهُ فَهُوَ حَسَنٌ. وَالضَّحِكُ انْكِشَافُ الْأَسْنَانِ. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الضَّحِكُ إِشْرَاقَ الْوَجْهِ".

طالب: شيخ.

نعم.

طالب: معروف أن الأمم السابقة كانت تعيش سبعمائة وثمانمائة، فهل كان الشيب يصل إليهم في أعمارنا؟ يعني المرأة تحيض حتى الخمسين، والرجل يهرم في الثمانين؟

لا لا ما يهرم. يعني يعيش هذه المئات وهو هرم؟

طالب: نعم.

لا لا، الشباب إلى ثلاثمائة، بدل ثلاثين ثلاثمائة. وقد جاء في بعض الأخبار: أن امرأة وجدت تبكي عند قبر، فقيل: ما يبكيك؟ قالت: ابني توفي وهو شاب، قيل: كم عمره قالت: ثلاثمائة، قيل: وأنت؟ قالت فوق الألف. فشبابهم غير شبابنا.

"تَقُولُ: رَأَيْتُ فُلَانًا ضَاحِكًا، أَيْ مُشْرِقًا. وَأَتَيْتُ عَلَى رَوْضَةٍ تَضْحَكُ، أَيْ مُشْرِقَةٍ".

أتاك الربيع الطلق يختال ضحكًا.

"وَفِي الْحَدِيثِ «إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ يَبْعَثُ السَّحَابَ فَيَضْحَكُ أَحْسَنَ الضَّحِكِ». جَعَلَ انْجِلَاءَهُ عَنِ الْبَرْقِ ضَحِكًا، وَهَذَا كَلَامٌ مُسْتَعَارٌ".

هذا على أن الضحك من السحاب، وإذا كان الضحك مسندًا إلى الله -سبحانه وتعالى- ففيه إثبات هذه الصفة، لله -سبحانه وتعالى- على ما يليق بجلالة وعظمته، والمعروف أن المؤلف يؤول مثل هذه الصفة.

"وَرُوِيَ عَنْ رَجُلٍ مِنْ قُرَّاءِ مَكَّةَ يُقَالُ لَهُ: مُحَمَّدُ بْنُ زِيَادٍ الْأَعْرَابِيُّ، "فَضَحَكَتْ" بِفَتْحِ الْحَاءِ، قَالَ الْمَهْدَوِيُّ: وَفَتْحُ الحاء مِنْ فَضَحِكَتْ غَيْرُ مَعْرُوفٍ. وَضَحِكَ يَضْحَكُ ضَحْكًا وَضِحْكًا وَضَحِكًا أَرْبَعُ لُغَاتٍ. وَالضَّحْكَةُ الْمَرَّةُ الْوَاحِدَةُ، وَمِنْهُ قَوْلُ كُثَيِّرٍ:

غَلِقَتْ لِضَحْكَتِهِ رِقَابُ الْمَالِ".

والضحكة، ضُحكة أو الضحكة، يعني من يُضحك منه، ويسخر منه، ضُحكة، كما أن الرُحلة إلى من يُرحل إليه، وأما ضحك فكثير الضحك كالهمزة واللمزة، كثير الهمز واللمز.

قَالَهُ الْجَوْهَرِيُّ .

الْعَاشِرَةُ: رَوَى مُسْلِمٌ عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ قَالَ : دَعَا أَبُو أُسَيْدٍ السَّاعِدِيُّ «رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فِي عُرْسِهِ، فَكَانَتِ امْرَأَتُهُ يَوْمَئِذٍ خَادِمُهُمْ وَهِيَ الْعَرُوسُ». قَالَ سَهْلٌ: «إِيَّاهُ». وَأَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ وَتَرْجَمَ لَهُ "بَابُ قِيَامِ الْمَرْأَةِ عَلَى الرِّجَالِ فِي الْعُرْسِ وَخِدْمَتِهِمْ بِالنَّفْسِ". قَالَ عُلَمَاؤُنَا".

في مواضع كثيرة، أو في غالب المواضع إذا أراد أن يخرج من الصحيحين صارت عنايته بمسلم، ثم يردفه برواية البخاري، وأحيانًا يقول: رواه مسلم والبخاري، وهنا أثبت رواية مسلم، قال: وأخرجه البخاري وترجم له، وفي البخاري مثل ما عند مسلم، إلا أن المغالب عمومًا اعتنوا بصحيح مسلم أكثر من البخاري، بعضهم يفضل مسلم على البخاري، ومعروف أنه بالنسبة لسهولة الاستفادة من الكتاب، مسلم أسهل في الاستفادة من صحيح البخاري، ولاشك أن صحيح البخاري أعمق وأكثر فقهًا، وأكثر فائدة.

"قَالَ عُلَمَاؤُنَا: فِيهِ جَوَازُ خِدْمَةِ الْعَرُوسِ زَوْجَهَا وَأَصْحَابَهُ فِي عُرْسِهَا. وَفِيهِ أَنَّهُ لَا بَأْسَ أَنْ يَعْرِضَ الرَّجُلُ أَهْلَهُ عَلَى صَالِحِ إِخْوَانِهِ، وَيَسْتَخْدِمُهُنَّ لَهُمْ. وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ هَذَا قَبْلَ نُزُولِ الْحِجَابِ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ".

هذا هو المتعين، قد دلت النصوص على لزوم الحجاب ووجوبه، ووجوب اجتناب الرجال النساء.

"الْحَادِيَةَ عَشْرَةَ: ذَكَرَ الطَّبَرِيُّ أَنَّ إِبْرَاهِيمَ -عَلَيْهِ السَّلَامُ- لَمَّا قَدَّمَ الْعِجْلَ قَالُوا: لَا نَأْكُلُ طَعَامًا إِلَّا بِثَمَنٍ، فَقَالَ لَهُمْ: "ثَمَنُهُ أَنْ تَذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَوَّلِهِ، وَتَحْمَدُوهُ فِي آخِرِهِ"، فَقَالَ جِبْرِيلُ لِأَصْحَابِهِ: بِحَقٍّ اتَّخَذَ اللَّهُ هَذَا خَلِيلًا. قَالَ عُلَمَاؤُنَا: وَلَمْ يَأْكُلُوا؛ لِأَنَّ الْمَلَائِكَةَ لَا تَأْكُلُ. وَقَدْ كَانَ مِنَ

الْجَائِزِ كَمَا يَسَّرَ اللَّهُ لِلْمَلَائِكَةِ أَنْ يَتَشَكَّلُوا فِي صِفَةِ الْآدَمِيِّ جَسَدًا وَهَيْئَةً أَنْ يُيَسِّرَ لَهُمْ أَكْلَ الطَّعَامِ، إِلَّا أَنَّهُ فِي قَوْلِ الْعُلَمَاءِ أَرْسَلَهُمْ فِي صِفَةِ الْآدَمِيِّ، وَتَكَلَّفَ إِبْرَاهِيمُ -عَلَيْهِ السَّلَام- الضِّيَافَةَ حَتَّى إِذَا رَأَى التَّوَقُّفَ وَخَافَ جَاءَتْهُ الْبُشْرَى فَجْأَةً .

الثَّانِيَةَ عَشْرَةَ: وَدَلَّ هَذَا عَلَى أَنَّ التَّسْمِيَةَ فِي أَوَّلِ الطَّعَامِ، وَالْحَمْدَ فِي آخِرِهِ مَشْرُوعٌ فِي الْأُمَمِ قَبْلَنَا، وَقَدْ جَاءَ فِي الْإِسْرَائِيلِيَّاتِ أَنَّ إِبْرَاهِيمَ -عَلَيْهِ السَّلَامُ- كَانَ لَا يَأْكُلُ وَحْدَهُ، فَإِذَا حَضَرَ طَعَامُهُ أَرْسَلَ يَطْلُبُ مَنْ يَأْكُلُ مَعَهُ، فَلَقِيَ يَوْمًا رَجُلًا، فَلَمَّا جَلَسَ مَعَهُ عَلَى الطَّعَامِ، قَالَ لَهُ إِبْرَاهِيمُ: سَمِّ اللَّهَ، قَالَ الرَّجُلُ: لَا أَدْرِي مَا اللَّهُ؟ فَقَالَ لَهُ: فَاخْرُجْ عَنْ طَعَامِي، فَلَمَّا خَرَجَ نَزَلَ إِلَيْهِ جِبْرِيلُ فَقَالَ لَهُ: يَقُولُ اللَّهُ إِنَّهُ يَرْزُقُهُ عَلَى كُفْرِهِ مَدَى عُمْرِهِ، وَأَنْتَ بَخِلْتَ عَلَيْهِ بِلُقْمَةٍ، فَخَرَجَ إِبْرَاهِيمُ فَزِعًا يَجُرُّ رِدَاءَهُ، وَقَالَ: ارْجِعْ، فَقَالَ: لَا أَرْجِعُ حَتَّى تُخْبِرَنِي لِمَ تَرُدُّنِي لِغَيْرِ مَعْنًى؟ فَأَخْبَرَهُ بِالْأَمْرِ، فَقَالَ: هَذَا رَبٌّ كَرِيمٌ، آمَنْتُ، وَدَخَلَ وَسَمَّى اللَّهَ، وَأَكَلَ مُؤْمِنًا".

إبراهيم -عليه السلام- لما قال له: ما أدري ما الله أخرجه، بناءً على هذا الخبر، لكن اللائق به -عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام- أن يخبره، وأن يدعوه إلى الله، يخبره بالواقع ويبين له حقيقة معبوده، أما يخرجه كذا فلا، اخرج من طعامي، اخرج عن طعامي، لأنه لا يعرف الله، أخبره، فإن أصر وعاند أخرجه، هذا لو صح الخبر، لكن قد يقول قائل: إن الفائدة حصلت، وكون إبراهيم أخرجه -عليه السلام-؛ لكي يكون أبلغ في إيمانه، فلو أن إبراهيم أخبره بالواقع، أخبره عن ربه، فآمن وأسلم، لم يكن إيمانه بالقوة في مثل هذه الصورة التي حصلت، أخرجه ثم استدعاه فقال: حصل كذا وكذا، ثم أسلم بعد ما مناقشة، وعلى كل حال هو خبر روى بالإسرائيليات، لا يروى بإسناد.

"الثَّالِثَةَ عَشْرَةَ: قَوْلُهُ تَعَالَى: {فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ} [هود: ٧١] لَمَّا وُلِدَ لِإِبْرَاهِيمَ إِسْمَاعِيلُ مِنْ هَاجَرَ تَمَنَّتْ سَارَةُ أَنْ يَكُونَ لَهَا ابْنٌ، وَأَيِسَتْ لِكِبَرِ سِنِّهَا، فَبُشِّرَتْ بِوَلَدٍ يَكُونُ نَبِيًّا وَيَلِدُ نَبِيًّا، فَكَانَ هَذَا بِشَارَةً لَهَا بِأَنْ تَرَى وَلَدَ وَلَدِهَا.

الرَّابِعَةَ عَشْرَةَ: قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ} [هود: ٧١]".

بالنسبة لسارة ثبت بالتخفيف والتشديد، الأصل بالتشديد سارة، لكن جرى الناس على تخفيفها، وأجيز، ضبط هاجر أيضًا فاعل بفتح الجيم، ومنه من يضبطها باسم الفاعل.

طالب:.....

يضبطونها بهذا وهذا.

"قَوْلُهُ تَعَالَى : {وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ} [هود: ٧١] قَرَأَ حَمْزَةُ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَامِرٍ: " يَعْقُوبَ" بِالنَّصْبِ. وَرَفَعَ الْبَاقُونَ، فَالرَّفْعِ عَلَى مَعْنَى: وَيُحْدِثُ لَهَا مِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبُ. وَيَجُوزُ أَنْ يَرْتَفِعَ بِالْفِعْلِ الَّذِي يَعْمَلُ فِي "مِنْ" كَأَنَّ الْمَعْنَى: وَثَبَتَ لَهَا مِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبُ. وَيَجُوزُ أَنْ يَرْتَفِعَ بِالِابْتِدَاءِ، وَيَكُونُ فِي مَوْضِعِ الْحَالِ، أَيْ بَشَّرُوهَا بِإِسْحَاقَ مُقَابِلًا لَهُ يَعْقُوبُ. وَالنَّصْبُ

عَلَى مَعْنَى: وَوَهَبْنَا لَهَا مِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ، وَأَجَازَ الْكِسَائِيُّ وَالْأَخْفَشُ وَأَبُو حَاتِمٍ أَنْ يَكُونَ "يَعْقُوبُ" فِي مَوْضِعِ جَرٍّ عَلَى مَعْنَى: وَبَشَّرْنَاهَا مِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ بِيَعْقُوبَ.

قَالَ الْفَرَّاءُ: وَلَا يَجُوزُ الْخَفْضُ إِلَّا بِإِعَادَةِ الْحَرْفِ الْخَافِضِ، قَالَ سِيبَوَيْهِ وَلَوْ قُلْتَ: مَرَرْتُ بِزَيْدٍ أَوَّلَ مِنْ أَمْسِ وَأَمْسِ عَمْرٍو كَانَ قَبِيحًا خَبِيثًا؛ لِأَنَّكَ فَرَّقْتَ بَيْنَ الْمَجْرُورِ وَمَا يُشْرِكُهُ، وَهُوَ الْوَاوُ، كَمَا فَرَّقْتَ بَيْنَ الْجَارِّ وَالْمَجْرُورِ؛ لِأَنَّ الْجَارَّ لَا يُفْصَلُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمَجْرُورِ، وَلَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْوَاوِ".

نعم، يعني لو قلت: مررت بزيدٍ أول من أمس، وأمس عمروٍ، يعني ومررت أمس بعمروٍ، كان قبيحًا.

في قوله تعالى في أول سورة النساء: {الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ} [النساء: ١].

طالب:.....

نعم.

طالب:.....

ماذا؟

طالب:.....

{وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ} [النساء: ١]، هذا الأصل إذا قلنا: إنها مجرورة على إعادة الجار، ويجوز أن تعيد من غير أن تجر، من غير إعادة الجر، وعلى النصب {وَاتَّقُوا اللَّهَ}، و{وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ}، وهو معتوق على لفظ الجلالة، وعلى الجر يكون معطوفًا على المجرور، {تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ}.

على كل حال فيه قراءة بالجر، والنصب عطفًا على لفظ الجلالة، ويجوز جره عطفًا على بالباء من غير إعادة للجر، لكن هنا مع بُعد الفصل وطوله، وتفريق بين المعطوف والمعطوف عليه بفاصل، بين المعطوف وحرف العطف، بفاصل أيضًا، من أقبح.

"قَوْلُهُ تَعَالَى: {قَالَتْ يَا وَيْلَتَا أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ} [هود: ٧٢] فِيهِ مَسْأَلَتَانِ: الْأُولَى: {يَا وَيْلَتَا} قَالَ الزَّجَّاجُ: أَصْلُهَا يَا وَيْلَتِي، فَأُبْدِلَ مِنَ الْيَاءِ أَلِفٌ، لِأَنَّهَا أَخَفُّ مِنَ الْيَاءِ وَالْكَسْرَةِ، وَلَمْ تُرِدِ الدُّعَاءَ عَلَى نَفْسِهَا بِالْوَيْلِ ، وَلَكِنَّهَا كَلِمَةٌ تَخِفُّ عَلَى أَفْوَاهِ النِّسَاءِ إِذَا طَرَأَ عَلَيْهِنَّ مَا يُعْجَبْنَ مِنْهُ، وَعَجِبَتْ مِنْ وِلَادَتِهَا وَمِنْ كَوْنِ بَعْلِهَا شَيْخًا لِخُرُوجِهِ عَنِ الْعَادَةِ، وَمَا خَرَجَ عَنِ الْعَادَةِ مُسْتَغْرَبٌ وَمُسْتَنْكَرٌ. وَ{أَأَلِدُ} اسْتِفْهَامٌ مَعْنَاهُ التَّعَجُّب. {وَأَنَا عَجُوزٌ} أَيْ شَيْخَةٌ. وَلَقَدْ عَجَزَتْ تَعْجِزُ عَجْزًا وَعَجَّزَتْ تَعْجِيزًا، أَيْ طَعَنَتْ فِي السِّنِّ. وَقَدْ يُقَالُ: عَجُوزَةٌ أَيْضًا. وَعَجِزَتِ الْمَرْأَةُ بِكَسْرِ الْجِيمِ، عَظُمَتْ عَجِيزَتُهَا عُجْزًا وَعَجَزًا بِضَمِّ الْعَيْنِ وَفَتْحِهَا. قَالَ مُجَاهِدٌ: كَانَتْ بِنْتَ تِسْعٍ وَتِسْعِينَ سَنَةً. وَقَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: كَانَتْ بِنْتَ تِسْعِينَ سَنَةً. وَقِيلَ غَيْرُ هَذَا".

يعني هي بنت تسع وتسعين على ما روي، وإبراهيم -عليه السلام- ابن مائة، والذي يظهر- والله أعلم- أن العمر أكثر من ذلك بكثير؛ لأنه إذا كان الختان وعمره ثمانون، اختتن إبراهيم- عليه السلام- وعمره ثمانون، فالذي يظهر أن العمر أكثر من ذلك بكثير.

"الثَّانِيَةُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَهَذَا بَعْلِي} [هود: ٧٢] أَيْ زَوْجِي. {شَيْخًا} [هود: ٧٢] نُصِبَ عَلَى الْحَالِ، وَالْعَامِلِ فِيهِ التَّنْبِيهُ أَوِ الْإِشَارَةُ. وَهَذَا بَعْلِي ابْتِدَاءٌ وَخَبَرٌ. وَقَالَ الْأَخْفَشُ: وَفِي قِرَاءَةِ ابْنِ مَسْعُودٍ وَأُبَيٍّ "وَهَذَا بَعْلِي شَيْخٌ" قَالَ النَّحَّاسُ: كَمَا تَقُولُ: هَذَا زَيْدٌ قَائِمٌ، فَزَيْدٌ بَدَلٌ مِنْ هَذَا، وَقَائِمٌ خَبَرُ الِابْتِدَاءِ. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ " هَذَا " مُبْتَدَأً "وَزَيْدٌ قَائِمٌ" خَبَرَيْنِ".

يعني هذا على تعدد الخبر، {وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا} [هود: ٧٢]، بعل خبر أول، وشيخ خبر ثانٍ، هذا زيد قائم، هذا مبتدأ، وزيد خبر، وقائم خبر ثانٍ، ويجوز تعدد الخبر، مصيف مقيد مشتٍّ، وإذا قلنا: هذا مبتدأ، وبعلي مبتدأ ثانٍ، وشيخٌ خبر المبتدأ الثاني، والجملة خبر المبتدأ الأول.

"وَحَكَى سِيبَوَيْهِ: هَذَا حُلْوٌ حَامِضٌ. وَقِيلَ: كَانَ إِبْرَاهِيمُ ابْنُ مِائَةٍ وَعِشْرِينَ سَنَةٍ. وَقِيلَ: ابْنُ مِائَةٍ فَكَانَ يَزِيدُ عَلَيْهَا فِي قَوْلِ مُجَاهِدٍ سَنَةً. وَقِيلَ: إِنَّهَا عَرَّضَتْ بِقَوْلِهَا: وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا أَيْ عَنْ تَرْكِ غِشْيَانِهِ لَهَا. وَسَارَةُ هَذِهِ امْرَأَةُ إِبْرَاهِيمَ بِنْتُ هَارَانَ بْنِ نَاحُورَ بْنِ شَارُوعَ بْنِ أَرْغُو بْنِ فَالِغَ، وَهِيَ بِنْتُ عَمِّ إِبْرَاهِيمَ. {إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ} [هود: ٧٢] أَيِ الَّذِي بَشَّرْتُمُونِي بِهِ لَشَيْءٌ عَجِيبٌ".

التعريض في مثل هذا يستحسن، هي ما تصرح أنه لا يطأها، أو لا يعاشرها، كما قالت امرأة عبد الله تمدحه بالصيام والقيام، وأنه لا يؤوي إلى الفراش، هي لا تذمه بالعبادة، وإنما هي تطالب بحقوقها، وليس قصدها ذم العبادة، وذمه أنه رجل صالح، لا، هي تعرض بحقوقها؛ لأنه إذا كان يصوم ولا يفطر، ويقوم ولا ينام، فما معنى هذا؟ أنها ليس لها منه نصيب، فهي تطالب بحقوقها، فعرضت بعبادته لا ذمًّا للعبادة، وهنا ليس ذمًّا للشيخوخة، وإنما هي تبين لهم أنه ليس أهلاً للغشيان، لغشيانها، بل هو كبير السن شيخٌ كبير.

"قَوْلُهُ تَعَالَى: {قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ} [هود: ٧٣] فِيهِ أَرْبَعُ مَسَائِلَ:

الْأُولَى: قَوْلُهُ تَعَالَى: {قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ } [هود: ٧٣] لَمَّا قَالَتْ : {وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا} [هود: ٧٢] وَتَعَجَّبَتْ، أَنْكَرَتِ الْمَلَائِكَةُ عَلَيْهَا تَعَجُّبَهَا مِنْ أَمْرِ اللَّهِ، أَيْ مِنْ قَضَائِهِ. وَقَدَرِهِ، أَيْ لَا عَجَبَ مِنْ أَنْ يَرْزُقَكُمَا اللَّهُ الْوَلَدَ، وَهُوَ إِسْحَاقُ. وَبِهَذِهِ الْآيَةِ اسْتَدَلَّ كَثِيرٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ عَلَى أَنَّ الذَّبِيحَ إِسْمَاعِيلُ، وَأَنَّهُ أَسَنُّ مِنْ إِسْحَاقَ؛ لِأَنَّهَا بُشِّرَتْ بِأَنَّ إِسْحَاقَ يَعِيشُ حَتَّى يُولَدَ لَهُ يَعْقُوبُ. وَسَيَأْتِي الْكَلَامُ فِي هَذَا، وَبَيَانُهُ فِي "الصَّافَّاتِ" إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى".

نعم مع الخلاف في المسألة، وأن الذبيح إسماعيل أو إسحاق، على أن جمعًا من المفسرين لاسيما الكبار منهم الطبري والقرطبي وغيرهما، يميلون إلى أنه إسحاق، وجمهور أهل العلم على أنه إسماعيل، والأدلة متضافرة على أنه إسماعيل، على ما سيأتي إن شاء الله تعالى.

"الثَّانِيَةُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: "رَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ" مُبْتَدَأٌ، وَالْخَبَرُ "عَلَيْكُمْ". وَحَكَى سِيبَوَيْهِ عَلَيْكِمْ بِكَسْرِ الْكَافِ؛ لِمُجَاوَرَتِهَا الْيَاءَ. وَهَلْ هُوَ خَبَرٌ أَوْ دُعَاءٌ؟ وَكَوْنُهُ إِخْبَارًا أَشْرَفُ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ يَقْتَضِي حُصُولَ الرَّحْمَةِ وَالْبَرَكَةِ لَهُمُ، الْمَعْنَى: أَوْصَلَ اللَّهُ لَكُمْ رَحْمَتَهُ وَبَرَكَاتِهِ أَهْلَ الْبَيْتِ. وَكَوْنُهُ دُعَاءً إِنَّمَا يَقْتَضِي أَنَّهُ أَمْرٌ يُتَرَجَّى وَلَمْ يَتَحَصَّلْ بَعْدُ".

نعم الخبر ما فيه شك أنه أقوى وأدل على المقصود من كونه دعاء؛ لأن الدعاء قد يتحقق، وقد لا يتحقق، وكونه خبرًا يدل على أنه أمرٌ واقع مفروغ منه.

طالب:.....

نعم.

طالب:.....

قطعًا دعاء، ولا يحتمل الخبرية.

طالب:.....

أين؟

طالب:.....

لا، لا يحتمل أن يكون خبرًا؛ لأن الذي يخبر لا يدري عن الواقع، لا يدري عما مضى ولا يدري عن المستقبل من باب أولى.

طالب:.....

ما يتصور أن يكون خبرًا.

"نُصِبَ "أَهْلَ الْبَيْتِ" عَلَى الِاخْتِصَاصِ، وَهَذَا مَذْهَبُ سِيبَوَيْهِ. وَقِيلَ: عَلَى النِّدَاءِ".

يعني يا أهل البيت، ونصبه على أختصاص ظاهر؛ لأن أهل البيت مخصصون بهذا، إذا قلت: نحن الموقعين أدناه، فنصبه على الاختصاص، يعني أخص الموقعين هنا.

"الثَّالِثَةُ: هَذِهِ الْآيَةُ تُعْطِي أَنَّ زَوْجَةَ الرَّجُلِ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ، فَدَلَّ هَذَا عَلَى أَنَّ أَزْوَاجَ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ ، فَعَائِشَةُ – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا – وَغَيْرُهَا مِنْ جُمْلَةِ أَهْلِ بَيْتِ النَّبِيِّ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–، مِمَّنْ قَالَ اللَّهُ فِيهِمْ : {وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا} [الأحزاب: ٣٣] وَسَيَأْتِي".

نعم بهذا يرد على من يقدح فيها ويتولى أهل البيت، هي من أهل البيت من خواص أهل البيت.

"الرَّابِعَةُ: وَدَلَّتِ الْآيَةُ أَيْضًا عَلَى أَنَّ مُنْتَهَى السَّلَامِ وَبَرَكَاتِهِ كَمَا أَخْبَرَ اللَّهُ عَنْ صَالِحِي عِبَادِهِ: {رَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ} [هود: ٧٣]. وَالْبَرَكَةُ النُّمُوُّ وَالزِّيَادَةُ، وَمِنْ تِلْكَ الْبَرَكَاتِ أَنَّ جَمِيعَ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ كَانُوا فِي وَلَدِ إِبْرَاهِيمَ وَسَارَةَ وَرَوَى مَالِكٌ عَنْ وَهْبِ بْنِ

كَيْسَانَ أَبِي نُعَيْمٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ عَطَاءٍ قَالَ: كُنْتُ جَالِسًا عِنْدَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ فَدَخَلَ عَلَيْهِ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، ثُمَّ زَادَ شَيْئًا مَعَ ذَلِكَ، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ -وَهُوَ يَوْمئِذٍ قَدْ ذَهَبَ بَصَرُهُ- : مَنْ هَذَا؟ فَقَالُوا: الْيَمَانِيُّ الَّذِي يَغْشَاكَ، فَعَرَّفُوهُ إِيَّاهُ، فَقَالَ: (إِنَّ السَّلَامَ انْتَهَى إِلَى الْبَرَكَةِ). وَرُوِيَ عَنْ عَلِيٍّ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أَنَّهُ قَالَ: «دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ فَإِذَا أَنَا بِالنَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فِي عُصْبَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَقُلْتُ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ، فَقَالَ: وَعَلَيْكَ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ عِشْرُونَ لِي وَعَشَرَةٌ لَكَ. قَالَ: وَدَخَلْتُ الثَّانِيَةَ، فَقُلْتُ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ فَقَالَ: (وَعَلَيْكَ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ ثَلَاثُونَ لِي وَعِشْرُونَ لَكَ). فَدَخَلْتُ الثَّالِثَةَ فَقُلْتُ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ: فَقَالَ: وَعَلَيْكَ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ ثَلَاثُونَ لِي وَثَلَاثُونَ لَكَ أَنَا وَأَنْتَ فِي السَّلَامِ سَوَاءٌ »".

نعم محفوظ أنهم ثلاثة، الذين دخلوا، الأول دخل وقال: السلام عليكم فقال: عشر، الثاني قال: السلام عليكم ورحمة الله، قال: عشرون، الثالث قال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، قال: ثلاثون، ولا زيادة على ذلك، وإن جاء في بعض الأخبار: ومغفرته، ومغفرته هذه اللفظة صححها بعضهم، لكن المعروف عند الأكثر انتهاء السلام ببركاته.

"{إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ} [هود: ٧٣] أَيْ مَحْمُودٌ مَاجِدٌ. وَقَدْ بَيَّنَّاهُمَا فِي "الْأَسْمَاءِ الْحُسْنَى".

نعم له كتاب في شرح الأسماء الحسنى، كتابٌ مبسوط فيه فوائد غزيرة، نقل منه في التفسير كثيرًا، ما أدري هل طبع أخيرًا أو ما طبع، طبع؟ ما تدرون يا أخوان؟ له كتاب في الأسماء الحسنى.

"قَوْلُهُ تَعَالَى: {فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ} [هود: ٧٤] أَيِ الْخَوْفُ، يُقَالُ: ارْتَاعَ مِنْ كَذَا إِذَا خَافَ، قَالَ النَّابِغَةُ:

فَارْتَاعَ مِنْ صَوْتِ كَلَّابٍ فَبَاتَ لَهُ ... طَوْعَ الشَّوَامِتِ مِنْ خَوْفٍ وَمِنْ صَرَدِ

وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى أَيْ بِإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ".

وارتاع من صوت كلاب، الذي يزجر الكلاب، فبات له طوع الشوامت، طائعًا خائفًا وجلاً من شدة ما اعتراه من الخوف من الصرد، من البرد الشديد.

"وَقَالَ قَتَادَةُ: بَشَّرُوهُ بِأَنَّهُمْ إِنَّمَا أَتَوْا بِالْعَذَابِ إِلَى قَوْمِ لُوطٍ، وَأَنَّهُ لَا يَخَافُ.

"يُجَادِلُنَا" أَيْ يُجَادِلُ رُسُلَنَا، وَأَضَافَهُ إِلَى نَفْسِهِ، لِأَنَّهُمْ نَزَلُوا بِأَمْرِهِ. وَهَذِهِ الْمُجَادَلَةُ رَوَاهَا حُمَيْدُ بْنُ هِلَالٍ عَنْ جُنْدُبٍ عَنْ حُذَيْفَةَ؛ وَذَلِكَ أَنَّهُمْ لَمَّا قَالُوا: {إِنَّا مُهْلِكُو أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ} [العنكبوت: ٣١] قَالَ لَهُمْ: أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ فِيهَا خَمْسُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَتُهْلِكُونَهُمْ؟ قَالُوا: لَا. قَالَ: فَأَرْبَعُونَ؟ قَالُوا: لَا. قَالَ: فَثَلَاثُونَ؟ قَالُوا: لَا. قَالَ: فَعِشْرُونَ؟ قَالُوا: لَا. قَالَ: فَإِنْ كَانَ فِيهَا عَشَرَةٌ - أَوْ خَمْسَةٌ "شَكَّ حُمَيْدٌ" قَالُوا: لَا. قَالَ قَتَادَةُ: نَحْوًا مِنْهُ، قَالَ فَقَالَ يَعْنِي إِبْرَاهِيمَ: قَوْمٌ لَيْسَ فِيهِمْ عَشَرَةٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ لَا خَيْرَ فِيهِمْ. وَقِيلَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ قَالَ: أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ فِيهَا رَجُلٌ مُسْلِمٌ

أَتُهْلِكُونَهَا؟ قَالُوا: لَا. فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ عِنْدَ ذَلِكَ: {إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ} [العنكبوت: ٣٢]. وَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ سَمُرَةَ: كَانُوا أَرْبَعَمِائَةِ أَلْفٍ. ابْنُ جُرَيْجٍ. وَكَانَ فِي قُرَى قَوْمِ لُوطٍ أَرْبَعَةُ آلَافِ أَلْفٍ. وَمَذْهَبُ الْأَخْفَشِ وَالْكِسَائِيِّ " أَنْ يُجَادِلَنَا" فِي مَوْضِعِ "جَادَلَنَا". قَالَ النَّحَّاسُ: لَمَّا كَانَ، جَوَاب لَمَّا يَجِبْ أَنْ يَكُونَ بِالْمَاضِي جُعِلَ الْمُسْتَقْبَلُ مَكَانَهُ، كَمَا أَنَّ الشَّرْطَ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ بِالْمُسْتَقْبَلِ فَجُعِلَ الْمَاضِي مَكَانَهُ".

فلما ذهب، لما شرطية، ذهب فعل الشرط ماضٍ، والأصل أن فعل الشرط مضارع، مستقبل، ثم بعد ذلك يجادلنا، جواب الشرط مضارع على الأصل، لكن إذا كان الشرط ماضيًا والجواب مضارع فإنه لا يجزم؛ لأن في الغالب الجواب تابع للشرط، فلما جاء الشرط ماضيًا، والماضي معروف أنه لا يجزم بل يبنى على الفتح رفع المضارع ولم يجزم.

"وَفِيهِ جَوَابٌ آخَرُ: أَنْ يَكُونَ "يُجَادِلُنَا" فِي مَوْضِعِ الْحَالِ، أَيْ أَقْبَلَ يُجَادِلُنَا، وَهَذَا قَوْلُ الْفَرَّاءِ. {إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ} تَقَدَّمَ فِي "بَرَاءَةٌ" مَعْنَى "لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ" وَالْمُنِيبُ الرَّاجِعُ، يُقَالُ: أَنَابَ إِذَا رَجَعَ. وَإِبْرَاهِيمُ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كَانَ رَاجِعًا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فِي أُمُورِهِ كُلِّهَا. وَقِيلَ: الْأَوَّاهُ الْمُتَأَوِّهُ أَسَفًا عَلَى مَا قَدْ فَاتَ قَوْمَ لُوطٍ مِنَ الْإِيمَانِ".

نعم هذا الأواه، فالذي يتأوه، ويتأفف من كثرة ذنوبه ومعاصيه وتقصيره في جنب الله، وإن كان هو في الحقيقة محسنًا، مسابقًا، ومسارعًا.

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير القرطبي

سورة هود

معالي الشيخ الدكتور

عبد الكريم بن عبد الله الخضير

عضو هيئة كبار العلماء

وعضو اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

تاريخ المحاضرة:	١٤٣١/١١/١٨هـ	المكان:	

نعم.

"قَوْلُهُ تَعَالَى : {يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا} [هود: ٧٦] أَيْ دَعْ عَنْكَ الْجِدَالَ فِي قَوْمِ لُوطٍ. إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ أَيْ عَذَابُهُ لَهُمْ وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ أَيْ نَازِلٌ بِهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ أَيْ غَيْرُ مَصْرُوفٍ عَنْهُمْ وَلَا مَدْفُوعٍ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ} [هود: ٧٧] لَمَّا خَرَجَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ عِنْدِ إِبْرَاهِيمَ، وَكَانَ بَيْنَ إِبْرَاهِيمَ وَقَرْيَةِ لُوطٍ أَرْبَعَةُ فَرَاسِخَ بَصُرَتْ بِنْتَا لُوطٍ -وَهُمَا تَسْتَقِيَانِ- بِالْمَلَائِكَةِ وَرَأَتَا هَيْئَةً حَسَنَةً، فَقَالَتَا: مَا شَأْنُكُمْ؟ وَمِنْ أَيْنَ أَقْبَلْتُمْ؟ قَالُوا: مِنْ مَوْضِعِ كَذَا نُرِيدُ هَذِهِ الْقَرْيَةَ قَالَتَا: فَإِنَّ أَهْلَهَا أَصْحَابُ الْفَوَاحِشِ، فَقَالُوا: أَبِهَا مَنْ يُضَيِّفُنَا؟ قَالَتَا: نَعَمْ! هَذَا الشَّيْخُ وَأَشَارَتَا إِلَى لُوطٍ ، فَلَمَّا رَأَى لُوطٌ هَيْئَتَهُمْ خَافَ قَوْمَهُ عَلَيْهِمْ. {سِيءَ بِهِمْ}[هود: ٧٧] أَيْ سَاءَهُ مَجِيئُهُمْ، يُقَالُ: سَاءَ يَسُوءُ فَهُوَ لَازِمٌ، وَسَاءَهُ يَسُوءُهُ فَهُوَ مُتَعَدٍّ أَيْضًا، وَإِنْ شِئْتَ ضَمَمْتَ السِّينَ؛ لِأَنَّ أَصْلَهَا الضَّمُّ، وَالْأَصْلَ سُوِئَ بِهِمْ مِنَ السُّوءِ، قُلِبَتْ حَرَكَةُ الْوَاوِ عَلَى السِّينِ فَانْقَلَبَتْ يَاءً، وَإِنْ خُفِّفَتِ الْهَمْزَةُ أُلْقِيَتْ حَرَكَتُهَا عَلَى الْيَاءِ فَقُلْتَ: سِيءَ بِهِمْ مُخَفَّفًا، وَلُغَةٌ شَاذَّةٌ بِالتَّشْدِيدِ ."

سيّئ نعم.

"{وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا} [هود: ٧٧]أَيْ ضَاقَ صَدْرُهُ بِمَجِيئِهِمْ وَكَرِهَهُ".

خوفًا عليهم، خوفًا عليهم من قومه الشذاذ، نسأل الله العافية، نسأل الله العافية أمرهم مشهور ومنتشر بين الناس، وهم يعلمون بذلك، حتى أنه وجد قطع من عملتهم، وعليها شعارهم الذي هو فعلتهم القبيحة الشنيعة، نسأل الله العافية.

"وَقِيلَ: ضَاقَ وُسْعُهُ وَطَاقَتُهُ. وَأَصْلُهُ أَنْ يَذْرَعَ الْبَعِيرَ بِيَدَيْهِ فِي سَيْرِهِ ذَرْعًا عَلَى قَدْرِ سِعَةِ خَطْوِهِ، فَإِذَا حُمِلَ عَلَى أَكْثَرِ مِنْ طَوْقِهِ ضَاقَ عَنْ ذَلِكَ، وَضَعُفَ وَمَدَّ عُنُقَهُ، فَضِيقُ الذَّرْعِ عِبَارَةٌ عَنْ ضِيقِ الْوُسْعِ . وَقِيلَ: هُوَ مَنْ ذَرَعَهُ الْقَيْءُ أَيْ غَلَبَهُ، أَيْ ضَاقَ عَنْ حَبْسِهِ الْمَكْرُوهِ فِي نَفْسِهِ، وَإِنَّمَا ضَاقَ ذَرْعَهُ بِهِمْ لِمَا رَأَى مِنْ جَمَالِهِمْ، وَمَا يَعْلَمُ مِنْ فِسْقِ قَوْمِهِ. {وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ} [هود: ٧٧] أَيْ شَدِيدٌ فِي الشَّرِّ. وَقَالَ الشَّاعِرُ:

وَإِنَّكَ إِلَّا تُرْضِ بَكْرَ بْنَ وَائِلٍ يَكُنْ لَكَ يَوْمٌ بِالْعِرَاقِ عَصِيبُ

وَقَالَ آخَرُ:

يَوْمٌ عَصِيبٌ يَعْصِبُ الْأَبْطَالَا عَصْبَ الْقَوِيِّ السَّلَمِ الطِّوَالَا

وَيُقَالُ: عَصِيبٌ وَعَصَبْصَبٌ عَلَى التَّكْثِيرِ، أَيْ مَكْرُوهٌ مُجْتَمِعُ الشَّرِّ وَقَدْ عَصَبَ، أَيْ عَصَبَ بِالشَّرِّ عِصَابَةً، وَمِنْهُ قِيلَ: عُصْبَةٌ وَعِصَابَةٌ أَيْ مُجْتَمِعُو الْكَلِمَةِ، أَيْ مُجْتَمِعُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ. وَعُصْبَةُ

الرَّجُلِ الْمُجْتَمِعُونَ مَعَهُ فِي النَّسَبِ، وَتَعَصَّبْتُ لِفُلَانٍ صِرْتُ كَعَصَبَتِهِ، وَرَجُلٍ مَعْصُوبٍ، أَيْ مُجْتَمِعُ الْخَلْقِ".

نعم، تعصب لفلان إذا كان من أتباعه، ومن ينصر قوله صار كأنه من عصبته الذين ينصرونه عند احتياجه إليهم.

"قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ} [هود: ٧٨] فِي مَوْضِعِ الْحَالِ. يُهْرَعُونَ أَيْ يُسْرِعُونَ. قَالَ الْكِسَائِيُّ وَالْفَرَّاءُ وَغَيْرُهُمَا مِنْ أَهْلِ اللُّغَةِ: لَا يَكُونُ الْإِهْرَاعُ إِلَّا إِسْرَاعًا مَعَ رِعْدَةٍ، يُقَالُ: أَهْرَعَ الرَّجُلُ إِهْرَاعًا أَيْ أَسْرَعَ فِي رِعْدَةٍ".

رِعدة.

"مِنْ بَرْدٍ أَوْ غَضَبٍ أَوْ حُمَّى، وَهُوَ مُهْرِعٌ، قَالَ مُهَلْهِلٌ:

فَجَاءُوا يُهْرَعُونَ وَهُمْ أُسَارَى نَقُودُهُمْ عَلَى رَغْمِ الْأُنُوفِ

وَقَالَ آخَرُ:

بِمُعْجَلَاتٍ نَحْوَهُ مَهَارِعَ

وَهَذَا مِثْلُ: أُولِعَ فُلَانٌ بِالْأَمْرِ، وَأُرْعِدَ زَيْدٌ. وَزُهِيَ فُلَانٌ. وَتَجِيءُ وَلَا تُسْتَعْمَلُ إِلَّا عَلَى هَذَا الْوَجْهِ".

نعم، لا تستعمل مضمومة الأول، أهرع، وأرعد، وزهي، ونتج، كلها على هذه الصورة.

"وَقِيلَ: أُهْرِعَ أَيْ أَهْرَعَهُ حِرْصُهُ، وَعَلَى هَذَا يُهْرَعُونَ أَيْ يَسْتَحِثُّونَ عَلَيْهِ. وَمَنْ قَالَ بِالْأَوَّلِ قَالَ: لَمْ يُسْمَعْ إِلَّا أُهْرِعَ الرَّجُلُ أَيْ أَسْرَعَ، عَلَى لَفْظِ مَا لَمْ يُسَمَّ فَاعِلُهُ. قَالَ ابْنُ الْقُوطِيَّةِ: هُرِعَ الْإِنْسَانُ هَرَعًا، وَأُهْرِعَ: سِيقَ وَاسْتُعْجِلَ".

ابن القوطية هذا له كتاب في الأفعال، ومعروف كتابه.

"وَقَالَ الْهَرَوِيُّ يُقَالُ: هُرِعَ الرَّجُلُ وَأُهْرِعَ أَيِ اسْتُحِثَّ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَقَتَادَةُ وَالسُّدِّيّ: يُهْرَعُونَ يُهَرْوِلُونَ. وقال الضَّحَّاكُ: يَسْعَوْنَ. وقال: ابْنُ عُيَيْنَةَ: كَأَنَّهُمْ يُدْفَعُونَ. وَقَالَ شِمْرُ بْنُ عَطِيَّةَ: هُوَ مَشْيٌ بَيْنَ الْهَرْوَلَةِ وَالْجَمَزَى. وَقَالَ الْحَسَنُ: مَشْيٌ بَيْنَ مَشْيَيْنِ، وَالْمَعْنَى مُتَقَارِبٌ. وَكَانَ سَبَبُ إِسْرَاعِهِمْ مَا رُوِيَ أَنَّ امْرَأَةَ لُوطٍ الْكَافِرَةَ، لَمَّا رَأَتِ الْأَضْيَافَ وَجَمَالَهُمْ وَهَيْئَتَهُمْ، خَرَجَتْ حَتَّى أَتَتْ مَجَالِسَ قَوْمِهَا، فَقَالَتْ لَهُمْ: إِنَّ لُوطًا قَدْ أَضَافَ اللَّيْلَةَ فِتْيَةً مَا رُئِيَ مِثْلُهُمْ جَمَالًا، وَكَذَا وَكَذَا، فَحِينَئِذٍ جَاءُوا يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ. وَيُذْكَرُ أَنَّ الرُّسُلَ لَمَّا وَصَلُوا إِلَى بَلَدِ لُوطٍ وَجَدُوا لُوطًا فِي حَرْثٍ لَهُ".

هذا من تمام الامتحان، أن يأتوا على مثل هذه الصورة، من تمام الابتلاء، نعم، نسأل الله العافية.

"وَقِيلَ: وَجَدُوا ابْنَتَهُ تَسْتَقِي مَاءً مِنْ نَهْرِ سَدُومَ، فَسَأَلُوهَا الدَّلَالَةَ عَلَى مَنْ يُضَيِّفُهُمْ، وَرَأَتْ هَيْئَتَهُمْ فَخَافَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ قَوْمِ لُوطٍ، وَقَالَتْ لَهُمْ: مَكَانَكُمْ! وَذَهَبَتْ إِلَى أَبِيهَا فَأَخْبَرَتْهُ، فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ، فَقَالُوا: نُرِيدُ أَنْ تُضَيِّفَنَا اللَّيْلَةَ، فَقَالَ لَهُمْ: أَوَ مَا سَمِعْتُمْ بِعَمَلِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ؟ فَقَالُوا: وَمَا عَمَلُهُمْ؟ فَقَالَ: أَشْهَدُ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَشَرُّ قَوْمٍ فِي الْأَرْضِ، -وَقَدْ كَانَ اللَّهُ- عَزَّ وَجَلَّ - قَالَ لِمَلَائِكَتِهِ:

لَا تُعَذِّبُوهُمْ حَتَّى يَشْهَدَ لُوطٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ- فَلَمَّا قَالَ لُوطٌ هَذِهِ الْمَقَالَةَ، قَالَ جِبْرِيلُ لِأَصْحَابِهِ: هَذِهِ وَاحِدَةٌ، وَتَرَدَّدَ الْقَوْلُ بَيْنَهُمْ حَتَّى كَرَّرَ لُوطٌ الشَّهَادَةَ أَرْبَعَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ دَخَلَ بِهِمُ الْمَدِينَةَ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَمِنْ قَبْلُ} [هود: ٧٨] أَيْ وَمِنْ قَبْلِ مَجِيءِ الرُّسُلِ. وَقِيلَ: مِنْ قَبْلِ لُوطٍ. {كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ}[هود: ٧٨] أَيْ كَانَتْ عَادَتُهُمْ إِتْيَانَ الرِّجَالِ. فَلَمَّا جَاءُوا إِلَى لُوطٍ وَقَصَدُوا أَضْيَافَهُ قَامَ إِلَيْهِمْ لُوطٌ مُدَافِعًا وقال: {هَؤُلَاءِ بَنَاتِي} [هود: ٧٨] ابْتِدَاءٌ وَخَبَرٌ.

وَقَدِ اخْتُلِفَ فِي قَوْلِهِ: {هَؤُلَاءِ بَنَاتِي} [هود: ٧٨]؛ فَقِيلَ: كَانَ لَهُ ثَلَاثُ بَنَاتٍ مِنْ صُلْبِهِ. وَقِيلَ: بِنْتَانِ ، زَيْتَا وَزَعْوَرَاءُ، فَقِيلَ: كَانَ لَهُمْ سَيِّدَانِ مُطَاعَانِ فَأَرَادَ أَنْ يُزَوِّجَهُمَا ابْنَتَيْهِ. وَقِيلَ: نَدَبَهُمْ فِي هَذِهِ الْحَالَةِ إِلَى النِّكَاحِ، وَكَانَتْ سُنَّتُهُمْ جَوَازُ نِكَاحِ الْكَافِرِ الْمُؤْمِنَةَ، وَقَدْ كَانَ هَذَا فِي أَوَّلِ الْإِسْلَامِ جَائِزًا، ثُمَّ نُسِخَ، فَزَوَّجَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بِنْتًا لَهُ مِنْ عُتْبَةَ بْنِ أَبِي لَهَبٍ، وَالْأُخْرَى مِنْ أَبِي الْعَاصِ بْنِ الرَّبِيعِ قَبْلَ الْوَحْيِ، وَكَانَا كَافِرَيْنِ.

وَقَالَتْ فِرْقَةٌ -مِنْهُمْ مُجَاهِدٌ وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ- أَشَارَ بِقَوْلِهِ : بَنَاتِي إِلَى النِّسَاءِ جُمْلَةً، إِذْ نَبِيُّ الْقَوْمِ أَبٌ لَهُمْ".

كما أن زوجات النبي أمهاتهم، فلكونه أبًا لهم قال: {هَؤُلَاءِ بَنَاتِي} [هود: ٧٨]، يعني النساء من قومه فيهن غنية، وليس فيها دلالة على ما يزعمه بعض الرافضة من جواز إتيان النساء في أدبارهن، نسأل الله العافية؛ لأنهم يقولون: أو يقول هذا المفتون: إن لوطًا يعرف ماذا يريد هؤلاء القوم، فدلهم بدلاً من الرجال إلى النساء، فاستدلوا بذلك على جواز وطء النساء في أعجازهن، نسأل الله العافية، هو حرامٌ بإجماع الأمة، ونقل الإجماع على تحريمه كثيرٌ من أهل العلم، وإن شكك بعضهم في صحة ما ثبت في ذلك من أخبار، لكن الإجماع قائمٌ على تحريمه، والنصوص تدل عليهم في الكتاب والسنة، وهو محل إجماع بين أهل العلم، لم يختلف في ذلك أحد.

وأما كونه يقول: {هَؤُلَاءِ بَنَاتِي} [هود: ٧٨]، شريطة أن يطأن في موضع الحرث، في موضع الوطء، وليس معنى هذا أنه يريد أن يغنيهم بهؤلاء البنات عن الرجال ليستعملن مثل استعمال الرجال، لا، لا شك أن هذا ضلال في الرأي.

"وَيُقَوِّي هَذَا أَنَّ فِي قِرَاءَةِ ابْنِ مَسْعُودٍ. {النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ} [الأحزاب: ٦]. وَقَالَتْ طَائِفَةٌ: إِنَّمَا كَانَ الْكَلَامُ مُدَافَعَةً وَلَمْ يُرِدْ إِمْضَاءَهُ، رُوِيَ هَذَا الْقَوْلُ عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ ، كَمَا يُقَالُ لِمَنْ يُنْهَى عَنْ أَكْلِ مَالِ الْغَيْرِ".

هو أبٌ لهم من حيث الاحترام والتقدير، ولزوم الطاعة، وتحريم ما يكون سببًا في إيزائه، ومن هذه الحيثية وإلا فليس بأبٍ تثبت له جميع أحكام الأبوة من الإرث وغيره، وقد جاء، أو من تحريم بناتهم وما أشبه ذلك لكونهن أخوات المؤمنين، لا، ليس من هذه الحيثية، قد جاء قوله تعالى: {مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ} [الأحزاب: ٤٠]، يعني ليست أبوة حقيقة تثبت لها جمع الأحكام.

"كَمَا يُقَالُ لِمَنْ يُنْهَى عَنْ أَكْلِ مَالِ الْغَيْرِ: الْخِنْزِيرُ أَحَلُّ لَكَ مِنْ هَذَا. وَقَالَ عِكْرِمَةُ: لَمْ يَعْرِضْ عَلَيْهِمْ بَنَاتِهِ وَلَا بَنَاتِ أُمَّتِهِ، وَإِنَّمَا قَالَ لَهُمْ هَذَا لِيَنْصَرِفُوا.

قَوْلُهُ تَعَالَى: {هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ} [هود: ٧٨] ابْتِدَاءٌ وَخَبَرٌ، أَيْ أُزَوِّجُكُمُوهُنَّ، فَهُوَ أَطْهَرُ لَكُمْ مِمَّا تُرِيدُونَ، أَيْ أَحَلُّ. وَالتَّطَهُّرُ التَّنَزُّهُ عَمَّا لَا يَحِلُّ. وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: كَانَ رُؤَسَاؤُهُمْ خَطَبُوا بَنَاتِهِ فَلَمْ يُجِبْهُمْ، وَأَرَادَ ذَلِكَ الْيَوْمَ أَنْ يَفْدِيَ أَضْيَافَهُ بِبَنَاتِهِ. وَلَيْسَ أَلَفُ".

أَلِف.

"وليس أَلِفُ {أَطْهَرَ} لِلتَّفْضِيلِ حَتَّى يُتَوَهَّمَ أَنَّ فِي نِكَاحِ الرِّجَالِ طَهَارَةً، بَلْ هُوَ كَقَوْلِكَ: اللَّهُ أَكْبَرُ وَأَعْلَى وَأَجَلُّ".

نعم استعمال أفعل التفضيل هنا ليس على بابها، وإلا فالأصل أن أفعل التفضيل تكون بين شيئين اشتركا في وصف، زاد أحدهما على الآخر، وهنا لم يشتركا في الوصف، فليس في إتيان الرجال طهارة أصلاً، وهذه كثيرًا ما يستعمل المحدثون أفعل التفضيل على غير بابها، فيقال: فلان أوثق من فلان، وكلاهما ضعيف، كما أنه يقال: فلان أضعف من فلان، وهما ثقات، ويقال: الحديث أصح ما في الباب، وهو ضعيف، لا يقتضى الصحة، وأضعف وألين ما في الباب وهو قويٌ صحيح، فهم يستعملون أفعل التفضيل لا على بابها من اشتراك الأمرين في الوصف.

طالب:.....

نعم.

طالب:.....

خير مستقرًّا.

"بَلْ هُوَ كَقَوْلِكَ: اللَّهُ أَكْبَرُ وَأَعْلَى وَأَجَلُّ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ تَفْضِيلًا، وَهَذَا جَائِزٌ شَائِعٌ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ، وَلَمْ يُكَابِرِ اللَّهَ تَعَالَى أَحَدٌ حَتَّى يَكُونَ اللَّهُ تَعَالَى أَكْبَرَ مِنْهُ. وَقَدْ قَالَ أَبُو سُفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ يَوْمَ أُحُدٍ: «اعْلُ هُبَلُ اعْلُ هُبَلُ، فَقَالَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لِعُمَرَ : قُلِ اللَّهُ أَعْلَى وَأَجَلُّ». وَهُبَلُ لَمْ يَكُنْ قَطُّ عَالِيًا وَلَا جَلِيلًا. وَقَرَأَ الْعَامَّةُ بِرَفْعِ الرَّاءِ. وَقَرَأَ الْحَسَنُ وَعِيسَى بْنُ عَمْرٍو {هُنَّ أَطْهَرَ} بِالنَّصْبِ عَلَى الْحَالِ. وَ"هُنَّ" عِمَاد. وَلَا يُجِيزُ الْخَلِيلُ وَسِيبَوَيْهِ وَالْأَخْفَشُ أَنْ يَكُونَ {هُنَّ} هَاهُنَا عِمَادًا، وَإِنَّمَا يَكُونُ عِمَادًا فِيمَا لَا يَتِمُّ الْكَلَامُ إِلَّا بِمَا بَعْدَهَا، نَحْوُ كَانَ زَيْدٌ هُوَ أَخَاكَ، لِتَدُلَّ بِهَا عَلَى أَنَّ الْأَخَ لَيْسَ بِنَعْتٍ. قَالَ الزَّجَّاجُ: وَيَدُلُّ بِهَا عَلَى أَنَّ كَانَ تَحْتَاجُ إِلَى خَبَرٍ. وَقَالَ غَيْرُهُ: يَدُلُّ بِهَا عَلَى أَنَّ الْخَبَرَ مَعْرِفَةٌ أَوْ مَا قَارَنَهَا".

ما لا يحتاج إليه في الإعراب يكون زائدًا من الناحية العربية، وإنما يؤتى به لسبك الكلام في مثل هذا.

"قَوْلُهُ تَعَالَى: {فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي} [هود: ٧٨] أَيْ لَا تُهِينُونِي وَلَا تُذِلُّونِي. وَمِنْهُ قَوْلُ حَسَّانَ:

فَأَخْزَاكَ رَبِّي يَا عُتَيْبَ بْنَ مَالِكٍ وَلَقَّاكَ قَبْلَ الْمَوْتِ إِحْدَى الصَّوَاعِقِ

مَدَدْتَ يَمِينًا لِلنَّبِيِّ تَعَمُّدًا وَدَمَّيْتَ فَاهُ قُطِّعَتْ بِالْبَوَارِقِ

وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْخَزَايَةِ، وَهُوَ الْحَيَاءُ، وَالْخَجَلُ، قَالَ ذُو الرُّمَّةِ:

خَزَايَةٌ أَدْرَكَتْهُ بَعْدَ جَوْلَتِهِ مِنْ جَانِبِ الْحَبْلِ مَخْلُوطًا بِهَا الْغَضَبُ

وَقَالَ آخَرُ:

مِنَ الْبِيضِ لَا تَخْزَى إِذَا الرِّيحُ أَلْصَقَتْ بِهَا مِرْطَهَا أَوْ زَايَلَ الْحَلْيُ جِيدَهَا

وَضَيْفٌ يَقَعُ لِلِاثْنَيْنِ وَالْجَمِيعِ عَلَى لَفْظِ الْوَاحِدِ، لِأَنَّهُ فِي الْأَصْلِ مَصْدَرٌ، قَالَ الشَّاعِرُ:

لَا تَعْدَمِي الدَّهْرَ شِفَارَ الْجَازِرِ لِلضَّيْفِ وَالضَّيْفُ أَحَقُّ زَائِرِ"

يعني للضيوف، فلا تلزم المطابقة، كما في الجنب وقريب وبعيد، وما أشبه ذلك، فلا تلزم المطابقة بين المسند والمسند إليه؛ لأنه في الأصل مصدر، نقول: زيد جنب، وزيدان جنب، والرجال جنب، والنساء جنب وهكذا، وقد تجيء المطابقة فيقال: جنبان وجنبون، المقصود أن الغالب الإفراد {إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ} [الأعراف: ٥٦]، ما قال: قريبةٌ.

طالب:.....

نعم.

طالب:.....

نعم إذا كان مؤذيًا يرد عليه، {لا يحب الله الجهر بالسوء إلا من ظلم}.

طالب:.....

أقول: إذا كان من غير المسلمين يدعى عليه بلا شك، وأما إن كان من المسلمين فيدعى له بالهداية، ومن أوذي له أن يدعو.

"وَيَجُوزُ فِيهِ التَّثْنِيَةُ وَالْجَمْعُ، وَالْأَوَّلُ أَكْثَرُ كَقَوْلِكَ: رِجَالٌ صَوْمٌ وَفِطْرٌ وَزَوْرٌ".

زور يعني زائرٌ.

"وَخَزِيَ الرَّجُلُ خَزَايَةً، أَيِ اسْتَحْيَا مِثْلُ ذَلَّ وَهَانَ. وَخَزِيَ خِزْيًا إِذَا افْتَضَحَ، يَخْزَى فِيهِمَا جَمِيعًا. ثُمَّ وَبَّخَهُمْ بِقَوْلِهِ: {أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ} [هود: ٧٨] أَيْ شَدِيدٌ يَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ. وَقِيلَ: رَشِيدٌ أَيْ ذُو رُشْدٍ. أَوْ بِمَعْنَى رَاشِدٍ أَوْ مُرْشِدٍ، أَيْ صَالِحٌ أَوْ مُصْلِحٌ. قال: ابْنُ عَبَّاسٍ: مُؤْمِنٌ. أَبُو مَالِكٍ: نَاهٍ عَنِ الْمُنْكَرِ. وَقِيلَ: الرَّشِيدُ بِمَعْنَى الرُّشْدِ، وَالرُّشْدُ وَالرَّشَادُ الْهُدَى وَالِاسْتِقَامَةُ. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ بِمَعْنَى الْمُرْشِدِ، كَالْحَكِيمِ بِمَعْنَى الْمُحْكِمِ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: {قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ} [هود: ٧٩] رُوِيَ أَنَّ قَوْمَ لُوطٍ خَطَبُوا بَنَاتِهِ فَرَدَّهُمْ، وَكَانَتْ سُنَّتُهُمْ أَنَّ مَنْ رُدَّ فِي خِطْبَةِ امْرَأَةٍ لَمْ تَحِلَّ لَهُ أَبَدًا، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: {قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ} [هود: ٧٩]".

يعني؛ لأنك رددتنا، لكن هذا غير الظاهر في السياق، إنما السياق يدل على أنهم قالوا: ما لنا في بناتك من حاجة، إنما حاجتهم في الرجال دون النساء.

"وَبَعُدَ أَلَّا تَكُونَ هَذِهِ الْخَاصِّيَّةُ. فَوَجْهُ الْكَلَامِ أَنَّهُ لَيْسَ لَنَا إِلَى بَنَاتِكَ تَعَلُّقٌ، وَلَا هُنَّ قَصْدُنَا، وَلَا لَنَا عَادَةٌ نَطْلُبُ ذَلِكَ. {وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ}[هود: ٧٩] إِشَارَةٌ إِلَى الْأَضْيَافِ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: {قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً} [هود: ٨٠] لَمَّا رَأَى اسْتِمْرَارَهُمْ فِي غَيِّهِمْ، وَضَعُفَ عَنْهُمْ، وَلَمْ يَقْدِرْ عَلَى دَفْعِهِمْ، تَمَنَّى لَوْ وَجَدَ عَوْنًا عَلَى رَدِّهِمْ، فَقَالَ عَلَى جِهَةِ التَّفَجُّعِ وَالِاسْتِكَانَةِ: {لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً} أَيْ أَنْصَارًا وَأَعْوَانًا. وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: أَرَادَ الْوَلَدَ. وَ {أَنَّ} فِي مَوْضِعِ رَفْعٍ بِفِعْلٍ مُضْمَرٍ، تَقْدِيرُهُ: لَوِ اتَّفَقَ أَوْ وَقَعَ. وَهَذَا يَطَّرِدُ فِي أَنَّ التَّابِعَةَ لِـ {لَوْ} وَجَوَابُ لَوْ مَحْذُوفٌ، أَيْ لَرَدَدْتُ أَهْلَ الْفَسَادِ، وَحُلْتُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يُرِيدُونَ {أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ} [هود: ٨٠] أَيْ أَلْجَأُ وَأَنْضَوِي. وَقُرِئَ {أَوْ آوِيَ} بِالنَّصْبِ عَطْفًا عَلَى {قُوَّةً} كَأَنَّهُ قَالَ: {لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً} أَوْ إِيوَاءً إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ، أَيْ وَأَنْ آوِيَ، فَهُوَ مَنْصُوبٌ بِإِضْمَارِ {أَنْ}. وَمُرَادُ لُوطٍ بِالرُّكْنِ الْعَشِيرَةُ، وَالْمَنَعَةُ بِالْكَثْرَةِ. وَبَلَغَ بِهِمْ قَبِيحُ فِعْلِهِمْ إِلَى قَوْلِهِ هَذَا مَعَ عِلْمِهِمْ".

مع علمه.

"مع علمه بِمَا عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى، فَيُرْوَى أَنَّ الْمَلَائِكَةَ وَجِدَتْ عَلَيْهِ حِينَ قَالَ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ، وَقَالُوا: إِنَّ رُكْنَكَ لَشَدِيدٌ. وَفِي الْبُخَارِيِّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: «يَرْحَمُ اللَّهُ لُوطًا، لَقَدْ كَانَ يَأْوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ» الْحَدِيثَ، وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي "الْبَقَرَةِ". وَخَرَّجَهُ التِّرْمِذِيُّ، وَزَادَ «مَا بَعَثَ اللَّهُ بَعْدَهُ نَبِيًّا إِلَّا فِي ثَرْوَةٍ مِنْ قَوْمِهِ».

الحديث كما في الصحيح، «نحن أحق بالشك من إبراهيم، ويرحم الله لوطًا، لقد كان يأوي إلى ركن شديد، ولو لبثت في السجن ما لبث يوسف لأجبت الداعي»، يقول- عليه الصلاة والسلام- من باب التواضع والهضم لنفسه يقول: «نحن أحق بالشك من إبراهيم»؛ لأن من يسمع محاورة إبراهيم مع الشمس والقمر، الكوكب، يتبادر إلى ذهنه أنه كان في أول الأمر في شك، وأراد النبي -عليه الصلاة والسلام- أن ينفي هذا الشك، فقال: «نحن أحق بالشك من إبراهيم»، وهذا من باب التواضع وهضم النفس، والمبالغة في نفي هذا الشك.

يعني كما تقول: النور هنا أقوى من نور الشمس، نقول: ليس أقوى من الشمس، لكن تريد أن تثبت أن هذا نور قوي، فمن باب دفع ما قد يتبادر إلى الذهن من وقوعه -عليه السلام- في الشك، نفى النبي- عليه الصلاة والسلام- الشك عنه بطريق المبالغة، وهو أني وأنتم لا تشكون في أني لا أشك في ربي، أنا أولى بالشك من إبراهيم.

«ويرحم الله لوطًا، لقد كان يأوي إلى ركن شديد» هو الله -سبحانه وتعالى-، «ولو لبثت في السجن ما لبث يوسف لأجبت الداعي»، يوسف لبث في السجن سبع سنين، فلما جاءه الرسول قال: {ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ} [يوسف: ٥٠]، يعني شخص يمكث في السجن مظلومًا سبع سنين، ثم يُستدعى فيقول: {ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ} [يوسف: ٥٠]؟! يخرج مباشرة. وهذا أيضًا في مقام الثناء على يوسف- عليه السلام-، الذي لم تقع منه زلة رغم تعرضه لهذه المحنة، ولذا لم يذكر الله- سبحانه وتعالى- أنه تعب، هذا دليل على أنه لم يحصل منه شيء، وأما قول: {وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ} [يوسف: ٥٣] فهذا القول إنما قول امرأة العزيز، وليس من قوله- عليه السلام-

.

المقصود أن النبي -عليه الصلاة والسلام- أراد أن يرفع من شأن هؤلاء، وأن لا يتطاول الناس عليهم، وكتب التفسير في سورة يوسف فيها ما يلاحظ، لاسيما ما يروى عن كتب المتقدمة عن هذا الكتاب، أن يوسف -عليه السلام- حصل منه كذا أو كذا، وأنه فعل وترك، لا يصح من هذا شيء ألبتة، فلم تقع منه زلة ولا هفوة في هذا الباب، بدليل أنه لم يتب، ولم يذكر الله -سبحانه وتعالى- عنه أنه تاب، ولو وقعت منه زلة لنقلت توبته، كما نقلت عن غيره من الأنبياء، كأدم وغيره.

"قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو: وَالثَّرْوَةُ الْكَثْرَةُ وَالْمَنَعَةُ، حَدِيثٌ حَسَنٌ. وَيُرْوَى أَنَّ لُوطًا -عَلَيْهِ السَّلَامُ- لَمَّا غَلَبَهُ قَوْمُهُ، وَهَمُّوا بِكَسْرِ الْبَابِ وَهُوَ يُمْسِكُهُ، قَالَتْ لَهُ الرُّسُلُ: تَنَحَّ عَنِ الْبَابِ، فَتَنَحَّى وَانْفَتَحَ الْبَابُ، فَضَرَبَهُمْ جِبْرِيلُ بِجَنَاحِهِ فَطَمَسَ أَعْيُنَهُمْ، وَعَمُوا وَانْصَرَفُوا عَلَى أَعْقَابِهِمْ يَقُولُونَ: النَّجَاءَ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ} [القمر: ٣٧].

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَأَهْلُ التَّفْسِيرِ: أَغْلَقَ لُوطٌ بَابَهُ، وَالْمَلَائِكَةُ مَعَهُ فِي الدَّارِ، وَهُوَ يُنَاظِرُ قَوْمَهُ وَيُنَاشِدُهُمْ مِنْ وَرَاءِ الْبَابِ، وَهُمْ يُعَالِجُونَ تَسَوُّرَ الْجِدَارِ، فَلَمَّا رَأَتِ الْمَلَائِكَةُ مَا لَقِيَ مِنَ الْجَهْدِ وَالْكَرْبِ وَالنَّصَبِ بِسَبَبِهِمْ، قَالُوا: يَا لُوطُ إِنَّ رُكْنَكَ لَشَدِيدٌ، وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ، وَإِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ، فَافْتَحِ الْبَابَ وَدَعْنَا وَإِيَّاهُمْ، فَفَتَحَ الْبَابَ فَضَرَبَهُمْ جِبْرِيلُ بِجَنَاحِهِ عَلَى مَا تَقَدَّمَ. وَقِيلَ: أَخَذَ جِبْرِيلُ قَبْضَةً مِنْ تُرَابٍ فَأَذْرَاهَا فِي وُجُوهِهِمْ، فَأَوْصَلَ اللَّهُ إِلَى عَيْنِ مَنْ بَعُدَ وَمَنْ قَرُبَ مِنْ ذَلِكَ التُّرَابَ فَطَمَسَ أَعْيُنَهُمْ، فَلَمْ يَعْرِفُوا طَرِيقًا، وَلَا اهْتَدَوْا إِلَى بُيُوتِهِمْ، وَجَعَلُوا يَقُولُونَ: النَّجَاءَ النَّجَاءَ! فَإِنَّ فِي بَيْتِ لُوطٍ قَوْمًا هُمْ أَسْحَرُ مَنْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ، وَقَدْ سَحَرُونَا فَأَعْمَوْا أَبْصَارَنَا. وَجَعَلُوا يَقُولُونَ: يَا لُوطُ كَمَا أَنْتَ حَتَّى نُصْبِحَ فَسَتَرَى، يَتَوَعَّدُونَهُ. قَالَ تَعَالَى: {قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ} [هود: ٨١] لَمَّا رَأَتِ الْمَلَائِكَةُ حُزْنَهُ وَاضْطِرَابَهُ وَمُدَافَعَتَهُ عَرَّفُوهُ بِأَنْفُسِهِمْ، فَلَمَّا عَلِمَ أَنَّهُمْ رُسُلٌ مَكَّنَ قَوْمَهُ مِنَ الدُّخُولِ، فَأَمَرَّ جِبْرِيلُ -عَلَيْهِ السَّلَامُ- يَدَهُ عَلَى أَعْيُنِهِمْ فَعَمُوا، وَعَلَى أَيْدِيهِمْ فَجَفَّتْ. {لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ} [هود: ٨١] أَيْ بِمَكْرُوهٍ {فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ} [هود: ٨١] قُرِئَ "فَاسْرِ"

بِوَصْلِ الْأَلِفِ وَقَطْعِهَا، لُغَتَانِ فَصِيحَتَانِ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ} [الفجر: ٤] وَقَالَ: {سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى} [الإسراء: ١] وَقَالَ النَّابِغَةُ: فَجَمَعَ بَيْنَ اللُّغَتَيْنِ:

أَسْرَتْ عَلَيْهِ مِنَ الْجَوْزَاءِ سَارِيَةٌ تُزْجِي الشَّمَالَ عَلَيْهِ جَامِدَ الْبَرَدِ

وَقَالَ الْآخَرُ:

حَيِّ النَّضِيرَةَ رَبَّةَ الْخِدْرِ أَسْرَتْ إِلَيْكَ وَلَمْ تَكُنْ تَسْرِي

وَقَدْ قِيلَ: {فَأَسْرِ} بِالْقَطْعِ إِذَا سَارَ مِنْ أَوَّلِ اللَّيْلِ، وَسَرَى إِذَا سَارَ مِنْ آخِرِهِ".

كما يقال: أدلج والدلجة، سار وأسرى مثل أدلج والدلجة، إذا سرى من أول الليل، وأسر من أخره، وأدلج في أخر الليل، والدلجة في أوله.

"وَلَا يُقَالُ فِي النَّهَارِ إِلَّا سَارَ. وَقَالَ لَبِيدٌ:

إِذَا الْمَرْءُ أَسْرَى لَيْلَةً ظَنَّ أَنَّهُ قَضَى عَمَلًا وَالْمَرْءُ مَا عَاشَ عَامِلُ

وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ:

عِنْدَ الصَّبَاحِ يَحْمَدُ الْقَوْمُ السُّرَى وَتَنْجَلِي عَنْهُمْ غَيَابَاتُ الْكَرَى

{بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ} [هود: ٨١] قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: بِطَائِفَةٍ مِنَ اللَّيْلِ. الضَّحَّاكُ: بِبَقِيَّةٍ مِنَ اللَّيْلِ قَتَادَةُ: بَعْدَ مُضِيِّ صَدْرٍ مِنَ اللَّيْلِ. الْأَخْفَشُ: بَعْدَ جُنْحٍ مِنَ اللَّيْلِ. ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ: بِسَاعَةٍ مِنَ اللَّيْلِ. وَقِيلَ: بِظُلْمَةٍ مِنَ اللَّيْلِ. وَقِيلَ: بَعْدَ هَدْءٍ مِنَ اللَّيْلِ. وَقِيلَ: هَزِيعٌ مِنَ اللَّيْلِ. وَكُلُّهَا مُتَقَارِبَةٌ، وَقِيلَ: إِنَّهُ نِصْفُ اللَّيْلِ، مَأْخُوذٌ مِنْ قَطَعَهُ نِصْفَيْنِ، وَمِنْهُ قَوْلُ الشَّاعِرِ:

وَنَائِحَةٌ تَنُوحُ بِقِطْعِ لَيْلٍ عَلَى رَجُلٍ بِقَارِعَةِ الصَّعِيدِ

فَإِنْ قِيلَ: السُّرَى لَا يَكُونُ إِلَّا بِاللَّيْلِ، فَمَا مَعْنَى بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ؟ فَالْجَوَابُ: أَنَّهُ لَوْ لَمْ يَقُلْ: بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ جَازَ أَنْ يَكُونَ أَوَّلَهُ {وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ} [هود: ٨١] أَيْ لَا يَنْظُرُ وَرَاءَهُ مِنْكُمْ أَحَدٌ، قَالَهُ مُجَاهِدٌ. وقال ابْنُ عَبَّاسٍ: لَا يَتَخَلَّفُ مِنْكُمْ أَحَدٌ . وقال عَلِيُّ بْنُ عِيسَى: لَا يَشْتَغِلُ مِنْكُمْ أَحَدٌ بِمَا يُخَلِّفُهُ مِنْ مَالٍ أَوْ مَتَاعٍ".

{وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ} [هود: ٨١] يوصون، أو يوصون من سرى مشى بالليل أن لا يكثر الالتفات، لأنه إذا أكثر الالتفات استخف، واستتبع، أخذًا من هذه الآية، فليكن همه من أمامه لا ما وراءه، أي لا ينظر أحد منكم أحدًا وراءه، قال ابن عباس: لا يتخلف منكم أحد، يعني من المسلمين من قوم لوط، وقال علي بن عيسى: لا تلتفتوا إلى ما وراءكم، وما خلفتموه من أموال وأقارب خير مؤمين ولا مسلمين.

"{إِلَّا امْرَأَتَكَ} [هود: ٨١] بِالنَّصْبِ، وَهِيَ الْقِرَاءَةُ الْوَاضِحَةُ الْبَيِّنَةُ الْمَعْنَى، أَيْ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ إِلَّا امْرَأَتَكَ. وَكَذَا فِي قِرَاءَةِ ابْنِ مَسْعُودٍ".

وليس معناه لا يلتفت منك من أحد إلا امرأتك، {وَلا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتَكَ} [هود: ٨١]، تجيء أم ما تجيء؟ فكلهم مأمورون بعدم الالتفات إلا المرأة، أو الاستثناء من الإسراء بالأهل، أسر بأهلك إلا امرأتك؟ يعني أتركها معهم؛ لأنه يصيبها ما أصابهم.

"وَكَذَا فِي قِرَاءَةِ ابْنِ مَسْعُودٍ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ إِلَّا امْرَأَتَكَ فَهُوَ اسْتِثْنَاءٌ مِنَ الْأَهْلِ. وَعَلَى هَذَا لَمْ يَخْرُجْ بِهَا مَعَهُ. وَقَدْ قَالَ اللَّهُ -عَزَّ وَجَلَّ- {كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ} [العنكبوت: ٣٢] أَيْ مِنَ الْبَاقِينَ".

من الغابرين من الباقين، فغبر بمعنى بقي، بخلاف عبر، عبر يعني مضى، وغبر يعني بقي، ولذا يقولون في كتاب الذهبي العبر في خبر من أيش؟ من عبر، من عبر، أما غبر فليس بصحيح.

"وَقَرَأَ أَبُو عَمْرٍو وَابْنُ كَثِيرٍ "إِلَّا امْرَأَتُكَ" بِالرَّفْعِ عَلَى الْبَدَلِ مِنْ أَحَدٍ. وَأَنْكَرَ هَذِهِ الْقِرَاءَةَ جَمَاعَةٌ مِنْهُمْ أَبُو عُبَيْدٍ ، وَقَالَ: لَا يَصِحُّ ذَلِكَ إِلَّا بِرَفْعِ "يَلْتَفِتْ" وَيَكُونُ نَعْتًا؛ لِأَنَّ الْمَعْنَى يَصِيرُ -إِذَا أُبْدِلَتْ وَجُزِمَتْ- أَنَّ الْمَرْأَةَ أُبِيحَ لَهَا الِالْتِفَاتُ، وَلَيْسَ الْمَعْنَى كَذَلِكَ.

قَالَ النَّحَّاسُ: وَهَذَا الْحَمْلُ مِنْ أَبِي عُبَيْدٍ وَغَيْرِهِ عَلَى مِثْلِ أَبِي عَمْرٍو مَعَ جَلَالَتِهِ وَمَحَلِّهِ مِنَ الْعَرَبِيَّةِ لَا يَجِبُ أَنْ يَكُونَ، وَالرَّفْعُ عَلَى الْبَدَلِ لَهُ مَعْنًى صَحِيحٌ، وَالتَّأْوِيلُ لَهُ عَلَى مَا حَكَى مُحَمَّدُ بْنُ الْوَلِيدِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ يَزِيدَ أَنْ يَقُولَ الرَّجُلَ لِحَاجِبِهِ: لَا يَخْرُجْ فُلَانٌ، فَلَفْظُ النَّهْيِ لِفُلَانٍ وَمَعْنَاهُ لِلْمُخَاطَبِ، أَيْ لَا تَدَعْهُ يَخْرُجُ، وَمِثْلُهُ قَوْلُكَ: لَا يَقُمْ أَحَدٌ إِلَّا زَيْدٌ، يَكُونُ مَعْنَاهُ: انْهَهُمْ عَنِ الْقِيَامِ إِلَّا زَيْدًا، وَكَذَلِكَ النَّهْيُ لِلُوطٍ وَلَفْظُهُ لِغَيْرِهِ، كَأَنَّهُ قَالَ: انْهَهُمْ لَا يَلْتَفِتْ مِنْهُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتَكَ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ اسْتِثْنَاءً مِنَ النَّهْيِ عَنِ الِالْتِفَاتِ؛ لِأَنَّهُ كَلَامٌ تَامٌّ، أَيْ لَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتَكَ فَإِنَّهَا تَلْتَفِتُ وَتَهْلَكُ، وَأَنَّ لُوطًا خَرَجَ بِهَا، وَنَهَى مَنْ مَعَهُ مِمَّنْ أَسْرَى بِهِمْ أَلَّا يَلْتَفِتَ، فَلَمْ يَلْتَفِتْ مِنْهُمْ أَحَدٌ سِوَى زَوْجَتِهِ، فَإِنَّهَا لَمَّا سَمِعَتْ هَدَّةَ الْعَذَابِ الْتَفَتَتْ وَقَالَتْ: وَاقَوْمَاهُ! فَأَدْرَكَهَا حَجَرٌ فَقَتَلَهَا .

{إِنَّهُ مُصِيبُهَا} [هود:٨١] أَيْ مِنَ الْعَذَابِ، وَالْكِنَايَةُ فِي {إِنَّهُ}".

أدركها العذاب معهم؛ لأنها كافرة مثلهم، {ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا} [التحريم: ١٠]، نسأل الله العافية مع امرأة نوح.

"وَالْكِنَايَةُ فِي {إِنَّهُ}".

يعني الضمير، الكناية يعني الضمير.

"تَرْجِعُ إِلَى الْأَمْرِ وَالشَّأْنِ، أَيْ فَإِنَّ الْأَمْرَ وَالشَّأْنَ وَالْقِصَّةَ {مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ} [هود:٨١] لَمَّا قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ: "إِنَّا مُهْلِكُو أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ" قَالَ لُوطٌ: الْآنَ الْآنَ. اسْتَعْجَلَهُمْ بِالْعَذَابِ لِغَيْظِهِ عَلَى قَوْمِهِ، فَقَالُوا: {أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ} [هود:٨١]، وَقَرَأَ عِيسَى بْنُ عُمَرَ "أَلَيْسَ الصُّبُحُ" بِضَمِّ الْبَاءِ وَهِيَ لُغَةٌ. وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ جَعَلَ الصُّبْحَ مِيقَاتًا لِهَلَاكِهِمْ؛ لِأَنَّ النُّفُوسَ فِيهِ أَوْدَعُ، وَالنَّاسَ فِيهِ أَجْمَعُ.

قَالَ بَعْضُ أَهْلِ التَّفْسِيرِ: إِنَّ لُوطًا خَرَجَ بِابْنَتَيْهِ لَيْسَ مَعَهُ غَيْرُهُمَا عِنْدَ طُلُوعِ الْفَجْرِ، وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ قَالَتْ لَهُ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ وَكَّلَ بِهَذِهِ الْقَرْيَةِ مَلَائِكَةً مَعَهُمْ صَوْتُ رَعْدٍ، وَخَطْفُ بَرْقٍ، وَصَوَاعِقُ عَظِيمَةٌ، وَقَدْ ذَكَرْنَا لَهُمْ أَنَّ لُوطًا سَيَخْرُجُ فَلَا تُؤْذُوهُ، وَأَمَارَتُهُ أَنَّهُ لَا يَلْتَفِتُ، وَلَا تَلْتَفِتُ ابْنَتَاهُ فَلَا يَهُولَنَّكَ مَا تَرَى. فَخَرَجَ لُوطٌ وَطَوَى اللَّهُ لَهُ الْأَرْضَ فِي وَقْتِهِ حَتَّى نَجَا وَوَصَلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: {فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا} [هود:٨٢] أَيْ عَذَابُنَا {جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا} [هود:٨٢]، وَذَلِكَ أَنَّ جِبْرِيلَ -عَلَيْهِ السَّلَامُ- أَدْخَلَ جَنَاحَهُ تَحْتَ قُرَى قَوْمِ لُوطٍ، وَهِيَ خَمْسٌ: سَدُومُ وَهِيَ الْقَرْيَةُ الْعُظْمَى، وَعَامُورَا، وَدَادُومَا، وضعوه، وَقَتَمُ، فَرَفَعَهَا مِنْ تُخُومِ الْأَرْضِ حَتَّى أَدْنَاهَا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا فِيهَا، حَتَّى سَمِعَ أَهْلُ السَّمَاءِ نَهِيقَ حُمُرِهِمْ وَصِيَاحَ دِيَكَتِهِمْ، لَمْ تَنْكَفِئْ لَهُمْ جَرَّةٌ، وَلَمْ يَنْكَسِرْ لَهُمْ إِنَاءٌ، ثُمَّ نُكِسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ، وَأَتْبَعَهُمُ اللَّهُ بِالْحِجَارَةِ. قال مُقَاتِلٌ: أُهْلِكَتْ أَرْبَعَةٌ، وَنَجَتْ ضعوه. وَقِيلَ: غَيْرُ هَذَا، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ} [هود:٨٢]، دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ مَنْ فَعَلَ فِعْلَهُمْ حُكْمُهُ الرَّجْمُ، وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي "الْأَعْرَافِ". وَفِي التَّفْسِيرِ: أُمْطَرْنَا فِي الْعَذَابِ، وَمُطِرْنَا فِي الرَّحْمَةِ. وَأَمَّا كَلَامُ الْعَرَبِ فَيُقَالُ: مَطَرَتِ السَّمَاءُ وَأَمْطَرَتْ، حَكَاهُ الْهَرَوِيُّ".

يعني الثلاثي والرباعي معناهما واحد، مطر وأمطر كله في الرحمة، وإن قال بعضهم: إن الثلاثي في الرحمة، والرباعي في العذاب عكس مد وأمد، فأمد بالخير ومد بالشر.

"وَاخْتُلِفَ فِي "السِّجِّيلِ" فَقَالَ النَّحَّاسُ: السِّجِّيلُ الشَّدِيدُ الْكَثِيرُ، وَسِجِّيلٌ وَسِجِّينٌ اللَّامُ وَالنُّونُ أُخْتَانِ. وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: السِّجِّيلُ الشَّدِيدُ، وَأَنْشَدَ:

ضَرْبًا تَوَاصَى بِهِ الْأَبْطَالُ سِجِّينًا

قَالَ النَّحَّاسُ: وَرَدَّ عَلَيْهِ هَذَا الْقَوْلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُسْلِمٍ وَقَالَ: هَذَا سِجِّينٌ وَذَلِكَ سِجِّيلٌ، فَكَيْفَ يُسْتَشْهَدُ بِهِ؟!".

أبو عبيدة معروف معمر المثنى، وعبد الله بن مسلم من هو؟ رد عليه هذا القول عبد الله بن مسلم.

ابن قتيبة ما اسمه؟

طالب:.....

الدينوري.

قَالَ النَّحَّاسُ: وَهَذَا الرَّدُّ لَا يَلْزَمُ؛ لِأَنَّ أَبَا عُبَيْدَةَ ذَهَبَ إِلَى أَنَّ اللَّامَ تُبْدَلُ مِنَ النُّونِ؛ لِقُرْبِ إِحْدَاهُمَا مِنَ الْأُخْرَى، وَقَوْلُ أَبِي عُبَيْدَةَ يُرَدُّ مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى، وَهِيَ أَنَّهُ لَوْ كَانَ عَلَى قَوْلِهِ لَكَانَ حِجَارَةً سِجِّيلًا؛ لِأَنَّهُ لَا يُقَالُ: حِجَارَةٌ مِنْ شَدِيدٍ؛ لِأَنَّ شَدِيدًا نَعْتٌ. وَحَكَى أَبُو عُبَيْدَةَ عَنِ الْفَرَّاءِ أَنَّهُ قَدْ يُقَالُ لِحِجَارَةِ الْأَرْحَاءِ: سِجِّيلٌ. وَحَكَى عَنْهُ مُحَمَّدُ بْنُ الْجَهْمِ أَنَّ سِجِّيلًا

طِينٌ يُطْبَخُ حَتَّى يَصِيرَ بِمَنْزِلَةِ الْأَرْحَاءِ. وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمُ ابْنُ عَبَّاسٍ وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ وَابْنُ إِسْحَاقَ: إِنَّ سِجِّيلًا لَفْظَةٌ غَيْرُ عَرَبِيَّةٍ عُرِّبَتْ، أَصْلُهَا سنج وجيل. وَيُقَالُ: سنك وكيل، بِالْكَافِ مَوْضِعَ الْجِيمِ، وَهُمَا بِالْفَارِسِيَّةِ حَجَرٌ وَطِينٌ عَرَّبَتْهُمَا الْعَرَبُ فَجَعَلَتْهُمَا اسْمًا وَاحِدًا. وَقِيلَ: هُوَ مِنْ لُغَةِ الْعَرَبِ.

وَقَالَ قَتَادَةُ وَعِكْرِمَةُ: السِّجِّيلُ الطِّينُ بِدَلِيلِ قَوْلِهِ: {لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ} [الذاريات: ٣٣]. وَقَالَ الْحَسَنُ: كَانَ أَصْلُ الْحِجَارَةِ طِينًا فَشُدِّدَتْ. وَالسِّجِّيلُ عِنْدَ الْعَرَبِ كُلُّ شَدِيدٍ صُلْبٍ. وَقَالَ الضَّحَّاكُ: يَعْنِي الْآجُرّ. وَقَالَ ابْنُ زَيْدٍ: طِينٌ طُبِخَ حَتَّى كَانَ كَالْآجُرِّ، وَعَنْهُ أَنَّ سِجِّيلًا اسْمُ السَّمَاءِ الدُّنْيَا، ذَكَرَهُ الْمَهْدَوِيُّ ، وَحَكَاهُ الثَّعْلَبِيُّ عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ، وَقَالَ ابْنُ عَطِيَّةَ: وَهَذَا ضَعِيفٌ يَرُدُّهُ وَصْفُهُ "بِمَنْضُودٍ". وَعَنْ عِكْرِمَةَ: أَنَّهُ بَحْرٌ مُعَلَّقٌ فِي الْهَوَاءِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ مِنْهُ نَزَلَتِ الْحِجَارَةُ. وَقِيلَ: هِيَ جِبَالٌ فِي السَّمَاءِ، وَهِيَ الَّتِي أَشَارَ اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْهَا بِقَوْلِهِ : {وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ} [النور: ٤٣]. وَقِيلَ: هُوَ مِمَّا سُجِّلَ لَهُمْ أَيْ كُتِبَ لَهُمْ أَنْ يُصِيبَهُمْ، فَهُوَ فِي مَعْنَى سِجِّينٍ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ كِتَابٌ مَرْقُومٌ} [المطففين: ٨-٩]، قَالَهُ الزَّجَّاجُ وَاخْتَارَهُ.

وَقِيلَ: هُوَ فِعِّيلٌ مِنْ أَسْجَلْتُهُ أَيْ أَرْسَلْتُهُ، فَكَأَنَّهَا مُرْسَلَةٌ عَلَيْهِمْ. وَقِيلَ: هُوَ مِنْ أَسْجَلْتُهُ إِذَا أَعْطَيْتُهُ، فَكَأَنَّهُ عَذَابٌ أُعْطُوهُ، قَالَ:

مَنْ يُسَاجِلْنِي يُسَاجِلْ مَاجِدًا يَمْلَأُ الدَّلْوَ إِلَى عَقْدِ الْكَرَبِ

وَقَالَ أَهْلُ الْمَعَانِي: السِّجِّيلُ وَالسِّجِّينُ الشَّدِيدُ مِنَ الْحَجَرِ وَالضَّرْبِ، قَالَ ابْنُ مُقْبِلٍ:

وَرَجْلَةٍ يَضْرِبُونَ الْبَيْضَ ضَاحِيَةً ضَرْبًا تَوَاصَى بِهِ الْأَبْطَالُ سِجِّينَا

{مَنْضُودٍ} [هود: ٨٢] قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: مُتَتَابِعٌ. وَقَالَ قَتَادَةُ: نُضِدَ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ. وَقَالَ الرَّبِيعُ: نُضِدَ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ حَتَّى صَارَ جَسَدًا وَاحِدًا. وَقَالَ عِكْرِمَةُ: مَصْفُوفٌ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ مَرْصُوصٌ، وَالْمَعْنَى مُتَقَارِبٌ. يُقَالُ: نَضَدْتُ الْمَتَاعَ وَاللَّبَنَ إِذَا جَعَلْتَ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ، فَهُوَ مَنْضُودٌ وَنَضِيدٌ وَنَضَدٌ، قَالَ:

وَرَفَّعْتُهُ إِلَى السِّجْفَيْنِ فَالنَّضَدِ

وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ الْهُذَلِيُّ:

مُعَدٌّ، أَيْ هُوَ مِمَّا أَعَدَّهُ اللَّهُ لِأَعْدَائِهِ الظَّلَمَةِ. {مُسَوَّمَةً} [هود: ٨٣] أَيْ مُعَلَّمَةً، مِنَ السِّيمَا وَهِيَ الْعَلَامَةُ، أَيْ كَانَ عَلَيْهَا أَمْثَالُ الْخَوَاتِيمِ. وَقِيلَ: مَكْتُوبٌ عَلَى كُلِّ حَجَرٍ اسْمُ مَنْ رُمِيَ بِهِ، وَكَانَتْ لَا تُشَاكِلُ حِجَارَةَ الْأَرْضِ.

وَقَالَ الْفَرَّاءُ: زَعَمُوا أَنَّهَا كَانَتْ مُخَطَّطَةً بِحُمْرَةٍ وَسَوَادٍ فِي بَيَاضٍ، فَذَلِكَ تَسْوِيمُهَا. وَقَالَ كَعْبٌ: كَانَتْ مُعَلَّمَةً بِبَيَاضٍ وَحُمْرَةٍ، قَالَ الشَّاعِرُ:

غُلَامٌ رَمَاهُ اللَّهُ بِالْحُسْنِ يَافِعًا لَهُ سِيمِيَاءُ لَا تَشُقُّ عَلَى الْبَصَرْ

وَ {مُسَوَّمَةً} مِنْ نَعْتِ حِجَارَةٍ. وَ {مَنْضُودٍ} مِنْ نَعْتِ سِجِّيلٍ. وَفِي قَوْلِهِ: {عِنْدَ رَبِّكَ} [هود: ٨٣] دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهَا لَيْسَتْ مِنْ حِجَارَةِ الْأَرْضِ، قَالَهُ الْحَسَنُ. {وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ} [هود: ٨٣] يَعْنِي قَوْمَ لُوطٍ؛ أَيْ لَمْ تَكُنْ تُخْطِئُهُمْ. وَقَالَ مُجَاهِدٌ: يُرْهِبُ قُرَيْشًا ، الْمَعْنَى: مَا الْحِجَارَةُ مِنْ ظَالِمِي قَوْمِكَ يَا مُحَمَّدُ بِبَعِيدٍ".

هذا فيه تخويف لمن جاء بعدهم؛ لأن هم مضوا، ووقعت بهم العقوبة، وحلت بهم المثلات، لكن العبرة لمن جاء بعدهم، لمن يتمرد على الأنبياء، والدعاة والمصلحين ويعارضهم، ويصد عن دين الله، ويرتكب المنكرات، ويسهل لارتكاب المنكرات، كل هذا ينطبق عليه قوله: {وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ} [هود: ٨٣]، هذا ترهيب لمن يعمل مثل هذه الأعمال، أو يعين ويساعد على وجود مثل هذه الأعمال، نسأل الله العافية.

"وَقَالَ قَتَادَةُ وَعِكْرِمَةُ: يَعْنِي ظَالِمِي هَذِهِ الْأُمَّةِ، وَاللَّهِ مَا أَجَارَ اللَّهُ مِنْهَا ظَالِمًا بَعْدُ. رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَنَّهُ قَالَ: سَيَكُونُ فِي آخِرِ أُمَّتِي قَوْمٌ يَكْتَفِي رِجَالُهُمْ بِالرِّجَالِ، وَنِسَاؤُهُمْ بِالنِّسَاءِ، فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ فَارْتَقِبُوا عَذَابَ قَوْمِ لُوطٍ أَنْ يُرْسِلَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ، ثُمَّ تَلَا رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: {وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ} [هود: ٨٣].

وَفِي رِوَايَةٍ عَنْهُ -عَلَيْهِ السَّلَامُ -: «لَا تَذْهَبُ اللَّيَالِي وَالْأَيَّامُ حَتَّى تَسْتَحِلَّ هَذِهِ الْأُمَّةُ أَدْبَارَ الرِّجَالِ كَمَا اسْتَحَلُّوا أَدْبَارَ النِّسَاءِ، فَتُصِيبُ طَوَائِفَ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ حِجَارَةٌ مِنْ رَبِّكَ». وَقِيلَ: الْمَعْنَى مَا هَذِهِ الْقُرَى مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ، وَهِيَ بَيْنَ الشَّامِ وَالْمَدِينَةِ وَجَاءَ {بِبَعِيدٍ} مُذَكَّرًا عَلَى مَعْنَى بِمَكَانٍ بَعِيدٍ. وَفِي الْحِجَارَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ قَوْلَانِ: أَحَدُهُمَا أَنَّهَا أُمْطِرَتْ عَلَى الْمُدُنِ حِينَ رَفَعَهَا جِبْرِيلُ. الثَّانِي: أَنَّهَا أُمْطِرَتْ عَلَى مَنْ لَمْ يَكُنْ فِي الْمُدُنِ مِنْ أَهْلِهَا، وَكَانَ خَارِجًا عَنْهَا.

أما من كان في المدن فإنهم لما رفعوا إلى السماء، ثم نُكسوا كفاهم هذا، وعلى القول الأول أنهم أتبعوا هذه الحجارة بعد أن نُكسوا إلى الأرض، والله أعلم.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير القرطبي

سورة هود

معالي الشيخ الدكتور

عبد الكريم بن عبد الله الخضير

عضو هيئة كبار العلماء

وعضو اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

تاريخ المحاضرة:	١٤٣١/١١/١٨هـ	المكان:	

نعم.

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

قال الإمام القرطبي -رحمه الله تعالى-:

"قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا} [الأعراف: ٨٥] أَيْ وَأَرْسَلْنَا إِلَى مَدْيَنَ، وَمَدْيَنُ هُمْ قَوْمُ شُعَيْبٍ. وَفِي تَسْمِيَتِهِمْ بِذَلِكَ قَوْلَانِ: أَحَدُهُمَا: أَنَّهُمْ بَنُو مَدْيَنَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، فَقِيلَ: مَدْيَنُ وَالْمُرَادُ بَنُو مَدْيَنَ. كَمَا يُقَالُ: مُضَرُ وَالْمُرَادُ بَنُو مُضَرَ. والثَّانِي: أَنَّهُ اسْمُ مَدِينَتِهِمْ، فَنُسِبُوا إِلَيْهَا. قَالَ النَّحَّاسُ: لَا يَنْصَرِفُ مَدْيَنُ؛ لِأَنَّهُ اسْمُ مَدِينَةٍ، وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي "الْأَعْرَافِ" هَذَا الْمَعْنَى وَزِيَادَةٌ.{قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ} [الأعراف: ٨٥] تَقَدَّمَ {وَلا تَنقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ} [هود: ٨٥] كَانُوا مَعَ كُفْرِهِمْ أَهْلَ بَخْسٍ وَتَطْفِيفٍ، كَانُوا إِذَا جَاءَهُمُ الْبَائِعُ بِالطَّعَامِ أَخَذُوا بِكَيْلٍ زَائِدٍ، وَاسْتَوْفَوْا بِغَايَةِ مَا يَقْدِرُونَ عَلَيْهِ وَظَلَمُوا، وَإِنْ جَاءَهُمْ مُشْتَرٍ لِلطَّعَامِ بَاعُوهُ بِكَيْلٍ نَاقِصٍ، وَشَحُّوا لَهُ بِغَايَةِ مَا يَقْدِرُونَ، فَأُمِرُوا بِالْإِيمَانِ إِقْلَاعًا عَنِ الشِّرْكِ، وَبِالْوَفَاءِ نَهْيًا عَنِ التَّطْفِيفِ. إِنِّي أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ أَيْ فِي سَعَةٍ مِنَ الرِّزْقِ، وَكَثْرَةٍ مِنَ النِّعَمِ. وَقَالَ الْحَسَنُ: كَانَ سِعْرُهُمْ رَخِيصًا".

مدين {وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا} [الأعراف: ٨٥] مثل ما ذكر المؤلف -رحمه الله-، قال عامة المفسرين: المراد بمدين أنهم بنوا مدين، أو نسبةٍ مدينتهم، والمدينة إنما سميت بهم، المدينة إنما سميت بهم، أخاهم شعيبًا أحد الأنبياء والرسل من المتقدمين، والخلاف جاء من بين أهل العلم في كونه صاحب موسى أو غيره. موسى {وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ} [القصص: ٢٣]، لما ورد ماء مدين وجد من دونهم امرأتين تزودان، أبو هاتين المرأتين هل هو شعيب المذكور معنا، أو غيره؟ وهل اسمه شعيب أو لا؟ صهر موسى الذي زوج موسى -عليه السلام- ما اسمه؟

طالب:.....

قيل: شعيب، لكن هل هو شعيب صاحب مدين الذي معنا في القصة، الذي يقول: {وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ} [هود: ٨٩]؟ بين لوط وموسى -عليه السلام- مفاوز، بينهم مفاوز من حيث التاريخ، ولذا يرى أكثر العلم أنه غيره، ومنهم من يرى أنه هو، والمتقدمون لطول أعمارهم يمكن أن يدرك المتأخر المتقدم، لكن الأكثر على أن شعيبًا غير صاحب مدين، الذي هو صهر موسى -عليه السلام-.

قوم مدين أمة من الأمم اشتهرت مع كفرها بمعصية من المعاصي، وغلبت عليها، وهنا اشتهر قوم مدين بالتطفيف بالكيل، وبخس الموازين، فمَن شَرَكهم في هذا الوصف استحق هذه العقوبة، فليكن المسلم على حذر، وذكروا من صور التطفيف عدم الوفاء بما التزم به الإنسان، مما يأخذ

عليه الأجر، فالموظف الذي يأخذ الأجرة كاملة على قدر من الزمان ولا يوفي بهذا القدر مطفف، ذكروا هذا من الصور، فليخشَ الإنسان ويتقي الله تعالى، ولاسيما طلبة العلم من التطفيف.

قد يطفف في بيته، وعلى أقرب الناس إليه، يعني في حقوقهم الواجبة، أما المستحبات فأمرها سهل. المقصود أن هذه المسألة تحتاج إلى مزيد عناية، وأن تكون على بال الإنسان؛ لأنهم استحقوا هذه العقوبة إضافة إلى كفرهم بالله -سبحانه وتعالى-، وتكذيبهم نبيهم، بتطفيفهم.

طالب:.....

نعم.

طالب:.....

نعم يمكن أن يكون لزوجته عليه شيء ولا يوفيها إياه، وكذا لأولاده ولا يوفيهم.

كانوا مع كفرهم أهل بخس وتطفيف، كانوا إذا جاءهم بائع بالطعام أخذوا بكيل زائد، وهذا شائع في أسواق المسلمين، تجد إذا اشتغل له رجح في الميزان، وزاد في الكيل، وإذا باع {وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ} [المطففين: ٣]، وإذا وجد جزار يربط كفة الميزان بأصبعه، بأصبع رجله، إذا وضع قطعة من اللحم سحب هذا الحبل فرجحت، تفنن، يعني ما يكفيه أن يغش الزبون، فيعطيه الرديء، لا، يطفف ويبخس، وهذا للأسف الشديد موجود وظاهر في أسواق المسلمين، نسأل الله العافية، وهذا لبعدهم عن المنهج السوي، والله المستعان.

فأمروا بالإيمان إقلاعًا عن الشرك، {اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ} [الأعراف: ٥٩]، كما أمروا بالوفاء والتمام في البيع والشراء نهيًا عن التطفيف، تنقص المكيال والميزان، فنهوا عن النقص.

"{وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ} [هود: ٨٤] وَصَفَ الْيَوْمَ بِالْإِحَاطَةِ، وَأَرَادَ وَصْفَ ذَلِكَ الْيَوْمِ بِالْإِحَاطَةِ بِهِمْ، فَإِنَّ يَوْمَ الْعَذَابِ إِذَا أَحَاطَ بِهِمْ فَقَدْ أَحَاطَ الْعَذَابُ بِهِمْ".

يعني كل شيء جاء وقته فقد حان مجيئه، كل شيء جاء وقته، الوقت ظرف، الوقت ظرف والمراد ما فيه من خير أو شر، فإذا جاء هذا الظرف جاء بما فيه، إذا جاء يوم عرفة فمعناه بالنسبة للحاج ما يُفعل فيه، بالنسبة للمقيم أيضًا ما يفعل فيه من العبادات، وإلا فالأربع والعشرون ساعة يوم عرفة، هي الأربع وعشرون ساعة في يوم ثانٍ ما فيه فرق، إنما المقصود ما يفعل في هذا اليوم، وهكذا.

وَهُوَ كَقَوْلِكَ: يَوْمٌ شَدِيدٌ، أَيْ شَدِيدٌ حَرُّهُ. وَاخْتُلِفَ فِي ذَلِكَ الْعَذَابِ، فَقِيلَ: هُوَ عَذَابُ النَّارِ فِي الْآخِرَةِ. وَقِيلَ: عَذَابُ الِاسْتِئْصَالِ فِي الدُّنْيَا. وَقِيلَ: غَلَاءُ السِّعْرِ، رُوِيَ مَعْنَاهُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ. وَفِي الْحَدِيثِ عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:- «مَا أَظْهَرَ قَوْمٌ الْبَخْسَ فِي الْمِكْيَالِ وَالْمِيزَانِ إِلَّا ابْتَلَاهُمُ اللَّهُ بِالْقَحْطِ وَالْغَلَاءِ». وَقَدْ تَقَدَّمَ.

في حديثٍ أطول من هذا السياق لابن ماجه وغيره، وهو حسن، وهو مناسب أيضًا معناه صحيح، وإن قدح به بعضهم: ما ظهرت الفاحشة في قول، وما ظهر الربا، ما أظهر قوم، أو «ما أظهر

قوم البخس في المكيال والميزان، إلا ابتلاهم الله بالقحط والغلاء»، معاملة لهم بنقيض قصدهم، أرادوا من البخس في المكيال والميزان توفير المال، فيبتليهم الله -سبحانه وتعالى- بالقحط والغلاء الذي يسحق هذه الأموال، ويقضي عليها، التي عصوا الله -سبحانه وتعالى- بها، وما عند الله لا ينال بسخطه، كما جاء في الخبر، ولا يحملنكم استعجال الرزق على أن تطلبوه بسخط الله، فإن ما عند الله لا ينال بسخط.

طالب:.....

ماذا؟

طالب:.....

الإعلان عن المعاصي مؤذن بخطر عظيم أيًّا كانت هذه المعاصي، محاربة لله علنًا، لكن إذا كان الذنب خفية خصص صاحبه بالعقوبة، فإذا أعلن عنها من غير نكير ابتلي الناس كلهم بالعقوبة؛ **{واتقوا فتنة لا تصيب الذين ظلموا منكم خاصة}** ، وفي آية الأعراف: **{فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ}** [الأعراف: ١٦٥]؛ لأنهم انقسموا فرقًا، منهم العصاة الذين ظلموا ومنهم الذين ينهونهم عن السوء، ومنهم قوم سكتوا، قال قوم: سكتوا فسكت عنهم، فالذين ظلموا أخذوا بعذاب بئيس، والذين نهوهم عن السوء نجوا، بقي الذين يرونهم على المعصية ويسكتون، قيل سكت عنهم، والقول الآخر وهو وجيه أنهم من الذين ظلموا؛ لأن ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ظلم، فاستحقوا العذاب، كالمزاول للمعصية، فيعمهم العقاب، والشواهد تدل على ذلك.

فالمعصية إذا فعلت من غير نكير عمت العقوبة الصالح والطالح، والله المستعان.

قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ} [هود: ٨٥] أَمَرَ بِالْإِيفَاءِ بَعْدَ أَنْ نَهَى عَنِ التَّطْفِيفِ تَأْكِيدًا. وَالْإِيفَاءُ الْإِتْمَامُ. بِالْقِسْطِ أَيْ بِالْعَدْلِ وَالْحَقِّ، وَالْمَقْصُودُ أَنْ يَصِلَ كُلُّ ذِي نَصِيبٍ إِلَى نَصِيبِهِ، وَلَيْسَ يُرِيدُ إِيفَاءَ الْمِكْيَالِ وَالْمَوْزُونِ لِأَنَّهُ لَمْ يَقُلْ: أَوْفُوا بِالْمِكْيَالِ وَبِالْمِيزَانِ، بَلْ أَرَادَ أَلَّا تُنْقِصُوا حَجْمَ الْمِكْيَالِ عَنِ الْمَعْهُودِ، وَكَذَا الصَّنَجَاتِ.

ليس المراد بالأمر {أَوْفُوا الْمِكْيَالَ} [هود: ٨٥] أن يزيدوا في الكيل والوزن عن القدر المطلوب، إنما المقصود العدل والقسط، لا تظلمون ولا تظلمون، نعم من زاد فهو فضل يستحق عليه الأجر، لكنه لا يؤمر بالزيادة، {أَوْفُوا الْمِكْيَالَ} [هود: ٨٥] ما قال: أوفوا بالمكيال وبالميزان، فهو أمرٌ بالقسط وأمرٌ بالعدل ليصل الحق إلى صاحبه. ويراد بذلك أن لا ينقص حجم المكيال المعهود، ولا العيار المعهود الذي يوضع في الميزان؛ لأن الكيلو مثلاً ألف جرام، لكن لو صنع واحد وزوَّر كيلو تسعمائة جرام، أو وضع صاعًا بدلًا من أن يأخذ قدرًا معينًا وضع أقل منه، وإذا رآه الناس يرجح في الميزان ويزيد الكيلو، يزيد في الكيل، لكنه باخس، باخس، وباخس بخفية. مثل الذي يتصرف في الدراهم والدنانير على ما سيأتي، فهل يستحق الذي يصنع الصاع

الصغير، ويزعم أنه وافٍ، من الخارج حجمه مثل الصاع العادي، لكن في وسطه أشياء، هل يستحق مثل هذا القطع، باعتبار أنه يسرق المال بخفية، أو لا يستحق؟

الدراهم والدنانير -على ما سيأتي- الذي يسرقها، يقص منها مثل هذا جاء القطع فيه عن عمر وغيره، على ما سيأتي، فالذي يزور كيلو تسعمائة جرام بدلًا من ألف لا شك أنه في حكم السارق، خائن، وإذا زور الصاع فبدلاً من أن يكون الصاع كيلوجرامين وزيادة ربع أو نصف إلى ثلاثة كما قال بعضهم، جعله كيلوجرامين إلا، ثم يزيد أيضًا؛ ليكسب خاطر الزبون، ولا يشكك، أو يجعل الكيلو تسعمائة جرام ويزيده عشرين جرامًا، ثلاثين جرامًا ، لا شك أن هذه خيانة، هذا هو التطفيف بعينه، ما يلزم أن يكون الصاع صاع الناس، ثم ما يأخذ ماله، انتبه له الزبون، يعني إذا كانت هذة خيانة فهي مكشوفة، ينتبه لها الزبون، لكن الإشكال الخيانة التي لا يمكن كشفها، ولذا كانت عقوبة السرقة، وهي أخذ المال الخفية، أشد من عقوبة النهبة مثلاً.

طالب:.....

نعم؟

طالب:.....

الورع ترك هذه الزيادة لا شك، لكن الناس تعارفوا أن هؤلاء العمال مسموح لهم من قبل أرباب المال، لكن الورع تركه أو سؤالهم: هل يسمح رب المال؟

"{وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ} [هود: ٨٥] أَيْ لَا تُنْقِصُوهُمْ مِمَّا اسْتَحَقُّوهُ شَيْئًا.{وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ} [هود: ٨٥] بَيَّنَ أَنَّ الْخِيَانَةَ فِي الْمِكْيَالِ وَالْمِيزَانِ مُبَالَغَةٌ فِي الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ، وَقَدْ مَضَى فِي "الْأَعْرَافِ" زِيَادَةٌ لِهَذَا، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ قَوْلُهُ تَعَالَى: {بَقِيَّةُ اللَّهِ خَيْرٌ لَكُمْ} [هود: ٨٦] أَيْ مَا يُبْقِيهِ اللَّهُ لَكُمْ".

مثل الخيانة في المكيال والميزان الخيانة في سائر المعاصي، الخيانة في الأعراض فساد في الأرض، الخيانة في الأموال في أي صورة كانت فساد في الأرض، والعاصي مفسد، العاصي عمومًا مفسد في الأرض، وبقدر معصيته وجرمه يكون أيضًا حجم فساده في الأرض.

"قَوْلُهُ تَعَالَى: {بَقِيَّةُ اللَّهِ خَيْرٌ لَكُمْ} [هود: ٨٦] أَيْ مَا يُبْقِيهِ اللَّهُ لَكُمْ بَعْدَ إِيفَاءِ الْحُقُوقِ بِالْقِسْطِ أَكْثَرُ بَرَكَةً، وَأَحْمَدُ عَاقِبَةً مِمَّا تُبْقُونَهُ أَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ فَضْلِ التَّطْفِيفِ بِالتَّجَبُّرِ وَالظُّلْمِ، قَالَ مَعْنَاهُ الطَّبَرِيُّ، وَغَيْرُهُ".

نعم {بَقِيَّةُ اللَّهِ خَيْرٌ لَكُمْ} [هود: ٨٦]، الربح اليسير إذا كان مباركًا أفضل بكثير من الربح الكثير إذا محقت بركته؛ لأن المال مهما كانت كثرته إذا كان غير مبارك، لا شك أنه لا يلبث أن يفنى، بينما المال القليل المبارك يبقى لصاحبه، وينتفع به صاحبه، على كافة وجوه الانتفاع والشواهد والأحوال والواقع يشهد بذلك، تجد الموظف الصغير يعيش عيشة طيبة، وإن كانت عائلته كبيرة،

بينما موظف كبير يطفف في دوامه، وفي تعامله مع الناس مثل هذا لن يبارك له، دائمًا محتاج، ويوجد في بعض الدوائر الحكومية الفراش يقرض المدير، يقسط عليه ويدينه، في كثير من هذا.

والعقوبات تأتي صور، لها صور، وأعرف شخصًا توفي -رحمه الله تعالى- من أهل العلم والخير والفضل، ولديه مرتب كبير، يعني يكفي عوائل، عائلته صغيرة جدًّا، ويستدين كل سنة قدر خمسمائة ألف، يقول: البركة إذا نزلت وحلت يكون الشيء القليل بسببها كثيرًا، ومثل البركة في العمل، البركة في العمر، كثير من الناس يستنكر إذا قيل: فلان يختم القرآن كل يوم، يقول: أبدًا ما هو بصحيح، فلان يصلي مائة ركعة باليوم، هذا فاضٍ، بدل ما تحاسب، وتقول: غير صحيح تحسبه تجد، فجربه تجد، لكن يقول هذا الذي ما جرب.

الإمام أحمد يصلي ثلاثمائة ركعة، يقول واحد من طلبة العلم" المبالغات ما لها لازمة، هو ما جرب، الإمام أحمد يصلي ثلاثمائة ركعة، عثمان -رضي الله عنه- ثبت عنه أنه يقرأ القرآن بليلة، بركعة، هذا ما يشك فيه أحد، يعني ثابت عن عثمان، لكن الذي ما جرب كل شيء ثقيل عليه، العمر إذا بارك الله فيه فحدث ولا حرج، من الخير والفضل المتعدي واللازم، يعني إذا كان يوجد بين الناس اليوم من يختم القرآن، ويزور المستشفيات، ويزور المقابر، وعنده دروس، ويصل رحمه، ويؤدي عمله على الوجه المطلوب، نتصور مثل هذا؟ كثير من الناس يقول: هذا غير معقول؛ لأنه اعتاد أن يصلي العصر، ولا يدخل إلا الساعة اثنين يذهب للاستراحة أو شيء، ما عمل شيئًا، كل وقته هذا هباء منثور، الإنسان إذا صلى الفرائض فبها ونعمت، كم أمضى هذا من ساعة، أضاع نصف اليوم، لكن هناك فائدة؟

يعني إن وجد شيء فخفيف، لكن الذين يضبطون أنفسهم وأوقاتهم يجدون، وجرب تجد، اجلس وافتح القرآن أو افتح كتابًا تجد البركة، أما واحد ليس بجالس يقول: أين البركة؟ والله المستعان.

"وَقَالَ مُجَاهِدٌ: {بَقِيَّةُ اللَّهِ خَيْرٌ لَكُمْ}[هود: ٨٦] يُرِيدُ طَاعَتَهُ. وَقَالَ الرَّبِيعُ: وَصِيَّةُ اللَّهِ. وَقَالَ الْفَرَّاءُ: مُرَاقَبَةُ اللَّهِ. وقال ابْنُ زَيْدٍ: رَحْمَةُ اللَّهِ. وقال قَتَادَةُ وَالْحَسَنُ: حَظُّكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ. وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: رِزْقُ اللَّهِ خَيْرٌ لَكُمْ. {إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} [هود: ٨٦] شَرَطَ هَذَا؛ لِأَنَّهُمْ إِنَّمَا يَعْرِفُونَ صِحَّةَ هَذَا إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ".

لكن الذي ليس بمؤمن، الذي لا يؤمن بالله تستطيع أن تقول له: بقية الله خير لك؟! ما يفيد، لكن المؤمن الحق بالله -سبحانه وتعالى- إذا ذكِّر بمثل هذا الكلام تذكر.

"وَقِيلَ: يَحْتَمِلُ أَنَّهُمْ كَانُوا يَعْتَرِفُونَ بِأَنَّ اللَّهَ خَالِقُهُمْ فَخَاطَبَهُمْ بِهَذَا {وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ} [هود: ٨٦] أَيْ رَقِيبٍ أَرْقُبُكُمْ عِنْدَ كَيْلِكُمْ وَوَزْنِكُمْ، أَيْ لَا يُمْكِنُنِي شُهُودُ كُلِّ مُعَامَلَةٍ تَصْدُرُ مِنْكُمْ حَتَّى أُؤَاخِذُكُمْ بِإِيفَاءِ الْحَقِّ. وَقِيلَ: أَيْ لَا يَتَهَيَّأُ لِي أَنْ أَحْفَظَكُمْ مِنْ إِزَالَةِ نِعَمِ اللَّهِ عَلَيْكُمْ بِمَعَاصِيكُمْ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: {قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَوَاتُكَ} [هود: ٨٧] وَقُرِئَ: {أَصَلَاتُكَ}، مِنْ غَيْرِ جَمْعٍ. {تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا} [هود: ٨٧] أَنْ فِي مَوْضِعِ نَصْبٍ، قَالَ الْكِسَائِيُّ: مَوْضِعُهَا خَفْضٌ عَلَى إِضْمَارِ الْبَاءِ".

أي تأمرك بأن نترك، تأمرك بأن نترك.

"وَرُوِيَ أَنَّ شُعَيْبًا- عَلَيْهِ السَّلَامُ- كَانَ كَثِيرَ الصَّلَاةِ، مُوَاظِبًا عَلَى الْعِبَادَةِ فَرْضِهَا وَنَفْلِهَا وَيَقُولُ: الصَّلَاةُ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ، فَلَمَّا أَمَرَهُمْ وَنَهَاهُمْ عَيَّرُوهُ بِمَا رَأَوْهُ يَسْتَمِرُّ عَلَيْهِ مِنْ كَثْرَةِ الصَّلَاةِ، وَاسْتَهْزَءُوا بِهِ فَقَالُوا مَا أَخْبَرَ اللَّهُ عَنْهُمْ. وَقِيلَ: إِنَّ الصَّلَاةَ هُنَا بِمَعْنَى الْقِرَاءَةِ، قَالَهُ سُفْيَانُ عَنِ الْأَعْمَشِ، أَيْ قِرَاءَتُكَ تَأْمُرُكَ، وَدَلَّ بِهَذَا عَلَى أَنَّهُمْ كَانُوا كُفَّارًا. وَقَالَ الْحَسَنُ: لَمْ يَبْعَثِ اللَّهُ نَبِيًّا إِلَّا فَرَضَ عَلَيْهِ الصَّلَاةَ وَالزَّكَاةَ".

الصلاة هنا بمعنى القرأة، كما جاء بتسمية الفاتحة في الحديث الصحيح الصلاة «قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين» المراد الفاتحة، كان -عليه السلام- مواظبًا على العبادة، فرضها ونفلها، هو نبي رسول، ما يستغرب، ويقول لهم: {الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ} [العنكبوت: ٤٥]، نعم جاء في شرعنا ما يدل على ذلك. لكن قد يقول قائل: الناس كلهم يصلون الآن والحمد لله، كلهم يصلون، والفواحش والمنكرات على أشدها، {إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ} [العنكبوت: ٤٥]، لكن ما المراد بالصلاة، الصلاة التي تؤدى على الوجه المشروع، يعني شروطها وأركانها وسننها وأدبها، خالصةً لله -عز وجل-، فإذا أديت على الوجه المشروع ترتبت عليها آثارها، فنهت عن الفحشاء والمنكر.

ولذا يقول شيخ الإسلام- رحمه الله-، قد يقول قائل في حديث: «الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان مكفرات»، إذا كُفرت الصلوات الخمس فماذا يبقى للجمعة؟ ماذا يبقى لرمضان؟ يمكن أن يصلي الصلوات الخمس، ويصلي الجمعة، ويصوم رمضان، ولا يُكفر من ذنوبه شيء؛ لأن المراد بالصلاة التي تُكفر، ورمضان الذي يُكفر، والجمعة التي تُكفر الصلوات المقبولة، التي ترتبت عليها آثارها، وثبت أجرها، وليس المقصود به الصلاة المسقطة للطلب، الذي لا يؤمر صاحبها بعادتها، فالشخص الذي ينصرف من صلاته ليس له إلا عشرها، هذه تكفر من ذنوبه شيئًا؟

إن كفرت نفسها فبركة، إن أسقطت الطلب فنعمة، فضلاً عن كونها يترتب عليها آثار الحسنات الماحية.

فلما أمرهم ونهاهم عيروه بأنه يستمر على كثرة الصلاة، واستهزءوا به، ولكل قومٍ وارث، يوجد الآن من بين المسلمين من يعير بالصلاة، من يعير بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهذا كثير، هذا واقع، قوم صلوا، شركة صلوا، هذا موجود بين أبناء المسلمين، من المؤسف أنه يوجد من كبار السن، قد يوجد من عجائز، من عجائز يوجد.

مرة كنا طالعين من منتجع، منتجع الرياض هذا الذي عند الحائر هناك، أخذنا وجنبنا من أهل البلد من عجائز وطبول وأغانٍ وما أدري أيش، راح واحد ينبههم، وأول ما بدأ العجائز، يا قوم صلوا، يا شركات صلوا، اتركونا نحن طالعون، أمر خطير يعني، يعني هذا الذي يقول هذا الكلام ما يصلي، نجزم أنه يصلي، لكن ما الصلاة التي على هذا واقع المسلم؟ أين يصلي؟ هل مثل هذه الصلاة تكفر الذنوب، أو تنهي عن الفحشاء والمنكر؟

فلا يستشكل كون الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، كون الصلاة مكفرات والذنوب تزيد، ومع ذلك فضل الله واسع، والمسلم يرجى له الخير إن لم يرتكب ما يخرجه عن دينه، والله المستعان.

طالب:.....

هذا هو الاستهزاء بعينه، إن لم ترجع فهي على خطر عظيم.

"{أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ} [هود: ٨٧] زَعَمَ الْفَرَّاءُ أَنَّ التَّقْدِيرَ: أَوْ تَنْهَانَا أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ. وَقَرَأَ السُّلَمِيُّ وَالضَّحَّاكُ بْنُ قَيْسٍ " أَوْ أَنْ تَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا تَشَاءُ" بِالتَّاءِ فِي الْفِعْلَيْنِ، وَالْمَعْنَى: مَا تَشَاءُ أَنْتَ يَا شُعَيْبُ. وَقَالَ النَّحَّاسُ:" أَوْ أَنْ" عَلَى هَذِهِ الْقِرَاءَةِ مَعْطُوفَةٌ عَلَى "أَنْ" الْأُولَى. وَرُوِيَ عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ أَنَّهُ قَالَ: كَانَ مِمَّا نَهَاهُمْ عَنْهُ حَذْفُ الدَّرَاهِمِ. وَقِيلَ: مَعْنَى. {أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ} [هود: ٨٧] إِذَا تَرَاضَيْنَا فِيمَا بَيْنَنَا بِالْبَخْسِ فَلِمَ تَمْنَعَنَا مِنْهُ؟ !".

مثل الذي يقول: أنا حر، تنهاه عن المنكر، يقول: أنا حر، كلام مطابق أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء، نحن أحرار بأموالنا، أحرار بأنفسنا، لا، لست بحر، أنت عبد، ولست بحر، شئت أم أبيت، عبد لله إن أطعته وأمتثلت أوامره واجتنبت نواهيه، وأسير للشهوة ولشياطين الإنس والجن، يعني لا مفر من العبودية أبدًا، يقول: إذا تراضينا فيما بيننا بالبخس فلمَ تمنعنا منه؟ بعض الناس يقول: أبدًا، الرضا سيد الأحكام، إذا رضوا خلاص، يرضون بالظلم، يرضون بالغش، يرضون بالربا، يعني ما هو مبرر، الرضا شرط لصحة العقد، لكن ليس هو كل الشروط.

"{إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ}[هود: ٨٧] يَعْنُونَ عِنْدَ نَفْسِكَ بِزَعْمِكَ. وَمِثْلُهُ فِي صِفَةِ أَبِي جَهْلٍ: {ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ} [الدخان: ٤٩]".

يعني تبكيت، تبكيت له، جيء له بطعام يقول لقومه: تزقموا، يستهزئ، يسخر، فإذا قيل له: {ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ} [الدخان: ٤٩]، هذا الزقوم، أسلوب تبكيت، هناك ينكشف الغطاء، ويعرف ما الذي تحته، فرسًا أم حمارًا، يرى الحقيقة والواقع، المسألة كلام، هو لا يؤمن بهذا الكلام يقول ما يشاء، والله المستعان.

"أَيْ عِنْدَ نَفْسِكَ بِزَعْمِكَ. وَقِيلَ: قَالُوهُ عَلَى وَجْهِ الِاسْتِهْزَاءِ وَالسُّخْرِيَةِ، قَالَهُ قَتَادَةُ. وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ لِلْحَبَشِيِّ: أَبُو الْبَيْضَاءِ، وَلِلْأَبْيَضِ أَبُو الْجَوْنِ".

يعني أبو السوداء، يعني من باب الاستهزاء، يقولون للأسود: خذ يا أبا البيضاء، هات يا أبا البيضاء، هذه السخرية، وللأبيض أبا الجون، يعني أبا السوداء، ولا نظن أن الأبيض هو المقبول في كل بلد وفي كل سكن، عيروا الأبيض في بعض الجهات، عيروه، عيروه بالجون، صحيح، عادات الناس وأعرافهم وما ألفوه وشاهدوه لها دور في تسيير الذوق، الله المستعان.

"وَمِنْهُ قَوْلُ خَزَنَةِ جَهَنَّمَ لِأَبِي جَهْلٍ: {ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ} [الدخان: ٤٩]. وَقَالَ سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ: الْعَرَبُ تَصِفُ الشَّيْءَ بِضِدِّهِ لِلتَّطَيُّرِ وَالتَّفَاؤُلِ، كَمَا قِيلَ لِلَّدِيغِ سَلِيمٌ، وَلِلْفَلَاةِ مَفَازَةٌ. وَقِيلَ: هُوَ تَعْرِيضٌ أَرَادُوا بِهِ السَّبَّ، وَأَحْسَنُ مِنْ هَذَا كُلِّهِ، وَيَدُلُّ مَا قَبْلَهُ عَلَى صِحَّتِهِ، أَيْ إِنَّكَ أَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ حَقًّا".

نعم تكون هذه أوصافه، هو حليم رشيد حقًّا، كما أن الرسول -عليه الصلاة والسلام- أمين، حليم، وكريم، حتى عند الأعداء يشهدون لذلك، ويشهدون لشعيب بأنه الحليم الرشيد حقًّا، لكن يقولون: أين حلمك؟ أين رشدك وأنت تأمر هذه الأوامر؟

"فَكَيْفَ تَأْمُرُنَا أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا! وَيَدُلُّ عَلَيْهِ. {أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا} [هود: ٨٧] أَنْكَرُوا لَمَّا رَأَوْا مِنْ كَثْرَةِ صَلَاتِهِ وَعِبَادَتِهِ، وَأَنَّهُ حَلِيمٌ رَشِيدٌ بِأَنْ يَكُونَ يَأْمُرُهُمْ بِتَرْكِ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُهُمْ، وَبَعْدَهُ أَيْضًا مَا يَدُلُّ عَلَيْهِ.

{قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا} [هود: ٨٨] أَيْ أَفَلَا أَنْهَاكُمْ عَنِ الضَّلَالِ؟! وَهَذَا كُلُّهُ يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُمْ قَالُوهُ: عَلَى وَجْهِ الْحَقِيقَةِ، وَأَنَّهُ اعْتِقَادُهُمْ فِيهِ. وَيُشْبِهُ هَذَا الْمَعْنَى قَوْلُ الْيَهُودِ مِنْ بَنِي قُرَيْظَةَ لِلنَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- حِينَ قَالَ لَهُمْ: (يَا إِخْوَةَ الْقِرَدَةِ) فَقَالُوا: يَا مُحَمَّدُ٨ مَا عَلِمْنَاكَ جَهُولًا!".

ليس من قوله -عليه الصلاة والسلام-، وإنما هو من قول المسلمين لهم، على ما تقدم، الجزء السادس، يقولون: يا محمد ما علمانك جهولاً، يعني لو تسمع شخصًا تلفظ بألفاظ ليست من ألفاظه، وإن كانت في نفسها حقًّا، لكن ما اعتاد الناس أن يسمعوا منه مثل هذا الكلام، فهي بالنسبة له جهل، يسمى جهلًا، إذا خاض في بعض ما يخوض فيه من دونه في العلم والعقل والرشد، وكلمات مبتذلة وإن كانت في حقهم صدقًا، لكن مثل هذا يكون بالنسبة لهذا الرجل جهلًا، على ما يقال: حسنات الأبرار سيئات المقربين، يعني بعض الناس بركة إذا حضر الصلاة وأدرك منها ما أدرك، لو ما أدرك إلا التشهد، وبعض الناس إذا فاته ركعة تلومه، وبعض الناس لو تجده في طرف الصف تلومه، فهم متفاوتون.

"مَسْأَلَةٌ: قَالَ أَهْلُ التَّفْسِيرِ: كَانَ مِمَّا يَنْهَاهُمْ عَنْهُ، وَعُذِّبُوا لِأَجْلِهِ قَطْعُ الدَّنَانِيرِ وَالدَّرَاهِمِ، كَانُوا يَقْرِضُونَ مِنْ أَطْرَافِ الصِّحَاحِ لِتَفْضُلَ لَهُمُ الْقِرَاضَةُ، وَكَانُوا يَتَعَامَلُونَ عَلَى الصِّحَاحِ عَدًّا، وَعَلَى الْمَقْرُوضَةِ وَزْنًا".

ما يأخذون إلا وزنًا؛ لأنها ناقصة، والصحيح يأخذونه عدًّا.

"وَكَانُوا يَبْخَسُونَ فِي الْوَزْنِ. وَقَالَ ابْنُ وَهْبٍ: قَالَ مَالِكٌ: كَانُوا يَكْسِرُونَ الدَّنَانِيرَ وَالدَّرَاهِمَ، وَكَذَلِكَ قَالَ جَمَاعَةٌ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ الْمُتَقَدِّمِينَ؛ كَسَعِيدِ بْنِ الْمُسَيِّبِ، وَزَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، وَغَيْرِهِمَا، وَكَسْرُهُمَا ذَنْبٌ عَظِيمٌ. وَفِي كِتَابِ أَبِي دَاوُدَ عَنْ عَلْقَمَةَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: «نَهَى رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَنْ تُكْسَرَ سَكَّةُ الْمُسْلِمِينَ الْجَائِزَةُ بَيْنَهُمْ إِلَّا مِنْ بَأْسٍ»".

هذا مخرج في سنن أبو داود وابن ماجه، لكنه ضعيف، إسناده ضعيف، في إسناده شخص مقل من الرواية، اسمه محمد بن فضاء، وأبوه فضاء أيضًا مجهول، لا يدرى من هو، المقصود أن السند ضعيف.

"فَإِنَّهَا إِذَا كَانَتْ صِحَاحًا قَامَ مَعْنَاهَا، وَظَهَرَتْ فَائِدَتُهَا".

إلا من بأس هذه نهاية الخبر.

"وَإِذَا كُسِرَتْ صَارَتْ سِلْعَةً، وَبَطَلَتْ مِنْهَا الْفَائِدَةُ، فَأَضَرَّ ذَلِكَ بِالنَّاسِ، وَلِذَلِكَ حُرِم".

حَرُمَ.

"ولذلك حَرُمَ".

يعني صار حرامًا أو حرم لا بأس.

"وَقَدْ قِيلَ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: {وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ وَلا يُصْلِحُونَ} [النمل: ٤٨] أَنَّهُمْ كَانُوا يَكْسِرُونَ الدَّرَاهِمَ، قَالَهُ زَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ".

إذا كان كسر الدراهم والبخس منها بهذه المثابة، فكيف بتزويرها، تزويرها أشد، هذا الذي يسبب الاضطراب في أسواق الناس، وعدم الثقة بعملاتهم، والدراهم والدنانير يعني لها وجود؛ لأنها قيم، سواء كانت مصكوكة أو غير مصكوكة، يعني الدرهم والدينار إذا انكسر ما يضيع، لكن مثل هذه القراطيس إذا تخلخلت أو زورت فما لها قيمة إطلاقًا، لا قيمة لها إطلاقًا، يعني الخمسمائة إذا عرف أنها مزورة لا تساوي أربعمائة، وثلاثمائة وخمسين، إنما الدينار إذا انكسر منه شيء ينقص من قيمته الشيء يسير. وهذا يبين قيمة هذه الدنيا، وهذه الحياة، يعني ورقة زرقاء وأخرى مثلها مطابقة لها من كل وجه، هذه لها قيمة، وهذه لا قيمة لها، يبين لك أن الدنيا كلها هباء، لا تستحق شيئًا، التي تسير الناس هذه الأوراق توجد بينهما الإحن والحزازات والبغضاء والتقاطع، بل القتل يوجد بينهم من أجل هذه التي هي في الحقيقة لا شيء.

نعم إنما وجدت لتسيير هذه الحياة، فالحياة لا تسير من دونها، لابد من الاحتياج إلى ما بيد الغير، ولا يمكن الوصول إليه إلا بهذه، فلا تقوم الحياة إلا به، لكن إذا عرفنا حقيقة الحال هانت علينا الدنيا بأسرها، فالتاجر الكبير الذي يملك المليارات، وهو حجوب عن الأكل، ما يأكل، يعني عنده مليارات لو يأكل كل يوم مليونًا ما انتهت، وتجده ما يأكل إلا نصف خبزة قيمتها قرش، وقطعة جبنة حافة مثل ذلك، وله أرصده يمكن أن يموت وما شافها ولا يدري أين هي، فما قيمة

هذه الدنيا؟ لكن إن استعملها في طاعة الله فنعم المال الصالح للرجل الصالح، إن حبسها ومنع الواجب فيها فالويل له، وإن كسبها من غير وجهها فيا بُئسه، ويا ويله، والله المستعان.

طالب:.....

نعم.

طالب:.....

نعم.

طالب:.....

على هذا الدرس؟ كلام على الناس بالباطل. الله المستعان.

طالب:.....

هو الذي فعلها أولاً؟

طالب:.....

نعم، الله المستعان.

"قَالَ أَبُو عُمَرَ بْنُ عَبْدِ الْبَرّ: زَعَمُوا أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ بِالْمَدِينَةِ أَعْلَمَ بِتَأْوِيلِ الْقُرْآنِ مِنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ بَعْدَ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ الْقُرَظِيّ.

مَسْأَلَةٌ: قَالَ أَصْبَغُ قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ الْقَاسِمِ بْنِ خَالِدِ بْنِ جُنَادَةَ مَوْلَى زَيْدِ بْنِ الْحَارِثِ الْعُتَقِيّ"..

الأولى مرفوعة والبقية مجرورات.

"مَنْ كَسَرَهَا لَمْ تُقْبَلْ شَهَادَتُهُ، وَإِنِ اعْتَذَرَ بِالْجَهَالَةِ لَمْ يُعْذَرْ، وَلَيْسَ هَذَا بِمَوْضِعِ عُذْرٍ، قَالَ ابْنُ الْعَرَبِيّ: أَمَّا قَوْلُهُ: لَمْ تُقْبَلْ شَهَادَتُهُ فَلِأَنَّهُ أَتَى كَبِيرَةً، وَالْكَبَائِرُ تُسْقِطُ الْعَدَالَةَ دُونَ الصَّغَائِرِ، وَأَمَّا قَوْلُهُ: لَا يُقْبَلُ عُذْرُهُ بِالْجَهَالَةِ فِي هَذَا فَلِأَنَّهُ أَمْرٌ بَيِّنٌ لَا يَخْفَى عَلَى أَحَدٍ، وَإِنَّمَا يُقْبَلُ الْعُذْرُ إِذَا ظَهَرَ الصِّدْقُ فِيهِ، أَوْ خَفِيَ وَجْهُ الصِّدْقِ فِيهِ، وَكَانَ اللَّهُ أَعْلَمَ بِهِ مِنَ الْعَبْدِ كَمَا قَالَ مَالِكٌ.

مَسْأَلَةٌ: إِذَا كَانَ هَذَا مَعْصِيَةً وَفَسَادًا تُرَدُّ بِهِ الشَّهَادَةُ فَإِنَّهُ يُعَاقَبُ مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ، وَمَرَّ ابْنُ الْمُسَيِّبِ بِرَجُلٍ قَدْ جُلِدَ فَقَالَ: مَا هَذَا؟ قَالَ رَجُلٌ: يَقْطَعُ الدَّنَانِيرَ وَالدَّرَاهِمَ، قَالَ ابْنُ الْمُسَيِّبِ: هَذَا مِنَ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ، وَلَمْ يُنْكِرْ جَلْدَهُ، وَنَحْوُهُ عَنْ سُفْيَانَ.

وَقَالَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ النَّجِيبِيُّ: كُنْتُ قَاعِدًا عِنْدَ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ وَهُوَ إِذْ ذَاكَ أَمِيرُ الْمَدِينَةِ فَأُتِيَ بِرَجُلٍ يَقْطَعُ الدَّرَاهِمَ وَقَدْ شُهِدَ عَلَيْهِ فَضَرَبَهُ وَحَلَقَهُ، وَأَمَرَ فَطِيفَ بِهِ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَقُولَ: هَذَا جَزَاءُ مَنْ يَقْطَعُ الدَّرَاهِمَ، ثُمَّ أُمِرَ أَنْ يُرَدَّ إِلَيْهِ، فَقَالَ: إِنَّهُ لَمْ يَمْنَعْنِي أَنْ أَقْطَعَ يَدَكَ إِلَّا أَنِّي لَمْ أَكُنْ تَقَدَّمْتُ فِي ذَلِكَ قَبْلَ الْيَوْمِ، وَقَدْ تَقَدَّمْتُ فِي ذَلِكَ، فَمَنْ شَاءَ فَلْيَقْطَعْ".

يعني ما أخبرت من قبل عن حكم هذه المسألة، لكن إن كان يراه حدًّا فالحد لا يلزم العلم به، يكفي أن يعرف الحكم، وأن هذا محرم، ولا يلزم أن يعرف الحد المرتب على هذا الحكم، لو جاء

شخص يقول: سرقت، تعرف أن السرقة حرام؟ يعرف أن السرقة حرام، يقال: تقطع يده، لكن لو قال: ما أعرف أن السرقة محرمة، في مكان يتصور أن يجهل مثله هذا الحكم، فما يقطع، ففرق بين معرفة الحكم، ومعرفة الأثر المترتب على الحكم، والحد المرتب عليه.

طالب:.....

نعم؛ لأنه يقول: ما يمنع أن أقطع يدك إلا أني ما تقدمت في ذلك قبل اليوم، يعني هذا اجتهاده بأنه موجب للقطع؛ لأنه كما اختلفوا في جحد العارية مثلاً، كونه من حرز، أو من غير حرز، كونه خفية، كونه علانية.

طالب:.....

أين؟

طالب:.....

نعم، لا يشك أنه آثم وأنه فعل محرم، انظر كلام ابن العربي.

"قَالَ الْقَاضِي أَبُو بَكْرِ بْنُ الْعَرَبِيّ: أَمَّا أَدَبُهُ بِالسَّوْطِ فَلَا كَلَامَ فِيهِ، وَأَمَّا حَلْقُهُ فَقَدْ فَعَلَهُ عُمَرُ، وَقَدْ كُنْتُ أَيَّامَ الْحُكْمِ بَيْنَ النَّاسِ أَضْرِبُ وَأَحْلِقُ، وَإِنَّمَا كُنْتُ أَفْعَلُ ذَلِكَ بِمَنْ يَرَى شَعْرَهُ عَوْنًا لَهُ عَلَى الْمَعْصِيَةِ، وَطَرِيقًا إِلَى التَّجَمُّلِ بِهِ فِي الْفَسَادِ".

نعم مثل هؤلاء الذين يضايقون النساء، ينبغي أن تشوه أشكالهم، بأي وسيلة، المقصود أن تشوه أشكالهم؛ من أجل أنهم يستعملون هذا الجمال الذي آتاهم الله إياه في معاصي الله، ولذا كانوا يحلقون، كانوا يسودون، وهكذا.

"وَهَذَا هُوَ الْوَاجِبُ فِي كُلِّ طَرِيقٍ لِلْمَعْصِيَةِ أَنْ يُقْطَعَ إِذَا كَانَ غَيْرَ مُؤَثِّرٍ فِي الْبَدَنِ".

إذا كانت معصية سيارة، سيارة فارهة وجميلة تفتن الناس مثلاً؛ لأن الناس فتنتهم المظاهر اليوم، لو جاء عامل وسواق أسرة، لكن معه السيارة الفارهة، ويوقفها يمكن يجد فيها من يركب، فتنة بهذه السيارة، فإذا رأى الإمام ولي الأمر أن مثل هؤلاء لا يرتدعون إلا بمصادرة هذه السيارة فليفعل؛ لأن هذه ما استعملت في طاعة الله، وليس من شكر النعمة أن تستعمل في هذه الأبواب، والله المستعان.

الآن توجد دبابات تسرع، موجودة شديدة تمشي بسرعة، حتى الشرطة ما يمسكونها أبدًا، يعني مثل هذا الذي يورد هذه الدبابة لو اشتراها هل يستحق عقوبة؟ والله يستحق أغلظ العقوبات، يعني هذا التعاون على الإثم والعدوان، ما معنى التعاون؟ فالواحد يمشي بسرعة مائة وأربعين على الدائري، يجيء واحد ثانٍ كأنه لاصق فيه، ويسير ما بينه وبين الردمية إلا القليل، فلو انقطع إطار السيارة قدام الناس، فماذا يصير؟

طالب:.....

لا شك أن هذا هو الإفساد في الأرض، إن لم يكن هذا من أظهر وجود الفساد فلا فساد، هذا الذي يروع الآمنين، ومثله التفحيط وأبوابه، فالسيارات التي بمئات الألوف تستعمل بأيدي هؤلاء السفهاء، هؤلاء الجناة على أنفسهم وعلى غيرهم، هؤلاء مثل قطاع الطريق، يعني ترويع الآمنين هذا هو، تمشي في الطريق، فيأتيك واحد من اليمين، وواحد من اليسار، ما تشعر إلا وهم بوجهك، هذا ترويع الآمنين، ما معنى ترويع الآمنين؟

مثل هؤلاء على ولي الأمر أن يضرب بيدٍ في غاية القوة، يسمونها يدًا من حديد، لكن أين الحديد؟ الله المستعان، ولا يعجزهم مثل هذا أبدًا، ما يعجزهم إذا أرادوه فالأمر سهل، والله المستعان.

"وَأَمَّا قَطْعُ يَدِهِ فَإِنَّمَا أَخَذَ ذَلِكَ عُمَرُ مِنْ فَصْلِ السَّرِقَةِ، وَذَلِكَ أَنَّ قَرْضَ الدَّرَاهِمِ غَيْرُ كَسْرِهَا، فَإِنَّ الْكَسْرَ إِفْسَادُ الْوَصْفِ، وَالْقَرْضَ تَنْقِيصٌ لِلْقَدْرِ، فَهُوَ أَخْذُ مَالٍ عَلَى جِهَةِ الِاخْتِفَاءِ، فَإِنْ قِيلَ: أَلَيْسَ الْحِرْزُ أَصْلًا فِي الْقَطْعِ؟

قُلْنَا: يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ عُمَرُ يَرَى أَنَّ تَهْيِئَتَهَا لِلْفَصْلِ بَيْنَ الْخَلْقِ دِينَارًا أَوْ دِرْهَمًا حِرْزٌ لَهَا، وَحِرْزُ كُلِّ شَيْءٍ عَلَى قَدْرِ حَالِهِ، وَقَدْ أَنْفَذَ ذَلِكَ ابْنُ الزُّبَيْرِ، وَقَطَعَ يَدَ رَجُلٍ فِي قَطْعِ الدَّنَانِيرِ وَالدَّرَاهِمِ وَقَدْ قَالَ عُلَمَاؤُنَا الْمَالِكِيَّةُ: إِنَّ الدَّنَانِيرَ وَالدَّرَاهِمَ خَوَاتِيمُ اللَّهِ عَلَيْهَا اسْمُهُ، وَلَوْ قُطِعَ عَلَى قَوْلِ أَهْلِ التَّأْوِيلِ مَنْ كَسَرَ خَاتَمًا لِلَّهِ كَانَ أَهْلًا لِذَلِكَ، أَوْ مَنْ كَسَرَ خَاتَمَ سُلْطَانٍ عَلَيْهِ اسْمُهُ أُدِّبَ، وَخَاتَمُ اللَّهِ تُقْضَى بِهِ الْحَوَائِجُ فَلَا يَسْتَوِيَانِ فِي الْعُقُوبَةِ. قَالَ ابْنُ الْعَرَبِيِّ: وَأَرَى أَنْ يُقْطَعَ فِي قَرْضِهَا دُونَ كَسْرِهَا، وَقَدْ كُنْتُ أَفْعَلُ ذَلِكَ أَيَّامَ تَوْلِيَتِي الْحُكْمَ، إِلَّا أَنِّي كُنْتُ مَحْفُوفًا بِالْجُهَّالِ، فَلَمْ أَجْبُنْ بِسَبَبِ الْمَقَالِ لِلْحَسَدَةِ الضُّلَّالِ، فَمَنْ قَدَرَ عَلَيْهِ يَوْمًا مِنْ أَهْلِ الْحَقِّ فَلْيَفْعَلْهُ احْتِسَابًا لِلَّهِ تَعَالَى".

ما معنى هذا الكلام؟ لم أجبن.

طالب:.....

لا، هو يقطع، كنت أفعل ذلك أيام توليتي.

طالب:.....

لأني كنت محفوفًا بالجهال، ينتقدونه، جهال ينتقدونه، فلم أجبن يعني هذا الفعل مع وجودهم، ولم ألتفت إلى مقالهم، وإن كانوا حسدة ضلالًا، لكن القطع حقيقةً إن يكن تعذيرًا فإنه محل نظر. مثل الصائغ، صائغ الذهب الذي يعطى المادة المكسرة من الذهب؛ ليصنعها صناعة جديدة، يعطى لا يوزن عليه، لا في البداية ولا في النهاية، ما يقال له: خذ هذا الذهب مائة جرام، ولا يوزن عليه إذا صاغه، كثير منهم قد يبخس؛ لأنه ما فيه ما يثبت أن وزنه مائة، فيأخذ منها عشرة، عشرين، وإذا صيغت ما تدري، يعني شكلها أكثر مما تعطيه إياه.

طالب:.....

من هذا الباب، إلا أن هذا مفسدته خاصة، وذلك مفسدة عامة، الذي يفسد الدارهم والدنانير مفسدته عامة؛ لأنها تتداول من يد ليد، والله المستعان.

طالب:.....

التزوير شأنه عظيم.

طالب:.....

سجن سنة.

طالب:.....

نعم.

طالب:.....

أمور المسلمين مضطربة الآن.

طالب:.....

الله المستعان.

طالب:.....

ما تمشي.

طالب:.....

ما يزور؟

طالب:.....

الحرز معتبر.

طالب:.....

ما يتصور الحرز في المزور.

طالب:.....

من زور شهادة، وصار طبيبًا يعالج الناس بما لا يضرهم.

طالب:.....

ما صار تعزيرًا هذا.

طالب:.....

يعني يمكن المماثلة بالجلد.

طالب:.....

التعزير بالقتل؟

طالب:.....

لا لا.

طالب:.....

"قَوْلُهُ تَعَالَى: {قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي} [هود: ٢٨] تَقَدَّمَ. {وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا} [هود: ٨٨] أَيْ وَاسِعًا حَلَالًا، وَكَانَ شُعَيْبٌ- عَلَيْهِ السَّلَامُ- كَثِيرَ الْمَالِ، قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ وَغَيْرُهُ. وَقِيلَ: أَرَادَ بِهِ الْهُدَى وَالتَّوْفِيقَ وَالْعِلْمَ وَالْمَعْرِفَةَ، وَفِي الْكَلَامِ حَذْفٌ، وَهُوَ مَا ذَكَرْنَاهُ، أَيْ أَفَلَا أَنْهَاكُمْ عَنِ الضَّلَالِ! وَقِيلَ: الْمَعْنَى {أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي} [هود: ٨٨] أَتَّبِعُ الضُّلَّالَ؟

وَقِيلَ: الْمَعْنَى {أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي} [هود: ٨٨]، أَتَأْمُرُونَنِي بِالْعِصْيَانِ فِي الْبَخْسِ وَالتَّطْفِيفِ، وَقَدْ أَغْنَانِي اللَّهُ عَنْهُ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ" فِي مَوْضِعِ نَصْبٍ بِ "أُرِيدُ".

واقع شعيب -عليه السلام- برهان عملي، على أن الرزق سببه الامتثال، نهاهم عن التطفيف، نهاهم عن النقص، ومع ذلك رزقه الله رزقًا حسنًا، فليس التطفيف هو الذي يجلب الرزق، حتى في الواقع، في واقعهم هم، يستدل بهم، أو يستدل عليهم بنفسه، أنا رزقني الله رزقًا حسنًا، ومع ذلك لا أطفف ولا أنقص المكيال ولا الميزان.

"{إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ} [هود: ٨٨] أَيْ لَيْسَ أَنْهَاكُمْ عَنْ شَيْءٍ وَأَرْتَكِبُهُ، كَمَا لَا أَتْرُكُ مَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ".

من أراد أن يقتدى به فلينتهِ عما ينهى عنه، وليأتمر بما يأمر به، ما يأمر الناس بشيء ولا يفعله، أو ينهاهم عن شيء ويرتكبه، الأمر والنهي بالقدوة، ولا يقول: عندكم علمي، وعليكم العمل، نعم ليس المفترض، أو ليس المتصور في الآمر والناهي أن يكون معصومًا، ولا يشترط فيه أن لا يأمر ولا ينهي إلا إذا اجتنب، لا، هو مأمور بالأمر والنهي، ومأمور أيضًا بالاجتناب، فعليه أن يأمر وينهى، وعليه أن يجتنب، فإذا ترك الأمر والنهي عصى، وإذا ترك الاجتناب عصى، تلك معصية، وتلك معصية، لكن يعلم أنه لا يقتدى به، إذا كان يريد الثمرة التي يرجوها من وراء أمره ونهيه، أن يكون له مثل أجور من أمرهم أو نهاهم؛ لأنه دلهم على خير، فليكن أول من يأتمر، وأول من يكف عن المنهي عنه.

وليس معنى هذا أنه يشترط في الآمر والناهي أن لا يتلبس بشيء من المعاصي، وليس معنى هذا أيضًا أنه يبالغ في مثل هذا الباب، فيطالب أن يأمر وينهى وهو ملتبس بالمعصية فيأمر وينهى حال ارتكابه المعصية.

يعني لو افترضنا أن اثنين على كرسي الحلاق، والحلاق يشتغل باللحية، يلتفت واحد للثاني يقول: لا تحلق له اللحية؛ لأن حلق اللحية حرام؟ حال مزاولته المعصية، يعني إذا قال أهل العلم: العصمة ما هي مطلوبة، وقد يأمر وينهي، وقد يجب الأمر والنهي ممن هو مرتكب لبعض المحرمات، لكن ليس أثناء مزاولة المعصية.

طالب:.....

نعم.

طالب:.....

المقصود إذا فهم من الأمر والنهي الاستخفاف والسخرية زاد، وإلا فما معنى أن شخصًا يحلق اللحية ويقول: اتقِ الله؟ ولا نبالغ مبالغة الأشعرية في انفكاك الجهة، يقولون: عندك أوامر وعندك نواهٍ، افعل ما شئت منها لك أجر، اترك ما شئت منها لك أجره، أو أفعل ما شئت من الأوامر والنواهي فلك أجر هذا ووزر هذا، الجهات منفكة، ولذا يطالبون الزاني بغض بصره عن المزني بها، أنت مأمور بغض البصر ومأمور بترك الزنا، لكن أنت ما تركت الزنا، لكن الثاني يغض بصره، يعني إذا فهمنا من الأمر والنهي الاستهزاء فهذا أقرب ما يكون من الاستهزاء، حلاق شغال يحلق لحية وهو يقول: اتقِ الله ما معنى كلامه؟ هذه السخرية، الله المستعان، {وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ} [هود: ٨٨].

طالب:.....

بلا شك، ومع ذلك يعترف بالتقصير، بالتقصير بارتكاب المحرم، وبالتقصير في ترك الأمر بالمعروف، وهذا أسلم له من كل وجه.

طالب:.....

لا، هو يريد أن يقرر أن الآمر والناهي ليس المفترض فيه أنه معصوم، فقد يأمر وينهى من هو مرتكب للمعصية، فهذا شيء لك أجر الأمر والنهي، وعليك وزره، نعم من ابتلي بشيء، وجاهد نفسه على تركه ولم يستطع، يقول مثلاً: والله أنا حاولت، لكن ما قدرت، لكن أنت يا أخي.

مثل شخص أنا سمعته في برنامج، يحذر الناس من الدخان، قال: وأنت؟ قال: أنا عجزت، لكن الذي يبغي نصيحتي ما يدخن، كنت إذا كح، يذكر عن نفسه، إذا كح يكح دمًا، يقول: الدم الآن طبيعي مع النفس، فأحذر الناس من الدخان، طب أنت اترك الدخان، يقول: ما أقدر، ويحتج بهذا، ويمكن أن يحاول أحيانًا يصدع رأسه، ثم يجد أنه مكره ومضطر إلى شربه، فيظن أن هذا يعذر، يكون عذرًا أنه ما استطاع، فليس بعذر حقيقة، لكن مع ذلك مثل هذا أمره أخف، حينما يقول أنه حاول وما استطاع، وصل إلى هذا الحد، وهو صادق في نصيحته، ما نقول: إنه مستهزئ، قرائن الأحوال تدل على أنه صادق، يعني من أعماق القلب ينصح الناس، ما نقوله: لا، لا ينصح، ولكن العكس مجرد مشاهدته وسمع خبره نصيحة، مثل هذا، نسأل الله العافية، فرق بين حال وحال، والله المستعان.

"{إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ} [هود: ٨٨] أَيْ مَا أُرِيدُ إِلَّا فِعْلَ الصَّلَاحِ، أَيْ أَنْ تُصْلِحُوا دُنْيَاكُمْ بِالْعَدْلِ، وَآخِرَتَكُمْ بِالْعِبَادَةِ، وَقَالَ: "مَا اسْتَطَعْتُ"؛ لِأَنَّ الِاسْتِطَاعَةَ مِنْ شُرُوطِ الْفِعْلِ دُونَ الْإِرَادَةِ. وَمَا مَصْدَرِيَّةٌ، أَيْ إِنْ أُرِيدَ إِلَّا الْإِصْلَاحَ جَهْدِي وَاسْتِطَاعَتِي، وَمَا تَوْفِيقِي" أَيْ رُشْدِي، وَالتَّوْفِيقُ الرُّشْدُ "إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ" أَيِ اعْتَمَدْتُ، "وَإِلَيْهِ أُنِيبُ" أَيْ أَرْجِعُ فِيمَا يَنْزِلُ بِي مِنْ

جَمِيعِ النَّوَائِبِ. وَقِيلَ: إِلَيْهِ أَرْجِعُ فِي الْآخِرَةِ. وَقِيلَ: إِنَّ الْإِنَابَةَ الدُّعَاءُ، وَمَعْنَاهُ وَلَهُ أَدْعُو".

طالب:.....

نعم.

طالب:.....

ما فيه شك أن الاستطاعة شرط لكل فعل، لكن هل المراد الاستطاعة المقارنة للفعل أم المتقدمة عليه؟

الذي عند أهل السنة أن الاستطاعة تكون متقدمة على الفعل وليست مقارنة للفعل، أما من يشترط الاستطاعة أثناء الفعل ماذا يلزم عليه؟

طالب:.....

أنك ما تفعل شيئًا أثناء العمل؛ لأنك لا تدري أتستطيع الفعل أو لا، هذا الفرق.

"قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَيَا قَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ} [هود: ٨٩] وَقَرَأَ يَحْيَى بْنُ وَثَّابٍ: " نُجْرِمَنَّكُمْ". "شِقَاقِي" فِي مَوْضِعِ رَفْعٍ. "أَنْ يُصِيبَكُمْ" فِي مَوْضِعِ نَصْبٍ، أَيْ لَا يَحْمِلَنَّكُمْ مُعَادَاتِي عَلَى تَرْكِ الْإِيمَانِ فَيُصِيبَكُمْ مَا أَصَابَ الْكُفَّارَ قَبْلَكُمْ، قَالَهُ الْحَسَنُ وَقَتَادَةُ. وَقِيلَ: لَا يُكْسِبَنَّكُمْ شِقَاقِي إِصَابَتَكُمُ الْعَذَابَ، كَمَا أَصَابَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، قَالَهُ الزَّجَّاجُ. وَقَدْ تَقَدَّمَ مَعْنَى يِجْرِمَنَّكُمْ فِي (الْمَائِدَةِ)".

{وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ} [المائدة: ٢] يعني لا يحملنكم بغض هؤلاء القوم على عدم العدل، فالعدل مطلوب مع الموافق ومع المخالف، مع الحبيب ومع المبغض.

"وَ"الشِّقَاقُ" فِي البقرة، وَهُوَ هُنَا بِمَعْنَى الْعَدَاوَةِ، قَالَهُ السُّدِّيُّ، وَمِنْهُ قَوْلُ الْأَخْطَلِ:

أَلَا مَنْ مُبْلِغٍ عَنِّي رَسُولًا فَكَيْفَ وَجَدْتُمْ طَعْمَ الشِّقَاقِ؟"

طعم العداوة، كيف وجدتم طعمها وآثارها.

"وَقَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ: إِضْرَارِي. وَقَالَ قَتَادَةُ: فِرَاقِي".

ما معنى إضراري؟

طالب: إلحاق ضرر.

إلحاق ضرر بي، يعني إلحاقكم الضرر بي، لا يحملنكم هذا أن يصيبكم العذاب، لا شك أن من يؤذي النبي مستحق للعذاب، أشد الناس عذابًا من قتل نبيًّا، أو قتله نبي، لكن ما يذكر عن شعيب -عليه السلام- أنه كان أعمى، أعمى البصر، وهذا يذكرونه في المفاضلة بين السمع والبصر، السمع أهم من البصر، قالوا: في الأنبياء من هو أعمى، وليس فيهم من هو أصم، هل يمكن أن يأتي مثل هذا في قول الحسن؟

طالب:.....

ماذا؟

طالب:.....

أعمى البصر في قول جمع من أهل العلم، ما هو من الأمور المنقولة في شرعنا، لكن هكذا يذكرون، ويذكرونها في مسألة المفاضلة بين السمع والبصر.

طالب:.....

نعم؟

طالب:.....

ما له معنى.

"{وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ} [هود: ٨٩] وَذَلِكَ أَنَّهُمْ كَانُوا حَدِيثِي عَهْدٍ بِهَلَاكِ قَوْمِ لُوطٍ".

بهذا يستدل من يقول بأن شعيبًا صاحب مدين هنا غير صاحب مدين الذي هو صهر موسى -عليه السلام-؛ لأنه قال: {وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ} [هود: ٨٩] يعني عهدكم منهم قريب، وإذا كان المراد بها العهد من حيث الزمان فموسى بعيد عن قوم لوط.

"وَقِيلَ: وَمَا دِيَارُ قَوْمِ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ، أَيْ بِمَكَانٍ بَعِيدٍ، فَلِذَلِكَ وحد".

وحَّد.

"فلذلك وَحَّدَ الْبَعِيدَ. قَالَ الْكِسَائِيُّ: أَيْ دُورُهُمْ فِي دُورِكُمْ".

لو كان المراد نفس القوم قوم لوط منكم ببعيد، هذا مراده ببعيدين مثلاً؟ هذا مراده؟ هنا ما وحد بعيد؛ لأن المراد دياره، مكانهم بعيد، ليس مكانهم ببعيد، وليس المراد القوم أنفسهم، ولذا وحد بعيد، لكن فعيل تلزم حالًا واحدًا، زي البعيد، هند بعيد، الزيدان بعيد، الزيدون بعيد وهكذا، و{رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ} [الأعراف: ٥٦]، ما قال قريبةٌ، ابن القيم -رحمه الله- له كلام طويل على الآية في بدائع القرآن.

"قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ} [هود: ٥٢] تَقَدَّمَ {إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ} [هود: ٩٠] اسْمَانِ مِنْ أَسْمَائِهِ سُبْحَانَهُ، وَقَدْ بَيَّنَّاهُمَا فِي كِتَابِ "الْأَسْنَى فِي شَرْحِ الْأَسْمَاءِ الْحُسْنَى". قَالَ الْجَوْهَرِيُّ: وَدِدْتُ الرَّجُلَ أَوُدُّهُ وُدًّا لإذا أحببتُه".

إذا أحببتَه.

"إِذَا أَحْبَبْتُهُ، وَالْوَدُودُ الْمُحِبُّ، وَالْوَدُّ وَالْوِدُّ وَالْوُدُّ وَالْمَوَدَّةُ الْمَحَبَّةُ. وَرُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَنَّهُ كَانَ إِذَا ذَكَرَ شُعَيْبًا قَالَ: «ذَاكَ خَطِيبُ الْأَنْبِيَاءِ»".

هذا يروى عن ابن عباس مرفوعًا للنبي -عليه الصلاة والسلام-، لكنه ضعيف، حديث ابن جويبر وغيره ومقاتل.

قَوْلُهُ تَعَالَى: {قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ} [هود: ٩١] أَيْ مَا نَفْهَمُ؛ لِأَنَّكَ تَحْمِلُنَا عَلَى أُمُورٍ غَائِبَةٍ مِنَ الْبَعْثِ وَالنُّشُورِ، وَتَعِظُنَا بِمَا لَا عَهْدَ لَنَا بِمِثْلِهِ. وَقِيلَ: قَالُوا ذَلِكَ إِعْرَاضًا عَنْ سَمَاعِهِ، وَاحْتِقَارًا لِكَلَامِهِ، يُقَالُ: فَقِهَ يَفْقَهُ إِذَا فَهِمَ فِقْهًا، وَحَكَى الْكِسَائِيُّ: فَقُهَ فَقَهًا وَفِقْهًا إِذَا صَارَ فَقِيهًا.

{وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا} [هود: ٩١] قِيلَ: إِنَّهُ كَانَ مُصَابًا بِبَصَرِهِ، قَالَهُ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ وَقَتَادَةُ. وَقِيلَ: كَانَ ضَعِيفَ الْبَصَرِ، قَالَهُ الثَّوْرِيُّ، وَحَكَى عَنْهُ النَّحَّاسُ مِثْلَ قَوْلِ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ وَقَتَادَةَ، قَالَ النَّحَّاسُ: وَحَكَى أَهْلُ اللُّغَةِ أَنَّ حِمْيَرَ تَقُولُ لِلْأَعْمَى: ضَعِيفًا، أَيْ قَدْ ضَعُفَ بِذَهَابِ بَصَرِهِ، كَمَا يُقَالُ لَهُ: ضَرِيرٌ، أَيْ قَدْ ضُرَّ بِذَهَابِ بَصَرِهِ، كَمَا يُقَالُ لَهُ: مَكْفُوفٌ، أَيْ قَدْ كُفَّ عَنِ النَّظَرِ بِذَهَابِ بَصَرِهِ. قَالَ الْحَسَنُ: مَعْنَاهُ مَهِينٌ. وَقِيلَ: الْمَعْنَى ضَعِيفُ الْبَدَنِ، حَكَاهُ عَلِيُّ بْنُ عِيسَى، وَقَالَ السُّدِّيُّ: وَحِيدًا لَيْسَ لَكَ جُنْدٌ وَأَعْوَانٌ تَقْدِرُ بِهَا عَلَى مُخَالَفَتِنَا. وَقِيلَ: قَلِيلُ الْمَعْرِفَةِ بِمَصَالِحِ الدُّنْيَا وَسِيَاسَةِ أَهْلِهَا، وَ "ضَعِيفًا" نُصِبَ عَلَى الْحَالِ".

المعلق يقول: ليس شعيب الرسول -عليه السلام- ضريرًا؛ لأن هذا الوصف نافٍ للعصمة، مما يقدح، وإنما شعيب الضرير هو صاحب موسى، وليس بنبي، وبينهما ثلاثمائة سنة.

طالب:.....

العمى ينافي العصمة؟

طالب:.....

الآن الخليفة يمكن أن يكون أعمى؟

طالب:.....

لكن الجمهور يشترطون أن يكون سليم الأطراف الحواس، والرسول -عليه السلام- استخلف ابن أم مكتوم على المدينة، فليس في العمى نقص، والواقع يشهد بأن الأعمى في كثير من الحالات أكثر من غيره، ولذا يختلفون في أيهما أفضل: إمامة الأعمى أم إمامة المبصر؟

طالب: المبصر إذا استويا.

نعم، ولكن إذا قلنا الأعمى ضابط لصلاته، وما ينشغل بشيء، وهذا وجه من رجحه وإن كان الأكثر على ترجيح المبصر.

"وَلَوْلَا رَهْطُكَ" رُفِعَ بِالِابْتِدَاءِ، وَرَهْطُ الرَّجُلِ عَشِيرَتُهُ الَّذِي يَسْتَنِدُ إِلَيْهِمْ وَيَتَقَوَّى بِهِمْ، وَمِنْهُ الرَّاهِطَاءُ لِجُحْرِ الْيَرْبُوعِ؛ لِأَنَّهُ يَتَوَثَّقُ بِهِ وَيَخْبَأُ فِيهِ وَلَدَهُ".

الجربوع جحره له أكثر من فتحة، ومنه النافقة التي ينفق منها ويخرج، ويكون له واحد واضح، فتحة ظاهرة وأخرى عليها طبقة رقيقة من التراب، فإذا احتاجها كانت مخرج طوارئ، يسمونها النافقة، هي مغطاة ما يدري بها أحد.

"وَمَعْنَى لَرَجَمْنَاكَ لَقَتَلْنَاكَ بِالرَّجْمِ، وَكَانُوا إِذَا قَتَلُوا إِنْسَانًا رَجَمُوهُ بِالْحِجَارَةِ، وَكَانَ رَهْطُهُ مِنْ أَهْلِ مِلَّتِهِمْ. وَقِيلَ: مَعْنَى لَرَجَمْنَاكَ لَشَتَمْنَاكَ، وَمِنْهُ قَوْلُ الْجَعْدِيِّ:

تَرَاجَمْنَا بِمُرِّ الْقَوْلِ حَتَّى ... نَصِيرَ كَأَنَّنَا فَرَسَا رِهَانِ

وَالرَّجْمُ أَيْضًا اللَّعْنُ، وَمِنْهُ الشَّيْطَانُ الرَّجِيمُ. {وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ} [هود: ٩١] أَيْ مَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِغَالِبٍ وَلَا قَاهِرٍ وَلَا مُمْتَنِعٍ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: {قَالَ يَا قَوْمِ أَرَهْطِي} [هود: ٩٢] أَرَهْطِي رُفِعَ بِالِابْتِدَاءِ، وَالْمَعْنَى أَرَهْطِي فِي قُلُوبِكُمْ {أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ}[هود: ٩٢] وَأَعْظَمُ وَأَجَلُّ وَهُوَ يَمْلِكُكُمْ، {وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظِهْرِيًّا} [هود: ٩٢] أَيِ اتَّخَذْتُمْ مَا جِئْتُكُمْ بِهِ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ظِهْرِيًّا، أَيْ جَعَلْتُمُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ، وَامْتَنَعْتُمْ مِنْ قَتْلِي مَخَافَةَ قَوْمِي يُقَالُ: جَعَلْتُ أَمْرَهُ بِظَهْرٍ إِذَا قَصَّرْتُ فِيهِ، وَقَدْ مَضَى فِي "الْبَقَرَةِ".

{إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ} [هود: ٩٢] أَيْ مِنَ الْكُفْرِ وَالْمَعْصِيَةِ. مُحِيطٌ" أَيْ عَلِيمٌ. وَقِيلَ: حَفِيظٌ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَيَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ} [هود: ٩٣] تَهْدِيدٌ وَوَعِيدٌ، وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي "الْأَنْعَامِ"، {مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ} [هود: ٩٣] أَيْ يُهْلِكُهُ. وَ"مَنْ" فِي مَوْضِعِ نَصْبٍ، مِثْلَ "يَعْلَمَ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ "وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ" عَطْفٌ عَلَيْهَا. وَقِيلَ: أَيْ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ كَاذِبٌ مِنَّا. وَقِيلَ: فِي مَحَلِّ رَفْعٍ، تَقْدِيرُهُ: وَيُخْزِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ. وَقِيلَ: تَقْدِيرُهُ وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ فَسَيَعْلَمُ كَذِبَهُ، وَيَذُوقُ وَبَالَ أَمْرِهِ. وَزَعَمَ الْفَرَّاءُ أَنَّهُمْ إِنَّمَا جَاءُوا بِـ "هُوَ" فِي وَ "مَنْ هُوَ كَاذِبٌ"؛ لِأَنَّهُمْ لَا يَقُولُونَ: مَنْ قَائِمٌ، إِنَّمَا يَقُولُونَ: مَنْ قَامَ، وَمَنْ يَقُومُ، وَمَنِ الْقَائِمُ، فَزَادُوا هُوَ لِيَكُونَ جُمْلَةً تَقُومُ مَقَامَ فَعَلَ وَيَفْعَلُ. قَالَ النَّحَّاسُ: وَيَدُلُّ عَلَى خِلَافِ هَذَا قَوْلُهُ:

مَنْ رَسُولِي إِلَى الثُّرَيَا بِأَنِّي ضِقْتُ ذَرْعًا بِهَجْرِهَا وَالْكِتَابِ

{وَارْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ} [هود: ٩٣] أَيِ انْتَظِرُوا الْعَذَابَ وَالسَّخْطَةَ، فَإِنِّي مُنْتَظِرٌ النَّصْرَ وَالرَّحْمَةَ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا} قِيلَ: صَاحَ بِهِمْ جِبْرِيلُ صَيْحَةً فَخَرَجَتْ أَرْوَاحُهُمْ مِنْ أَجْسَادِهِمْ، {نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ} [هود: ٩٤] أَيْ صَيْحَةُ جِبْرِيلَ. وَأَنَّثَ الْفِعْلَ عَلَى لَفْظِ الصَّيْحَةِ، وَقَالَ فِي قِصَّةِ صَالِحٍ: {وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ} [هود: ٩٤] فذُكِر".

فذكَّر.

"فَذَكَّرَ عَلَى مَعْنَى الصِّيَاحِ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: مَا أَهْلَكَ اللَّهُ أُمَّتَيْنِ بِعَذَابٍ وَاحِدٍ إِلَّا قَوْمَ صَالِحٍ وَقَوْمَ شُعَيْبٍ، أَهْلَكَهُمُ اللَّهُ بِالصَّيْحَةِ، غَيْرَ أَنَّ قَوْمَ صَالِحٍ أَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مِنْ تَحْتِهِمْ، وَقَوْمَ شُعَيْبٍ أَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مِنْ فَوْقِهِمْ. {فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ أَلَا بُعْدًا لِمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ} [هود: ٩٤ ٩٥] تَقَدَّمَ مَعْنَاهُ، وَحَكَى الْكِسَائِيُّ أَنَّ أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيَّ قَرَأَ "كَمَا بَعُدَتْ ثَمُودُ" بِضَمِّ الْعَيْنِ. قَالَ النَّحَّاسُ: الْمَعْرُوفُ فِي اللُّغَةِ إِنَّمَا يُقَالُ بَعِدَ يَبْعَدُ بَعَدًا وَبُعْدًا إِذَا هَلَكَ. وَقَالَ الْمَهْدَوِيُّ: مَنْ ضَمَّ الْعَيْنَ مِنْ "بَعُدَتْ" فَهِيَ لُغَةٌ تُسْتَعْمَلُ فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ، وَمَصْدَرُهَا الْبُعْدُ، وَبَعِدَتْ تُسْتَعْمَلُ فِي الشَّرِّ خَاصَّةً، يُقَالُ: بَعِدَ يَبْعَدُ بَعَدًا، فَالْبَعَدُ عَلَى قِرَاءَةِ الْجَمَاعَةِ بِمَعْنَى اللُّغَةِ، وَقَدْ يَجْتَمِعُ مَعْنَى اللُّغَتَيْنِ لِتَقَارُبِهِمَا فِي الْمَعْنَى، فَيَكُونُ مِمَّا جَاءَ مَصْدَرُهُ عَلَى غَيْرِ لَفْظِهِ؛ لِتَقَارُبِ الْمَعَانِي".

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير القرطبي

سورة هود

معالي الشيخ الدكتور

عبد الكريم بن عبد الله الخضير

عضو هيئة كبار العلماء

وعضو اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

تاريخ المحاضرة:	١٤٣١/١١/١٨هـ	المكان:	

"بَيَّنَ أَنَّهُ أَتْبَعَ النَّبِيَّ النَّبِيَّ لِإِقَامَةِ الْحُجَّةِ، وَإِزَاحَةِ كُلِّ عِلَّةٍ بِآيَاتِنَا أَيْ بِالتَّوْرَاةِ. وَقِيلَ: بِالْمُعْجِزَاتِ. "وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ" أَيْ حُجَّةٍ بَيِّنَةٍ؛ يَعْنِي الْعَصَا. وَقَدْ مَضَى فِي "آلِ عِمْرَانَ" مَعْنَى السُّلْطَانِ وَاشْتِقَاقُهُ فَلَا مَعْنَى لِلْإِعَادَةِ. {إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ}[هود: ٩٧]".

الآن أتبع النبي بالنبي، فهل موسى أُتبع شعيبًا؟ القصة السابقة قصة شعيب **{وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا}** [هود: ٩٦]، يقول: إنه أتبع النبي النبي لإقامة الحجة، فهل أتبع موسى شُعيبًا؟ نعم

طالب: .....

أليس النبي السابق شعيب قصة شعيب مع قومه؟

طالب: .....

نعم، **{وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا}** [هود: ٩٦] أو نقول: هذه "الواو" لمطلق الجمع، ولا تقتضي ترتيبًا، ولا تعقيبًا؟ يعني بين موسى وشعيب أحد أم ما بينهم أحد؟

الأكثر على أن موسى بينه وبين شعيب مفاوز كثيرة؛ لأن شعيبًا من المتقدمين، وليس هو صاحب موسى، على ما تقرر في الدرس الماضي.

"{إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ} [هود: ٩٧] أَيْ شَأْنَهُ وَحَالَهُ، حَتَّى اتَّخَذُوهُ إِلَهًا، وَخَالَفُوا أَمْرَ اللَّهِ تَعَالَى.

{وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ} [هود: ٩٧] أَيْ بِسَدِيدٍ يُؤَدِّي إِلَى صَوَابٍ: وَقِيلَ: "بِرَشِيدٍ" أَيْ بِمُرْشِدٍ إِلَى خَيْرٍ".

"أمره" إذا كان أمره ليس برشيد، فمن باب أولى أن يكون ليس برشيدٍ هو، ولا شك أن من يدعو الناس إلى عبادته في غاية السفه، بعيد كل البعد عن الرشد.

"قَوْلُهُ تَعَالَى: {يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ} [هود: ٩٨] يَعْنِي أَنَّهُ يَتَقَدَّمُهُمْ إِلَى النَّارِ إِذْ هُوَ رَئِيسُهُمْ. يُقَالُ: قَدمهُمْ"؟

قَدَمَهُم.

"قَدَمَهُمْ قَدْمًا وَقُدُومًا إِذَا تَقَدَّمَهُمْ. {فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ} [هود: ٩٨] أَيْ أَدْخَلَهُمْ فِيهَا. ذُكِرَ بِلَفْظِ الْمَاضِي، وَالْمَعْنَى فَيُورِدُهُمُ النَّار، وَمَا تَحَقَّقَ وُجُودُهُ فَكَأَنَّهُ كَائِنٌ؛ فَلِهَذَا يُعَبَّرُ عَنِ الْمُسْتَقْبَلِ بِالْمَاضِي".

المستقبل إذا كان متحقق الوقوع يعبر عنه بالماضي، كما في قوله تعالى: **{أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ}** [النحل: ١] هو ما أتى بعد، لكن سيأتي، لكن نظرًا لتحقق وقوعه عبر عنه بالماضي.

وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ" أَيْ بِئْسَ الْمَدْخَلُ الْمَدْخُولُ، وَلَمْ يَقُلْ: بِئْسَتْ؛ لِأَنَّ الْكَلَامَ يَرْجِعُ إِلَى الْمَوْرُودِ، وَهُوَ كَمَا تَقُولُ: نِعْمَ الْمَنْزِلُ دَارُكَ، وَنِعْمَتِ الْمَنْزِلُ دَارُكَ. وَالْمَوْرُودُ الْمَاءُ الَّذِي يُورَدُ، وَالْمَوْضِعُ الَّذِي يُورَدُ، وَهُوَ بِمَعْنَى الْمَفْعُولِ.

"المورد" المكان الذي يورد، كما تورد الإبل الماء هؤلاء يوردون النار، نسأل الله العافية، والورد معروف يرد الماء ليشرب، وهنا يوردون النار ليعذبوا، نسأل الله العافية.

ولم يقل: بئست قال: بئس لماذا؟ الورد مؤنث أم مذكر؟ قال: لأنه أراد المورود "المورود" مذكر الذي هو اللفظ، لفظ المورود مذكر، وإنك كان المراد به مؤنثًا وهو "النار"، نسأل الله العافية، فذكَّر إتباعًا للفظ.

"قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَأُتْبِعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَةً} [هود: ٩٩] أَيْ فِي الدُّنْيَا. "وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ" أَيْ وَلَعْنَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَقَدْ تَقَدَّمَ هَذَا الْمَعْنَى. بِئْسَ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ" حَكَى الْكِسَائِيُّ وَأَبُو عُبَيْدَةَ: رَفَدْتُهُ أَرْفِدُهُ رَفْدًا؛ أَيْ أَعَنْتُهُ وَأَعْطَيْتُهُ. وَاسْمُ الْعَطِيَّةِ الرِّفْدُ، أَيْ بِئْسَ الْعَطَاءُ وَالْإِعَانَةُ.

ومازال المعنى مستعملًا، اللفظ لهذا المعنى مستعمل، العطية تسمى رفدًا، الذي يذهب يسأل الناس لحاجته، إما بسبب ديةٍ أو جائحة أو ما أشبه ذلك، يقال: ذهب فلان يسترفد أي يطلب "الرفد"، وهو العطية والإعانة.

وَالرِّفْدُ أَيْضًا الْقَدَحُ الضَّخْمُ، قَالَهُ الْجَوْهَرِيُّ، وَالتَّقْدِيرُ: بِئْسَ الرِّفْدُ رِفْدُ الْمَرْفُودِ. وَذَكَرَ الْمَاوَرْدِيُّ: أَنَّ الرِّفْدَ بِفَتْحِ الرَّاءِ الْقَدَحُ، وَالرِّفْدِ بِكَسْرِهَا مَا فِي الْقَدَحِ مِنَ الشَّرَابِ، حُكِيَ ذَلِكَ عَنِ الْأَصْمَعِيِّ، فَكَأَنَّهُ ذَمَّ بِذَلِكَ مَا يَسْقُونَهُ فِي النَّارِ. وَقِيلَ: إِنَّ الرِّفْدَ الزِّيَادَةُ، أَيْ بِئْسَ مَا يَرْفِدُونَ بِهِ بَعْدَ الْغَرَقِ النَّارُ، قَالَهُ الْكَلْبِيُّ.

يسمى ما في القدح من طعامٍ وشراب "رفدًا"، وأيضًا هذا فيه قريب مما يستعمل إذا كان الطعام قليلًا مثلًا يقال: خذ هذه الحاجة ارفد بها طعامك، ما أكل أكلًا كالمعتاد فيرفده، فإذا كان الغداة خفيفًا لصار العصر كالمكسرات ترفده مثلًا، يستعملون هذا، نسأل الله العافية.

فهذا العذاب، وهذه النار لهم رفد، إذا كان هذا الرِّفد إيرادهم النار، نسأل الله العافية، **{غُدُوًّا وَعَشِيًّا}** [غافر: ٤٦]، فكيف بطعامهم الأصلي؟ نسأل الله السلامة والعافية.

"قَوْلُهُ تَعَالَى: {ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَى نَقُصُّهُ عَلَيْكَ} [هود: ١٠٠] "ذَلِكَ" رُفِعَ عَلَى إِضْمَارِ مُبْتَدَأٍ، أَيِ الْأَمْرُ ذَلِكَ. وَإِنْ شِئْتَ بِالِابْتِدَاءِ؛ وَالْمَعْنَى: ذَلِكَ النَّبَأُ الْمُتَقَدِّمُ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَى نَقُصُّهُ عَلَيْكَ. {مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ} [هود: ١٠٠] قَالَه قَتَادَةُ"..

قال قتادة.

"قَالَ قَتَادَةُ: الْقَائِمُ مَا كَانَ خَاوِيًا عَلَى عُرُوشِهِ، وَالْحَصِيدُ مَا لَا أَثَرَ لَهُ. وَقِيلَ: الْقَائِمُ"..

قائم، قائم، إذا مررتم على القرى المهجورة منها ما هو قائم البيوت قائمة ما تهدمت، لكن هجرت تركت، عمل الناس بيوتًا جديدة، وخرجوا وتركوها، ومنها ما هو حصيد، الطين إذا تتابع عليه المطر وهجر يسقط، ثم يصير حصيدًا كأنه نبات محصود لا وجود له.

"وَقِيلَ: الْقَائِمُ الْعَامِرُ، وَالْحَصِيدُ الْخَرَابُ، قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ: وَقَالَ مُجَاهِدٌ: قَائِمٌ أو قَائِم خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا، وَحَصِيدٌ مُسْتَأْصَلٌ، يَعْنِي مَحْصُودًا كَالزَّرْعِ إِذَا حُصِدَ؛ قَالَ الشَّاعِرُ".

يعني خاويًا على عروشه يعني "ساقطة"، وحصيد: لا أثر لها، تمرون بالبراري والقفار وكأنها ما سكنت قبل ذلك، فهذه حصيد مستأصلة لا أثر للعمارة فيها، وبعض البقاع العمارة لها أثر، وإن كانت ليست قائمة.

"قَالَ الشَّاعِرُ:

وَالنَّـــاسُ فِـــي قَسْـــمِ الْمَنِيَّـــةِ بَيْـــنَهُمْ كَالزَّرْعِ مِنْهُ قَائِمٌ وَحَصِيدُ

وَقَالَ آخَرُ:

إِنَّمَـــا نَحْـــنُ مِثْـــلُ خَامَـــةِ زَرْعٍ فَمَتَى يَأْنِ يَأْتِ مُحْتَصِدُهْ"

معروف خامة الزرع، وقد مُثِّل بها المؤمن بالحديث، المؤمن لكثرة ما ينتابه من المصائب والأمراض مثل خامة الزرع تكفكفه الرياح في يومٍ مريض، ويومٍ مصاب، ويومٍ سليم، وهكذا، والحافظ ابن رجب -رحمه الله تعالى- شرح هذا الحديث في رسالة مفردة في شرحٍ طيب- رحمه الله- كعادته.

"قَالَ الْأَخْفَشُ سَعِيدٌ: حَصِيدٌ أَيْ مَحْصُودٌ"

يحتاج أن يقول: سعيد؟ الأخفش إذا أطلق فالمراد به سعيد، سعيد بن مسعدة المجاشعي الأوسط، وإن كان الأخافش (ثلاثة عشر) أو أكثر من ذلك على ما قاله بعضهم، لكن هو إذا أطلق فالمراد به الأوسط.

"وَجَمْعُهُ حَصْدَى وَحِصَادٌ مِثْلَ مَرْضَى وَمِرَاضٍ؛ قَالَ: يَكُونُ فِيمَنْ يَعْقِلُ حَصْدَى، مِثْلِ قَتِيلٍ وَقَتْلَى.

{وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ} [هود: ١٠١] أَصْلُ الظُّلْمِ فِي اللُّغَةِ وَضْعُ الشَّيْءِ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ، وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي "الْبَقَرَةِ" مُسْتَوْفًى".

الله سبحانه وتعالى لا يظلم، {وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ} [فصلت: ٤٦] «يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي»، فالظلم لا يقع منه سبحانه وتعالى، وإن كان مقدورًا له، فما يفعله في عبده من خيرٍ أو شر ليس بظلم؛ لأن حقيقة الظلم التصرف في ملك الغير، وجميع الأشياء ملك لله سبحانه وتعالى يتصرف فيها حيثُ يشاء، ومع ذلكم هو لا يظلم، لا يؤاخذ أحدًا بجريرة غيره. ومنهم من يقول:

إن الظلم حرم عليه؛ لامتناعه، إذ ليس بمقدور له، وهذا كلام إذا كان الشيء غير مقدور فلا مدح فيه، فلا يمدح الله سبحانه وتعالى بعدم الظلم؛ لأنه لا يستطيعه، {تعالى الله عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا} [الإسراء: ٤٣]، هو يستطيع، لكن حرم الظلم على نفسه، وأوجب العدل تكرمًا منه، ولا يجب عليه شيء كما تقوله المعتزلة: بل يجب عليه فعل الأصلح، لا، لا يجب على الله سبحانه وتعالى إلا ما أوجبه على نفسه، ولا يحرم عليه شيء إلا ما حرمه على نفسه.

"{وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ} [هود: ١٠١] بِالْكُفْرِ وَالْمَعَاصِي. وَحَكَى سِيبَوَيْهِ أَنَّهُ يُقَالُ: ظَلَمَ إِيَّاهُ {فَمَا أَغْنَتْ}[هود: ١٠١] أَيْ دَفَعَتْ.

{عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ} [هود: ١٠١] فِي الْكَلَامِ حَذْفٌ، أَيِ الَّتِي كَانُوا يَعْبُدُونَ، أَيْ يَدْعُونَ.

{ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ} [هود: ١٠١] أَيْ غَيْرَ تَخْسِيرٍ، قَالَهُ مُجَاهِدٌ وَقَتَادَةُ. وَقَالَ لَبِيَدٌ:

فَلَقَدْ بَلِيتُ وَكُلُّ صَاحِبِ جِدَّةٍ ... لِبِلًى يَعُودُ وَذَاكُمُ التَّتْبِيبُ"

كل جديد سوف يعود خلقًا إلا الليل والنهار، ولذا يقال لهمًا: "الجديدان" من وجود هذه الدنيا والليل والنهار موجودان، لكن الليل هو الليل بظلامه، والنهار هو النهار بضيائه هما الجديدان، وما عداهما يبلى ويخلق، والله المستعان.

"وَالتَّبَابُ الْهَلَاكُ وَالْخُسْرَانُ؛ وَفِيهِ إِضْمَارٌ؛ أَيْ مَا زَادَتْهُمْ عِبَادَةُ الْأَصْنَامِ، فَحُذِفَ الْمُضَافُ؛ أَيْ كَانَتْ عِبَادَتُهُمْ إِيَّاهَا قَدْ خَسَّرَتْهُمْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى} [هود: ١٠٢] أَيْ كَمَا أَخَذَ هَذِهِ الْقُرَى الَّتِي كَانَتْ لِنُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ يَأْخُذُ جَمِيعَ الْقُرَى الظَّالِمَةِ. وَقَرَأَ عَاصِمٌ الْجَحْدَرِيُّ وَطَلْحَةُ بْنُ مُصَرِّفٍ "وَكَذَلِكَ أَخَذَ رَبُّكَ إِذْ أَخَذَ الْقُرَى" وَعَنِ الْجَحْدَرِيِّ أَيْضًا: {وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ} [هود: ١٠٢] كَالْجَمَاعَةِ، "إِذْ أَخَذَ الْقُرَى". قَالَ الْمَهْدَوِيُّ: مَنْ قَرَأَ: "وَكَذَلِكَ".

{وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ} إذا أخذ ربُك يعني فيما مضى؛ لأن "إذا" للمستقبل، قراءة الجماعة "إذا أخذ"، **{وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى}**، وهذه القراءة من عاصم وطلحة بن مصرف "كذلك أَخَذَ ربك" التي سبق الحديث عنها، إذ أخذ القرى فيما مضى، الجحدري يقرأ {وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ} [هود: ١٠٢] مثل قراءة الجماعة، إذ أخذ، هذا الفرق بين قراءته، وبين قراءة الجماعة بدلًا من "إذا" أي "إذ"؛ لأن الفرق بين "إذا" و "إذ"، أن "إذا" للمستقبل، و "إذ" للماضي. والأخذ بالنسبة لما ذكر في هذه الصورة لا شك أنه في الماضي، فالمناسب "إذ"، لكن ما الذي يمنع أن تستعمل إذا لاسيما إذا أُريد بذلك التخويف؟ وهو أن الله سبحانه وتعالى كما أُخذ الأمم السابقة المتقدمة فيما مضى

هو قادرٌ سبحانه وتعالى على أن يأخذ القرى وأهلها اللاحقن إذا أخذهم في المستقبل، الحديث عن الأمم السابقة، ولا فائدة للحديث عن الأمم السابقة إلا ليعتبر اللاحقون، "مضى القوم ولم يرد به سوانا" وفي آخر سورة يوسف: {مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ...} [يوسف: ١١١].

طالب: .....

نعم.

طالب: .....

المقصود به: الإفادة والاستفادة، يستفيد الإنسان ويعتبر، ويدكر، ويتعظ من أحوال الماضين، فقراءة الجماعة في "إذا" وهي للاستقبال يُستفادُ منها التهديد لمن يسلك مسالك المتقدمين يكذب الرسل أن مصيره مصيرهم، وأنه سوف يؤخذ في المستقبل.

"قال المهدوي: من قرأ {وكذلك أَخْذُ رَبِّكَ إِذْ أَخَذَ} فَهُوَ إِخْبَارٌ عَمَّا جَاءَتْ بِهِ الْعَادَةُ فِي إِهْلَاكِ مَنْ تَقَدَّمَ مِنَ الْأُمَمِ، وَالْمَعْنَى: وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ مَنْ أَخَذَهُ مِنَ الْأُمَمِ الْمُهْلَكَةِ إِذْ أَخَذَهُمْ. وَقِرَاءَةُ الْجَمَاعَةِ عَلَى أَنَّهُ مَصْدَرٌ، وَالْمَعْنَى: كَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ مَنْ أَرَادَ إِهْلَاكَهُ مَتَى أَخَذَهُ، فَإِذْ لِمَا مَضَى، أَيْ حِينَ أَخَذَ الْقُرَى، وَإِذَا لِلْمُسْتَقْبَلِ، {وَهِيَ ظَالِمَةٌ} [هود: ١٠٢] أَيْ وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ، فَحُذِفَ الْمُضَافُ مِثْلُ: وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ".

{وَهِيَ ظَالِمَةٌ} [هود: ١٠٢] القرية تظلم؟ "القرى" جمع قرية، المراد ظلم أهلها، لكن ما المانع أن تطلق القرية على من فيها من الجمادات، والحيوانات، والناس أيضًا؟ وهنا يستقيم الكلام، أخذ القرية بما فيها من عاقل وغيره، مثل واسأل القرية، اسأل القرية. المراد بـ"القرية": جميع من فيها، فما كان من عاقل فسوف يخبرك وينبئك بمقاله، وما كان من غير عاقل فسوف يرد عليك بلسان حاله، كما خاطب علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- أهل القبور، وأخبرهم بما حصل بعدهم في أهليهم، وأن أموالهم قسمت، وأن زوجاتهم تزوجت، وما أشبه ذلك، قال: هذا ما عندنا فما عندكم؟ يسألهم، والجواب يكون ويقع في مثل هذه الحالة، وإن لم يكن بلسان المقال، فإنه أُجيب -رضي الله عنه-، وذكر الجواب لمن حوله بلسان الحال.

"{إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ} [هود: ١٠٢] أَيْ عُقُوبَتَهُ لِأَهْلِ الشِّرْكِ مُوجِعَةٌ غَلِيظَةٌ. وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ وَالتِّرْمِذِيِّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي مُوسَى، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُمْلِي لِلظَّالِمِ حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ»، ثُمَّ قَرَأَ: {وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى} [هود: ١٠٢] الْآيَةَ. قَالَ أَبُو عِيسَى: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ".

نعم وهو في مسلم.

"قَوْلُهُ تَعَالَى: {إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً} [هود: ١٠٣] أَيْ لَعِبْرَةً وَمَوْعِظَةً، {لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ذَلِكَ يَوْمٌ} [هود: ١٠٣] ابْتِدَاءٌ وَخَبَرٌ.

"مَجْمُوعٌ مِنْ نَعْتِهِ".

من نعته، من نعته اليوم.

"لَهُ النَّاسُ" اسْمُ مَا لَمْ يُسَمَّ فَاعِلُهُ".

نعت حقيقي أم سببي؟

طالب: سببي.

نعم، اليوم مجموع، أم المجموع الناس؟

طالب: الناس.

إذًا النعت ليس بإيش؟

طالب: حقيقيّ.

حقيقيّ، وإنما هو نعت سببي، وتقول: جاء زيدٌ القائم أبوه، زيد قائم؟ ما قام، لكن لو قلت: جاء زيدُ القائم خلاص النعت له، لكن لما تقول: جاء زيدٌ القائم أبوه صار نعتًا سببيًّا.

"لَهُ النَّاسُ" اسْمُ مَا لَمْ يُسَمَّ فَاعِلُهُ، وَلِهَذَا لَمْ يَقُلْ مَجْمُوعُونَ، فَإِنْ قَدَّرْتَ ارْتِفَاعَ النَّاسِ بِالِابْتِدَاءِ، وَالْخَبَرَ".

اسمٌ لما لم يُسم فاعله، أين العامل في "الناس"؟

طالب: مجهول.

نعم.

طالب: مجهول.

اسم المفعول، واسم الفاعل أيضًا، والمصدر يعمل عمل؟

طالب: فعله.

فعله، اسم الفاعل يعمل عمل الفعل المبني للمعلوم، واسم المفعول يعمل عمل الفعل المبني للمجهول.

"فَإِنْ قَدَّرْتَ ارْتِفَاعَ النَّاسِ بِالِابْتِدَاءِ، وَالْخَبَرَ {مَجْمُوعٌ لَهُ} [هود: ١٠٣] فَإِنَّمَا لَمْ يَقُلْ: مَجْمُوعُونَ عَلَى هَذَا التَّقْدِيرِ؛ لِأَنَّ "لَهُ" يَقُومُ مَقَامَ الْفَاعِلِ".

يعني الجار والمجرور متعلق بمحذوف نائب فاعل، لاسم المفعول، ويبقى الناس لا عامل فيه إلا الابتداء.

"وَالْجَمْعُ الْحَشْرُ، أَيْ يُحْشَرُونَ لِذَلِكَ الْيَوْمِ {وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ} [هود: ١٠٣] أَيْ يَشْهَدُهُ الْبَرُّ وَالْفَاجِرُ، وَيَشْهَدُهُ أَهْلُ السَّمَاءِ. وَقَدْ ذَكَرْنَا هَذَيْنَ الِاسْمَيْنِ مَعَ غَيْرِهِمَا مِنْ أَسْمَاءِ الْقِيَامَةِ فِي كِتَابِ التَّذْكِرَةِ، وَبَيَّنَّاهُمَا، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ".

التذكرة في أحوال الآخرة موضوع متداول للقرطبي.

"قَوْلُـهُ تَعَالَى: {وَمَـا نُـؤَخِّرُهُ} [هود: ١٠٤] أَيْ مَـا نُـؤَخِّرُ ذَلِـكَ الْيَـوْمَ، {إِلَّا لِأَجَلٍ مَعْدُودٍ} [هود: ١٠٤] أَيْ لِأَجَلٍ سَبَقَ بِهِ قَضَاؤُنَا، وَهُوَ مَعْدُودٌ عِنْدَنَا".

نعم محسوب لا يتقدم، ولا يتأخر، أجله محدد.

"يَوْمَ يَأْتِي وَقُرِئَ {يَوْمَ يَأْتِ} [هود: ١٠٥]؛ لِأَنَّ الْيَاءَ تُحْذَفُ إِذَا كَانَ قَبْلَهَا كَسْرَةٌ؛ تَقُولُ: لَا أَدْرِ، ذَكَرَهُ الْقُشَيْرِيُّ.

قَالَ النَّحَّاسُ: قَرَأَهُ أَهْلُ الْمَدِينَـةِ وَأَبُـو عَمْـرٍو وَالْكِسَـائِيُّ بِإِثْبَـاتِ الْيَـاءِ فِـي الْإِدْرَاجِ، وَحَـذْفِهَا فِـي الْوَقْـفِ، وَرُوِيَ أَنَّ أُبَيًّا وَابْنَ مَسْـعُودٍ قَرَآ "يَوْمَ يَـأْتِي" بِالْيَـاءِ فِـي الْوَقْـفِ وَالْوَصْلِ. وَقَرَأَ الْأَعْمَشُ وَحَمْزَةُ "يَوْمَ يَـأْتِ" بِغَيْـرِ يَـاءٍ فِـي الْوَقْـفِ وَالْوَصْلِ، قَـالَ أَبُـو جَعْفَرٍ النَّحَّـاسُ: الْوَجْـهُ فِـي هَـذَا أَلَّا يُوقَـفَ عَلَيْـهِ، وَأَنْ يُوصَـلَ بِالْيَـاءِ؛ لِأَنَّ جَمَاعَـةً مِـنَ النَّحْـوِيِّينَ قَـالُوا: لَا تُحْـذَفُ الْيَـاءُ، وَلَا يُجْـزَمُ الشَّـيْءُ بِغَيْـرِ جَـازِمٍ، فَأَمَّـا الْوَقْـفُ بِغَيْـرِ يَـاءٍ فَفِيـهِ قَوْلٌ لِلْكِسَـائِيِّ، قَـالَ: لِأَنَّ الْفِعْلَ السَّـالِمَ يُوقَـفُ عَلَيْهِ كَالْمَجْزُومِ، فَحَذَفَ الْيَاءَ، كَمَا تُحْذَفُ الضَّمَّةُ. وَأَمَّا قِرَاءَةُ حَمْزَةَ فَقَدِ احْتَجَّ أَبُو عُبَيْدٍ لِحَذْفِ الْيَاءِ فِي الْوَصْلِ وَالْوَقْفِ بِحُجَّتَيْنِ:

إِحْدَاهُمَا: أَنَّهُ زَعَمَ أَنَّهُ رَآهُ فِي الْإِمَامِ الَّذِي يُقَالُ لَهُ إِنَّهُ مُصْحَفُ عُثْمَانَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْـهُ- بِغَيْرِ يَاءٍ.

وَالْحُجَّةُ الْأُخْرَى: أَنَّـهُ حَكَـى أَنَّهَا لُغَةُ هُذَيْلٍ، تَقُولُ: مَـا أَدْرِ، قَـالَ النَّحَّـاسُ: أَمَّـا حُجَّتُـهُ بِمُصْحَفِ عُثْمَانَ -رَضِـيَ اللَّهُ عَنْـهُ- فَشَـيْءٌ يَرُدُّهُ عَلَيْـهِ أَكْثَـرُ الْعُلَمَـاءِ؛ قَـالَ مَالِـكُ بْـنُ أَنَـسٍ -رَحِمَـهُ اللَّهُ-: سَأَلْتُ عَنْ مُصْحَفِ عُثْمَانَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- فَقِيلَ لِي: ذَهَبَ، وَأَمَّا حُجَّتُهُ بِقَوْلِهِمْ: "مَا أَدْرِ" فَلَا حُجَّـةَ فِيـهِ؛ لِأَنَّ هَذَا الْحَـذْفَ قَدْ حَكَـاهُ النَّحْوِيُّـونَ الْقُدَمَاءُ، وَذَكَـرُوا عِلَّتَـهُ، وَأَنَّـهُ لَا يُقَـاسُ عَلَيْـهِ. وَأَنْشَدَ الْفَرَّاءُ فِي حَذْفِ الْيَاءِ.

كَفَّـــاكَ كَـــفٌّ مَـــا تُلِيـــقُ دِرْهَمًـــا جُودًا وَأُخْرَى تُعْطِ بِالسَّيْفِ الدَّمَا

أَيْ تُعْطِي.

وَقَدْ حَكَى سِيبَوَيْهِ وَالْخَلِيلُ أَنَّ الْعَرَبَ تَقُولُ".

لكن هذا يقال: إن حذف الياء هنا للضرورة، ضرورة الشعر، لكن في النثر ما الداعي لها؟ الجزم بغير جازم.

"وَقَدْ حَكَى سِيبَوَيْهِ وَالْخَلِيلُ أَنَّ الْعَرَبَ تَقُولُ: لَا أَدْرِ، فَتَحْذِفُ الْيَاءَ وَتَجْتَزِئُ بِالْكَسْرَةِ، إِلَّا أَنَّهُمْ يَزْعُمُونَ أَنَّ ذَلِكَ لِكَثْرَةِ الِاسْتِعْمَالِ. قَالَ الزَّجَّاجُ: وَالْأَجْوَدُ فِي النَّحْوِ إِثْبَاتُ الْيَاءِ، قَالَ: وَالَّذِي أَرَاهُ اتِّبَاعَ الْمُصْحَفِ وَإِجْمَاعَ الْقُرَّاءِ؛ لِأَنَّ الْقِرَاءَةَ سُنَّةٌ، وَقَدْ جَاءَ مِثْلُهُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ.

{لَا تَكَلَّـمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِـهِ} [هـود: ١٠٥] الْأَصْـلُ تَـتَكَلَّمُ، حُـذِفَتْ إِحْـدَى التَّـاءَيْنِ تَخْفِيفًـا. وَفِيـهِ إِضْمَارٌ، أَيْ لَا تَتَكَلَّمُ.."

لا لا، وفيه، تركت سطرًا؟

طالب: .....

سطر.

طالب: نعم.

وفيه.

"فِيهِ نَفْسٌ إِلَّا بِالْمَأْذُونِ فِيهِ مِنْ حُسْنِ الْكَلَامِ؛ لِأَنَّهُمْ مُلْجَئُونَ"..

مُلْجَئُونَ

"لِأَنَّهُمْ مُلْجَئُونَ لَى تَرْكِ الْقَبِيحِ. وَقِيلَ: الْمَعْنَى لَا تَكَلَّمُ بِحُجَّةٍ وَلَا شَفَاعَةٍ إِلَّا بِإِذْنِهِ.

"وَقِيلَ: الْمَعْنَى لَا تَكَلَّمُ بِحُجَّةٍ وَلَا شَفَاعَةٍ إِلَّا بِإِذْنِهِ. وَقِيلَ: إِنَّ لَهُمْ فِي الْمَوْقِفِ وَقْتًا يُمْنَعُونَ فِيهِ مِنَ الْكَلَامِ إِلَّا بِإِذْنِهِ. وَهَذِهِ الْآيَةُ أَكْثَرُ مَا يُسْأَلُ عَنْهَا أَهْلُ الْإِلْحَادِ فِي الدِّينِ فَيَقُولُ: لِمَ قَالَ".

يَسأَل.

"وَهَذِهِ الْآيَةُ أَكْثَرُ مَا يَسْأَلُ عَنْهَا أَهْلُ الْإِلْحَادِ فِي الدِّينِ فَيَقُولُ: لِمَ قَالَ: {لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ} [هود: ١٠٥] و{هَذَا يَوْمُ لَا يَنْطِقُونَ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ} [المرسلات: ٣٥-٣٦]. وَقَالَ فِي مَوْضِعٍ مِنْ ذِكْرِ الْقِيَامَةِ: {وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ} [الصافات: ٢٧]. وَقَالَ: {يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا} [النحل: ١١١]. وَقَالَ: {وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ} [الصافات: ٢٤]. وَقَالَ: {فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ}[الرحمن: ٣٩]؟

وَالْجَوَابُ مَا ذَكَرْنَاهُ، وَأَنَّهُمْ لَا يَنْطِقُونَ بِحُجَّةٍ تَجِبُ لَهُمْ وَإِنَّمَا يَتَكَلَّمُونَ بِالْإِقْرَارِ بِذُنُوبِهِمْ، وَلَوْمِ بَعْضِهِمْ بَعْضًا، وَطَرْحِ بَعْضِهِمُ الذُّنُوبَ عَلَى بَعْضٍ؛ فَأَمَّا التَّكَلُّمُ وَالنُّطْقُ بِحُجَّةٍ لَهُمْ فَلَا، وَهَذَا كَمَا تَقُولُ لِلَّذِي يُخَاطِبُكَ كَثِيرًا، وَخِطَابُهُ فَارِغٌ عَنِ الْحُجَّةِ: مَا تَكَلَّمْتَ بِشَيْءٍ، وَمَا نَطَقْتَ بِشَيْءٍ، فَسُمِّيَ مَنْ يَتَكَلَّمُ بِلَا حُجَّةٍ فِيهِ لَهُ غَيْرَ مُتَكَلِّمٍ. وَقَالَ قَوْمٌ: ذَلِكَ الْيَوْمُ طَوِيلٌ، وَلَهُ مَوَاطِنُ وَمَوَاقِفُ فِي بَعْضِهَا".

نعم هذا جواب ابن عباس، مواطن ومواقف، لا يتكلمون في بعض الموقف، ويتكلمون في مواطن أخرى.

"يُمْنَعُونَ مِنَ الْكَلَامِ، وَفِي بَعْضِهَا يُطْلَقُ لَهُمُ الْكَلَامُ، فَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ لَا تَتَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ. {فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ} [هود: ١٠٥] أَيْ مِنَ الْأَنْفُسِ، أَوْ مِنَ النَّاسِ، وَقَدْ ذَكَرَهُمْ فِي قَوْلِهِ: {يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ} [هود: ١٠٣]. وَالشَّقِيُّ الَّذِي كُتِبَتْ عَلَيْهِ الشَّقَاوَةُ. وَالسَّعِيدُ الَّذِي كُتِبَتْ عَلَيْهِ السَّعَادَةُ؛ قَالَ لَبِيدٌ:

فَمِنْهُمْ سَعِيدٌ آخِذٌ بِنَصِيبِهِ وَمِنْهُمْ شَقِيٌّ بِالْمَعِيشَةِ قَانِعُ

وَرَوَى التِّرْمِذِيُّ عَنِ ابْنِ عُمَرَ، عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ {فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ} [هود: ١٠٥] سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ فَعَلَامَ نَعْمَلُ؟ عَلَى شَيْءٍ قَدْ فُرِغَ مِنْهُ، أَوْ عَلَى شَيْءٍ لَمْ يُفْرَغْ مِنْهُ؟ فَقَالَ: «بَلْ عَلَى شَيْءٍ قَدْ فُرِغَ مِنْهُ وَجَرَتْ بِهِ الْأَقْلَامُ يَا عُمَرُ، وَلَكِنْ كُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ». قَالَ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ لَا نَعْرِفُهُ إِلَّا مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ، وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي "الْأَعْرَافِ".

الحديث ثابت، الصحابة استشكلوا، كل شيء مقدر ومكتوب، والملك يؤمر بكتب أربع عند نفخ الروح، ومنها الكتابة بأنه شقي أو سعيد، قالوا: الآن العمل في شيءٍ قد فرغ منه؟ قال: نعم شيء قد فرغ منه، طيب، لماذا نعمل ما دام انتهى؟ نعم، انتهى، يعني لو قدر أن النتائج ترصد قبل الامتحانات، فلماذا يختبر الناس؟ الامتحان ما له فائدة، فهم ظنوا الأمر كذلك، وهنا من كُتبت عليه السعادة فسوف ييسر لأمر أهل السعادة «اعملوا فكلٌ ميسر لما خلق له»، ومن كُتبت عليه الشقاوة فسوف يسهل وييسر عليه عمله أهل الشقاء، ولا يقال: إنه مجبور على عمله سواء كان سعادة أو شقاءً.

لا، له إرادة، وله مشيئة تابعة لإرادة الله ومشيئته، {فأما من أَعْطَى وَاتَّقَى(٥) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى} [الليل٥-٦] هذا يقدم ما عنده، والنتيجة {فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى} [الليل: ٧] يعني قادر على أن يعطي، ويتقي، ويصدق، كما أنه لديه قدرة، وإمكانية أن يكذب ويبخل، فالله جعل له شيئًا من الحرية لكن ليست حرية مطلقة، وليست إرادة تامة، وإنما هي حرية مقيدة، وإرادة ومشيئة تابعة لمشيئة الله سبحانه وتعالى وإرادته.

ولا شك أن هذا الموطن من مضايق الأنظار، ضاقت به أنظار الكبار من أهل العلم، لكن على الإنسان أن يؤمن، ويصدِّق، ويعمل، ولا يضمن النتائج، يعمل ولا يضمن النتيجة، «وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا زراع، فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها»، مع كونه عاملًا لا يضمن، بل لا بد أن يكون خائفًا حتى آخر لحظة، ما يدري بأي شيء يُختم له، الأعمال بالخواتيم، وأشد ما يخافه السلف الذين جمعوا مع حسن العمل الخوف أكثر ما يخافون من سوء العاقبة، وكم من شخص فتن عند موته، فهؤلاء جمعوا بين الحسن، حسن العمل، مع الخوف من الله سبحانه وتعالى، بينما غيرهم يجمع بين الإساءة، والأمن، الأمن من مكر الله، والله المستعان.

طالب: في كلام السلف كثيرًا الخوف عند الموت، متى تكون الثقة بالله -عز وجل-؟

نعم، عند الاحتضار، عند الاحتضار إذا وثق، وأحب لقاء الله أحب الله لقاءه، من أجل هذا، يعني أقول: إنه إذا احتضر يحسن الظن بالله سبحانه وتعالى، ولذا كثيرٌ منهم يذكر بأنه عامل،

وعامل في آخر لحظة من حياته؛ من أجل أن يحسنُ الظن بربهم، ومنهم من يذكر لغيره، يذكر لأولاده وليس هذا من باب الاغترار، ولكن من أجل أن يموت وهو يحسن الظن بالله سبحانه وتعالى، وأما طيلت الحياة فلا بد من الخوف، فلا بد من الخوف مع الرجاء لما عند الله سبحانه وتعالى.

طالب: يا شيخ

نعم

طالب: .....

في حال الحياة يقول جمع من العلم في حال السعة الصحة يغلب جانب الخوف؛ لأنه يحثه على العمل.

طالب: .....

نعم.

طالب: .....

لا، هم ما يغلبون الخوف، لا، لما قال له الشيطان: "فتني يا أحمد" قال: بعضه صحيح، ما دامت الروح ما بعد طلعت، فهي محل فتنة.

طالب: .....

على كل حال في حال الاحتضار ينبغي أن يحسن الظن بربه، يحسن الظن بربه، ويتذكر ما فعله في حال الحياة من أجل أن تطلع روحه وهو محسن الظن بربه.

طالب: .....

لأنه في هذا الوقت ليس بوقت عمل، ما فيه إلا النطق بالشهادة، ما فيه عمل ينفعه الخوف من أجله؛ لأن الخوف فائدته الحث على العمل، لكن ما بقي عمل، ولذا في الدعاء للميت ماذا يقال؟ "اللهم من أحييته منا فأحيه على الإسلام" لأن فيه العمل "ومن توفيته منا فتوفه على الإيمان" الذي هو مجرد تصديق، وإذعان، وإقرار من دون عمل.

"قَوْلُهُ تَعَالَى: {فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا} [هود: ١٠٦] ابْتِدَاءٌ. {فَفِي النَّارِ} [هود: ١٠٦] فِي مَوْضِعِ الْخَبَرِ، وَكَذَا {لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ} [هود: ١٠٦] قَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ: الزَّفِيرُ مِنَ الصَّدْرِ. وَالشَّهِيقُ مِنَ الْحَلْقِ، وَعَنْهُ أَيْضًا ضِدُّ ذَلِكَ. وَقَالَ الزَّجَّاجُ: الزَّفِيرُ مِنْ شِدَّةِ الْأَنِينِ، وَالشَّهِيقُ مِنَ الْأَنِينِ الْمُرْتَفِعِ جِدًّا. قَالَ: وَزَعَمَ أَهْلُ اللُّغَةِ مِنَ الْكُوفِيِّينَ وَالْبَصْرِيِّينَ أَنَّ الزَّفِيرَ بِمَنْزِلَةِ ابْتِدَاءِ صَوْتِ الْحَمِيرِ فِي النَّهِيقِ، وَالشَّهِيقَ بِمَنْزِلَةِ آخِرِ صَوْتِ الْحِمَارِ فِي النَّهِيقِ. وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ– عَكْسَهُ، قَالَ: الزَّفِيرُ الصَّوْتُ الشَّدِيدِ، وَالشَّهِيقُ الصَّوْتُ الضَّعِيفُ. وَقَالَ الضَّحَّاكُ وَمُقَاتِلٌ: الزَّفِيرُ مِثْلُ أَوَّلِ نَهِيقِ الْحِمَارِ، وَالشَّهِيقُ مِثْلُ آخِرِهِ حِينَ فَرَغَ مِنْ صَوْتِهِ؛ قَالَ الشَّاعِرُ:

حَشْـرَجَ فِـي الْجَـوْفِ سَـحِيلًا أَوْ شَـهَقْ حَتَّـى يُقَـالَ نَـاهِقٌ وَمَـا نَهَـقْ

وَقِيلَ: الزَّفِيرُ إِخْرَاجُ النَّفَسِ، وَهُوَ أَنْ يَمْتَلِئَ الْجَوْفُ غَمًّا فَيَخْرُجُ بِالنَّفَسِ، وَالشَّهِيقُ رَدُّ النَّفَسِ. وَقِيلَ: الزَّفِيرُ تَرْدِيدُ النَّفَسِ مِنْ شِدَّةِ الْحُزْنِ، مَأْخُوذٌ مِنَ الزَّفْرِ وَهُوَ الْحَمْلُ عَلَى الظَّهْرِ لِشِدَّتِهِ، وَالشَّهِيقُ النَّفَسُ الطَّوِيلُ الْمُمْتَدُّ، مَأْخُوذٌ مِنْ قَوْلِهِمْ: جَبَلٌ شَاهِقٌ؛ أَيْ طَوِيلٌ. وَالزَّفِيرُ وَالشَّهِيقُ مِنْ أَصْوَاتِ الْمَحْزُونِينَ.

لما ذكر في آخر الآيات السابقة أن العباد منهم شقي وسعيد، وهذا على سبيل الإجمال، على سبيل اللف، ثم جاء البسط، والنشر فيما يتلو فقال: {فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ} [هود: ١٠٦] وهذا مرتب؛ لأنه بدأ بالإجمال باللف بالأشقياء، وبدأ بهم في النشر الذي هو البسط والتفصيل {فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ} [هود: ١٠٦] ثم ثنى بالسعداء، وبعد ذلك قال: {وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا} [هود: ١٠٨]، وهذا يسمونه لفًّا ونشرًا مرتبًا.

وأما ما تقدم في آل عمران {يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ} [آل عمران: ١٠٦] بدأ بمن ابيضت وجوههم قال: {يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ} [آل عمران: ١٠٦] ثم ثنى بالمسود، ثم بدأ في التفصيل بالثاني دون الأول، فهناك اللف والنشر المرتب كما هنا، وفي آل عمران اللف والنشر غير المرتب الذي يسمى بكتب البلاغة اللف والنشر المشوش ما هو مرتب، وكلاهما فصيح سوءٌ كان مرتبًا أو غير مرتب، كلاهما فصيح، وجاء في صحيح الكلام، كما سمعتم.

طالب: .....

ماذا؟

طالب: .....

هو كأنها من كتب الأدب، هم يطلقون.

طالب: لما كان اللف فيه انتقاص للكلام وو.

لا هو إذا عرفنا أنه سواء كان مرتبًا أو غير مرتب كلاهما فصيح، جاء في أفصح الكلام، نعم.

طالب: .....

ما فيه إشكال.

"قَوْلُهُ تَعَالَى: {خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ} [هود: ١٠٧] مَا دَامَتْ فِي مَوْضِعِ نَصْبٍ عَلَى الظَّرْفِ، أَيْ دَوَامَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَالتَّقْدِيرُ: وَقْتَ ذَلِكَ. وَاخْتُلِفَ فِي تَأْوِيلِ هَذَا؛ فَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمُ الضَّحَّاكُ: الْمَعْنَى مَا دَامَتْ سَمَاوَاتُ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ وَأَرْضُهُمَا، وَالسَّمَاءُ كُلُّ مَا عَلَاكَ فَأَظَلَّكَ، وَالْأَرْضُ مَا اسْتَقَرَّ عَلَيْهِ قَدَمُكَ، وَفِي التَّنْزِيلِ: {وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ} [الزمر: ٧٤].

وَقِيلَ: أَرَادَ بِهِ السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ الْمَعْهُودَتَيْنِ فِي الدُّنْيَا وَأَجْرَى ذَلِكَ عَلَى عَادَةِ الْعَرَبِ فِي الْإِخْبَارِ عَنْ دَوَامِ الشَّيْءِ وَتَأْبِيدِهِ، كَقَوْلِهِمْ: لَا آتِيكَ مَا جَنَّ لَيْلٌ، أَوْ سَالَ سَيْلٌ، وَمَا اخْتَلَفَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، وَمَا نَاحَ الْحَمَامُ، وَمَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ".

يعني ما هو بجاءٍ أبدًا، تيئيس، هذا تيئيس.

"وَنَحْوُ هَذَا مِمَّا يُرِيدُونَ بِهِ طُولًا مِنْ غَيْرِ نِهَايَةٍ، فَأَفْهَمَهُمُ اللَّهُ تَخْلِيدَ الْكَفَرَةِ بِذَلِكَ. وَإِنْ كَانَ قَدْ أَخْبَرَ بِزَوَالِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ. وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ جَمِيعَ الْأَشْيَاءِ الْمَخْلُوقَةِ أَصْلُهَا مِنْ نُورِ الْعَرْشِ، وَأَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي الْآخِرَةِ تُرَدَّانِ إِلَى النُّورِ الَّذِي أُخِذَتَا مِنْهُ؛ فَهُمَا دَائِمَتَانِ أَبَدًا فِي نُورِ الْعَرْشِ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: {إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ فِي مَوْضِعِ نَصْبٍ} [هود: ١٠٧]؛ لِأَنَّهُ اسْتِثْنَاءٌ لَيْسَ مِنَ الْأَوَّلِ؛ وَقَدِ اخْتُلِفَ فِيهِ".

ليس من الأول يعني استثناءً منقطعًا، و"إلا" هنا تكون بمعنى"لكن".

"وَقَدِ اخْتُلِفَ فِيهِ عَلَى أَقْوَالٍ عَشَرَةٍ: الْأُولَى: أَنَّهُ اسْتِثْنَاءٌ مِنْ قَوْلِهِ: {فَفِي النَّارِ} [هود: ١٠٦] كَأَنَّهُ قَالَ: {إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ} [هود: ١٠٧] مِنْ تَأْخِيرِ قَوْمٍ عَنْ ذَلِكَ".

الأولى أم الأول؟

طالب: عشرة..

هو عشرة.

طالب: عشر من..

من المذكر نعم.

طالب: الأول أو.

الأول بلا شك؛ لأن الذي يليه الثاني.

"الْأُولَى: أَنَّهُ اسْتِثْنَاءٌ".

يعني الأول من هذه الأقوال.

"الْأول: أَنَّهُ اسْتِثْنَاءٌ مِنْ قَوْلِهِ: {فَفِي النَّارِ} [هود: ١٠٦] كَأَنَّهُ قَالَ: {إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ} [هود: ١٠٧] مِنْ تَأْخِيرِ قَوْمٍ عَنْ ذَلِكَ، وَهَذَا قَوْلٌ رَوَاهُ أَبُو نَضْرَةَ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ وَجَابِرٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا-. وَإِنَّمَا لَمْ يَقُلْ مَنْ شَاءَ؛ لِأَنَّ الْمُرَادَ الْعَدَدُ لَا الْأَشْخَاصُ، كَقَوْلِهِ: {مَا طَابَ لَكُمْ} [النساء: ٣]. وَعَنْ أَبِي نَضْرَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- «إِلَّا مَنْ شَاءَ أَلَّا يُدْخِلَهُمْ وَإِنْ شَقوا بِالْمَعْصِيَةِ».

شَقُوا.

«إِلَّا مَنْ شَاءَ أَلَّا يُدْخِلَهُمْ وَإِنْ شَقوا بِالْمَعْصِيَةِ».

الثَّانِي: أَنَّ الِاسْتِثْنَاءَ إِنَّمَا هُوَ لِلْعُصَاةِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي إِخْرَاجِهِمْ بَعْدَ مُدَّةٍ مِنَ النَّارِ، وَعَلَى هَذَا يَكُونُ قَوْلُهُ: {فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا}[هود: ١٠٦]

شقوا شقوا.

{فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا} [هود: ١٠٦] عَامًّا فِي الْكَفَرَةِ وَالْعُصَاةِ، وَيَكُونُ الِاسْتِثْنَاءُ مِنْ "خَالِدِينَ"، قَالَهُ قَتَادَةُ وَالضَّحَّاكُ وَأَبُو سِنَانٍ وَغَيْرُهُمْ. وَفِي الصَّحِيحِ مِنْ حَدِيثِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «يَدْخُلُ نَاسٌ جَهَنَّمَ حَتَّى إِذَا صَارُوا كَالْحُمَمَةِ أُخْرِجُوا مِنْهَا وَدَخَلُوا الْجَنَّةَ فَيُقَالُ: هَؤُلَاءِ الْجَهَنَّمِيُّونَ»، وَقَدْ تَقَدَّمَ هَذَا الْمَعْنَى فِي "النِّسَاءِ"، وَغَيْرِهَا. الثَّالِثُ: أَنَّ الِاسْتِثْنَاءَ مِنَ الزَّفِيرِ وَالشَّهِيقِ، أَيْ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ مِنْ أَنْوَاعِ الْعَذَابِ الَّذِي لَمْ يَذْكُرْهُ، وَكَذَلِكَ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ مِنَ النَّعِيمِ مَا ذُكِرَ، وَمَا لَمْ يُذْكَرْ. حَكَاهُ ابْنُ الْأَنْبَارِيِّ.

الرَّابِعُ: قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: {خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ} [هود: ١٠٧] لَا يَمُوتُونَ فِيهَا، وَلَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا، {إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ} [هود: ١٠٧]، وَهُوَ أَنْ يَأْمُرَ النَّارَ فَتَأْكُلُهُمْ وَتُفْنِيَهُمْ، ثُمَّ يُجَدِّدُ خَلْقَهُمْ.

قُلْتُ: وَهَذَا الْقَوْلُ خَاصٌّ بِالْكَافِرِ وَالِاسْتِثْنَاءُ لَهُ فِي الْأَكْلِ، وَتَجْدِيدِ الْخَلْقِ.

الْخَامِسُ: أَنَّ إِلَّا بِمَعْنَى "سِوَى" كَمَا تَقُولُ فِي الْكَلَامِ".

ما الداعي إلى هذه الأقوال العشرة؟

ما الذي دعاه إلى أن يذكر هذه العشرة الأقوال؟

الطالب: الاستثناء.

نعم؛ لأنه يلزم على الاستثناء القول بفناء النار، وأن الكفار لا يخلدون في النار، {خَالِدِينَ فِيهَا} [هود: ١٠٧] {إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ} [هود: ١٠٧] فيلزم عليه القول بفناء النار، ويأتي أيضًا الاستثناء في الجنة، والقول بفناء الجنة والنار قول الجهنمية، القول بفناء الجنة والنار هو قول الجهنمية، والذي عليه أهل السنة أن الجنة النار دائمة دائمة أبدية، فمن كان في نعيم فهو أبدي، ومن كان في عذاب فهو سرمدي. وهذيل العلاف يقول: ما يفنون، باقون، من في النار باقون في النار، ومن في الجنة باقون في الجنة، لكن تفنى حركاتهم، تفنى حركاتهم.

وهذا قول ساقط، والنصوص في الكتاب والسنة متضافرة على أن النعيم باقٍ، نعيم الجنة باقٍ، وأنه لا يفنى أبد الآباد، وكذلك عذاب أهل النار ممن حكم له بالخلود من الكفار من اليهود، والنصارى، والمشركين، وغيرهم.

المقصود أن هذه الأقوال من أجل وجود هذا الاستثناء، يعني هل الاستثناء من خالدين، أو من غيره، أو معنى إلا ليست على بابها من الاستثناء، كما ذكره المؤلف -رحمه الله- في القول الخامس؟

"الْخَامِسُ: أَنَّ إِلَّا بِمَعْنَى "سِوَى" كَمَا تَقُولُ فِي الْكَلَامِ: مَا مَعِي رَجُلٌ إِلَّا زَيْدٌ، وَلِي عَلَيْكَ أَلْفَا دِرْهَمٍ إِلَّا الْأَلْفَ الَّتِي لِي عَلَيْكَ. قِيلَ: فَالْمَعْنَى مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ سِوَى مَا شَاءَ رَبُّكَ مِنَ الْخُلُودِ.

السَّادِسُ: أَنَّهُ اسْتِثْنَاءٌ مِنَ الْإِخْرَاجِ، وَهُوَ لَا يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَهُمْ مِنْهَا. كَمَا تَقُولُ فِي الْكَلَامِ: أَرَدْتُ أَنْ أَفْعَلَ ذَلِكَ إِلَّا أَنْ أَشَاءَ غَيْرَهُ، وَأَنْتَ مُقِيمٌ عَلَى ذَلِكَ الْفِعْلِ، فَالْمَعْنَى أَنَّهُ لَوْ شَاءَ أَنْ يُخْرِجَهُمْ لَأَخْرَجَهُمْ، وَلَكِنَّهُ قَدْ أَعْلَمَهُمْ أَنَّهُمْ خَالِدُونَ فِيهَا، ذَكَرَ هَذَيْنِ الْقَوْلَيْنِ الزَّجَّاجُ عَنْ أَهْلِ اللُّغَةِ، قَالَ: وَلِأَهْلِ الْمَعَانِي قَوْلَانِ آخَرَانِ، فَأَحَدُ الْقَوْلَيْنِ: {خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ} [هود: ١٠٧] مِنْ مِقْدَارِ مَوْقِفِهِمْ عَلَى رَأْسِ قُبُورِهِمْ، وَلِلْمُحَاسَبَةِ، وَقَدْرِ مُكْثِهِمْ فِي الدُّنْيَا، وَالْبَرْزَخِ، وَالْوُقُوفِ لِلْحِسَابِ. وَالْقَوْلُ الْآخَرُ: وُقُوعُ الِاسْتِثْنَاءِ فِي الزِّيَادَةِ عَلَى النَّعِيمِ وَالْعَذَابِ، وَتَقْدِيرُهُ: {خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ} [هود: ١٠٧] مِنْ زِيَادَةِ النَّعِيمِ لِأَهْلِ النَّعِيمِ، وَزِيَادَةِ الْعَذَابِ لِأَهْلِ الْجَحِيمِ.

قُلْتُ: فَالِاسْتِثْنَاءُ فِي الزِّيَادَةِ مِنَ الْخُلُودِ عَلَى مُدَّةِ كَوْنِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ الْمَعْهُودَتَيْنِ فِي الدُّنْيَا، وَاخْتَارَهُ التِّرْمِذِيُّ الْحَكِيمُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ، أَيْ خَالِدِينَ فِيهَا مِقْدَارَ دَوَامِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَذَلِكَ مُدَّةُ الْعَالَمِ، وَلِلسَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَقْتٌ يَتَغَيَّرَانِ فِيهِ، وَهُوَ قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ: {يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ} [إبراهيم: ٤٨]، فَخَلَقَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ الْآدَمِيِّينَ وَعَامَلَهُمْ، وَاشْتَرَى مِنْهُمْ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِالْجَنَّةِ، وَعَلَى ذَلِكَ بَايَعَهُمْ يَوْمَ الْمِيثَاقِ، فَمَنْ وَفَّى بِذَلِكَ الْعَهْدِ فَلَهُ الْجَنَّةُ، وَمَنْ ذَهَبَ بِرَقَبَتِهِ يَخْلُدُ فِي النَّارِ بِمِقْدَارِ دَوَامِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، فَإِنَّمَا دَامَتَا لِلْمُعَامَلَةِ، وَكَذَلِكَ أَهْلُ الْجَنَّةِ خُلُودٌ فِي الْجَنَّةِ بِمِقْدَارِ ذَلِكَ، فَإِذَا تَمَّتْ هَذِهِ الْمُعَامَلَةُ وَقَعَ الْجَمِيعُ فِي مَشِيئَةِ اللَّهِ؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ} [الدخان: ٣٨-٣٩]، فَيَخْلُدُ أَهْلُ الدَّارَيْنِ بِمِقْدَارِ دَوَامِهِمَا، وَهُوَ حَقُّ الرُّبُوبِيَّةِ بِذَلِكَ الْمِقْدَارِ مِنَ الْعَظَمَةِ، ثُمَّ أَوْجَبَ لَهُمُ الْأَبَدَ فِي كِلْتَا الدَّارَيْنِ لِحَقِّ الْأَحَدِيَّةِ، فَمَنْ لَقِيَهُ مُوَحِّدًا لِأَحَدِيَّتِهِ بَقِيَ فِي دَارِهِ أَبَدًا، وَمَنْ لَقِيَهُ مُشْرِكًا بِأَحَدِيَّتِهِ إِلَهًا بَقِيَ فِي السِّجْنِ أَبَدًا، فَأَعْلَمَ اللَّهُ الْعِبَادَ مِقْدَارَ الْخُلُودِ، ثُمَّ قَالَ: {إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ} [هود: ١٠٧] مِنْ زِيَادَةِ الْمُدَّةِ الَّتِي تَعْجَزُ الْقُلُوبُ عَنْ إِدْرَاكِهَا؛ لِأَنَّهُ لَا غَايَةَ لَهَا، فَبِالِاعْتِقَادِ دَامَ خُلُودُهُمْ فِي الدَّارَيْنِ أَبَدًا.

وَقَدْ قِيلَ: إِنَّ إِلَّا بِمَعْنَى الْوَاوِ، قَالَهُ الْفَرَّاءُ وَبَعْضُ أَهْلِ النَّظَرِ وَهُوَ الثَّامِنُ، وَالْمَعْنَى: وَمَا شَاءَ رَبُّكَ مِنَ الزِّيَادَةِ فِي الْخُلُودِ عَلَى مُدَّةِ دَوَامِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فِي الدُّنْيَا.

وَقَدْ قِيلَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: {إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا} [العنكبوت: ٤٦] أَيْ وَلَا الَّذِينَ ظَلَمُوا. وَقَالَ الشَّاعِرُ:

وَكُلُّ أَخٍ مُفَارِقُهُ أَخُوهُ ... لَعَمْرُ أَبِيكَ إِلَّا الْفَرْقَدَانِ

أَيْ وَالْفَرْقَدَانِ.

وَقَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ مَكِّيٌّ: وَهَذَا قَوْلٌ بَعِيدٌ عِنْدَ الْبَصْرِيِّينَ أَنْ تَكُونَ إِلَّا بِمَعْنَى الْوَاوِ، وَقَدْ مَضَى فِي الْبَقَرَةِ بَيَانُهُ. وَقِيلَ: مَعْنَاهُ كَمَا شَاءَ رَبُّكَ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: {وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ} [النساء: ٢٢] أَيْ كَمَا قَدْ سَلَفَ، وَهُوَ: التَّاسِعُ.

الْعَاشِرُ: وَهُوَ أَنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى: {إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ} [هود: ١٠٧] إِنَّمَا ذَلِكَ عَلَى طَرِيقِ الِاسْتِثْنَاءِ الَّذِي نَدَبَ الشَّرْعُ إِلَى اسْتِعْمَالِهِ فِي كُلِّ كَلَامٍ، فَهُوَ عَلَى حَدِّ قَوْلِهِ تَعَالَى: {لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ} [الفتح: ٢٧] فَهُوَ اسْتِثْنَاءٌ فِي وَاجِبٍ، وَهَذَا الِاسْتِثْنَاءُ فِي حُكْمِ الشَّرْطِ كَذَلِكَ، كَأَنَّهُ قَالَ: إِنْ شَاءَ رَبُّكَ، فَلَيْسَ يُوصَفُ بِمُتَّصِلٍ وَلَا مُنْقَطِعٍ، وَيُؤَيِّدُهُ وَيُقَوِّيهِ قَوْلُهُ تَعَالَى: {عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ} [هود: ١٠٨]، وَنَحْوُهُ عَنْ أَبِي عُبَيْدٍ".

يدل على عدم انقطاعه كونه: {غَيْرَ مَجْذُوذٍ} [هود: ١٠٨] دائم، ويكون الاستثناء على القول الأخير قوله: {إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ} [هود: ١٠٨] من باب تعليم العباد أن يستثنوا إذا ذكروا شيئًا من باب التحقيق، والتبرك بمشيئة الله سبحانه وتعالى، وإن لم يكن من باب التعليق كما هنا.

"وَنَحْوُهُ عَنْ أَبِي عُبَيْدٍ قَالَ: تَقَدَّمَتْ عَزِيمَةُ الْمَشِيئَةِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى فِي خُلُودِ الْفَرِيقَيْنِ فِي الدَّارَيْنِ، فَوَقَعَ لَفْظُ الِاسْتِثْنَاءِ، وَالْعَزِيمَةُ قَدْ تَقَدَّمَتْ فِي الْخُلُودِ.

قَالَ: وَهَذَا مِثْلُ قَوْلِهِ تَعَالَى: {لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ} [الفتح: ٢٧] وَقَدْ عَلِمَ أَنَّهُمْ يَدْخُلُونَهُ حَتْمًا، فَلَمْ يُوجِبِ الِاسْتِثْنَاءُ فِي الْمَوْضِعَيْنِ خِيَارًا؛ إِذِ الْمَشِيئَةُ قَدْ تَقَدَّمَتْ، بِالْعَزِيمَةِ فِي الْخُلُودِ فِي الدَّارَيْنِ وَالدُّخُولِ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ؛ وَنَحْوُهُ عَنِ الْفَرَّاءِ.

وَقَوْلٌ -حَادِيَ عَشَرَ-: وَهُوَ أَنَّ الْأَشْقِيَاءَ هُمُ السُّعَدَاءُ، وَالسُّعَدَاءُ هُمُ الْأَشْقِيَاءُ لَا غَيْرُهُمْ، وَالِاسْتِثْنَاءُ فِي الْمَوْضِعَيْنِ رَاجِعٌ إِلَيْهِمْ، وَبَيَانُهُ أَنَّ "مَا" بِمَعْنَى "مَنْ"، اسْتَثْنَى اللَّهُ -عَزَّ وَجَلَّ- مِنَ الدَّاخِلِينَ فِي النَّارِ الْمُخَلَّدِينَ فِيهَا الَّذِينَ يُخْرَجُونَ مِنْهَا مِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بِمَا مَعَهُمْ مِنَ الْإِيمَانِ، وَاسْتَثْنَى مِنَ الدَّاخِلِينَ فِي الْجَنَّةِ الْمُخَلَّدِينَ فِيهَا الَّذِينَ يَدْخُلُونَ النَّارَ بِذُنُوبِهِمْ قَبْلَ دُخُولِ الْجَنَّةِ ثُمَّ يُخْرَجُونَ مِنْهَا إِلَى الْجَنَّةِ. وَهُمُ الَّذِينَ وَقَعَ عَلَيْهِمُ الِاسْتِثْنَاءُ الثَّانِي؛ كَأَنَّهُ قَالَ تَعَالَى: {فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ} [هود: ١٠٦-١٠٧] أَلَّا يُخَلِّدَهُ فِيهَا، وَهُمُ الْخَارِجُونَ مِنْهَا مِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بِإِيمَانِهِمْ وَبِشَفَاعَةِ مُحَمَّدٍ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فَهُمْ بِدُخُولِهِمُ النَّارَ يُسَمَّوْنَ الْأَشْقِيَاءَ، وَبِدُخُولِهِمُ الْجَنَّةَ يُسَمَّوْنَ السُّعَدَاءَ، كَمَا رَوَى الضَّحَّاكُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ إِذْ قَالَ: الَّذِينَ سَعِدُوا شَقُوا بِدُخُولِ النَّارِ، ثُمَّ سَعِدُوا بِالْخُرُوجِ مِنْهَا وَدُخُولِهِمُ الْجَنَّةَ".

طالب: .....

ما معناه؟

"طالب: يقول: إن الاستثناء يبقى على الذين تأخر دخولهم إلى الجنة الذين عوقبوا بذنوب البصيرة، ثم دخول الجنة فلا خلود تام لهم هناك، ولا خلود هنا؟

يعني في الموضعين المراد بهم واحد.

طالب: الاستثناء واحد.

في الموضعين، الاستثناء في الموضوعين {فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ خَالِدِينَ فِيهَا} [هود ١٠٦-١٠٧] {إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ} [هود: ١٠٧] بأن يدخلوا النار ثم يخرجون منها؛ لأنهم ليسوا من أهل الخلود، لكن من أهل المعاصي.

{وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ} [هود: ١٠٨] أيضًا {خَالِدِينَ فِيهَا} [هود: ١٠٧] {إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ} [هود: ١٠٧] {خَالِدِينَ فِيهَا} [هود: ١٠٧]. من أول الأمر أو من آخره؟

الطالب: من آخره.

نعم، فيكون الاستثناء لما كان قبل دخولهم الجنة، مع أن هذا يبعد، بعيد من السياق.

طالب: هذا الذي اختاره التفسير الميسر.

المقصود أنه بعيد عن السياق يكون المراد بالآيتين شيئًا واحدًا، يكون قوله: {فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ} [هود: ١٠٥] نوعًا واحدًا، شقي وسعيد نوعًا واحدًا، فتكون الأنواع ثلاثة: مؤمن خالص هذا خالد في الجنة من أول الوقت إلى آخره، وكافرٌ خالص هذا مخلد في النار من أول الوقت إلى آخره، وشخصٌ ثالث شقيٌ وسعيد في آنٍ واحد "شقي" باعتبار الحال، "سعيد" باعتبار المآل، شقي في وقت دخوله النار، وسعيد..

طالب: بعد دخوله الجنة.

بعد دخوله الجنة {فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا} [هود: ١٠٦]، {وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا} [هود: ١٠٨] "أما" هذه لإيش؟

طالب: تفصيل.

تفصيل، أما كذا، وأما كذا "تفصيل" تذكر لذكر أنواع، ولا تذكر لنوعٍ واحد، {فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا} [هود: ١٠٦]، {وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا} [هود: ١٠٨] هذا نوع واحد، كلا الاثنين نوع واحد، فهم شقوا باعتبار الحال، وسعدوا باعتبار المآل، فالنهاية سعادتهم إذا أخرجوا من النار وأدخلوا الجنة.

لكن هذا فيه بعد، الآيتان فيها صنفان من الناس، ولا شك أن الاستثناء مشكل، وإذا احتيج لمثل هذا الكلام إضافةً على قوله تعالى: {لابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا} [النبأ: ٢٣].

طالب:.....

نعم.

طالب: .....

"الأحقاب" مئات السنين، الأحقاب مئات السنين، لكن ماذا بعد هذه الأحقاب؟ هل معنى أنه بعد هذه الأحقاب يخرجون؟ لا؛ لأن الله حكم عليهم بالخلود، كلام عمر -رضي الله عن- لو لبثوا يعني: أهل النار، بقدر رمل عَالجْ، كثير كثير نفودٌ كبير جدًّا، يعني لو لبثوا من السنين بقدر رمل عَالجْ لكان لهم يوم يخرجون فيه، هذا يستدل به من يقول بفناء النار وأهل النار، لكن ليس فيه دليل، وتقدم قوله بأنه قد يقال في الكلام على وجه التيئيس بما يطول أمده، تقول: ما آتيك ما بقي الليل والنهار. هل معنى هذا أنه لو انتهى الليل والنهار سيأتيه؟

طالب: لا.

لا، ليس مفهومه هذا، أيضًا في قول عمر -رضي الله عنه-: بقدر رمل عَالجْ لكان لهم لو كان محددًا بقدر يوم عَالجْ لانتهى رمل عَالجْ وانتهى، لكنهم ما ربطوا برمل عالج، "لو لبثوا مقدار رمل عالج لكان لهم يوم يخرجون فيه"، لكنهم ما ربطوا، ما قيل: إنكم تمكثون في النار بقدر رمل عالج، وإلا فالرمل مهما كان عدده ينفد، فبقاؤهم ليس مربوطًا بقدار رمل عالج، وإن فهم بعضهم أن هذا القول يدل على فناء النار، ولو كان بعد آماد، لكن ليس فيه دليل.

المقصود أن مثل هذه الآية، وآية النبأ، وما يروى عن عمر يستدل بها من يقول "بفناء النار" يستدل بالآية الثانية من يقول بفناء الجنة، وهو قول الجهنمية كما هو معروف، والمعتمد عند أهل السنة والجماعة أن الجنة والنار باقيتان أبد الآباد مخلوقتان موجودتان في الدنيا، وأيضًا هما مستمرتان إلى ما لا نهاية لتعذيب أهل النار العذاب الأبدي السرمدي، ولنعيم أهل الجنة النعيم الذي لا حد له.

طالب: ابن القيم يا شيخ يرى الفناء؟

لا لا، ما يرى الفناء ولا شيئًا، ما فيه شيء صريح.

طالب: .....

ما فيه شيء صريح، هو ذكر الأدلة، واستعرض الأقوال من غير ترجيح.

طالب: .....

لا لا، ما فيه أليق، كيف قال أليق؟

يعني من حيث إن هذا عصى؟

طالب: .....

هو ذكر الأدلة، أدلة الفريقين، لكن نعلم منهم من يقول: إن شخصًا عصى مئة سنة، كيف يعذب آلاف السنين، يعذب بقدر ما عصى، عاش مئة سنة، يعذب مئة سنة.

طالب: .....

قد يقول بعضهم هذا وقد قيل، يعني من عدل الله ورحمته أن يعذب الشخص أن يعذب الذي عصى مئة سنة يعذبه آلاف السنين؟

طالب: .....

هو بنيته، ومستصحب هذا، مستصحب الكفر، ما في نيته في يوم من الأيام أنه يعصي يعصي عشر سنين عشين سنة ثم يتوب، لا.

طالب: .....

ماذا؟

طالب: .....

ما ينفع، ما ينفع، يعني إذا عاين خلاص ما نفع.

طالب: .....

لو ردوا لعادوا، لو ردوا لعادوا.

طالب: القول بفناء النار فقط فيه شيء كبير؟

نعم، فيه أشياء، هو قول الجهمية.

طالب: فناء النار.

نعم.

طالب: فيه أدلة.

مثل هذا مثل فناء الجنة على أساس أنه موجود هنا وهناك.

طالب: .....

لا لا لا..

طالب: .....

نعم صحيح، نعم صحيح، أبدًا.

طالب: ابن القيم يا شيخ..

ابن القيم ذكر الأقوال واستطرد بذكرها وما رجح فقط.

الطالب: .....

لا لا، ما رجح، ما رجح، أنت استشففت، أنت اقرأ الأدلة الأخرى، وانظر قوتها.

طالب: .....

مثل صاحب دار السعادة لما ذكر الخلاف في الجنة التي دخلها آدم هل هي جنة الخلد أم جنة في الدنيا غيرها؟ تقرأ الخلاف ما تطلع بنتيجة؛ لأن الأدلة متكافئة عندهم، لكن ما نقول إنه رجح.

"وَقَرَأَ الْأَعْمَشُ وَحَفْصٌ وَحَمْزَةُ وَالْكِسَائِيُّ {وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا} [هود: ١٠٨] بِضَمِّ السِّينِ. وَقَالَ أَبُو عَمْرٍو: وَالدَّلِيلُ عَلَى أَنَّهُ سَعِدُوا أَنَّ الْأَوَّلَ شَقُوا وَلَمْ يَقُلْ: أُشْقُوا".

طالب: أم شقوا.

أين؟

طالب: يقول: شقوا أم يقول أشقوا.

ولم يقل: أُشقوا مثل سعدوا.

طالب: يعني هي للبناء للمجهول يقول شقوا بدون همزة.

لا لا لا.

"قَالَ النَّحَّاسُ: وَرَأَيْتُ عَلِيَّ بْنَ سُلَيْمَانَ يَتَعَجَّبُ مِنْ قِرَاءَةِ الْكِسَائِيِّ: سُعِدُوا مَعَ عِلْمِهِ بِالْعَرَبِيَّةِ! إِذْ كَانَ هَذَا لَحْنًا لَا يَجُوزُ؛ لِأَنَّهُ إِنَّمَا يُقَالُ: سَعِدَ فُلَانٌ وَأَسْعَدَهُ اللَّهُ، وَأَسْعَدَ".

وأُسعدَ.

"وَأَسْعَدَ مِثْلُ أَمْرَضَ، وَإِنَّمَا احْتَجَّ الْكِسَائِيُّ بِقَوْلِهِمْ: مَسْعُودٌ وَلَا حُجَّةَ لَهُ فِيهِ؛ لِأَنَّهُ يُقَالُ: مَكَانٌ مَسْعُودٌ فِيهِ، ثُمَّ يُحْذَفُ فِيهِ وَيُسَمَّى بِهِ. وَقَالَ الْمَهْدَوِيُّ: وَمَنْ ضَمَّ السِّينَ مِنْ سُعِدُوا فَهُوَ مَحْمُولٌ عَلَى قَوْلِهِمْ: مَسْعُودٌ، وَهُوَ شَاذٌّ قَلِيلٌ؛ لِأَنَّهُ لَا يُقَالُ: سَعِدَهُ اللَّهُ، إِنَّمَا يُقَالُ: أَسْعَدَهُ اللَّهُ.

"وَقَالَ الثَّعْلَبِيُّ: سُعِدُوا بِضَمِّ السِّينِ أَيْ رُزِقُوا السَّعَادَةَ، يُقَالُ: سَعِدَ وَأَسْعَدَ بِمَعْنًى وَاحِدٍ، وَقَرَأَ الْبَاقُونَ: "سَعِدُوا" بِفَتْحِ السِّينِ قِيَاسًا عَلَى شَقُوا، وَاخْتَارَهُ أَبُو عُبَيْدٍ وَأَبُو حَاتِمٍ. وَقَالَ الْجَوْهَرِيُّ: وَالسَّعَادَةُ خِلَافُ الشَّقَاوَةِ، تَقُولُ: مِنْهُ سَعِدَ الرَّجُلُ بِالْكَسْرِ فَهُوَ سَعِيدٌ، مِثْلُ سَلِمَ فَهُوَ سَلِيمٌ، وَسَعِدَ فَهُوَ مَسْعُودٌ؛ وَلَا يُقَالُ فِيهِ: مُسْعَدٌ، كَأَنَّهُمُ اسْتَغْنَوْا عَنْهُ بِمَسْعُودٍ.

وَقَالَ الْقُشَيْرِيُّ أَبُو نَصْرٍ عَبْدُ الرَّحِيمِ: وَقَدْ وَرَدَ سَعِدَهُ اللَّهُ فَهُوَ مَسْعُودٌ، وَأَسْعَدَهُ اللَّهُ فَهُوَ مُسْعَدٌ، فَهَذَا يُقَوِّي قَوْلَ الْكُوفِيِّينَ وَقَالَ سِيبَوَيْهِ: لَا يُقَالُ: سَعِدَ فُلَانٌ كَمَا لَا يُقَالُ: شَقِيَ فُلَانٌ؛ لِأَنَّهُ مِمَّا لَا يَتَعَدَّى. {عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ} [هود: ١٠٨] أَيْ غَيْرَ مَقْطُوعٍ، مِنْ جَذَّهُ يَجُذُّهُ أَيْ قَطَعَهُ؛ قَالَ النَّابِغَةُ:

تَجُــذُّ السَّــلُوقِيَّ الْمُضَــاعَفَ نَسْــجُهُ وَتُوقِدُ بِالصُّفَّاحِ نَارَ الْحُبَاحِبِ

قَوْلُهُ تَعَالَى: {فَلَا تَكُ} [هود: ١٠٩] جَزْمٌ بِالنَّهْيِ؛ وَحُذِفَتِ النُّونُ لِكَثْرَةِ الِاسْتِعْمَالِ".

كلها مجزومة؛ لأن الجزم إنما يكون بالنسبة كان يكون، قام يقوم. بأي شيء؟

طالب:.....

لاجتماع الساكنين، حذف حرف العلة، ويجتمع الساكنان.

"{فِي مِرْيَةٍ} [هود: ١٠٩] أَيْ فِي شَكٍّ. {مِمَّا يَعْبُدُ هَؤُلَاءِ} [هود: ١٠٩] مِنَ الْآلِهَةِ أَنَّهَا بَاطِلٌ. وَأَحْسَنُ مِنْ هَذَا: أَيْ قُلْ يَا مُحَمَّدُ لِكُلِّ مَنْ شَكَّ لَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِمَّا يَعْبُدُ هَؤُلَاءِ أَنَّ اللَّهَ- عَزَّ وَجَلَّ- مَا أَمَرَهُمْ بِهِ، وَإِنَّمَا يَعْبُدُونَهَا كَمَا كَانَ آبَاؤُهُمْ يَفْعَلُونَ تَقْلِيدًا لَهُمْ.

{وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنْقُوصٍ} [هود: ١٠٩] فِيهِ ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ: أَحَدُهَا: نَصِيبُهُمْ مِنَ الرِّزْقِ، قَالَهُ أَبُو الْعَالِيَةِ. الثَّانِي: نَصِيبُهُمْ مِنَ الْعَذَابِ، قَالَهُ ابْنُ زَيْدٍ. الثَّالِثُ: مَا وُعِدُوا بِهِ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ، قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا-.

[هود: ١١٠] قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ}[هود: ١١٠] الْكَلِمَةُ: أَنَّ اللَّهَ - عَزَّ وَجَلَّ - حَكَمَ أَنْ يُؤَخِّرَهُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ؛ لِمَا عَلِمَ فِي ذَلِكَ مِنَ الصَّلَاحِ، وَلَوْلَا ذَلِكَ لَقَضَى بَيْنَهُمْ أَجَلَهُمْ بِأَنْ يُثِيبَ الْمُؤْمِنَ وَيُعَاقِبَ الْكَافِرَ. قِيلَ: الْمُرَادُ بَيْنَ الْمُخْتَلِفِينَ فِي كِتَابِ مُوسَى، فَإِنَّهُمْ كَانُوا بَيْنَ مُصَدِّقٍ بِهِ وَمُكَذِّبٍ".

نعم، وهذا يدل عليه السياق، {وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتُلِفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ} [هود: ١١٠] في الدنيا هؤلاء الذين اختلفوا في كتاب موسى.

"وَقِيلَ: بَيْنَ هَؤُلَاءِ الْمُخْتَلِفِينَ فِيكَ يَا مُحَمَّدُ بِتَعْجِيلِ الْعِقَابِ، وَلَكِنْ سَبَقَ الْحُكْمُ بِتَأْخِيرِ الْعِقَابِ عَنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ {وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ} [هود: ١١٠] إِنْ حُمِلَتْ عَلَى قَوْمِ مُوسَى؛ أَيْ لَفِي شَكٍّ مِنْ كِتَابِ مُوسَى فَهُمْ فِي شَكٍّ مِنَ الْقُرْآنِ".

نعم؛ لأن من شك في كتاب واحد من الكتب المنزلة فقد شك في الباقي، ومن أنكر نبيًّا أو رسالة رسول فقد كفر بالباقين، فالحكم واحد.

" قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَإِنَّ كُلًّا لَمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ}[هود: ١١١] أَيْ إِنَّ كُلًّا مِنَ الْأُمَمِ الَّتِي عَدَدْنَاهُمْ يَرَوْنَ جَزَاءَ أَعْمَالِهِمْ، فَكَذَلِكَ قَوْمُكَ يَا مُحَمَّدُ".

نعم، يرونه في الآخرة، المحسن والمسيء.

"وَاخْتَلَفَ الْقُرَّاءُ فِي قِرَاءَةِ {وَإِنَّ كُلًّا لَمَّا} [هود: ١١١] فَقَرَأَ أَهْلُ الْحَرَمَيْنِ- نَافِعٌ وَابْنُ كَثِيرٍ وَأَبُو بَكْرٍ مَعَهُمْ -"وَإِنْ كُلًّا لَمَّا" بِالتَّخْفِيفِ، عَلَى أَنَّهَا "إِنْ" الْمُخَفَّفَةِ مِنَ الثَّقِيلَةِ مُعْمَلَةً، وَقَدْ ذَكَرَ هَذَا الْخَلِيلُ وَسِيبَوَيْهِ، قَالَ سِيبَوَيْهِ: حَدَّثَنَا مَنْ أَثِقُ بِهِ أَنَّهُ سَمِعَ الْعَرَبَ تَقُولُ: إِنْ زَيْدًا لَمُنْطَلِقٌ، وَأَنْشَدَ قَوْلَ الشَّاعِرِ

كَأَنْ ظَبْيَةً تَعْطُو إِلَى وَارِقِ السَّلَمِ"

لكن إن وأخواتها إذا خُففت قل العمل، يقل عملها، إن هذا لساحران، يقول ابن مالك: خُففت إن فقل العمل، يجوز إعمالها، ولكن إهمالها وعدم إعمالها أرجح.

"أَرَادَ كَأَنَّهَا ظَبْيَةٌ فَخَفَّفَ وَنَصَبَ مَا بَعْدَهَا، وَالْبَصْرِيُّونَ يُجَوِّزُونَ تَخْفِيفَ إِنَّ الْمُشَدَّدَةَ مَعَ إِعْمَالِهَا؛ وَأَنْكَرَ ذَلِكَ الْكِسَائِيُّ وَقَالَ: مَا أَدْرِي عَلَى أَيِّ شَيْءٍ قُرِئَ "وَإِنْ كُلًّا"! وَزَعَمَ الْفَرَّاءُ أَنَّهُ نَصَبَ كُلًّا فِي قِرَاءَةِ مَنْ خَفَّفَ بِقَوْلِهِ: لَيُوَفِّيَنَّهُمْ أَيْ وَإِنْ لَيُوَفِّيَنَّهُمْ كُلًّا، وَأَنْكَرَ ذَلِكَ جَمِيعُ النَّحْوِيِّينَ، وَقَالُوا: هَذَا مِنْ كَبِيرِ الْغَلَطِ، لَا يَجُوزُ عِنْدَ أَحَدٍ: زَيْدًا لَأَضْرِبَنَّهُ. وَشَدَّدَ الْبَاقُونَ إِنَّ وَنَصَبُوا بِهَا كُلًّا عَلَى أَصْلِهَا.

وَقَرَأَ عَاصِمٌ وَحَمْزَةُ وَابْنُ عَامِرٍ لَمَّا بِالتَّشْدِيدِ. وَخَفَّفَهَا الْبَاقُونَ عَلَى مَعْنَى: وَإِنَّ كُلًّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ، جَعَلُوا "مَا" صِلَةً. وَقِيلَ: دَخَلَتْ لِتَفْصِلَ بَيْنَ اللَّامَيْنِ اللَّتَيْنِ تَتَلَقَّيَانِ الْقَسَمَ، وَكِلَاهُمَا مَفْتُوحٌ فَفُصِلَ بَيْنَهُمَا بِ "مَا".

وَقَالَ الزَّجَّاجُ: لَامُ "لَمَّا" لَامُ "إِنَّ" وَ"مَا" زَائِدَةٌ مُؤَكِّدَةٌ، تَقُولُ: إِنَّ زَيْدًا لَمُنْطَلِقٌ، فَإِنَّ تَقْتَضِي أَنْ يَدْخُلَ عَلَى خَبَرِهَا أَوِ اسْمِهَا لَامٌ كَقَوْلِكَ: إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ، وَقَوْلُهُ: {إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى} وَاللَّامُ فِي لَيُوَفِّيَنَّهُمْ هِيَ الَّتِي يُتَلَقَّى بِهَا الْقَسَمُ، وَتَدْخُلُ عَلَى الْفِعْلِ وَيَلْزَمُهَا النُّونُ الْمُشَدَّدَةُ أَوِ الْمُخَفَّفَةُ".

يعني نون التوكيد سواء كانت مخففة أو مشددة، واللام الداخلة على المتأخر من اسم إن، أو خبرها يسمونها ايش؟

طالب: المزحلقة.

المزحلقة، ويأتي بها للتوكيد، ويتعين معها كسر الهمزة.

"وَلَمَّا اجْتَمَعَتِ اللَّامَانِ فُصِلَ بَيْنَهُمَا بِ "مَا" وَ"مَا" زَائِدَةٌ مُؤَكِّدَةٌ، وَقَالَ الفراء: "مَا" بِمَعْنَى "مَنْ" كَقَوْلِهِ: {وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ } [النساء: ٧٢] أَيْ وَإِنَّ كُلًّا لَمَنْ لَيُوَفِّيَنَّهُمْ، وَاللَّامُ فِي"لَيُوَفِّيَنَّهُمْ" لِلْقَسَمِ، وَهَذَا يَرْجِعُ مَعْنَاهُ إِلَى قَوْلِ الزَّجَّاجِ، غَيْرَ أَنَّ "مَا" عِنْدَ الزَّجَّاجِ زَائِدَةٌ وعند الفراء اسْمٌ بِمَعْنَى"مَنْ". وَقِيلَ: لَيْسَتْ بِزَائِدَةٍ، بَلْ هِيَ اسْمٌ دَخَلَ عَلَيْهَا لَامُ التَّأْكِيدِ، وَهِيَ خَبَرُ"إِنَّ" وَ"لَيُوَفِّيَنَّهُمْ" جَوَابُ الْقَسَمِ، التَّقْدِيرُ: وَإِنَّ كُلًّا خُلِقَ لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ. وَقِيلَ: "مَا" بِمَعْنَى "مَنْ" كَقَوْلِهِ: {فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ} [النساء: ٣] أَيْ مَنْ، وَهَذَا كُلُّهُ هُوَ قَوْلُ الْفَرَّاءِ بِعَيْنِهِ. وَأَمَّا مَنْ شَدَّدَ لَمَّا وَقَرَأَ { وَإِنَّ كُلًّا لَمَّا } [هود: ١١١] بِالتَّشْدِيدِ فِيهِمَا - وَهُوَ حَمْزَةُ وَمَنْ وَافَقَهُ- فَقِيلَ: إِنَّهُ لَحْنٌ، حُكِيَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ زَيْدٍ أَنَّ هَذَا لَا يَجُوزُ".

من محمد بن يزيد؟ من يعرفه؟

طالب:.....

العباس؟

طالب: المبرد.

نعم.

طالب:.....

ماذا؟

طالب:.....

نعم.

وَإِنَّ كُلًّا لَمَّا (وإن كلًّا خلق، ليوفينهم ربك) وَإِنَّ كُلًّا يعني كلًّا منهم خلق الله سبحانه وتعالى، والله ليوفيهن ربك.

وأما من شدد لما وقرأ "وَإِنَّ كُلًّا لَمَّا بِالتَّشْدِيدِ فِيهِمَا – وَهُوَ حَمْزَةُ وَمَنْ وَافَقَهُ – فَقِيلَ: إِنَّـهُ لَحْنٌ، حُكِيَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ زَيْدٍ أَنَّ هَذَا لَا يَجُوزُ. وَلَا يُقَالُ: إِنَّ زَيْدًا إِلَّا لَأَضْرِبَنَّهُ، وَلَا لَمَّا لَضَرَبْتُهُ. وَقَالَ الْكِسَائِيُّ: اللَّهُ أَعْلَمُ بِهَذِهِ الْقِرَاءَةِ، وَمَا أَعْرِفُ لَهَا وَجْهًا. وَقَالَ هُوَ وَأَبُو عَلِيٍّ الْفَارِسِيُّ: التَّشْدِيدُ فِيهِمَا مُشْكِلٌ. قال النحاس وَغَيْرُهُ: وَلِلنَّحْوِيِّينَ فِي ذَلِكَ أَقْوَالٌ: الْأَوَّلُ: أَنَّ أَصْلَهَا" لِمَنْ مَا" فَقُلِبَتِ النُّونُ مِيمًا، وَاجْتَمَعَتْ ثَلَاثُ مِيمَاتٍ فَحُذِفَتِ الْوُسْطَى فَصَارَتْ لَمَّا وَ"مَا" عَلَى هَذَا الْقَوْلِ بِمَعْنَى"مَنْ" تَقْدِيرُهُ: وَإِنَّ كُلًّا لِمَنِ الَّذِينَ، كَقَوْلِهِمْ:

وَإِنِّي لَمَّا أُصْدِرُ الْأَمْرَ وَجْهَهُ إِذَا هُوَ أَعْيَا بِالسَّبِيلِ مَصَادِرُهُ

وَزَيَّفَ الزَّجَّاجُ هَذَا الْقَوْلِ، وَقَالَ: "مَنْ"اسْمٌ عَلَى حَرْفَيْنِ فَلَا يَجُوزُ حَذْفُهُ.

الثَّانِي: أَنَّ الْأَصْلَ لَمِنْ مَا، فَحُذِفَتِ الْمِيمُ الْمَكْسُورَةُ؛ لِاجْتِمَاعِ الْمِيمَاتِ، وَالتَّقْدِيرُ: وَإِنَّ كُـلًّا لَمِنْ خَلْقٍ لَيُوَفِّيَنَّهُمْ. وَقِيلَ: "لَمَّا" مَصْدَرُ"لَمَّ".

لمّ.

طالب:.....

لم يلم لما.

"وَجَاءَتْ بِغَيْرِ تَنْوِينٍ حَمْلًا لِلْوَصْلِ عَلَى الْوَقْفِ".

نعم، كقوله: {وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكلًا لَمًّا} .

"فَهِيَ عَلَى هَذَا كَقَوْلِـهِ: {وَتَـأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكـلًا لَمًّا} [الفجر: ١٩] أَيْ جَامِعًا لِلْمَـالِ الْمَـأْكُولِ، فَالتَّقْدِيرُ عَلَى هَذَا: وَإِنَّ كُلًّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ تَوْفِيَةً لَمَّا، أَيْ جَامِعَةً لِأَعْمَـالِهِمْ جَمْعًا، فَهُوَ كَقَوْلِكَ: قِيَامًا لَأَقُومَنَّ. وَقَدْ قَرَأَ الزُّهْرِيُّ لَمَّا بِالتَّشْدِيدِ وَالتَّنْوِينِ عَلَى هَذَا الْمَعْنَى.

الثَّالِثُ: أَنَّ "لَمَّا" بِمَعْنَى "إِلَّا" حَكَى أَهْلُ اللُّغَةِ: سَأَلْتُكَ بِاللَّهِ لَمَّا فَعَلْتَ، بِمَعْنَى إِلَّا فَعَلْتَ، وَمِثْلُـهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: {إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ} [الطارق: ٤] أَيْ إِلَّا عَلَيْهَا، فَمَعْنَى الْآيَـةِ: مَا كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ إِلَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ، قَالَ الْقُشَيْرِيُّ: وَزَيَّفَ الزَّجَّاجُ هَذَا الْقَوْلَ بِأَنَّـهُ لَا نَفْيَ لِقَوْلِـهِ: {وَإِنَّ كُـلًّا لَمَّا} [هود: ١١١] حَتَّى تُقَدَّرَ "إِلَّا"، وَلَا يُقَالُ: ذَهَبَ النَّاسُ لَمَّا زَيْدٍ.

الرَّابِعُ: الْأَصْلُ وَإِنَّ كُلًّا لَمَا بِتَخْفِيفِ "لَمَّا" ثُمَّ ثُقِّلَتْ، كقوله:

لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ أَرَى جَدَبًّا فِي عَامِنَا ذَا بَعْدَمَا أَخْصَبَّا

وَقَول أَبُو إِسحَاقَ الزَّجَّاجُ: هَذَا خَطَأٌ".

قال.

"وَقَال أَبُو إِسحَاقَ الزَّجَّاجُ: هَذَا خَطَأٌ. إِنَّمَا يُخَفَّفُ الْمُثَقَّلُ، وَلَا يُثَقَّلُ الْمُخَفَّفُ.

الْخَامِسُ: قَالَ أَبُو عُبَيدٍ الْقَاسِمُ بنُ سَلَّامٍ: يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ التَّشْدِيدُ مِنْ قَوْلِهِمْ: لَمَمْتُ الشَّيْءَ أَلُمُّهُ لَمًّا إِذَا جَمَعْتُهُ".

إذا جمعتَه.

"إذا جمعتَه، ثُمَّ بُنِيَ مِنهُ فَعْلَى، كَمَا قُرِئَ {ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَى} [المؤمنون: ٤٤] بِغَيرِ تَنوِينٍ وبِتَنْوِينٍ. فَالْأَلِفُ عَلَى هَذَا لِلتَّأْنِيثِ، وَتُمَالُ عَلَى هَذَا الْقَوْلِ لِأَصْحَابِ الْإِمَالَةِ، قَالَ أَبُو إِسحَاقَ: الْقَوْلُ الَّذِي لَا يَجُوزُ غَيْرُهُ عِنْدِي أَنْ تَكُونَ مُخَفَّفَةً مِنَ الثَّقِيلَةِ، وَتَكُونُ بِمَعْنَى "مَا" مِثْلُ: {إِنْ كُلُّ نَفسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ} [الطارق: ٤]، وَكَذَا أَيْضًا تُشَدَّدُ عَلَى أَصلِهَا، وَتَكُونُ بِمَعْنَى "مَا" وَ"لَمَّا"بِمَعْنَى"إِلَّا"حَكَى ذَلِكَ الْخَلِيلُ وَسِيبَوَيْهِ وَجَمِيعُ الْبَصْرِيِّينَ، وَأَنَّ"لَمَّا"يُسْتَعْمَلُ بِمَعْنَى "إِلَّا".

قُلْتُ: هَذَا الْقَوْلُ الَّذِي ارْتَضَاهُ الزَّجَّاجُ حَكَاهُ عَنهُ النَّحَّاسُ وَغَيرُهُ، وَقَدْ تَقَدَّمَ مِثْلُهُ وَتَضْعِيفُ الزَّجَّاجِ لَهُ، إِلَّا أَنَّ ذَلِكَ الْقَوْلَ صَوَابُهُ "إِنْ" فِيهِ نَافِيَةٌ، وَهُنَا مُخَفَّفَةٌ مِنَ الثَّقِيلَةِ فَافْتَرَقَا وَبَقِيَتْ قِرَاءَتَانِ.

الفرق بين النافية وبين المخففة من الثقيلة، النافية: {وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به}، والمخففة من الثقيلة: {علم أن سيكون}.

قَالَ أَبُو حَاتِمٍ: وَفِي حَرْفِ أُبَيّ: "وَإِنْ كُلٌّ إِلَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ"، وَرُوِيَ عَنِ الْأَعْمَشِ: "وَإِنْ كُلٌّ لَمَّا"بِتَخْفِيفِ"إِنْ" وَرَفعِ "كُلٌّ" وَبِتَشْدِيدِ"لَمَّا".

قَالَ النَّحَّاسُ: وَهَذِهِ الْقِرَاءَاتُ الْمُخَالِفَةُ لِلسَّوَادِ تَكُونُ فِيهَا"إِنْ"بِمَعْنَى"مَا"لَا غَيرَ، وَتَكُونُ عَلَى التَّفسِيرِ؛ لِأَنَّهُ لَا يَجُوزُ أَنْ يُقْرَأَ بِمَا خَالَفَ السَّوَادَ إِلَّا عَلَى هَذِهِ الْجِهَةِ.

{إِنَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ}[هود: ١١١] تَهْدِيدٌ وَوَعِيدٌ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: {فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ} [هود: ١١٢] الْخِطَابُ لِلنَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَلِغَيْرِهِ".

لأنه معصوم، فلا يؤمر بالاستقامة. كيف يؤمر بالاستقامة وهو مستقيم؟ كيف يؤمر بطلب الهداية وهو مهتدٍ؟ {اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ}[الفاتحة: ٦] إنما المراد الدوام والثبوت على هذه الهداية، مع أن الاستقامة درجات، والهداية درجات، فإذا أمر بالاستقامة يؤمر بتحصيل أعلى هذه الدرجات، وإذا أُمر بالهداية يؤمر بأعلى درجات هذه الهداية، وإن كان على شيء من الهداية فيطلب ما هو أعلى منه، إن كان على درجة من الاستقامة يطلب أعلى من ذلك، فلا مانع من أن يؤمر بالاستقامة ويؤمر بطلب الهداية كائن من كان.

"وَقِيلَ: لَهُ وَالْمُرَادُ أُمَّتُهُ؛ قَالَهُ السُّدي. وَقِيلَ: "اسْتَقِمْ" اطْلُبِ الْإِقَامَةَ عَلَى الدِّينِ مِنَ اللَّهِ وَاسْأَلْهُ ذَلِكَ. فَتَكُونُ السِّينُ سِينَ السُّؤَالِ، كَمَا تَقُولُ: أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ أَطْلُبُ الْغُفْرَانَ مِنْهُ. وَالِاسْتِقَامَةُ الِاسْتِمْرَارُ فِي جِهَةٍ وَاحِدَةٍ مِنْ غَيْرِ أَخْذٍ فِي جِهَةِ الْيَمِينِ وَالشِّمَالِ؛ فَاسْتَقِمْ عَلَى امْتِثَالِ أَمْرِ اللَّهِ. وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ سُفْيَانَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الثَّقَفِيِّ قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ قُلْ لِي فِي الْإِسْلَامِ

قَوْلًا لَا أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَدًا بَعْدَكَ ! قَالَ: «قُلْ آمَنْتُ بِاللَّهِ ثُمَّ اسْتَقِمْ» وَرَوَى الدَّارِمِيُّ أَبُو مُحَمَّدٍ فِي مُسْنَدِهِ عَنْ عُثْمَانَ بْنِ حَاضِرٍ الْأَزْدِيِّ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى ابْنِ عَبَّاسٍ فَقُلْتُ أَوْصِنِي! فَقَالَ: نَعَمْ ! عَلَيْكَ بِتَقْوَى اللَّهِ وَالِاسْتِقَامَةِ، اتَّبِعْ وَلَا تَبْتَدِعْ".

في مسنده، عرفنا أن إدراج سنن الدارني في الأسانيد فيه ما فيه؛ لأنه سنن، وليس بمسند، ولذلك يقول: عده للدارني انتقد.

"وَمَنْ تَابَ مَعَكَ [هود: ١١٢] أَيِ اسْتَقِمْ أَنْتَ وَهُمْ، يُرِيدُ أَصْحَابَهُ الَّذِينَ تَابُوا مِنَ الشِّرْكِ وَمَنْ بَعْدَهُ مِمَّنِ اتَّبَعَهُ مِنْ أُمَّتِهِ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ مَا نَزَلَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - آيَةٌ هِيَ أَشَدُّ وَلَا أَشَقُّ مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ عَلَيْهِ، وَلِذَلِكَ قَالَ لِأَصْحَابِهِ حِينَ قَالُوا لَهُ: لَقَدْ أَسْرَعَ إِلَيْكَ الشَّيْبُ! فَقَالَ: «شَيَّبَتْنِي هُودٌ وَأَخَوَاتُهَا»".

نعم، منهم من قال: سبب شيبه -صلى الله عله وسلم- هي هذه الآية، {فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ} [هود: ١١٢] إذا كان الرسول -صلى الله عليه وسلم- تُطلب منه الاستقامة فدل على أن الأمر عظيم، الرسول -صلى الله عليه وسلم- تُطلب منه الاستقامة وهو مستقيم، فكيف بغيره من أفراد أمته وهو يزاول بعض المنكرات وبعض المعاصي، ولا شك أن مثل هذا أمر مخوف، فإذا طلبت منه -صلى الله عليه وسلم- مع ما هو فيه -صلى الله عليه وسلم- من تحصيل الاستقامة فغيره من باب أولى.

"وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي أَوَّلِ السُّورَةِ. وَرُوِيَ عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيِّ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَلِيٍّ السَّرِّيَّ".

السَّرِيَّ.

سمعت أبا علي السَّرِيَّ يَقُولُ: رَأَيْتُ النَّبِيَّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فِي الْمَنَامِ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! رُوِيَ عَنْكَ أَنَّكَ قُلْتَ: شَيَّبَتْنِي هُودٌ. فَقَالَ: نَعَمْ، فَقُلْتُ لَهُ: مَا الَّذِي شَيَّبَكَ مِنْهَا؟ قَصَصُ الْأَنْبِيَاءِ وَهَلَاكُ الْأُمَمِ! فَقَالَ: لَا، وَلَكِنْ قَوْلُهُ: "فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ".

{وَلَا تَطْغَوْا} [هود: ١١٢] نَهَى عَنِ الطُّغْيَانِ، وَالطُّغْيَانُ مُجَاوَزَةُ الْحَدِّ؛ وَمِنْهُ إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ[هود: ١١٢]. وَقِيلَ: أَيْ لَا تَتَجَبَّرُوا عَلَى أَحَدٍ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ} [هود: ١١٣]. فِيهِ أَرْبَعُ مَسَائِلَ:

الْأُولَى: قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَلَا تَرْكَنُوا} الرُّكُونُ حَقِيقَةُ الِاسْتِنَادُ وَالِاعْتِمَادُ وَالسُّكُونُ إِلَى الشَّيْءِ وَالرِّضَا بِهِ، قَالَ قَتَادَةُ: مَعْنَاهُ لَا تَوَدُّوهُمْ وَلَا تُطِيعُوهُمْ. ابْنُ جُرَيْجٍ: لَا تَمِيلُوا إِلَيْهِمْ. أَبُو الْعَالِيَةِ: لَا تَرْضَوْا أَعْمَالَهُمْ، وَكُلُّهُ مُتَقَارِبٌ. وَقَالَ ابْنُ زَيْدٍ: الرُّكُونُ هُنَا الْإِدْهَانُ، وَذَلِكَ أَلَّا يُنْكِرَ عَلَيْهِمْ كُفْرَهُمْ".

وكل هذا واقع، في واقع الأمة الآن، {وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ} [هود: ١١٢]. الركون واقع بجميع صوره، الاعتماد على الكفار

حاصل، والمودة والطاعة والتوجيهات حاصل، والميل إليهم مرة إلى الشرق، ومرة إلى الغرب هذا هو الواقع، ورضا أعمالهم وتفضيل حالهم على حال المسلمين هذا واقع من كثير من المسلمين، نسأل الله العافية.

الركون: الادهان، تجد الكفار يوفدون إلى بلاد المسلمين ما تُقدم لهم كلمة نصيحة يدعون فيها إلى الله وإلى دين الله، ادهانًا ومداهنة لهم، ولا ينكر عليهم شيء من كفرهم، ولا يدعون إلى الله، وكل هذا من الركون إليهم، والله المستعان.

"الثَّانِيَةُ: قَرَأَ الْجُمْهُورُ: تَرْكَنُوا بِفَتْحِ الْكَافِ، قَالَ أَبُو عَمْرٍو: هِيَ لُغَةُ أَهْلِ الْحِجَازِ. وَقَرَأَ طَلْحَةُ بْنُ مُصَرِّفٍ وَقَتَادَةُ وَغَيْرُهُمَا: "تَرْكُنُوا" بِضَمِّ الْكَافِ، قَالَ الْفَرَّاءُ: وَهِيَ لُغَةُ تَمِيمٍ وَقَيْسٍ. وَجَوَّزَ قَوْمٌ رَكَنَ يَرْكَنُ مِثْل مَنَعَ يَمْنَعُ.

الثَّالِثَةُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: {إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا} قِيلَ: أَهْلُ الشِّرْكِ. وَقِيلَ: عَامَّةٌ فِيهِمْ وَفِي الْعُصَاةِ، عَلَى نَحْوِ قَوْلِهِ تَعَالَى: {وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا} الْآيَةَ. وَقَدْ تَقَدَّمَ. وَهَذَا هُوَ الصَّحِيحُ فِي مَعْنَى الْآيَةِ، وَأَنَّهَا دَالَّةٌ عَلَى هِجْرَانِ أَهْلِ الْكُفْرِ وَالْمَعَاصِي مِنْ أَهْلِ الْبِدَعِ وَغَيْرِهِمْ؛ فَإِنَّ صُحْبَتَهُمْ كُفْرٌ أَوْ مَعْصِيَةٌ؛ إِذِ الصُّحْبَةُ لَا تَكُونُ إِلَّا عَنْ مَوَدَّةٍ، وَقَدْ قَالَ حَكِيمٌ: عَنِ الْمَرْءِ لَا تَسْأَلْ وَسَلْ عَنْ قَرِينِهِ فَكُلُّ قَرِينٍ بِالْمُقَارِنِ يَقْتَدِي

فَإِنْ كَانَتِ الصُّحْبَةُ عَنْ ضَرُورَةٍ وَتَقِيَّةٍ فَقَدْ مَضَى الْقَوْلُ فِيهَا فِي "آلِ عِمْرَانَ" وَ"الْمَائِدَةِ". وَصُحْبَةُ الظَّالِمِ عَلَى التَّقِيَّةِ مُسْتَثْنَاةٌ مِنَ النَّهْيِ بِحَالِ الِاضْطِرَارِ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ".

نعم مع الخوف منه، صحبته ومدارته خوفًا منه، هذا فيه رخصة، الشأن في وقت السعة، من يبحث عنهم في وقت الساعة، وكثير ممن عاش بينهم ورأى أحوالهم وطباعهم، وأعجب بهم، يتمنى أن يصل حال المسلمين إلى حالهم، هذا موجود بين المسلمين، نسأل الله العافية، الصحبة لا تكون إلا عن مودة، ولذا إذا كثر الإمساس قل الإحساس، الذين يسكنون في بلاد الكفار سنين طويلة مثل هؤلاء لا ينكرون من أحوالهم شيئًا، بل بعضهم يبرر بعض أعمال الكفار، والله المستعان.

"الرَّابِعَةُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: {فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ} أَيْ تُحْرِقَكُمْ بِمُخَالَطَتِهِمْ وَمُصَاحَبَتِهِمْ وَمُمَالَأَتِهِمْ عَلَى إِعْرَاضِهِمْ وَمُوَافَقَتِهِمْ فِي أُمُورِهِمْ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ}[هود: ١١٤].

فِيهِ سِتُّ مَسَائِلَ:

الْأُولَى: قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ} [هود: ١١٤] لَمْ يَخْتَلِفْ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ التَّأْوِيلِ فِي أَنَّ الصَّلَاةَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ يُرَادُ بِهَا الصَّلَوَاتُ الْمَفْرُوضَةُ؛ وَخَصَّهَا بِالذِّكْرِ؛ لِأَنَّهَا ثَانِيَةُ الْإِيمَانِ".

يعني بعد الشهادتين، ثانية أركان الإسلام بعد الشهادتين.

"وَإِلَيْهَا يُفْزَعُ فِي النَّوَائِبِ؛ «وَكَانَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إِذَا حَزَبَهُ أَمْرٌ فَزِعَ إِلَى الصَّلَاةِ»

وقَالَ شُيُوخُ الصُّوفِيَّةِ: إِنَّ الْمُرَادَ بِهَذِهِ الْآيَةِ اسْتِغْرَاقُ الْأَوْقَاتِ بِالْعِبَادَةِ فَرْضًا وَنَفْلًا".

طرفي النهار، هل معنى هذا أنك تصلي الطرف الأول تصلي والطرف الثاني وتترك الوسط، أو أن هذا تنبيه على استغراق جميع الوقت، وأن تكون مستغرقًا للعبادة من أول النهار من طرفه الأول إلى طرفه الثاني، على كل حال الواجب هو الفرائض وما عدا ذلك فهو.

"قَالَ ابْنُ الْعَرَبِيِّ: وَهَذَا ضَعِيفٌ، فَإِنَّ الْأَمْرَ لَمْ يَتَنَاوَلْ ذَلِكَ إِلَّا وَاجِبًا لَا نَفْلًا، فَإِنَّ الْأَوْرَادَ مَعْلُومَةٌ، وَأَوْقَاتَ النَّوَافِلِ الْمُرَغَّبَ فِيهَا مَحْصُورَةٌ، وَمَا سِوَاهَا مِنَ الْأَوْقَاتِ يُسْتَرْسَلُ عَلَيْهَا النَّدْبُ عَلَى الْبَدَلِ لَا عَلَى الْعُمُومِ، وَلَيْسَ ذَلِكَ فِي قُوَّةِ بَشَرٍ"

الثَّانِيَةُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: {طَرَفَيِ النَّهَارِ} [هود: ١١٤]".

نعم يُذكر عن بعض المتقدمين أنه يصلي في اليوم ألف ركعة، قد ذُكر ذلك عن علي -رضي الله عنه-، وشيخ الإسلام استنكر وقال: ليس بمقدور، والزمان لا يتسع لهذا المقدار، لو قدرنا الركعة بدقيقة واحدة، وقلنا: إن الوقت يصفو منه عشر ساعات إذا استثنينا منه النوم والأكل والشرب والصلاة المفروضة، يعني ستمائة دقيقة، يعني شيخ الإسلام يقول: الوقت لا يستوعب أبدًا.

طالب:.....

حتى لو لم يكن مشغولًا بأمور الأمور ما يجد وقتًا لهذا.

يعني يذكر عن الإمام أحمد ثلاثمائة ركعة، يعني ممكن تصير معقولة هذه، لكن ألف.

طالب:.....

المقصود أنه مهما نقل، شيء يعني الثلاثمائة إذا قلت: دقيقة ركعة ففيها نقر معروف، صلاة فيها الخشوع المطلوب، ثلاثمائة تحتاج إلى خمس ساعات على الأقل، ويروى عن الحافظ عبد الغني -رحمه الله-. أنه يصلي الضحى ثلاثمائة ركعة، المقصود من ارتفاع الشمس إلى الزوال، انتهاء وقت النهي إلى دخول وقت النهي الثانب أكثر من خمس ساعات.

"{طَرَفَيِ النَّهَارِ} [هود: ١١٤] قَالَ مُجَاهِدٌ: الطَّرَفُ الْأَوَّلُ، صَلَاةُ الصُّبْحِ، وَالطَّرَفُ الثَّانِي صَلَاةُ الظُّهْرِ وَالْعَصْرِ، وَاخْتَارَهُ ابْنُ عَطِيَّةَ. وَقِيلَ: الطَّرَفَانِ الصُّبْحُ وَالْمَغْرِبُ، قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ وَالْحَسَنُ. وَعَنِ الْحَسَنِ أَيْضًا الطَّرَفُ الثَّانِي الْعَصْرُ وَحْدَهُ، وَقَالَهُ قَتَادَةُ وَالضَّحَّاكُ. وَقِيلَ: الطَّرَفَانِ الظُّهْرُ وَالْعَصْرُ. وَالزُّلَفُ الْمَغْرِبُ وَالْعِشَاءُ وَالصُّبْحِ، كَأَنَّ هَذَا الْقَائِلَ رَاعَى جَهْرَ الْقِرَاءَةِ. وَحَكَى الْمَاوَرْدِيُّ أَنَّ الطَّرَفَ الْأَوَّلَ صَلَاةُ الصُّبْحِ بِاتِّفَاقٍ ".

لا ينبغي أن يُخالف فيه، صلاة الصبح نهارية ليست ليلية.

"قُلْتُ: وَهَذَا الِاتِّفَاقُ يَنْقُصُهُ الْقَوْلُ الَّذِي قَبْلَهُ".

ينقضه.

ينقضه الْقَوْلُ الَّذِي قَبْلَهُ".

يعني الطرفين الظهر والعصر.

"وَرَجَّحَ الطَّبَرِيُّ أَنَّ الطَّرَفَيْنِ الصُّبْحُ وَالْمَغْرِبُ، وَأَنَّهُ ظَاهِرٌ، قَالَ ابْنُ عَطِيَّةَ: وَرُدَّ عَلَيْهِ بِأَنَّ الْمَغْرِبَ لَا تَدْخُلُ فِيهِ؛ لِأَنَّهَا مِنْ صَلَاةِ اللَّيْلِ.

قَالَ ابْنُ الْعَرَبِيِّ: وَالْعَجَبُ مِنَ الطَّبَرِيِّ الَّذِي يَرَى أَنَّ طَرَفَيِ النَّهَارِ الصُّبْحُ وَالْمَغْرِبُ، وَهُمَا طَرَفَا اللَّيْلِ! فَقَلَبَ الْقَوْسَ رِكْوَةً، وَحَادَ عَنِ الْبُرْجَاسِ غَلْوَةً، قَالَ الطَّبَرِيُّ: وَالدَّلِيلُ عَلَيْهِ إِجْمَاعُ الْجَمِيعِ عَلَى أَنَّ أَحَدَ الطَّرَفَيْنِ الصُّبْحُ، فَدَلَّ عَلَى أَنَّ الطَّرَفَ الْآخَرَ الْمَغْرِبُ، وَلَمْ يُجْمِعْ مَعَهُ عَلَى ذَلِكَ أَحَدٌ.

قُلْتُ: هَذَا تَحَامُلٌ مِنَ ابْنِ الْعَرَبِيِّ فِي الرَّدِّ، وَأَنَّهُ لَمْ يُجْمِعْ مَعَهُ عَلَى ذَلِكَ أَحَدٌ، وَقَدْ ذَكَرْنَا عَنْ مُجَاهِدٍ أَنَّ الطَّرَفَ الْأَوَّلَ صَلَاةُ الصُّبْحِ، وَقَدْ وَقَعَ الِاتِّفَاقُ -إِلَّا مَنْ شَذَّ- بِأَنَّ مَنْ أَكَلَ أَوْ جَامَعَ بَعْدَ طُلُوعِ الْفَجْرِ مُتَعَمِّدًا أَنَّ يَوْمَهُ ذَلِكَ يَوْمُ فِطْرٍ، وَعَلَيْهِ الْقَضَاءُ وَالْكَفَّارَةُ، وَمَا ذَلِكَ إِلَّا وَمَا بَعْدَ طُلُوعِ الْفَجْرِ مِنَ النَّهَارِ؛ فَدَلَّ عَلَى صِحَّةِ مَا قَالَهُ الطَّبَرِيُّ فِي الصُّبْحِ، وَتَبْقَى عَلَيْهِ الْمَغْرِبُ وَالرَّدُّ عَلَيْهِ فِيهِ مَا تَقَدَّمَ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ."

في حديث عائشة في القصر وما فرضت الصلاة ركعتين، فأُقرت صلاة السفر وزيد في الحضر، إلا الصبح فإنها تطول فيها القراءة، وإلا المغرب فإنها وتر النهار، والصبح في طرف النهار الأول والمغرب وإن وقعت في الجزء الأول من الليل إلا أنها تعد في الطرف الثاني من النهار، ولذا جاء في الحديث والمغرب فإنها وتر النهار، فأضيفت إلى النهار ولو كانت في الليل باعتبار أنها ملاصقة لآخر جزء من النهار، فلعل ميل الطبري إلى شيء من هذا.

"الثَّالِثَةُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ}[هود: ١١٤] أَيْ فِي زُلَفٍ مِنَ اللَّيْلِ، وَالزُّلَفُ السَّاعَاتُ الْقَرِيبَةُ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ؛ وَمِنْهُ سُمِّيَتِ الْمُزْدَلِفَةُ؛ لِأَنَّهَا مَنْزِلٌ بَعْدَ عرفة بقرب مَكَّةَ. وَقَرَأَ ابْنُ الْقَعْقَاعِ وَابْنُ أَبِي إِسْحَاقَ وَغَيْرُهُمَا "وَزُلُفًا" بِضَمِّ اللَّامِ جَمْعُ زَلِيفٍ؛ لِأَنَّهُ قَدْ نَطَقَ بِزَلِيفٍ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ وَاحِدُهُ "زُلْفَةً" لُغَةً؛ كَبُسْرَةٍ وَبُسُرٍ، فِي لُغَةِ مَنْ ضَمَّ السِّينَ. وَقَرَأَ ابْنُ مُحَيْصِنٍ: "وَزُلْفًا"مِنَ اللَّيْلِ بِإِسْكَانِ اللَّامِ، وَالْوَاحِدَةُ زُلْفَةٌ تُجْمَعُ جَمْعَ الْأَجْنَاسِ الَّتِي هِيَ أَشْخَاصٌ كَدُرَّةٍ وَدُرٍّ وَبُرَّةٍ وَبُرٍّ. وَقَرَأَ مُجَاهِدٌ وَابْنُ مُحَيْصِنٍ أَيْضًا"زُلْفَى"مِثْلَ قُرْبَى. وَقَرَأَ الْبَاقُونَ وَزُلَفًا بِفَتْحِ اللَّامِ كَغُرْفَةٍ وَغُرَفٍ.

قَالَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ: الزُّلَفُ السَّاعَاتُ، وَاحِدُهَا زُلْفَةٌ. وَقَالَ قَوْمٌ: الزُّلْفَةُ أَوَّلُ سَاعَةٍ مِنَ اللَّيْلِ بَعْدَ مَغِيبِ الشَّمْسِ، فَعَلَى هَذَا يَكُونُ الْمُرَادُ بِزُلَفِ اللَّيْلِ صَلَاةَ الْعَتَمَةِ، قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ. وَقَالَ الْحَسَنُ: الْمَغْرِبُ وَالْعِشَاءُ. وَقِيلَ: الْمَغْرِبُ وَالْعِشَاءُ وَالصُّبْحُ، وَقَدْ تَقَدَّمَ. وَقَالَ الْأَخْفَشُ: يَعْنِي صَلَاةَ اللَّيْلِ وَلَمْ يُعَيِّنْ".

زلفًا من الليل يعني في أي جزء من أجزائه تقع هذه الصلاة، ولذا يرى بعض أهل العلم أن الصلاة بين العشاءين من قيام الليل، بعد أن تصلي المغرب، من صلاة المغرب صلِّ ما شئت ويكون أيضًا من قيام الليل، الأفضل في صلاة القيام الثلث الأخير، لكن من صلى بعد المغرب قام من الليل، من صلى عد العشاء قام من الليل، لأنه صلى في الليل هذا من قيام الليل.

طالب:.....

العصر، الظاهر.

"الرَّابِعَةُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: {إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ}[هود: ١١٤] ذَهَبَ جُمْهُورُ الْمُتَأَوِّلِينَ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ - إِلَى أَنَّ الْحَسَنَاتِ هَاهُنَا هِيَ الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ، وَقَالَ مُجَاهِدٌ: الْحَسَنَاتُ قَوْلُ الرَّجُلِ سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، قَالَ ابْنُ عَطِيَّةَ: وَهَذَا عَلَى جِهَةِ الْمِثَالِ فِي الْحَسَنَاتِ، وَالَّذِي يَظْهَرُ أَنَّ اللَّفْظَ عَامٌّ فِي الْحَسَنَاتِ خَاصٌّ فِي السَّيِّئَاتِ؛ لِقَوْلِهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «مَا اجْتُنِبَتِ الْكَبَائِرُ»"

الحسنات، ال هذه جنسية، فيشمل جميع الحسنات، أتبع السيئة الحسنة تمحها، فإذا عمل الشخص سيئة، ثم أتبعها بحسنة محتها، والصلوات الخمس ورمضان إلى رمضان والجمعة إلى الجمعة كفارات، ما اجتنبت الكبائر، فدل على أن الذنوب المكفرة هي الصغائر، وأما الكبائر فإنها لا تُكفر إلا بالتوبة، وإن قال بعضهم: إن كان عنده الصغائر قليلة فقد يخفف من الكبائر، وقد يكفر بعضها كما يقول جمع من أهل العلم.

وقد يقول قائل: إذا كانت الصلوات الخمس كفارات، فماذا بقي للجمعة؟ وماذا بقي لرمضان؟ وماذا بقي لاجتناب الكبائر، اجتنبوا كبائر من تنهون عنه نكفر عنكم؟ ما دامت الصلوات الخمس تكفر فماذا عن الباقي؟

ولكن ما المراد بالصلوات الخمس التي تكفر الذنوب؟ وما المراد بالجمعة التي تكفر الذنوب؟ وما المقصود برمضان الذي يكفر الذنوب؟

طالب:.....

نعم الصلوات المقبولة، الصيام المقبول، الجمعة المقبولة التي ترتبت عليها آثارها، وثبت له أجرها، أما الصلاة التي لا يخرج المصلي منها إلا بعشرها، هذه ماذا تكفر له؟ هذه إن كفرت نفسها فبركة.

رمضان الذي يُصام على وجه ناقص ما الذي يكفر من الذنوب؟ هذا إذا أجزأ وأسقط الطلب، فنعمة، لا يؤمر الإنسان بإعادته، ولا بإعادة الصلاة ما لم يرتكب شيئًا يخل بالصلاة ويترك بعض الشروط والأركان، ولكن الآثار مما تترتب على عمل كامل، وهذا ما يقرره شيخ الإسلام – رحمه الله– في مواضع كثر، يجيء شخص غافل يقول: خلاص أنا ذنوبي كلها كفرت بالصلاة، أنت صلاتك فيها نظر، إن كفرت نفسها ففيها بركة، نعم هو لا يؤمر بإعادتها ولذا يقول تعالى: {إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ}[المائدة: ٢٧].

هل معنى هذا أن الفاسق إذا سلم من الصلاة يقول له: أعد صلاتك؛ لأن الله لا يتقبل إلا من المتقين؟

لا، مسقطة للطلب صحيحة مجزئة، لكن القبول الذي هو معنى الآثار المترتبة على هذه العبادة لا يوجد إلا لمن اتقى الله في عمله.

"قُلْتُ: سَبَبُ النُّزُولِ يُعَضِّدُ قَوْلَ الْجُمْهُورِ؛ نَزَلَتْ فِي رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ، قِيلَ: هُوَ أَبُو الْيُسْرِ بْنُ عَمْرٍو. وَقِيلَ: اسْمُهُ عَبَّادٌ؛ خَلَا بِامْرَأَةٍ فَقَبَّلَهَا وَتَلَذَّذَ بِهَا فِيمَا دُونَ الْفَرْجِ. رَوَى التِّرْمِذِيُّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فَقَالَ: إِنِّي عَالَجْتُ امْرَأَةً فِي أَقْصَى الْمَدِينَةِ وَإِنِّي أَصَبْتُ مِنْهَا مَا دُونَ أَنْ أَمَسَّهَا وَأَنَا هَذَا فَاقْضِ فِيَّ مَا شِئْتَ. فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: لَقَدْ سَتَرَكَ اللَّهُ ! لَوْ سَتَرْتَ عَلَى نَفْسِكَ؛ فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – شَيْئًا فَانْطَلَقَ الرَّجُلُ فَأَتْبَعَهُ رَسُولُ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – رَجُلًا فَدَعَاهُ، فَتَلَا عَلَيْهِ: {وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ} إِلَى آخِرِ الْآيَةِ؛ فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: هَذَا لَهُ خَاصَّةً ؟ قَالَ: «لَا بَلْ لِلنَّاسِ كَافَّةً. قَالَ التِّرْمِذِيُّ: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ. وَخَرَّجَ أَيْضًا عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ أَنَّ رَجُلًا أَصَابَ مِنَ امْرَأَةٍ قُبْلَةَ حَرَامٍ فَأَتَى النَّبِيَّ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فَسَأَلَهُ عَنْ كَفَّارَتِهَا فَنَزَلَت {وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ[هود: ١١٤] فَقَالَ الرَّجُلُ: أَلِيَ هَذِهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ فَقَالَ: «لَكَ وَلِمَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ أُمَّتِي». قَالَ التِّرْمِذِيُّ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

وَرُوِيَ عَنْ أَبِي الْيسرِ. قَالَ: أَتَتْنِي امْرَأَةٌ تَبْتَاعُ تَمْرًا فَقُلْتُ: إِنَّ فِي الْبَيْتِ تَمْرًا أَطْيَبُ مِنْ هَذَا، فَدَخَلَتْ مَعِي فِي الْبَيْتِ فَأَهْوَيْتُ إِلَيْهَا فَقَبَّلْتُهَا، فَأَتَيْتُ أَبَا بَكْرٍ فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لَهُ فَقَالَ: اسْتُرْ عَلَى نَفْسِكَ وَتُبْ، وَلَا تُخْبِرْ أَحَدًا فَلَمْ أَصْبِرْ، فَأَتَيْتُ عُمَرَ فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لَهُ فَقَالَ: اسْتُرْ عَلَى نَفْسِكَ وَتُبْ، وَلَا تُخْبِرْ أَحَدًا فَلَمْ أَصْبِرْ، فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لَهُ فَقَالَ: «أَخَلَفْتَ غَازِيًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فِي أَهْلِهِ بِمِثْلِ هَذَا »؟ حَتَّى تَمَنَّى أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ أَسْلَمَ إِلَّا تِلْكَ السَّاعَةَ، حَتَّى ظَنَّ أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ.

قَالَ: وَأَطْرَقَ رَسُولُ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – حَتَّى أَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ {وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ}[هود: ١١٤] قَالَ أَبُو

الْيُسْرِ: فَأَتَيْتُهُ فَقَرَأَهَا عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَقَالَ أَصْحَابُهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَلِهَذَا خَاصَّةً أَمْ لِلنَّاسِ عَامَّةً ؟ فَقَالَ: «بَلْ لِلنَّاسِ عَامَّةً». قَالَ أَبُو عِيسَى: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ، وَقَيْسُ بْنُ الرَّبِيعِ ضَعَّفَهُ وَكِيعٌ وَغَيْرُهُ؛ وَقَدْ رُوِيَ أَنَّ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَعْرَضَ عَنْهُ، وَأُقِيمَتْ صَلَاةُ الْعَصْرِ فَلَمَّا فَرَغَ مِنْهَا نَزَلَ جِبْرِيلُ - عَلَيْهِ السَّلَامُ- عَلَيْهِ بِالْآيَةِ فَدَعَاهُ فَقَالَ لَهُ: «أَشَهِدْتَ مَعَنَا الصَّلَاةَ ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: اذْهَبْ فَإِنَّهَا كَفَّارَةٌ لِمَا فَعَلْتَ». وَرُوِيَ أَنَّ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لَمَّا تَلَا عَلَيْهِ هَذِهِ الْآيَةَ قَالَ لَهُ: قُمْ فَصَلِّ أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وَخَرَّجَ التِّرْمِذِيُّ الْحَكِيمُ فِي"نَوَادِرِ الْأُصُولِ"مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: «لَمْ أَرَ شَيْئًا أَحْسَنَ طَلَبًا وَلَا أَسْرَعَ إدْرَاكًا مِنْ حَسَنَةٍ حَدِيثَةٍ لِذَنْبٍ قَدِيمٍ»، {إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ}[هود: ١١٤].

في مثل هذه القصة، قصة هذا الرجل، لما أتى لأبي بكر، فأمره بالستر على نفسه، وعمر كذلك، بالنسبة للستر على العصاة والمجرمين، فرق أن يأتي تائبًا مقدمًا نفسه لينفذ فيه حكم الله، وبين من يرتكب حكم الفجور مرارًا، ويتابع ويلاحق، ثم يؤمر بالستر عليه، لا، الله سبحانه وتعالى يقول: {وَلا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ}[النور: ٢].

لأنه متى يرعوي العاصي؟ متى ينتبه الغافل المهمل لأهله وزوجه بنين وبنات؟ أمر الناس بالستر المطلق وغير المحدود، لا، لا بد من تنفيذ شرع الله على هؤلاء العصاة، لا بد من أطرهم على الحق، لا بد من إلزامهم بشرائع الإسلام.

وليس كل من مسك يستر عليه، متى تقوم الشرائع، متى تقام الحدود؟ من ستر مسلمًا ستره الله في الدنيا والآخرة، صحيح، لكن مسلم حصلت منه هفوة أو ذلة وجاء تائبًا يستر عليه ولا يفضح، لكن شخص كل يوم يمسك بسيارته يومًا امرأة، ويومًا حدث، ويومًا شاربًا، يومًا مروجًا، مثل هذا يستر عليه؟! يعيث في الأرض فسادًا ويستر عليه؟! مثل هذا يجب أن يكون عبرة لغيره.

ولذا عمر -رضي الله عنه- كان الحد على عهد النبي -صلى الله عليه وسلم- جلد أربعين وأبو بكر جلد أربعين وجاء وقت عمر، زاد الناس في الشر استشار الناس فاقتضى رأيهم أن يكون الحد ثمانين، زيد الحد من أجل ردع الناس.

عمر في مسألة الطلاق كانت الثلاث واحدة، فحسبها ثلاثًا عليهم للتنكيل، جاء الحديث: «إذا شرب الخمر فاجلدوه، ثم إذا شرب في الرابعة -أو قال: في الخامسة- فاقتلوه». إذا كان الحد ما يردع يزاد فيه، وعلى الإمام أن يجتهد في مثل هذه الأمور، أما أن تظهر أصوات تطالب بالستر غير المحدود لمجرمين يزاولون المعاصي ليل نهار إذا أمسك في الشهر الواحد عشر مرات نستر عليه؟ هذا ليس بصحيح.

متى ترتدع المرأة إذا كانت تخرج اليوم وتركب مع ناس، ثم نستر عليها، فبذمة من هذه الجرائم؟ الزوج الغافل متى يستيقظ؟ إذا قيل: يُستر على المرأة وتترك لا أبدًا، هذا دعوة إلى إشاعة الفاحشة، دعوة مغلفة إلى إشاعة الفاحشة، لا بد من حد للناس، لا بد من أطرهم على الحق، والله المستعان.

"الْخَامِسَةُ: دَلَّتِ الْآيَةُ مَعَ هَذِهِ الْأَحَادِيثِ عَلَى أَنَّ الْقُبْلَةَ الْحَرَامَ وَاللَّمْسَ الْحَرَامَ لَا يَجِبُ فِيهِمَا الْحَدُّ، وَقَدْ يُسْتَدَلُّ بِهِ".

وأنها أيضًا من الصغائر؛ لأنها لو كانت من الكبائر لاحتاجت إلى التوبة، ما لم يصر عليها، نقول هذا حارس مدرسة والبنات داخلات طالعات قبل، يقول: صغائر، كيف صغائر؟ مع الإصرار ما تصير صغائر، صحيح أم غير صحيح.

طالب: صحيح.

لكن مرة في العمر صغيرة، تكفرها الصلاة، لكن بالإصرار على هذه الصغائر تصير كبائر بلا شك.

طالب:.....

الإصرار معناه التكرار، مما يدل على عدم الاكتراث، يعني لا يُنظر إلى حجم المعصية لذاتها، يُنظر إلى قدر من عصى وهو الله سبحانه وتعالى.

طالب:.....

تصير كبائر.

طالب:.....

المحقرات هذه هي التي تهلك الناس. يستهينزن بها حتى تقصم ظهورهم.

"عَلَى أَنْ لَا حَدَّ وَلَا أَدَبَ عَلَى الرَّجُل".

لا حد يعني لا حد زنا، يعني الرجم لا يثبت ما لم يثبت الزنا بالشهادة وبينة معتبرة، ويحصل الاعتراف أو الحبل.

"عَلَى أَنْ لَا حَدَّ وَلَا أَدَبَ عَلَى الرَّجُلِ وَالْمَرْأَةِ وَإِنْ وُجِدَا فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ، وَهُوَ اخْتِيَارُ ابْنِ الْمُنْذِرِ؛ لِأَنَّهُ لَمَّا ذُكِرَ اخْتِلَافُ الْعُلَمَاءِ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ ذُكِرَ هَذَا الْحَدِيثُ مُشِيرًا إِلَى أَنَّهُ لَا يَجِبُ عَلَيْهِمَا شَيْءٌ".

"وَسَيَأْتِي مَا لِلْعُلَمَاءِ فِي هَذَا فِي"النُّورِ"إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى".

لا يجب عليهما شيء من الحدود المقدرة، لا جلد إذا كانا بكرين، ولا رجم إذا كانا محصنين، وأما الحدود غير المقدرة التي تعزرك فلا بد من التعزير لا سيما إذا كان الشخص إنما عثر عليه، وكان ممن عُرف بهذا الأمر.

السَّادِسَةُ: ذَكَرَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ فِي كِتَابِهِ الصَّلَاةَ بِرُكُوعِهَا وَسُجُودِهَا وَقِيَامِهَا وَقِرَاءَتِهَا وَأَسْمَائِهَا فَقَالَ: {أَقِمِ الصَّلَاةَ}[الإسراء: ٧٨] الْآيَةَ. وَقَالَ: {أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ} [الإسراء: ٧٨]الْآيَةَ. وَقَالَ: {فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ} [الروم: ١٧] . وَقَالَ: {وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا} [ق: ٣٩]، وَقَالَ: {ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا }. [الحج: ٧٧] وَقَالَ: {وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ}[الحج: ٧٧]، وَقَالَ: {وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا} [الأعراف: ٢٠٤] عَلَى مَا تَقَدَّمَ. وَقَالَ: {وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا} [الإسراء: ١١٠]أَيْ بِقِرَاءَتِكَ، وَهَذَا كُلُّهُ مُجْمَلٌ أَجْمَلَهُ فِي كِتَابِهِ، وَأَحَالَ عَلَى نَبِيِّهِ فِي بَيَانِهِ، فَقَالَ جَلَّ ذِكْرُهُ: {وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ} [النحل: ٤٤]، فَبَيَّنَ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– مَوَاقِيتَ الصَّلَاةِ، وَعَدَدَ الرَّكَعَاتِ وَالسَّجَدَاتِ، وَصِفَةَ جَمِيعِ الصَّلَوَاتِ فَرْضِهَا وَسُنَنِهَا، وَمَا لَا تَصِحُّ الصَّلَاةُ إِلَّا بِهِ مِنَ الْفَرَائِضِ وَمَا يُسْتَحَبُّ فِيهَا مِنَ السُّنَنِ وَالْفَضَائِلِ، فَقَالَ فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ: «صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي».

وَنَقَلَ ذَلِكَ عَنْهُ الْكَافَّةُ عَنِ الْكَافَّةِ، عَلَى مَا هُوَ مَعْلُومٌ، وَلَمْ يَمُتِ النَّبِيُّ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– حَتَّى بَيَّنَ جَمِيعَ مَا بِالنَّاسِ الْحَاجَةُ إِلَيْهِ؛ فَكَمَّلَ الدِّينَ، وَأَوْضَحَ السَّبِيلَ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا}[المائدة: ٣].

قَوْلُهُ تَعَالَى: {ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ}[هود: ١١٤] أَيِ الْقُرْآنُ مَوْعِظَةٌ وَتَوْبَةٌ لِمَنِ اتَّعَظَ وَتَذَكَّرَ؛ وَخَصَّ الذَّاكِرِينَ بِالذِّكْرِ لِأَنَّهُمُ الْمُنْتَفِعُونَ بِالذِّكْرَى. وَالذِّكْرَى مَصْدَرٌ جَاءَ بِأَلِفِ التَّأْنِيثِ".

بيان الصلاة وواجباتها وأركانها وسننها وأعدادها، وأعداد ركعاتها نقلت عن النبي ﷺ نقلًا قد لا يحصل به التواتر، المتواتر هو الذي يفيد القطع، يعني لو بحثت في دواوين السنة عن عدد ركعات صلاة المغرب أو عدد ركعات صلاة الظهر، نعم هي منقولة بالأسانيد الصحيحة، لكن هي منقولة بالتواتر الذي يصلح به القطع، بمعنى أنه لو قال: نصلي المغرب أربعًا بدل ثلاث أو اثنتين. ما فيها شيء متواتر، وهذه أمور تعم بها البال، ولا بد أن تنقل نقلًا متواترًا، نقول: هي متواترة، وهناك ما يسمى بتواتر العمل والتوارث، وهذا نقله الكافة عن الكافة، بهذه الكيفية، تواتر عملي، فلا يحتج محتج وقد وجد قبل كم سنة من يقول: إن عدد ركعات الصلوات ما فيها متواتر. نعم من أخبار الآحاد ما تفيد إلا الظن، والأوامر في الكتاب والسنة مطلقة، ما فيه أعدد بينة، نقول: لا، التواتر مفيد للعلم الضروري الذي يجد الإنسان نفسه مضطرًا إلى التصديق به، فمن زاد أو نقص معتقدًا جواز ذلك لا عن خطأ ولا نسيان فإنه يكفر، لو قال: صلاة المغرب أربع أو ثنتان يكفر.

قَوْلُـهُ تَعَالَى: وَاصْبِرْ أَيْ عَلَى الصَّلَاةِ، كَقَوْلِـهِ: {وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا} [طه: ١٣٢]، وَقِيلَ: الْمَعْنَى وَاصْبِرْ يَا مُحَمَّدُ عَلَى مَا تَلْقَى مِنَ الْأَذَى. {فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ} [التوبة: ١٢٠] يَعْنِي الْمُصَلِّينَ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: {فَلَوْلَا كَانَ} [هود: ١١٦] أَيْ فَهَلَّا كَانَ {مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ} [هود: ١١٦] أَيْ مِنَ الْأُمَمِ الَّتِي قَبْلَكُمْ {أُولُو بَقِيَّةٍ}[هود: ١١٦] أَيْ أَصْحَابُ طَاعَةٍ وَدِينٍ وَعَقْلٍ وَبَصَرٍ يَنْهَوْنَ قَوْمَهُمْ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ لِمَا أَعْطَاهُمُ اللَّهُ تَعَالَى مِنَ الْعُقُولِ وَأَرَاهُمْ مِنَ الْآيَاتِ، وَهَذَا تَوْبِيخٌ لِلْكُفَّارِ. وَقِيلَ: لَوْلَا هَاهُنَا لِلنَّفْيِ، أَيْ مَا كَانَ مِنْ قَبْلِكُمْ، كَقَوْلِهِ: {فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ} أَيْ مَا كَانَتْ. إِلَّا قَلِيلًا اسْتِثْنَاءٌ مُنْقَطِعٌ، أَيْ لَكِنْ قَلِيلًا. {مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ} نَهَوْا عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ. قِيلَ: هُمْ قَوْمُ يُونُسَ؛ لِقَوْلِهِ: {إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ} [يونس: ٩٨] وَقِيلَ: هُمْ أَتْبَاعُ الْأَنْبِيَاءِ وَأَهْلُ الْحَقِّ. { وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا} [هود: ١١٦] أَيْ أَشْرَكُوا وَعَصَوْا ".

السنة الإلهية أن من عصى الله حقت عليه كلمة العذاب، ولا ينفع الإيمان إذا رؤي العذاب، ولم يستثن من ذلك إلا قوم يونس، لما رأوا العذاب آمنوا فصرف عنهم، {وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ}[هود: ٨٣]، ما تطبق الأمة على مزاولة هذه المعاصي وهذه المنكرات، وتعلنها على الملأ من غير نكير، ويقولون: ما زلنا بخير.

لا، السنة الإلهية ماضية، وفي كل يوم وكل شهر وكل سنة، نسوا الكوارث والمصائب التي تحل بالمسلمين، والله يقول: {وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ}[هود: ٨٣]، لكن أين من يعتبر؟ أين من يتعظ؟ ما تغني الآيات والنذر؟ في مثل هذه الحالة الله إذا أراد شيئًا يسر له أسبابه، المسلمون على خوف وعلى وجل شديد من أن تحل بهم كارثة تعيدهم إلى شرعهم؛ وإلا فقد جربوا في حال الثراء وفي حال الغنى، طُلب منهم شكر النعم، وفيه إعراض وإدبار.

بل منهم من ابتلي وامتحن وعاد من بعد الامتحان أسوأ مما كان عليه قبل أن يمتحن، هذا دليل على موت القلوب، على مسخ القلوب الذي هو أشد من مسخ الأبدان، وإذا كان مرض القلوب وموتها ومسخها غير مؤثر، في مثل هذه الأوقات وهو موجود وحاصل، فجاءت الأدلة والأخبار أنه سوف يكون في آخر الزمان مسخ للأبدان، وليس الخبر هكذا، ومع ذلكم ذكر أهل العلم أن الرجلان يخرجان إلى المعصية فيمسخ أحدهما قردًا أو خنزيرًا، ويستمر الآخر إلى المعصية.

الكوارث التي حلت من حولنا {وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ}[هود: ٨٣]، ماذا استفدنا منها؟

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير القرطبي

سورة هود

معالي الشيخ الدكتور

عبد الكريم بن عبد الله الخضير

عضو هيئة كبار العلماء

وعضو اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

تاريخ المحاضرة:	١٤٣١/١١/١٨هـ	المكان:	

قال الإمام القرطبي -رحمه الله تعالى-:

قوله تعالى: {وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا}[هود:١١٦] أَيْ أَشْرَكُوا وَعَصَوْا {مَا أُتْرِفُوا فِيهِ}[هود:١١٦] أَيْ مِنَ الِاشْتِغَالِ بِالْمَالِ وَاللَّذَّاتِ، وَإِيثَارِ ذَلِكَ عَلَى الْآخِرَةِ، {وَكَانُوا مُجْرِمِينَ} [هود:١١٦].

قَوْلُهُ تَعَالَى : {وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى} [هود:١١٧] أَيْ أَهْلَ الْقُرَى، بِظُلْمٍ أَيْ بِشِرْكٍ وَكُفْرٍ، {وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ}[هود:١١٧] أَيْ فِيمَا بَيْنَهُمْ من تَعَاطِي الْحُقُوقِ، أَيْ لَمْ يَكُنْ لِيُهْلِكَهُمْ بِالْكُفْرِ وَحْدَهُ حتى ينضاف إليه الفساد".

لأن الأمم قد تعيش وتستمر، في شيء من رغد العيش، وإن كانوا كفارًا، فلا يعجل لهم بالعقوبة ما لم يظلم بعضهم بعضًا أو يظلموا غيرهم؛ لأن الذي يعجل العقوبة هو الظلم، والتعدي على الآخرين، أما مجرد الكفر والشرك فهذا لا شك أن عقوبته في الآخرة أشد وأنكى، لكن في الدنيا إنما تعجل العقوبة للظالمين.

"كَمَا أَهْلَكَ قَوْمَ شُعَيْبٍ بِبَخْسِ الْمِكْيَالِ وَالْمِيزَانِ، وَقَوْمَ لُوطٍ بِاللِّوَاطِ".

نعم، بهذه المعاصي، وإن كان عندهم من المعاصي والذنوب ما هو أعظم الذي هو الشرك. نعم.

"وَدَلَّ هَذَا عَلَى أَنَّ الْمَعَاصِيَ أَقْرَبُ إِلَى عَذَابِ الِاسْتِئْصَالِ فِي الدُّنْيَا مِنَ الشِّرْكِ، وَإِنْ كَانَ عَذَابُ الشِّرْكِ فِي الْآخِرَةِ أَصْعَبَ. وَفِي صَحِيحِ التِّرْمِذِيِّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَقُولُ: «إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوُا الظَّالِمَ فَلَمْ يَأْخُذُوا عَلَى يَدَيْهِ أَوْشَكَ أَنْ يَعُمَّهُمُ اللَّهُ بِعِقَابٍ مِنْ عِنْدِهِ». وَقَدْ تَقَدَّمَ.

لأن سكوتهم عن الظالم تعاون معه على الظلم والعدوان، فهم مستحقون للعقاب من هذه الحيثية؛ لأن سكوتهم عنهم معاونة معه على ظلمه.

" وَقِيلَ: الْمَعْنَى وَمَا كَانَ رَبّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُسْلِمُونَ، فَإِنَّهُ يَكُونُ ذَلِكَ ظُلْمًا لَهُمْ وَنَقْصًا مِنْ حَقِّهِمْ، أَيْ مَا أَهْلَكَ قَوْمًا إِلَّا بَعْدَ إِعْذَارٍ وَإِنْذَارٍ. وَقَالَ الزَّجَّاجُ: يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى مَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ أَحَدًا وَهُوَ يَظْلِمُهُ وَإِنْ كَانَ عَلَى نِهَايَةِ الصَّلَاحِ؛ لِأَنَّهُ تَصَرُّفٌ فِي مُلْكِهِ".

فليس بظلم حينئذٍ، لو أن الله -سبحانه وتعالى- أهلك أعبد الناس ما كان ظالم له؛ لأنه في تصرفه، لكن جرت سنته ﷻ أنه لا يهلك الصالحين المصلحين، وإنما يهلك الظلمة، نعم من انتهى أجله من هذه الدنيا رحل، وكان من أصلح الناس، وبالمناسبة في هذا اليوم صُلي على شخص توفي البارحة؛ الشيخ: فهد عبيد -رحمه لله-، وهو من أزهد الناس فيما نعلم وأصلحهم، والله المستعان. رحمه الله رحمة واسعة.

"دَلِيلُهُ قَوْلُهُ: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا}[يونس:٤٤]. وَقِيلَ: الْمَعْنَى وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُهْلِكَهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَهُمْ مُصْلِحُونَ، أَيْ مُخْلِصُونَ فِي الْإِيمَانِ. فَالظُّلْمُ الْمَعَاصِي عَلَى هَذَا.

"قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً}[هود:١١٨] قَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: عَلَى مِلَّةِ الْإِسْلَامِ وَحْدَهَا. وَقَالَ الضَّحَّاكُ : أَهْلُ دِينٍ وَاحِدٍ، أَهْلُ ضَلَالَةٍ أَوْ أَهْلُ هُدًى، {وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ}[هود:١١٨] أَيْ عَلَى أَدْيَانٍ شَتَّى، قَالَهُ مُجَاهِدٌ وَقَتَادَةُ، {إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ}[هود:١١٩] اسْتِثْنَاءٌ مُنْقَطِعٌ، أَيْ لَكِنْ مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ بِالْإِيمَانِ وَالْهُدَى فَإِنَّهُ لَمْ يَخْتَلِفْ. وَقِيلَ: مُخْتَلِفِينَ فِي الرِّزْقِ، فَهَذَا غَنِيٌّ وَهَذَا فَقِيرٌ، {إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ} [هود:١١٩] بِالْقَنَاعَةِ، قَالَهُ الْحَسَنُ . {وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ}[هود:١٢٠] قَالَ الْحَسَنُ وَمُقَاتِلٌ وَعَطَاءٌ وَيَمَانٌ: الْإِشَارَةُ لِلِاخْتِلَافِ، أَيْ وَلِلِاخْتِلَافِ خَلَقَهُمْ. وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَمُجَاهِدٌ وَقَتَادَةُ وَالضَّحَّاكُ: وَلِرَحْمَتِهِ خَلَقَهُمْ، وَإِنَّمَا قَالَ: وَلِذَلِكَ، وَلَمْ يَقُلْ: وَلِتِلْكَ، وَالرَّحْمَةُ مُؤَنَّثَةٌ؛ لِأَنَّهُ مَصْدَرٌ" .

المصدر يُشار إليه بالمذكر، ويُخبر عنه بالمذكر، {إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ} [الأعراف:٥٦] فعلى هذا الإشارة تعود إلى الرحمة، {لِذَلِكَ خَلَقَهُمْ}، خلقهم ليرحمهم، فهذا الأصل، ليعبدوه، خلقهم ليعبدوه فيؤولون إلى رحمته بعد موتهم، والله المستعان. الاستثناء: {إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ}[هود:١٢٠] فدل على أن الاختلاف ليس برحمة، الاختلاف لذاته ليس برحمة، والاجتماع والائتلاف هو الرحمة، والفرقة ليست من الرحمة، وأما ما يضاف عليه من قوله-عليه الصلاة والسلام-: «اختلاف أمتي رحمة» فهذا لا يثبت، لكن لا شك أن الاختلاف الناتج عن اجتهاد أهل الاجتهاد يترتب عليه الثواب، والثواب من الرحمة، الاختلاف الناتج عن اجتهاد أهل الاجتهاد، وليس أهل الأهواء، أو من ليسوا من أهل الاجتهاد، كلٌّ يقول برأيه ما يشاء، ويقول بغير علم، هذا ضلال -نسأل الله العافية-.

لكن الجر المرتب على الخلاف إذا نشأ عن اجتهاد أهل الاجتهاد. ولو لم يتفقوا على قول واحد، وكلهم مأجور؛ من أصاب منهم فله أجران، ومن أخطأ فله أجر واحد، وهو أجر الاجتهاد.

"وَأَيْضًا فَإِنَّ تَأْنِيثَ الرَّحْمَةِ غَيْرُ حَقِيقِيٍّ، فَحُمِلَتْ عَلَى مَعْنَى الْفَضْلِ. وَقِيلَ: الْإِشَارَةُ بِذَلِكَ لِلِاخْتِلَافِ وَالرَّحْمَةِ، وَقَدْ يُشَارُ بِـ " ذَلِكَ" إِلَى شَيْئَيْنِ مُتَضَادَّيْنِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: {لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ}[البقرة:٦٨]".

إذا قيل: فلان ليس بقصير ولا طويل بل هو بين ذلك، يعني بين ذلك الطول والقصر.

"وَلَمْ يَقُلْ: بَيْنَ ذَيْنِكَ وَلَا تَيْنِكَ، وَقَالَ: { وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا}[الفرقان:٦٧]، وَقَالَ: {وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا} [الإسراء:١١٠]، وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ : { قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا } [يونس:٥٨] وَهَذَا أَحْسَنُ الْأَقْوَالِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى} لِأَنَّهُ يَعُمُّ، أَيْ وَلِمَا ذُكِرَ خَلَقَهُمْ، وَإِلَى هَذَا أَشَارَ مَالِكٌ- رَحِمَهُ اللَّهُ- فِيمَا رَوَى عَنْهُ أَشْهَبُ، قَالَ أَشْهَبُ: سَأَلْتُ مَالِكًا"..

لما ذُكر من الاختلاف والرحمة، خلقهم فجعلهم شتى؛ منهم من خُلق للاختلاف والفرقة والشقاق والنزاع، ومنهم من خُلق للائتلاف والرحمة والاجتماع، جعلهم بين ذلك، منهم من هو على هذه الحال، ومنهم من هو على هذه الصفة، منهم شقي ومنهم سعيد.

"وَإِلَى هَذَا أَشَارَ مَالِك – رَحِمَهُ اللَّهُ– فِيمَا رَوَى عَنْهُ أَشْهَبُ، قَالَ أَشْهَبُ: سَأَلْتُ مَالِكًا عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ قَالَ: خَلَقَهُمْ؛ لِيَكُونَ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ، أَيْ خَلَقَ أَهْلَ الِاخْتِلَافِ لِلِاخْتِلَافِ، وَأَهْلَ الرَّحْمَةِ لِلرَّحْمَةِ. وَرُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَيْضًا قَالَ: خَلَقَهُمْ فَرِيقَيْنِ، فَرِيقًا يَرْحَمُهُ، وَفَرِيقًا لَا يَرْحَمُهُ.

وقَالَ الْمَهْدَوِيُّ: وَفِي الْكَلَامِ عَلَى هَذَا التَّقْدِيرِ تَقْدِيمٌ وَتَأْخِيرٌ، الْمَعْنَى: وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ، وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ، وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ. وَقِيلَ: هُوَ مُتَعَلِّقٌ بِقَوْلِهِ: {ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ} [هود:١٠٣]، وَالْمَعْنَى: وَلِشُهُودِ ذَلِكَ الْيَوْمِ خَلَقَهُمْ. وَقِيلَ: هُوَ مُتَعَلِّقٌ بِقَوْلِهِ: { فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ}[هود:١٠٥] أَيْ لِلسَّعَادَةِ وَالشَّقَاوَةِ خَلَقَهُمْ."

لكن هذا بعيد لطول الفصل.

"قَوْلُهُ تَعَالَى: { وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ} [هود:١١٩]مَعْنَى " تَمَّتْ " ثَبَتَ ذَلِكَ كَمَا أَخْبَرَ وَقَدَّرَ فِي أَزَلِهِ، وَتَمَامُ الْكَلِمَةِ امْتِنَاعُهَا عَنْ قَبُولِ التَّغْيِيرِ وَالتَّبْدِيلِ، {لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ} مِنْ " لِبَيَانِ الْجِنْسِ، أَيْ مِنْ جِنْسِ الْجِنَّةِ وَجِنْسِ النَّاسِ. " أَجْمَعِينَ " تَأْكِيدٌ، وَكَمَا أَخْبَرَ أَنَّهُ يَمْلَأُ نَارَهُ كَذَلِكَ أَخْبَرَ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – أَنَّهُ يَمْلَأُ جَنَّتَهُ بِقَوْلِهِ: «وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْكُمَا مِلْؤُهَا » خَرَّجَهُ الْبُخَارِيُّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ، وَقَدْ تَقَدَّمَ."

نعم لما احتجت في الجنة، والنار، حيث قالت الجنة: في الضعفاء والمساكين، وتلك قالت: إنما في الجبارون والمتكبرون، فقال للجنة: أنتِ رحمتي وقال للنار كذا، ولكل واحدة منكما ملؤها، ولا يظلم ربك أحدًا، الجنة يملؤها ويخلق لها ما يملؤها، والنار بعثها وإن كانوا أكثر إلا أنها لن تضيق بهم، إذا كانت الجنة عرضها السماوات والأرض وأهلها من كل ألف واحد، فما عظم النار! نسأل الله العافية والسلامة منها.

" قَوْلُهُ تَعَالَى :{ وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ}[هود:١٢٠]. كُلًّا نُصِبَ بِ " نَقُصُّ" مَعْنَاهُ: وَكُلُّ الَّذِي تَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ نَقُصُّ عَلَيْكَ. وَقَالَ الْأَخْفَشُ: " كُلًّا " حَالٌ مُقَدَّمَةٌ، كَقَوْلِكَ: كُلًّا ضَرَبْتُ الْقَوْمَ".

أي جميعهم.

{مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ}[هود:١٢٠] أَيْ مِنْ أَخْبَارِهِمْ وَصَبْرِهِمْ عَلَى أَذَى قَوْمِهِمْ. {مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ} [هود:١٢٠] أَيْ عَلَى أَدَاءِ الرِّسَالَةِ، وَالصَّبْرِ عَلَى مَا يَنَالُكَ فِيهَا مِنَ الْأَذَى. وَقِيلَ: نَزِيدُكَ بِهِ تَثْبِيتًا وَيَقِينًا. وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: مَا نَشُدُّ بِهِ قَلْبَكَ. وَقَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ"

في كل هذا تسلية للنبي -صلى الله عليه وسلم- وتثبيت له -صلى الله عليه وسلم-، لما قص عليه أخبار الأمم الماضية، الرسل والأنبياء السابقين، ومواقف الأمم السابقة من أنبيائهم ورسلهم، كل هذا ممت يثبته ويشد من أزره- عليهم الصلاة والسلام-.

"وَقَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ: نُصَبِّرُ بِهِ قَلْبَكَ حَتَّى لَا تَجْزَعُ. وَقَالَ أَهْلُ الْمَعَانِي: نُطَيِّبُ، وَالْمَعْنَى مُتَقَارِبٌ. وَ"مَا" بَدَلٌ مِنْ كُلًّا، الْمَعْنَى: نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ. {وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ}[هود:١٢٠] أَيْ فِي هَذِهِ السُّورَةِ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَأَبِي مُوسَى وَغَيْرِهِمَا، وَخَصَّ هَذِهِ السُّورَةَ؛ لِأَنَّ فِيهَا أَخْبَارَ الْأَنْبِيَاءِ وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ. وَقِيلَ: خَصَّهَا بِالذِّكْرِ تَأْكِيدًا، وَإِنْ كَانَ الْحَقُّ فِي كُلِّ الْقُرْآنِ. وَقَالَ قَتَادَةُ وَالْحَسَنُ: الْمَعْنَى فِي هَذِهِ الدُّنْيَا، يُرِيدُ النُّبُوَّةَ. {وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ} [هود:١٢٠] الْمَوْعِظَةُ مَا يُتَّعَظُ بِهِ مِنْ إِهْلَاكِ الْأُمَمِ الْمَاضِيَةِ، وَالْقُرُونِ الْخَالِيَةِ الْمُكَذِّبَةِ، وَهَذَا تَشْرِيفٌ لِهَذِهِ السُّورَةِ؛ لِأَنَّ غَيْرَهَا مِنَ السُّوَرِ قَدْ جَاءَ فِيهَا الْحَقُّ وَالْمَوْعِظَةُ وَالذِّكْرَى، وَلَمْ يَقُلْ فِيهَا كَمَا قَالَ فِي هَذِهِ عَلَى التَّخْصِيصِ، {وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ}[هود:١٢٠] أَيْ يَتَذَكَّرُونَ مَا نَزَلَ بِمَنْ هَلَكَ فَيَتُوبُونَ، وَخَصَّ الْمُؤْمِنِينَ؛ لِأَنَّهُمُ الْمُتَّعِظُونَ إِذَا سَمِعُوا قَصَصَ الْأَنْبِيَاءِ".

كما في قوله تعالى: "وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين؛ لأن المؤمن هو الذي يتعظ وهو الذي يزدجر، وهو الذي يعتبر، هذا هو الأصل، وقد يسمع الكافر كلمة فيتعظ بها ويزدجر فيسلم بسببها، لكن المؤمن هو الذي ينصت لكلام ربه ويعتبر به، ويزدجر بأوامره، وينتهي عن نواهيه.

" قَوْلُهُ تَعَالَى :{ وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ}[هود:١٢١] تَهْدِيدٌ وَوَعِيدٌ. {إِنَّا عَامِلُونَ وَانْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ}[هود:١٢٢] تَهْدِيدٌ آخَرُ، وَقَدْ تَقَدَّمَ مَعْنَاهُ.

قَوْلُهُ تَعَالَى :{ وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} [هود:١٢٣] أَيْ غَيْبُهُمَا وَشَهَادَتُهُمَا، فَحُذِفَ لِدَلَالَةِ الْمَعْنَى".

وإذا كان له الغيب، وما غاب فيهما، فما ظهر من باب أولى.

"وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ . وَقَالَ الضَّحَّاكُ: جَمِيعُ مَا غَابَ عَنِ الْعِبَادِ فِيهِمَا. وَقَالَ الْبَاقُونَ: غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ نُزُولُ الْعَذَابِ مِنَ السَّمَاءِ وَطُلُوعُهُ مِنَ الْأَرْضِ. وَقَالَ أَبُو عَلِيٍّ الْفَارِسِيّ: { وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} [هود:١٢٣] أَيْ عِلْمَ مَا غَابَ فِيهِمَا، أَضَافَ الْغَيْبَ وَهُوَ مُضَافٌ إِلَى الْمَفْعُولِ تَوَسُّعًا؛ لِأَنَّهُ حَذَفَ حَرْفَ الْجَرِّ ، تَقُولُ: غِبْتُ فِي الْأَرْضِ، وَغِبْتُ بِبَلَدِ كَذَا. {وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ} [هود:١٢٣] أَيْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، إِذْ لَيْسَ لِمَخْلُوقٍ أَمْرٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ. وَقَرَأَ نَافِعٌ وَحَفْصٌ يُرْجَعُ بِضَمِّ الْيَاءِ وَبِفَتْحِ الْجِيمِ، أَيْ يُرَدُّ.

{فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ}[هود:١٢٣] أَيِ الْجَأْ إِلَيْهِ وَثِقْ بِهِ. {وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ}[هود:١٢٣] أَيْ يُجَازِي كُلًّا بِعَمَلِهِ. وَقَرَأَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ وَالشَّامِ وَحَفْصٌ بِالتَّاءِ عَلَى الْمُخَاطَبَةِ. وَالْبَاقُونَ بِيَاءٍ عَلَى الْخَبَرِ . قَالَ الْأَخْفَشُ".

سعيد، يعني الأوسط، سعيد بن مسعدة.

"سَعِيدٌ " يَعْمَلُونَ" إِذَا لَمْ يُخَاطِبِ النَّبِيَّ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – مَعَهُمْ، قَالَ: بَعْضُهُمْ وَقَالَ : تَعْمَلُونَ بِالتَّاءِ؛ لِأَنَّهُ خَاطَبَ النَّبِيَّ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – وَقَالَ : قُلْ لَهُمْ { وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ} [هود:١٢٣]. وَقَالَ كَعْبُ الْأَحْبَارِ: خَاتِمَةُ التَّوْرَاةِ خَاتِمَةُ "هُودٍ" مِنْ قَوْلِهِ: { وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ}[هود:١٢٣].

إِلَى آخِرِ السُّورَةِ. تَمَّتْ سُورَةُ هُودٍ، وَيَتْلُوهَا سُورَةُ يُوسُفَ – عَلَيْهِ السَّلَام–".